

تاريخ البقاعي

القسم الأول

محرم ٨٥٥ هـ - ذي الحجة ٨٥٧ هـ

تأليف

إبراهيم بن عمر البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ = ١٤٠٦ - ١٤٨٠ م

دراسة وتحقيق

الدكتور محمد سالم بن شديد العوفي

الأستاذ المشارك

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بالرياض

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم



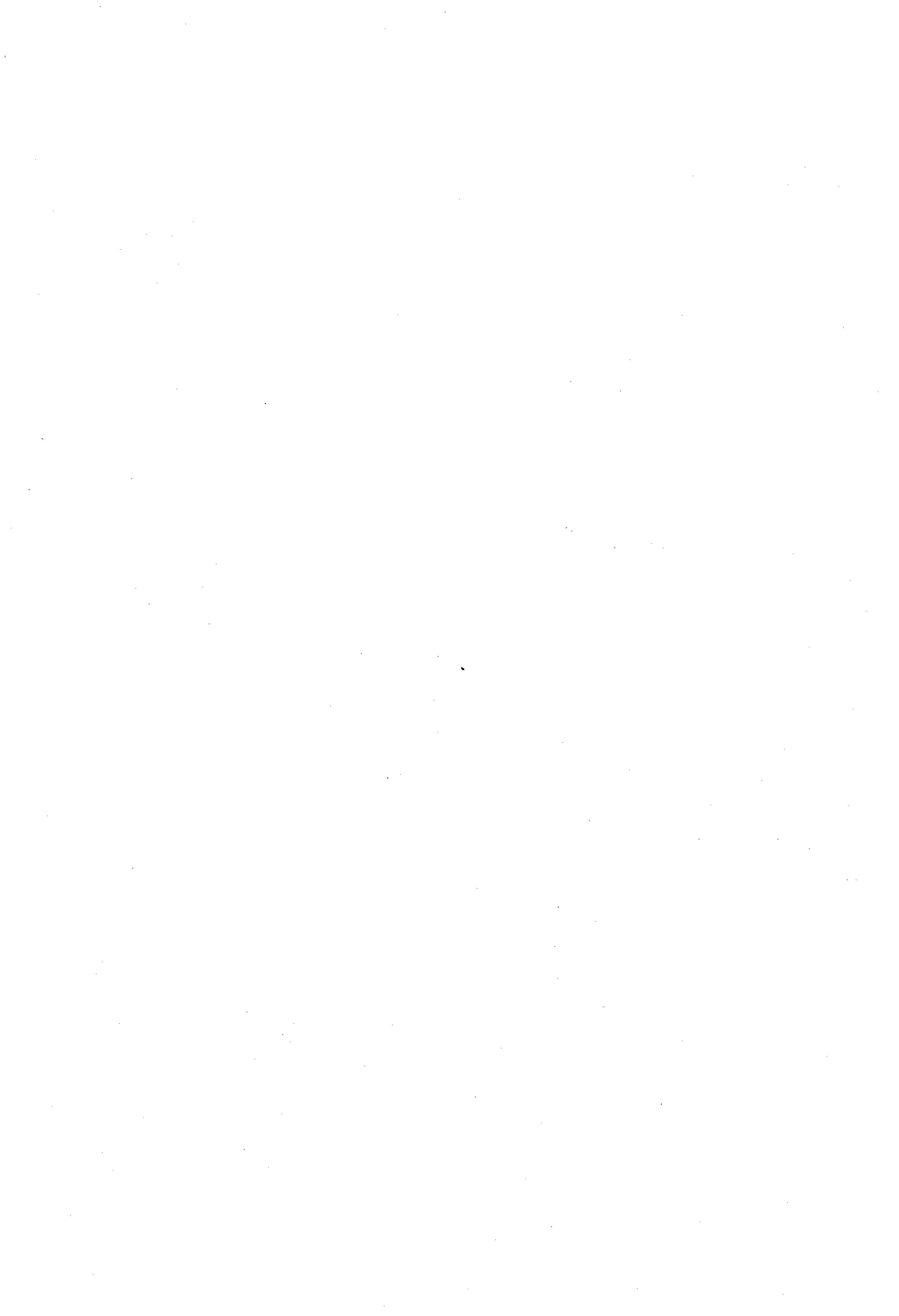
القسم الاول

الدراسة

أولًا : المؤلف

- عصره
- نسبه
- مولده ونشأته ورحلاته
- شيوخه
- تلاميذه
- مؤلفاته
- وفاته
- تحليل شخصيته

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم



عصر المؤلف :

في الفترة من ٦٤٨ هـ إلى ٩٢٣ هـ أصبحت مصر والشام في حوزة السلاطين المماليك ، وهم : المماليك الأتراك أو البحرية[١] ، وقد استمر حكمهم قرابة ١٣٤ سنة تقريبًا ، بلغ عدد ملوكهم ٢٥ ملكًا ، أوّلهم المعز أيبك التركماني الصالحي النجمي التركي ، وآخرهم حاجي شعبان الأشرف ، الملقب بالملك الصالح ، والمماليك الشراكسة أو البرجية[٢] ، هم جنس من الترك كانوا تابعين لسلطان سراي قاعدة ملك خوارزم ، استكثر منهم الملك المنصور قلاوون ، وأولاده ، وأولادهم ، وأدخلوهم في الخَدَم الخاص ؛ أوْشَاقِيَّة ،وسَلَحدارية ،وجَمَدارية ،وجاشنكيرية ،فسلكوا طرائق أُستاذيهم ، وأُدْخلوا السلطنة ، وغلبوا عليها ، واستكثروا من جنسهم ، فولي منهم ، ومن أولادهم بمصر ٢٢ ملكًا في مدة ١٣٨ سنة تقريبًا ، أولهم الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص العثماني ، وآخرهم الدوادار الكبير طومان باي الذي شهد عهده سقوط دولة المماليك في مصر ، بعد أن سقطت في بلاد الشام على يد السلطان العثماني سليم خان (٩١٨ - ٩٢٦ هـ) ، الذي خُطب باسمه في جوامع القاهرة غرَّة المحرم الحرام سنة ٩٢٣ هـ[٣] .

في هذه الفترة كانت آسيا الصغرى في حوزة السلاجقة ، ثم الأتراك العثمانيين ، وخضعت كل من العراق وفارس للدولة الأليخانية (المغولية) ، ثم انفصلت فارس تحت سيادة الدولة التيمورية ، وتخلل ذلك فترات صارت الأمور فيها لدولتين فارسيتين ، هما : القراقيونلية ، والأقاقيونلية ، وكانت تركستان ،

---

(١) سموا بذلك ، نسبة إلى بحر النيل ، لأن الملك الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة ، وسط النيل ، لتصبح مقرًا لهم ، وقيل لأنهم كانوا يُجْلبون عن البحر . «تاريخ المماليك البحرية» (٢٤) ، و «العصر المماليكي» (٥) .

(٢) سموا بذلك ؛ لأن السلطان المنصور قلاوون عندما استكثر منهم ، أسكنهم بجواره في أبراج القلعة . «العصر المماليكي» (١٣٦) .

(٣) سمط النجوم العوالي : ١٦/٤ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٥ ، والخطط المقريزية : ٢٣٦/٢ — ٢٤٤ .

وأفغانستان في قبضة الشغطائية ، ثم صارتا إلى التيمورية[1] .

شهد هذا العصر أحداثًا جسامًا ، منها : دخول هولاكو ملك التتار بغداد سنة ٦٥٦ هـ وقتله الخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠ - ٦٥٦ هـ) ، وسيطرته على حلب والشام ، وإعداد نفسه للتوجه إلى مصر ، وخروج تيمورلنك سنة ٧٧٣ هـ (١٣٣٦ م) الذي خرب البلاد وأهلك العباد إلى أن مات ليلة الأربعاء ١٧ شعبان سنة ٨٠٧ هـ . وهو العصر الذي شهد فتح مدينة القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة ٨٥٧ هـ ، ذلك الفتح الذي اعتبر منعطفًا هامًا في تاريخ الأمة الإسلامية ، وكذلك خروج المسلمين من الأندلس ، عندما فرَّ آخر ملوكهم ، أبو عبد الله محمد بن علي بن نصر من غرناطة سنة ٨٩٨ هـ .

ثم هو العصر الذي شهد قوة السلطنة المملوكية التي خاضت معارك مشرِّفة ، دفاعًا عن الإسلام ، من أبرزها معركة عين جالوت ، التي دارت رحاها يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ بقيادة السلطان سيف الدين قطز ، يقف إلى جانبه قائده المظفر الظاهر بيبرس ، فوضعت حدًا لجحافل التتار ، وأوقفت تقدمهم في بلاد المسلمين[2] .

ورغم ما سجله التاريخ من مآثر جليلة لسلاطين المماليك في عصرهم الأول خاصة ، إلّا أنه لم يخلُ مِن المؤامرات والدسائس ، فشجرة الدر تتآمر ضد زوجها عز الدين أيبك وتكتب نهاية حياته ؛ لأنه فكَّر في أن يتزوج عليها ، وسيف الدين قطز يذهب ضحية مؤامرة دبرها ضده قائده ، وشريكه في النصر على التتار في معركة عين جالوت بيبرس البندقداري ، والملك المنصور قلاوون الألفي يخلع في رجب سنة ٦٧٨ هـ الملك العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس ابن السبع سنين ونصف ، والملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون يقتل في أوائل المحرم سنة ٦٩٣ هـ على يد الأمير الأشرف بيدار ، ومجموعة من الأمراء ، ولم يلبث بيدار أن قتل هو أيضًا على يد أمراء

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١١٦/٣ - ١١٧ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٢٠/١٣ - ٢٢٢ ، والنجوم الزاهرة : ٧٤/٧ - ٨٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩/٢ ، وبدائع الدهور (طبعة بولاق) : ٩٧/١ .

ومماليك خليل بن قلاوون ، وذلك قبل دخوله القاهرة[1] .

كانت المؤامرات والدسائس مستمرة ، ومن النادر أن تكون نهاية سلاطين هذا العصر طبيعية ، فإذا لم تكن القتل ، فهو الخلع على يد القواد والأمراء .

نصٌّ هام أورده صاحب (سمط النجوم العوالي) ، يصف فيه وضع المماليك الشراكسة (البرجية) يقول فيه : « وكان برقوق متمكنًا مِن المملكة ، جمع الأموال ، والخزائن ، واشترى المماليك الشركسية ، فتمكنت ، وتلاعبت بعده المماليك الشركسية بملك مصر ، وصاروا ملوكها وسلاطينها بالقوة ، والغَلَب والاستيلاء ، وكانت تقع بينهم فتن وجدال وجلاد ، وقَتْل نفوس ، وحرب بسوس ، وخوف بؤس ، إلى أن يستقر الأمر لواحد منهم ، فيركب في شعار السلطنة .. »[2] .

ويقول في موضع آخر : « وكأن خيال السلطنة في دماغ كل واحد منهم ، من حين يُجلب إلى السوق ، إلى أن يموت ، حتى أنّ واحدًا منهم جُلب ، وهو حقير ، فاحش القرعة ، فاحش العرج ، قال للدلال الذي يبيعه : هل اتفق تولي الأقرع الأعرج سلطانًا في مصر ؟ ، وبالجملة فقد كانت لهم سماحة وحماسة وصداقة لمن صادقوه ، وكانت أرزاق مصر بأيديهم ، وأهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم »[3] .

إذا نُصِّب سلطانٌ مملوكي في السلطة سرعان ما يُعْزل أو يُقْتل ، وهو وضع ساهم في ضعف الدولة المملوكية ، واضطراب أمورها ، وقد كان صاحب (سمط النجوم العوالي) مدركًا لهذا الوضع عندما قال أثناء حديثه عن قانصوه الغوري (٩٠٦ – ٩٢٢ هـ) : « وفرح العسكر بولايته ؛ لأنهم سئموا تعدد السلاطين ، وسرعة تقضي ملكهم ، بل فرح العامَّة ، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم في الجملة »[4] ، وعندما خُلع الملك العادل طومان باي سنة

---

(١) خطط المقريزي : ٢/٢٣٨ – ٢٣٩ ، وسمط النجوم العوالي : ٤/١٧ ، ١٨ ، ١٩ .
(٢) ٤/٣١ .
(٣) ٤/٣١ .
(٤) ٤/٥٠ .

٩٠٦ هـ ، بعد يوم واحد فقط من تسلطنه ، لم يقدم أحدٌ على السلطنة رغم توفر الأمراء ، « وقد كان بعضهم يشير على بعض على تخت الملك ، فاتفقوا على تولية قانصوه الغوري ؛ لأنهم رأوه سهل الإزالة ، أي وقت أرادوا إزالته أزالوه »[١] .

وقد ساهم في تعقيد هذه المشكلة أيضًا صغر سن بعض السلاطين ، فسلامش بن بيبرس ، الملك العادل سيف الدين تسلطن بعد أخيه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان في رجب سنة ٦٧٨ هـ ، وعمره سبع سنوات ونصف ، وعندما تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطة بعد قتل أخيه الملك الأشرف صلاح الدين خليل سنة ٦٩٣ هـ ، كان عمره تسع سنين ، والملك الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون تولى السلطة سنة ٧٦٤ هـ وعمره عشر سنين ، وكان هؤلاء من الملوك الأتراك البحرية ، ومن الشراكسة البرجية ، تولى الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ المحمودي السلطة فى محرم سنة ٨٢٤ هـ وعمره سنة وثمانية أشهر ، والملك محمد بن الظاهر ططر ، تولى السلطة في ذي الحجة سنة ٨٢٤ هـ وعمره عشر سنين ، وفخر الدين عثمان بن جقمق أبو السعادات تولى السلطة في محرم سنة ٨٥٧ هـ وعمره أقل من عشرين سنة[٢] . وهكذا كان الأمر مع كثير من سلاطين المماليك ، مما أتاح الفرصة لتدخل المماليك ، وكبار قواد الدولة في شئون الحكم ، ومما ساهم في عدم استقرار الوضع السياسي ، وكثرة تقلبه ، وهذا ما ألمح له (العصامي) عندما أشار إلى أنه لم يحج من ملوك الشراكسة غير السلطان قايتباي سنة ٨٨٤ هـ ، وذلك لتمكنه في الملك ، وحسن تدبيره ، وضبطه للممالك[٣] .

كان عصر البقاعي ، عصر انتقال مراكز العلم والأدب مِن بغداد ، وبخارا ، ونيسابور ، والري ، وقرطبة ، وإشبيلية ، إلى القاهرة ، والإسكندرية ،

---

(١) سمط النجوم العوالي : ٤/٤٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٤/١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٤/٤٥ .

واسيوط ، والفيوم ، ودمشق ، وحمص ، وحلب ، وحماه ، فكثر في أسماء الشعراء ، والأدباء ، والعلماء ، ألقاب : القاهري ، والدمشقي ، والإسكندري ، والفيومي ، والمقدسي ، والسيوطي[1] .

نضج فيه علم العمران ، وفلسفة التاريخ ، وقد عبَّرت مقدمة ابن خلدون عن قمة نضج هذا العلم في تلك الفترة ، كما أُتقنت فيه العلوم السياسية والحربية والإدارية ، وصُنِّفت فيها الكتب ، وضُبطت قوانينها ونظمها ، فظهر نجم الدين أحمد بن محمد بن علي بن الرفعة المصري الشافعي ، محتسب القاهرة ، المتوفى سنة ٧١٠ هـ ، وألف كتاب بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور والرعية ، وحسن بن عبد الله العباسي ، وألف للملك المظفر السلطان بيبرس المنصوري (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) كتاب آثار الأول في تدبير الدول ، وإبراهيم بن عبد الواحد بن أبي النور (في النصف الأول من القرن الثامن الهجري) وألف كتاب سياسة الأمراء وولاة الجند ، ومحمود بن إسماعيل الجيزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ تقريبًا ، وألف كتاب الدرة الغراء في نصائح الملوك ، والولاة والوزراء ، ألفه لأبي سعيد جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) ، وغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، المتوفي سنة ٨٧٢ هـ ، ألف كتاب زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك ، وتوغان المحمدي الأشرفي المتوفي سنة ٨٨٠ هـ ، وله كتاب البرهان في فضل السلطان ، ومنهج السلوك في سيرة الملوك ، والمقدمة السلطانية في السياسة الشرعية[2] .

كان لكثرة أصحاب السيادة في الدولة الإسلامية ، من سلاطين ، وملوك ، وأمراء ، السبب في الإكثار من تدوين السيرة الذاتية ، وظهور كتب عامَّة للتراجم ، وزيادة الرغبة في تدوين التاريخ العام ، فنبعت طائفة من أساطين علماء التاريخ : ابن خلدون ، والمقريزي ، وابن حجر ، والسخاوي ، والسيوطي ، وابن إياس ، كما ظهر من قبل : ابن خلكان ، صاحب وفيات

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ١١٧/٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٨/٣ - ١١٩ .

الأعيان ، وابن أبي أصيبعة ، صاحب طبقات الأطباء ، وصلاح الدين الصفدي ، صاحب الوافي بالوفيات ، وأبو الفدا ، صاحب التاريخ المشهور ، وشمس الدين الذهبي ، صاحب سير أعلام النبلاء ، وغيرهم[1] .

ونتيجة لاحتكاك الأفكار ، وكثرة الاختلاط ، دخل في التاريخ شيء من النقد والفلسفة ، وبيان ما يشوبه من مغالط وأوهام ، وهو آخر ما التفت إليه أدباء العرب من ضروب النقد[2] .

تكاثرت في هذا العصر المدارس ، حتى صارت تعد بالمئات ، وتركّزت بصفة خاصة في القاهرة ، ودمشق ، والقدس ، وكانت تختلف حسب مذاهبها وأغراضها ؛ للتفسير ، والحديث ، والفقه الشافعي ، والفقه الحنبلي ، والفقه الحنفي ، والفقه المالكي ، أو للطب والفلسفة ، والرياضيات[3] .

كما برزت ظاهرة تأليف الموسوعات والمجموعات ، وكان لكثرة ما أصاب الناس مِن الإحن دور في انصراف أصحاب القرائح إلى الاشتغال بالأبحاث في خدمة الدين ، وكذلك الاهتمام بعلوم السحر والشعوذة والطلاسم ، فظهر شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، وألف موسوعته الضخمة ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، في نيّف وثلاثين مجلدًا ، وشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، وألف موسوعته المعروفة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، في بضعة وعشرين مجلدًا ، وأبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، المتوفي سنة ٨٢١ هـ ، صاحب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، وهو موسوعة في أربعة عشر مجلدا[4] .

اشتهرت دولة المماليك بأنها دولة إقطاعية ، وكانت مصر في عصر المماليك مقسمة إلى أربعة وعشرين قيراطًا ، أربعة قراريط منها خاصّة بالسلطان ، وعشرة

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية : ٣/ ١٢٠ .
(٢) المصدر نفسه : ٣/١٥٦ – ١٥٧ .
(٣) المصدر نفسه : ٣/١٢٠ .
(٤) المصدر نفسه : ٣/١٢٠ – ١٢١ .

للأمراء[1] ، وجاء في « صبح الأعشى » : « والبلاد النفيسة الكثيرة المتحصل في الغالب تُقطع للأمراء على قدر درجاتهم ، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة ، وما دون ذلك ، يقطع للمماليك السلطانية ، يشترك الاثنان فما فوقهما في البلدة الواحدة في الغالب ، وربما انفرد الواحد منهم بالبلد الواحد ، وما دون ذلك يكون لأجناد الحلقة ، تجتمع الجماعة منهم في البلد الواحد بحسب مقداره ، وحال مقطعيه ، وفي معنى أجناد الحلقة المقطعون من العُربان بالبحيرة ، والشرقية من أرباب الأدراك ، وملتزمي خيل البريد وغيرهم »[2] .

وكان المُقْطَع يتمتع بالإقطاع مدَّة حياته ، فإذا مات أو أخل بشرط الإقطاع جاز للسلطان أن يستولي على إقطاعه ، ومنحه لغيره[3] ، وكان يُنادي على من يزيد في شراء إقطاعه ووظيفته في السوق ، كما ينادى على السلعة .

كان الخلل والفساد الذي تطرق لنظام الإقطاع يشكل زاوية في منظومة الفساد العام الذى اعترى دولة المماليك وأجهزتها المختلفة ، فتصرف الأمراء والأجناد في إقطاعاتهم بالبيع والشراء والتنازل والمقايضة ، ودفع الرشاوى ، فدخل كثير من أرباب الوظائف والحرف في أجناد الجيش مما ساهم في إضعافه وفقد فاعليته . وكان السلطان، وكبار رجال دولته مشغولين بجمع الثروة ، والتنافس على السلطة ، ودس بعضهم على بعض ، فكثرت المداهمات والمصادرات ، ونتيجة لما ساد نظام الإقطاع من فساد ، تعطل الجهاد ، وتقاعس الجند عن الخروج ؛ لأنهم يرون أن المنعّمين وأصحاب الإقطاعات باقين لا يكلفون بالخروج ، بينما هم في ضيق وظنك من العيش .

صور البقاعي مجتمعه بأنه كان بائسًا فقيرًا ، تتحكم فيه مجموعة من رجال الدولة والمتنفذين ، يعيش فى خوف دائم من ظلم الحكام ، وضعف القضاة

---

(١) العصر المماليكي : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
(٢) ٤٥٣/٣ .
(٣) العصر المماليكي : ٣٤٨ .

وانحرافهم وغارات العرب والأجلاب والمماليك ، لا يستطيع أن يعمل لهم السلطان شيئًا ، بل كان يتغاضى عما يقوم به مماليكه وأجلابه من فساد وعبث . وقد كان لضعف الوازع الديني ، وعدم جرأة العلماء على قول الحق دور في انتشار الفوضى والاضطراب في مرافق مختلفة ، وكان جلّ اهتمام المماليك والجند الحصول علي مزيد من الأموال فكثرت فتنهم ، وزاد شغبهم مما ساهم في خلق جو من التوتر العام في المجتمع المماليكي في تلك الفترة ، وعطل كثيرًا من مصالح الدولة .

انتشار الدروشة والبدع والخرافات والموالد سمة بارزة في العصر المماليكي وخاصة المتأخر منه ، وكثيرًا ما يكون ذلك بمباركة ، ومشاركة السلاطين أنفسهم ، وكبار رجال الدولة ، لصرف الناس عما كان يلف مجتمعهم من ضيق وظنك ، وفساد إداري وتسلط .

انتشرت الصوفيه انتشارًا واسعًا في العصر المماليكي ، ويعلل بعض الباحثين هذه الظاهرة بكثرة ما وفد على مصر من مشائخ الصوفية المغاربة والأندلسيين ، مثل : السيد أحمد البدوي ، وأبو الحسن الشاذلي ، وأبو العباس المرسي ، وأبو القاسم القباري وغيرهم ممن ضاقوا بالحالة التي وصل إليها المسلمون في بلادهم ، فصادف أسلوبهم قبولًا كبيرًا في مصر ، وزادت أعدادهم ، وتسموا بالفقراء ، وانقسموا إلى عدة طرق ، لكل طريقة شيخها وشعارها ، ووصلت المبالغة ببعض مشائخ الصوفية أنه كان يسلب مريده حرية التصرف في ماله أو زوجته أو نفسه ، وبلغ التطرف بمتصوفة عصر المماليك ، أن نشأت منهم طوائف المجاذيب والدراويش ، فانتشرت البيوت الخاصة بالصوفية كالخانقاوات والربط والزوايا ، واعتنى المماليك بتلك البيوت ، وأنفقوا عليها بسخاء ، وأوقفوا عليها الأوقاف[1] .

نظر المماليك إلى أنفسهم أنهم طبقة عسكرية متميزة ، وأنهم غرباء عن

---

(١) العصر المماليكي : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ .

مصر وأهلها ، لا تربطهم بهم رابطة الدم والأصل والجنس ، فلم يشعروا في كثير من الحالات بروح التعاطف معهم ، ومع مصالحهم ، وَظَلُّوا طبقة منفصلة عن سائر السكان في مصر والشام ، « فلم يتزوجوا منهم ، واختاروا زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم اللائي جلبهن التجار » . إذا انتقل مملوك بالبيع إلى كاتب أو عامي تعرض لعقوبة صارمة ؛ وهكذا وقف سكان مصر والشام من الأحداث التي كانت تجري بين طوائف المماليك ، وسقوط سلطان وتنصيب آخر موقف المتفرج .

طبقة المعمَّمين ، وهم أرباب الوظائف الديوانية ، والفقهاء ، والعلماء ، والكتاب وبالرغم من تعرض هؤلاء للامتهان أحيانًا ، ومن ذلك حرمانهم مِن ركوب الخيل الذي يعتبر ميزة خاصة بالمماليك ، لا يشاركهم فيها غيرهم ، وكثيرًا ما اعتدى المماليك في شوارع القاهرة على الفقهاء والمعممين ، وإنزالهم عن خيولهم ومصادرتها ، بالرغم من ذلك فقد اعتمد المماليك على العلماء ؛ لما لهم من أثر في اكتساب الرأي العام في البلاد .

التجار طبقة مقرَّبة أحيانًا مِن السلاطين المماليك ؛ لأنهم المورد الهام الذي يمدهم بالمال وقت الأزمات ، ورغم ذلك فكثيرًا ما تعرَّضوا للمصادرات ، عدا الرسوم الباهظة التي كانت تفرض عليهم .

طبقة العوام ، وهم : العمال والصناع والباعة والسوقة والسقائين والمكاريين والمعدمين ، أو أشباههم ، كانت تعيش في ظَنَك وعسْر ، فكثر الشحاذون منهم ، وامتهنوا السلب والنهب .

الفلاحون ، كانوا يشكلون نسبة كبيرة في المجتمع المماليكي ، أثقلت كواهلهم الضرائب والمغارم الباهظة التي كانت تفرض عليهم ، عدى ما تتعرض له محصولاتهم ومواشيهم من سلب ونهب على يد العربان ، وخاصَّة في الشرقية والبحيرة والمنوفية والفيوم والمنيا وأسيوط[1] .

كانت بلاد الشام لا تقل أهمية عن مصر في نظر المماليك ؛ لما لها من أهمية جغرافية ، وسياسية ، واقتصادية ، وأخذ نفوذ المماليك يمتد إليها إثر

---

(١) العصر المماليكي : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

الانتصار على التتار في معركة عين جالوت ، فقسموها إلى ستة أقسام ، أو نيابات هي : نيابة دمشق ، ونيابة حلب ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حماة ، ونيابة صفد ، ونيابة الكرك ، وتعتبر كل نيابة صورة لسلطنة المماليك في مصر ، وكان لكل نائب مماليكه ، وأتباعه ، وربما أطلق عليه اسم « أمير الأمراء » ، ولكل نيابة أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة ، ومثل أهل الشام مثل أهل مصر ، من حيث أنهم مغلوبون على أمرهم ، منقسمون إلى بَدْو وحَضَر ، وقد كانت عشائر البدو القاطنة على أطراف دولة المماليك كثيرا ما تعلن ثورتها وتمردها على السلطان القائم في مصر[1] .

كما كانت الحجاز محل اهتمام المماليك منذ اللحظة الأولى التى أقاموا فيها دولتهم ؛ لما لها من مكانة خاصَّة في قلوب المسلمين ، فاستغلوا فرصة ما وقع بين حكامه الأشراف من خلافات للتدخل في شئونه وفرض نوع من السيطرة عليه ، ورغم ما تشكله تلك المنازعات من قلق للسلاطين إلا أنهم كثيرًا ما يستثمرون ذلك لمدِّ نفوذهم وتأكيده ، وقد أظهروا للعالم الإسلامي في ذلك الوقت أنهم حماة الحرمين الشريفين ، وأنهم بالتالي أهل للزعامة والقيادة ، فاهتموا بالحرمين وأغدقوا عليهما بسخاء ، وأوقفوا عليهما الأوقاف الوفيرة وأقاموا في مكة والمدينة المدارس المختلفة .

كانت النظرة إلى دولة المماليك أنها أعظم قوة معاصرة في العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، فنالت بذلك احترام الدول الإسلامية ، في الوقت الذي نظرت إليها الدول الأخرى نظرة احترام وخوف .

فدولة مغول القفجاق التي قامت قرب قزوين في حوض نهر الفولجا حرصت على إقامة علاقة يسودها الصفاء والاحترام .

وفي اليمن ظل ملوكها يعترفون بالولاء لسلاطين المماليك ، ويحرصون على إرضائهم .

وفي عصر قوة دولة المماليك سعت الدول الإسلامية إلى خطب ودّها ، فقد حرص زعيم الدولة التغلقية في الهند ، محمد تغلق شاه (٧٢١ –

---

(١) العصر المماليكي : ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

٧٥٣ هـ) على كسب ود السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون ، فأوفد إليه سفارة محملة بالتحف والهدايا ، وكسب اعتراف الخليفة العباسي أبي الربيع سليمان المستكفي بالله (٧٠١ – ٧٤١ هـ) به سلطانًا على الهند .

وبالرغم من فتور العلاقات بين مصر والدولة الحفصية في تونس ؛ بسبب الخلافة ، عندما اتخذ أبو عبد الله محمد الأول الحفصي ، الملقب بالمنتصر (٦٤٧ – ٦٧٥ هـ) لقب الخلافة ، فقد بقيت العلاقة طيبة بينها وبين دول المغرب العربي الأخرى ، وخاصة بنى مرين في فاس الذين مال السلاطين المماليك إلى جانبهم في صراعهم مع بني زيان في تلمسان .

عاشت في الأطراف الشمالية لدولة المماليك جماعات من شعوب مختلفة مثل : الأرمن ، والكرج ، والأكراد ، والتركمان ، ربطتها بالسلطنة المملوكية علاقات متقلبة ، بين الخضوع والتبعية ، والثورة والعدوان .

أما مع العثمانيين فقد كانت العلاقات طيبة في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية مشغولة بحروبها ضد القوى المسيحية المجاورة ، وخاصة الدولة البيزنطية ، وفي الوقت الذي كان يشعر فيه كل من المماليك والعثمانيين أنهما ينبغي أن يتعاونا ضد عدو مشترك ، هو تيمورلنك ، إلّا أن هذا الصفاء سرعان ما تعكر ؛ بسبب أطماع العثمانيين في ممتلكات الدولة المملوكية ، تلك الأطماع التي تنامت وتعمقت خاصّة بعد استيلاء العثمانيين على القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ ، وبدأ الوهن ينخر في عظم المماليك ، الذي كان كسره سهلًا على يد العثمانيين أنفسهم سنة ٩٢٣ هـ[١] .

(١) راجع موضوع العلاقات مفصلا في «العصر المماليكي » (٢٢٥ – ٢٧٢) .

البقاعي

نسبه :

هو ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط ، بن علي[1] بن أبي بكر البقاعي الشافعي أبو الحسن بن الرُباط ، والرُباط لقب جده حسن ؛ رآه شخص من أكابر أقاربه نائمًا وهو شاب ، وكان طويلًا دقيقًا فقال له : صرت رُباطًا ، شَبَّهه بالحبل الكبير ، وهو بكسر الرّاء ، لكنه من لحن العوام ، من قرية يقال لها : خربة روحا من البِقَاع[2] العزيزي ، من قوم يقال لهم بنو حسن ، وحسن هذا ثلاثة أولاد : يونس وعلي ومكي ، وأعقب كل منهم خلائق ، حتى صار بنو حسن ثلاثة أبطن : بني يونس ، وبني علي ، وبني مكي ، وتفرقوا في البلاد ، فمنهم فرقة ببلاد حلب ، وأخرى في محلة مُغوش ، وهي من القرى الشمالية بالبقاع ، وأخرى في بلاد كرك الشوبك ، وهذه القرية تقارب خمسمائة رجل ، أو يزيد ، والظاهر أنها أصل الجميع ، وخرجت منها فرقة إلى نواحي بلبيس من بلاد مصر .

وصاحب الترجمة من بني مكي ، إلّا أنه لم يَعْرف ما بعد أبي بكر من نسبه ، وإن كان يغلب على ظنه أنَّه أبو بكر بن مكي ؛ لأن أقرانه من بني عمه ليس بينهم وبين حسن أكثر من أربعة ، وإن كان هناك من يصل بني حسن إلى سعد بن أبي وقاص الزهري ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، إلّا أنه لم يجزم بثبوت هذه النسبة[3] .

---

(١) في « شذرات الذهب » (٣٤٠/٧) ، علي بن محمد السليمي .

(٢) البقاع : في « معجم البلدان » (٤٧٠/١) : « جمعُ بُقعة ، موضع يقال له بِقَاع كلب ، قريب من دمشق ، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق ، فيها قرى كثيرة ، ومياه غزيرة نميرة » .

(٣) اعتمدت الترجمة على ترجمة البقاعي لنفسه في كتابه « عنوان الزمان » (مخطوط) (١٤٢) ، وكذلك على ما جاء في « الضوء اللامع » (١٠١/١ - ١١١) ، و « نظم العقيان » (٢٤) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٩٧/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٣٩/٧ - ٣٤٠) ، و « البدر الطالع » (١٩/١- ٢٢) .

مولده ، ونشأته ، ورحلاته :

ولد سنة ٨٠٩ هـ تقريبًا بخربة روحا ، الواقعة بجبل البقاع ، وقرأ بها القرآن الكريم ، وصلى به ، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره ، في ليلة الأحد تاسع شعبان سنة ٨٢١ هـ ، أوقع نـاسٌ من قريته (خربة روحا) ، يُقال لهم بنو مزاحم بأقاربه بني حسن ، فقتلوا منهم تسعة أنفس ، منهم والده عمر بن حسن الرُباط ، وأخوا والده محمد سويد ، وعلي - أخوهما لأبيهما - ، وضُرب هو بالسيف ثلاث ضربات ، إحداهن كانت في رأسه ، فانتقلت به أمه مع أبيها إلى دمشق سنة ٨٢٣ هـ ، بعد أن طافوا بقرى التيم والعرقوب وغيرهما ، وفي دمشق حفظ القرآن الكريم ، وجوَّده ، وعرف أصول القراءات السبع ، وتأهل للمطالعة على ذلك ، وحفظ الشاطبية .

في سنة ٨٢٧ هـ دخل القدس ، واشتغل فيها بالحساب ونظم فيه ، وحفظ منظومتي ابن الهايم في الجبر ، وقواعد الإعراب ، وماتت أمه في القدس في رمضان من تلك السنة ، ثم رجع إلى دمشق في ذي القعدة من نفس السنة ، وعاد مرة أخرى إلى القدس سنة ٨٣٢ هـ .

وفي سنة ٨٣٤ هـ ، رحل إلى القاهرة ، ولازم شيخ الإسلام بن حَجَر العسقلاني ، وسمع جملة من كتب الحديث على مشائخ القاهرة ، ثم رجع إلى القدس أواخر تلك السنة ، فقرأ بها سنن أبي داود وغيره ، ثم رجع إلى القاهرة في أوائل سنة ٨٣٥ هـ ، فأكمل نَظْم الحساب ، وضم إليه علم المساحة ، وفي هذه الأثناء سافر إلى حلب مع شيخه ابن حجر صحبة الأشرف بَرْسِباي ، فقرأ على مشائخها جملة من كتب الحديث ، وقرأ على مشائخ دمشق أثناء رجوعه إلى القاهرة سنة ٨٣٧ هـ ، ثم رحل إلى دمياط وإسكندرية ، وطوف فيما بينهما من البلاد ، وسمع بأكثرها ، وكتب عن شعرائها ، ثم عاد إلى القاهرة في نفس السنة .

في مصر استقر به السلطان ، الظاهر جقمق لقراء الحديث بالقلعة ، يقول السخاوي[1] : « ثم منعه الظاهر في حياته ، وأدخله حبس أولي الجرائم » ، كما

---

(١) الضوء اللامع : ١٠٢/١ .

دَرَّس القراءات بالمدرسة المؤيدية بالقاهرة عقب أمين الدين بن موسى الشافعي ، في ذي القعدة سنة ٨٥٦ هـ ، وهي أول وظيفة يحصل عليها[١] ، كما كان له ميعادًا ، وهي وظيفة مرتبة على تفسير الكتاب العزيز ، عليها وقف يُقال له : وقف طُرُنْطاي في المسجد الظاهر بالحسينية[٢] ، وختم تفسير القرآن في ذلك الجامع يوم الجمعة ١٨ رمضان سنة ٨٦٥ هـ ، بعد نيف وعشرين سنة[٣] .

في سيرته التي دونها عن نفسه سنة ٨٤١ هـ[٤] ، يذكر أنه ذهب للجهاد مرتين ، ثم حج ، وسافر إلى مكة والطائف ، وجاء في « شذرات الذهب »[٥] أنه قال : « وكان ما أراد الله تعالى مِن التنقل في البلاد ، والفوز بالغزو والحج ، أدام الله نعمه آمين ، ومن ثمرات ذلك أيضًا ألّا راحة من الحروب والوقائع التي أعقبتها هذه الواقعة ، فإنها استمرت أكثر من ثلاثين سنة ، ولعلها زادت على مائة وقعة ، كان فيها ما قاربت القتلى فيها ألفا » .

شيوخه :

أخذ البقاعي عن عدد من أساطين وعلماء عصره ، في دمشق ، والقدس ، وحلب ، والقاهرة .

ففي دمشق : قرأ على الشيخ شرف الدين صدقة الضرير المسحراتي[٦] ، علّامة القرّاء بالشام ، ختمةً وتجويدًا ، وصل فيها إلى آخر سورة المنافقين ،

---

(١) تاريخه : ٢٦٨ .
(٢) المصدر نفسه : ١٢١ - ١٢٢ .
(٣) المصدر نفسه : ٤٧٣ .
(٤) عنوان الزمان (مخطوط) : ١٤٥ ،
(٥) ٣٤٠/٧ .
(٦) هو : صدقة بن سلامة بن حسين بن بدران بن إبراهيم بن حملة ، شرف الدين المسحراتي ، نسبة لقرية مَسْحَرا مِن أعمال الجيدور على مرحلة مِن دمشق بنواحي حوران ، ثم الدمشقي الضرير المقرئ ، ولد سنة ٧٦٠ هـ أو قبلها عني بالقراءات ، من مؤلفاته : التتمة في قراءات الثلاثة الأئمة ، مات ليلة السبت ١٠ جمادى الأولى سنة ٨٢٥ هـ ، بدمشق وقد جاوز السبعين .
له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣١٧/٣ رقم ١٢١٣) ، و « شذرات الذهب » (١٧٠/٧) .

وفي سنة ٨٢٦ هـ لازم الشيخ أبا حامد ، تاج الدين محمد[١] بن بهادر ، سبط ابن الشهيد ، وأخذ عنه النحو والتصريف والفقه والمعقولات ، واستمر ملازمًا له إلى أن مات في رمضان سنة ٨٣١ هـ ، وفي سنة ٨٢٧ هـ ، عندما قدم أبو الخير شمس الدين محمد[٢] الجزري إلى دمشق قرأ عليه بالعشر ، وحفظ منظومته « طيبة النشر في القراءات العشر » وعرض عليه مصنفها الأول ، وأجاز له قراءة ما قرأه عليه مِن القراءات وإقرائه ، وجميع ما يجوز له وعنه روايته ، كما حضر بحث الحاوي على فقيه الشام تقي الدين أبي بكر بن قاضي شهبة[٣] .

وفي القدس : أخذ الحساب عن العماد إسماعيل[٤] بن شرف ، تلميذ بن

---

(١) هو : محمد بن بهادر بن عبد الله التاج أبو حامد الجلال الدمشقي الشافعي ، سبط فتح الدين بن الشهيد ، ولد في أواخر القرن الثامِن تقريبًا ، حفظ القرآن الكريم وكتبا كثيرة ، وبرع في فنون كثيرة ، مات يوم الثلاثاء ٩ رمضان سنة ٨٣١ هـ عن ٣٣ سنة .

له ترجمة في : « عنوان الزمان »(مخطوط) (٤٦٦ - ٤٦٧) ، و « الضوء اللامع » (٢٠٤/٧ رقم ٤٩٢) ، و « شذرات الذهب » (١٩٦/٧ - ١٩٧) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشمس أبو الخير العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرئ ، ويعرف بابن الجزري ، نسبة لجزيرة ابن عمر قريب الموصل ، ولد ليلة السبت ٢٥ رمضان سنة ٧٥١ هـ ، برز في الحديث والقراءات ، قدم القاهرة مرارًا ، وأخذ عنه أهل الشام علم القراءات ، وكان يلقب فيها بالإمام الأعظم ، من مؤلفاته : النشر في القراءات العشر ، في مجلدين ، والتقريب ، وهو مختصر للكتاب السابق ، وتحبير التيسير في القراءات العشر ، والتمهيد في التجويد ، وغيرها ، مات يوم الجمعة ٥ ربيع الأول سنة ٨٣٣ هـ في شيراز .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٦٩٧/٢ رقم ٢٣٨٣) ، و « الضوء اللامع » (٢٥٥/٩ رقم ٦٠٨) ، و « شذرات الذهب » (٢٠٤/٧ - ٢٠٦) .

(٣) هو : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب ، التقي بن الشهاب بن الشمس الأسدي ، الشهبي الدمشقي الشافعي ، يعرف بابن قاضي شهبة ؛ لكون والد جده أقام قاضيًا بشهبة السوداء أربعين سنة ، ولد في ٢٤ ربيع الأول سنة ٧٧٩ هـ بدمشق ، انتهت إليه رئاسة الفقه في بلاد الشام ، من مؤلفاته : كتاب المحتاج إلى توجيه المنهاج في أربع مجلدات ، إلّا أنه لم يكمله ، وكافي النبيه ، وهو شرح للتنبيه ، مات عصر يوم الخميس ١٠ أو ١١ ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ بدمشق .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢١/١١ رقم ٦١) ، و « شذرات الذهب » (٢٦٩/٧) .

(٤) هو : إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن شرف بن مشرف ، العماد أبو الفدا القدسي الشافعي، ويعرف بابن شرف، وربما قيل فيه: إسماعيل بن إبراهيم بن شرف، أو إسماعيل بن شرف، أو=

الهايم[1] ، يقول البقاعي في سيرته التي دونها في كتابه « عنوان الزمان » : « وكتب بها كتبًا ، وحفظ منظومتي ابن الهايم في الجبر ، وقواعد الإعراب ، وعرضهما على ابن شرف ، فكتب له : الشيخ الإمام المقرئ المجيد »[2] .

وفي سنة ٨٣٢ هـ بحث على الشيخ زين الدين[3] ماهر ، تلميذ ابن الهايم ، الوسيلة لابن الهايم في الحساب ، والفصول في الفرائض ، وعلى الحافظ تاج الدين[4] بن الغرابيلي شرح نظم كافية ابن الحاجب[5] ، وعلى العماد بن

= ابن إبراهيم بن علي بن يوسف ، ولد سنة ٧٨٢ هـ أو ٧٨٣ هـ ببيت المقدس ، لازم الشهاب بن الهائم ، حتى قرأ عليه غالب تصانيفه ، فصار إمامًا في الحساب وعلوم الوقت ، من مؤلفاته : توضيح بهجة الحاوي في مجلدين ، كما شرح التنبيه ، ومصنفات شيخه ابن الهائم ، وكتب على ألفية شيخه البرماوي في الأصول ، واختصر ألغاز الإسنوي ، وطبقات الشافعية ، مات بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الآخر سنة ٨٥٢ هـ بالقدس .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (٢٨٤/٢ رقم ٨٩٦) .

(١) هو : أحمد بن محمد بن عماد بن علي ، الشهاب أبو العباس القرافي المصري ثم المقدسي الشافعي ، ويعرف بابن الهايم ، ولد سنة ٧٥٦ هـ ، انتهت إليه الرئاسة في الحساب والفرائض ، له مؤلفاته كثيرة ، منها : الفصول في الفرائض ، والمعونة في صناعة الحساب الهوائي ، غاية السول في الإقرار بالدين المجهول ، في الفقه ، واللمع في الحث على اجتناب البدع ، في الأصول . مات سنة ٨١٥ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٥٧/٢ رقم ٤٤٩) .

(٢) ١٤٣ .

(٣) هو : ماهر بن عبد الله بن نجم بن عوض بن نَصير بن نَصَّار ، الزين أبو الجود الأنصاري البلقسي الأصل ثم البلهياني السفطي القاهري ، نزيل بيت المقدس ، ولد في سنة تسع وقيل أربع وسبعين وسبعمائة بقرية بلهية في بركة لواثا من البهنساوية من أعمال القاهرة ، انتقل إلى القدس في رجب سنة ٨٠٢ هـ فلازم الشهاب بن الهائم في الفرائض والحساب وغيرهما من العلوم وحمل عنه علمًا جما ، برع في الفقه والفرائض والعربية مات يوم الأربعاء ١٧ ربيع الأول أو ليلة الأربعاء سلخ ربيع الآخر سنة ٨٦٦ هـ في القدس .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٨٥) ، و « الضوء اللامع » (٢٣٦/٦ رقم ٨٢٠) ، و « نظم العقيان » (١٣٥ رقم ١٢٣) .

(٤) هو : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مسلم بن علي بن أبي الجود التاج القاهري الكركي المقدسي الشافعي ، يعرف بابن الغرابيلي ، ولد سنة ٧٩٦ هـ بالقاهرة ، دخل القدس مع والده سنة ٨٢٧ هـ ، وقيل قبلها ، فحفظ القرآن الكريم ، وعدة مختصرات كالكافية لابن الحاجب ، وألف كتابًا في الحمَّام ، مات بالقاهرة يوم السبت ١٣ جمادى الثانية سنة ٨٣٥ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣٠٤/٩ رقم ٧٥٧) ، و « شذرات الذهب » (٢١٥/٧) .

(٥) هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي الدُّويني الأصل الإسنائي المالكي المعروف بابن=

شرف شرح النخبة[1] لشيخ الإسلام بن حجر . كما سمع على الزين القبابي[2] .

وفي حلب : عندما دخلها مع شيخه ابن حجر صحبة الأشرف برسباي في قصد أخذ آمد ، قرأ على مشائخها جملة من كتب الحديث ، فأخذ عن المحدث حافظ الشام المعروف خارج حلب برهان[3] الدين ، وكتب له في التصحيح لبعض الطباق « الإمام » .

= الحاجب ، أبو عمرو جمال الدين فقيه ، مقرئ أصولي ، نحوي ، صرفي ، عروضي ، ولد سنة ٥٧٠ هـ بإسْنَا من صعيد مصر ، من تصانيفه : الإيضاح شرح المفصل للزمخشري ، الكافية في النحو ، مختصر منتهى السؤال ، مات في ٢٦ من شوال سنة ٦٤٦ هـ .

له ترجمة في : « وفيات الأعيان » (٢٤٨/٣ رقم ٤١٣) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢٦٤/٢٣ رقم ١٧٥) ، و « البداية والنهاية » (١٧٦/١٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٦٠/٦) ، و « شذرات الذهب » (٢٣٤/٥ – ٢٣٥) .

(١) ويسمى « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » وهو شرح كتاب « نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر » وهو مِن أهم المصنفات في علم الحديث .

راجع : « كشف الظنون » (١٩٣٦/٢) ، و « هدية العارفين » (١٣٠/١) .

(٢) لعله ، عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن حسن أو حسين بن يحيى بن عمر بن عبد المحسن ، زين الدين القبابي ، نسبة إلى قباب الكبرى من قرى أشمون الرمان بالوجه الشرقي مِن أعمال القاهرة ، ثم المقدسي الحنبلي ، ولد في ١٣ شعبان سنة ٧٤٩ هـ بالقدس ، كان أحد الفقهاء المشهورين بالقدس ، أكثر عنه الرحالة ، وأخذ عنه خلق منهم ابن حجر ، مات يوم الثلاثاء ٧ ربيع الثاني سنة ٨٣٨ هـ بالقدس .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١١٣/٤ رقم ٣٠٢) ، و « شذرات الذهب » (٢٢٧/٧ – ٢٢٨) .

(٣) هو : إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان ، أبو الوفاء ، الطرابلسي الأصل ، طرابلس الشام ، الحلبي المولد والدار ، الشافعي ، سبط ابن العجمي ، ويعرف بالبرهان ، ولد في ٢٢ رجب سنة ٧٥٣ هـ ، رحل إلى دمشق وفلسطين ومصر والحجاز ، وأخذ عن علمائها ، ومات يوم الاثنين ٢٦ شوال سنة ٨٤١ هـ ، من مصنَّفاته : نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس ، في مجلدين ، والتلقيح لفهم قارئ الصحيح ، في مجلدين ، ونهاية السول في رواة الستة الأصول ، وغيرها .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (١٤٧/١ رقم ٧٠) ، و « الدليل الشافي » (٢٦/١ رقم ٦٩) ، و « الضوء اللامع » (١٣٨/١ – ١٤٥) ، و « شذرات الذهب » (٢٣٧/٧ – ٢٣٨) ، و « البدر الطالع » (٢٨/١ رقم ١٦) ، و « الأعلام » (٦٢/١) ، و « معجم المؤلفين » (١/ ٩٢ – ٩٣) .

وفي القاهرة : عندما دخلها سنة ٨٣٤ هـ ، لازم شيخ الإسلام الحافظ بن حجر ، وكتب جملة من تصانيفه ، وقرأها عليه ، وبحث عليه نخبة المحدثين ، وكتب له التاريخ المفنن ، وأذن له في التدريس ، ثم كتب له العلّامة ، كما سمع منه غالب شرح ألفية العراقي[١] ، كما سمع بحث الحاوي على الشرف السبكي[٢] ، وأجازه بالإفتاء والتدريس ، كما سمعه من الشمس[٣] الونائي ، وأخذ عن أصحاب أبي الفتح محمد بن محمد الميدومي[٤] ، وقاضي القضاة

---

(١) هو : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم ، الزين ، أبو الفضل الكردي ، يعرف بالعراقي ، ولد في ٢١ جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ بمنشية المهراني على شاطئ النيل بمصر ، فقيه ، أصولي ، أديب ، لغوي ، مشارك في بعض العلوم ، رحل إلى دمشق ، وحلب ، والحجاز ، والإسكندرية ، مات في ٢ شعبان سنة ٨٠٦ هـ ، وله إحدى وثمانون سنة ، من مؤلفاته : نظم الدرر السنية في السيرة الزكية ، الباعث على الإخلاص من حوادث القصاص ، منظومة تفسير غريب القرآن ، ألفية في علوم الحديث .

له ترجمة في : « إنباء الغُمر » (١٧٠/٥ - ١٧٧) ، و « الضوء اللامع » (١٧١/٤ رقم ٤٥٢) ، و « شذرات الذهب » (٥٥/٧ - ٥٧) ، و « الأعلام » (١١٩/٤) ، و « معجم المؤلفين » (٢٠٤/٥) .

(٢) هو : موسى بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن سليمان الشرف السبكي ، ثم القاهري الشافعي ، ولد سنة ٧٦٢ هـ تقريبًا بسبك العبيد ، فقيه ، مشارك في النحو والأصول ، سمع من أبرز علماء مصر وأخذ عنه غالب الأعيان من طلبته ، مات بمرض السل يوم الخميس ١٧ ذي القعدة سنة ٨٤٠ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٧٦/١٠ رقم ٧٥٤) ، و « شذرات الذهب » (٢٣٦/٧ - ٢٣٧) .

(٣) هو : محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشمس أبو الفتح بن الشرف بن الفخر الونائي ثم المصري ، ولد سنة إحدى ، أو اثنتين أو ثلاث وثمانمائة ، بونا من الصعيد ، ونشأ بمصر القديمة ، رحل إلى مكة ، وبيت المقدس ، والشام ، وسمع على عدد من علمائها ، مات في ٢ شوال سنة ٨٩٠ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٣٩/٩ رقم ٣٥٢) .

(٤) هو : صدر الدين محمد بن شرف الدين محمد بن إبراهيم المَيْدُومي ، وُلد سنة ٦٦٤ هـ ، وكان بارعًا في الحديث ، وتوفي بالقاهرة في رمضان سنة ٧٥٤ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٦٨٩/٢ رقم ٢٣٥٩) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٩١/١٠) .

شيخ الإسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي[1] ، وجمال الدين بن محمد[2] بن محمد بن نُبَاته ، والحافظي علاء الدين مُغْلَطاي[3] ، وصلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي[4] ، وغيرهم مِن تلك الطبقة .

---

(١) هو : علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري ، الخزرجي السبكي الشافعي ، تقي الدين أبو الحسن ، عالم مشارك في الفقه ، والتفسير ، والأصلين ، والمنطق ، والقراءات ، والحديث ، والخلاف ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والحكمة ، ولد بسبك العبيد ، من أعمال المنوفية بمصر في صفر سنة ٦٨٣ هـ ، وانتقل إلى القاهرة ، ثم إلى الشام وولي قضاءها سنة ٧٣٩ هـ ، واعتل وعاد إلى القاهرة ، فمات بها في جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ ، من مؤلفاته : الدر النظيم في التفسير (لم يكمله) ، ومختصر طبقات الفقهاء ، والابتهاج في شرح المنهاج للنووي وغيرها .
له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٠/٣١٨ - ٣١٩) ، و « حسن المحاضرة » (١/٣٢١ - ٣٢٨) ، و « شذرات الذهب » (٦/١٨٠ - ١٨١) ، و « الأعلام » (٥/١١٦) ، و « معجم المؤلفين » (٧/١٢٧) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري ، أبو بكر ، جمال الدين ، ابن نباته ، أديب ، ناثر ، شاعر ، مؤرخ ، أصله من ميّافارقين ، وولد في القاهرة في ربيع الأول سنة ٦٨٦ هـ ، سكن الشام سنة ٧١٥ هـ تقريبًا وولي نظارة القمامة بالقدس ، ومات في القاهرة يوم الثلاثاء ٧ أو ٨ صفر سنة ٧٦٨ هـ . من مؤلفاته : سجع المطوق في التراجم ، ديوان الشعر ، سلوك دولة الملوك .
له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١/٣٥٩ ، ١١/٩) ، و « شذرات الذهب » (٦/١٩٧) ، و « الأعلام » (٨/١٩٦) ، و « معجم المؤلفين » (١٢/٣١٣) .
٢٧٤) .

(٣) هو : مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي ، أبو عبد الله علاء الدين ، مؤرخ ، نسَّابة ، من حفاظ الحديث ، من أهل مصر ، تركي الأصل ، ولد سنة ٦٩٠ هـ أو ٦٨٩ هـ ، ومات في شعبان سنة ٧٦٢ هـ ، بلغت مؤلفاته أكثر مِن مائة ، منها : شرح البخاري ، عشرون مجلدًا ، وشرح سنن ابن ماجه (لم يتمه) ، الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم .
له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١١/٩) ، و « النجوم الزاهرة » (١/٣٥٩) ، و « شذرات الذهب » (٦/١٩٧) ، و « الأعلام » (٨/١٩٦) ، و « معجم المؤلفين » (١٢/٣١٣) .

(٤) هو : خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائيُّ الدمشقي ، أبو سعيد ، صلاح الدين ، محدّث ، فقيه ، أصولي ، ولد في دمشق في أحد الرَّبيعيْن سنة ٦٩٤ هـ ، سمع بالشام ، ومصر ، والحجاز ، وأفتى ، وتوفي في القدس في محرم سنة ٧٦١ هـ ، من مؤلفاته : المجموع المذهب في قواعد المذهب ، في فقه الشافعية ، والوشي المعلم في الحديث ، ومنحة الرائض في الفرائض ، وغيرها .
له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٠/٣٣٧) ، و « الدارس » (١/٥٩ - ٦٤) ، و « شذرات الذهب » (٦/١٩٠ - ١٩١) ، و « البدر الطالع » (١/٢٤٥ - ٢٤٦) ، و « الأعلام » (٢/٣٦٩ - ٣٧٠) ، و « معجم المؤلفين » (٤/١٢٦) .

كما سمع من البرهان الواسطي[1] ، والتَّدمُري[2] ، والمجد[3] البرماوي ، والبدر[4] البوصيري .

كما أشار البقاعي في تاريخه أنه استفاد مِن أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي ، المعروف بأبي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ من كتابه « المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » ، كما قال عن أبي الفضل بن أبي عبد الله المشدالي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ : « شيخنا محقق الزمان » ، ويتحدث عن جمال الدين يوسف بن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ، صاحب « النجوم الزاهرة » ، وغيره من التصانيف المشهورة وقال عنه : « رأيت سيدي يوسف ابن تغري بردي يُؤَوِّل ... »[5] .

---

(١) هو : أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن سعد الله ، الشهاب ، أبو العباس ، المقدسي ، ثم القاهري ، ويعرف بالواسطي ، ولد سنة ٧٤٥ هـ ، قدم القاهرة وأقام بها نيفًا وعشرين سنة ، مات في ليلة الأربعاء ١١ رجب سنة ٨٣٦ هـ بالقاهرة .

له ترجمة في « عنوان الزمان » (٧٠) ، و « الضوء اللامع » (١٠٦/٢ رقم ٣٢٠) .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن كامل بن محمد بن تمام بن شعبان بن معالي بن سالم ، الشمس ، أبو عبد الله بن الشهاب بن الشمس التَّدمُري الخليلي الشافعي ، ولد سنة ٧٥١ هـ ، وقيل ٧٥٠ هـ ، مات ببلده مستهل ذي الحجة سنة ٨٣٨ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٨١/٧ رقم ١٦٥) .

(٣) هو : إسماعيل بن أبي الحسن بن علي بن عيسى وقيل : عبد الله ، المجد أبو محمد البرماوي ، ثم القاهري ، الشافعي ، ولد في سنة ٧٤٩ هـ في نواحي الغربية ، ثم تحول إلى القاهرة ، وأخذ عن مشائخها ، وسمع ومهر في الفقه والفنون ، وتصدى للتدريس ، وخطب بجامع عمرو بن العاص بمصر ، مات يوم الأحد ١٥ ربيع الآخر سنة ٨٣٤ هـ عن ٨٤ سنة .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٧١/١٥) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٥/٢ رقم ٩١٦) ، و « شذرات الذهب » (٢٠٨/٧) .

(٤) هو : حسين بن علي بن سبع البدر ، والشرف أبو علي البوصيري ، القاهري المالكي ، ولد سنة ٧٥٥ هـ وقيل ٧٤٥ هـ ، ومات في ربيع الأول سنة ٨٣٨ هـ بمنزله بآخر العقيبة بالقرب من جامع ابن طولون بمصر .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٥٠/٣ رقم ٥٧٢) ، و « شذرات الذهب » (٢٢٧/٧) .

(٥) تاريخه : ١١٦ .

وعن شيوخ البقاعي ، راجع « عنوان الزمان » (مخطوط) (١٤٢ – ١٤٤ ، ٣٨٥ ، ٤٦٧) ، و « الضوء اللامع » (٢٨٥/٢ ، ٣١٨/٣ ، ٣٠٨/٩) ، و « نظم العقيان » (٢٤) ، و « شذرات الذهب » (٢٢/٤ ، ٢٢٧/٧) .

تلاميذه :

من أبرزهم :

محيي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر النعيمي الشافعي الدمشقي (٨٤٥ – ٩٢٧ هـ) ، صاحب كتاب الدارس في تاريخ المدارس ، وصف البقاعى وقال عنه : « شيخنا »[١] .

بدر الدين حسن بن علي بن يوسف بن المختار الإربلي الأصل الحصكفي الحلبي الشافعي الشهير بابن السيوفي المولود سنة ٨٥٠ هـ بحصن كيفيا (حصكفا) والمتوفى سنة ٩٢٥ هـ ، يذكر السخاوي في « الضوء اللامع »[٢] أنه أخذ عن البقاعي ظنًّا ، وأكد ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب »[٣] أخذه عنه .

أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير بن خليل الرملي ثم الدمشقي الشافعي ، بدر الدين ، يعرف قديمًا بالحلاوي وبابن الشقيع ، المولود في ربيع الأول سنة ٨٥٤ هـ ، والمتوفى سنة ٩٢٣ هـ ، ذكر السخاوي[٤] بأنه أحد من لَمَّ على البقاعي في دمشق ، وذكر ابن العماد الحنبلي[٥] ، بأنه لازم البقاعي ، حين إقامته في دمشق ، وأخذ عنه كثيرًا .

يعقوب بن عبد الرحمن بن يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن الحسن بن علي بن أبي بكر بن بكار ، المغربي الفاسي ، ويعرف بابن المعلم اليشفري ، المولود في جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ ، والمتوفى سنة ٨٧٧ هـ ، التقى بالبقاعي في القاهرة في رمضان سنة ٨٧٦ هـ ، وحضر مجلسه كثيرًا ، وسمع عليه تفسيره المسمى « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » من أول

---

(١) الدارس : ٤٣/١ .
(٢) ١١٨/٣ رقم ٤٥٥ .
(٣) ١٣٣/٨ – ١٣٤ .
(٤) الضوء اللامع : ٢٢١/١ .
(٥) شذرات الذهب : ١٢١/٨ .

سورة الكوثر إلى آخر سورة الإخلاص ، بحث ودراسة ، وسمع تفسير المعوذتين سماع رواية ؛ لأنه أعجله السفر[1] .

محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضُميدة ، القطب أبو الخير الزُّبيدي البلقاوي الأصل الترملي الدمشقي الشافعي ، يعرف بالخيضري المولود ليلة الاثنين منتصف رمضان سنة ٨٢١ هـ ، والمتوفى في ربيع الثاني سنة ٨٩٤ هـ بالقاهرة[2] .

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفي سنة ٩٠٢ هـ ، يقول في « الضوء[3] اللامع » : « وكنت ممن سمعت بقراءته ، وسمع بقراءتي ، واستفاد كل منا من الآخر على عادة الطلبة في ذلك ، وترجمني في معجمه » . وقد اعتمد السخاوي في تراجم كثيرة أوردها في كتابه السابق على البقاعي .

كما أشار كل من ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في نظم العقيان ، وأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ في شذرات الذهب ، إلى استفادتهما من البقاعي غير مرة ، وبصفة خاصة مما أورده من تراجم .

مؤلفاته :

كان البقاعي مكثرًا في التأليف في فنون مختلفة ، أمكن التعرف على مؤلفاته التالية :

١ – الإباحة في شرح الباحة .

٢ – الأجوبة السرية في الألغاز الجزرية ، أجاب فيه على ألغاز شيخه ابن الجزري في علم القراءات ، فرغ مِن تأليفه سنة ٨٦٩ هـ .

٣ – أحسن الكلام ، وهو كتاب انتقاه البقاعي من كتاب « ذم الكلام » ، لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي ، المعروف بشيخ

---

(١) عنوان الزمان ، (مخطوط) ، ٧٥٦ ، والضوء اللامع : ٢٨٤/١٠ رقم ١١١٤ .

(٢) الضوء اللامع : ١١٧/٩ رقم ٣٠٥ .

(٣) ١٠٣/١ .

الإسلام ، المتوفى سنة ٤٨١ هـ ، وذلك حين سمعه البِقاعي مِن شيخه ابن حجر العسقلاني في رمضان سنة ٨٤٦ هـ بالقاهرة .

٤ – أخبار الجلاد في فتح (فتوح) البلاد ، تحدَّث فيه عن الفتوحات إلى آخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٥ – الإدراك لفن الاحتباك .

٦ – أسد البقاع الناهسة في معتدي (لمعتدي) المقادسة ، وهو عبارة عن كراريس ، تحدَّث فيها نظمًا ونثرًا عن كائنة وقَعْت له بالقدس .

٧ – الأسفار عن أشرف الأسفار ، مختصر ألفه سنة ٨٤٤ هـ ، عندما خرج إلى غزو قبرص ، وردوس مِن البحر ، ولم يتيسر لهم سوى فتح قلعة الميش .

٨ – أسواق الأسواق من مصارع العشاق ، انتقاه من مصارع العشاق ، لأبي محمد جعفر بن أحمد ، المعروف بابن السراج القاري ، المتوفي سنة ٥٠٠ هـ ، بعد أن هذَّبه ، وزاده من نوادر الأخبار ، وأدخل فيه جميع كتاب « الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين » للحافظ مُغْلطاي ، وكتاب « ذكر جميع حكايات منازل الأحباب ، ومنازه الألباب » ، لشيخه الشهاب ، فجاء في مقدمة وعشرة أبواب .

٩ – إشعار الواعي بأشعار البقاعي ، وهو ديوان شعر .

١٠ – أشلاء الباز على ابن الخباز ، جزء جمعه في رد خصمه ناصر الدين ابن الزفتاوي ، أحد النُّواب ، وذكر أنه ندم على ما فعل ، فقرأ عليه وصَيَّره من شيوخه .

١١ – الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل .

١٢ – أطباق الأغلال في أعناق الضلال .

١٣ – الاطلاع على حجة الوداع .

١٤ – إظهار العصر لِأسرار أهل العصر ، ذيل على إنباء الغمر بأبناء العمر ، لابن حجر العسقلاني .

١٥ – الإعلام بسنّ الهجرة إلى الشام .

١٦ – الأقوال القويمة في حكم النقل عن الكتب القديمة .

١٧ – إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر ، ألفه في دمشق ؛ لما رأى اجتماع العوام على شيخ في الجامع ، يرقصون ، ويرفعون أصواتهم ، فكتب نهيًا لهم ، وفرغ منه في شوال سنة ٨٨١ هـ ، وهو كتاب مختصر .

١٨ – الانتصار من المعتدي بالأبصار ، قرّضه له شيخه ، الكمال محمد ابن الهمام .

١٩ – الباحة في علمي الحساب والمساحة ، منظومة في سبعمائة بيت ، أكملها في القاهرة سنة ٨٣٥ هـ ، ثم شرحها ، وسمّاها « الإباحة » .

٢٠ – بذل النصح والشفقة ، للتعريف بصحبة ورقة ، أو « بذل النصح والشفقة لصحبة السيد ورقة » ، ألفه عام ٨٨٣ هـ بدمشق ؛ لِأن بعض الطلبة أنكر صحبة السيد ورقة بن نوفل .

٢١ – بيان الإجماع على منع الاجتماع ، في بدعة الغناء والسماع .

٢٢ – تتميم إيساغوجي ، عن المنطق .

٢٣ – تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد ، رسالة ردّ فيها الفصوص ، والتائية مِن آثار أهل وحدة الوجود ، حققه عبد الرحمن الوكيل ، وطبع في القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤ هـ .

٢٤ – تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض ، أو « تدمير المعارض في تقبيح ابن الفارض » .

٢٥ – تهديم الأركان من (في) ليس بالإمكان أبدع مما كان ، رسالة ردّ فيها على بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة ، واعترض على الغزالي في إحيائه ، فرغ من تأليفه سنة ٨٨٣ هـ .

٢٦ – تهذيب جمل الخونجي ، شرح وتهذيب لكتاب الجمل لابن مرزوق التلمساني ، وهو اختصار لكتاب نهاية الأمل في المنطق ، فرغ من تأليفه سنة ٨٦١ هـ .

٢٧ – جامع الفتاوى لإيضاح بهجة الحاوي .

٢٨ – الجامع المبين لما قيل في وكأيّن ، عن تفسير قوله تعالى :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّون كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ ... ﴾ (آل عمران / ١٤٦) .

٢٩ – الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق ، وهو جمل وقواعد لأفضل الدين محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي الشافعي المتوفى سنة ٦٢٤ هـ ، هذّبه وحرَّره البقاعي وفرغ منه في ١٣ رجب سنة ٨٦١ هـ .

٣٠ – جواهر البحار في نظم سيرة النبي المختار ، أرجوزة في سبعمائة بيت أتمَّها في رشيد من مصر ، في صفر سنة ٨٤٨ هـ .

٣١ – الجواهر والدرر فى مناسبة الآي والسور .

٣٢ – خير الزاد مِن كتاب الاعتقاد ، وهو كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وهو كتابٌ مشتمل على بيان ما يجب اعتقاده على المكلف ، وهو مرتب على الأبواب .

٣٣ – دلالة البرهان على أن ليس في الإمكان أبدع مما كان ، فرغ من تأليفه سنة ٨٨٤ هـ بدمشق .

٣٤ – دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم ، وهو مختصر لكتابه نظم الدرر في تناسب الآي والسور .

٣٥ – دلالة (دلائل) البرهان لمنصفي الإخوان ، على طريق الإيمان ، فرغ من تأليفه في جمادي الأولى سنة ٨٧٧ هـ .

٣٦ – رد الجواب للسائل المرتاب .

٣٧ – رفع اللثام عن عرائس النظام ، مختصر في العروض والقوافي ، فرغ من تأليفه في ١٨ ربيع الأول سنة ٨٤٨ هـ ، ورتبه على قسمين : الأول في العروض ، والثاني في القافية .

٣٨ – زوال الشدة بقتال أهل الرِّدَّة ، أو (العدَّة فى أخبار أهل الرِّدة) .

٣٩ – سر الروح ، وهو مختصر لكتاب الروح لابن القيم ، طبع بالقاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨ م .

٤٠ - السيف المسنون اللمّاع على المفتون بالابتداع ، وهو رد على من أفتى بلزوم قراءة الفاتحة في عواقب الصلوات ، وهو السيوطي .

٤١ - شرح جمع الجوامع في أصول الفقه ، لتاج الدين عبد الوهّاب ابن علي السبكي الشافعي ، المتوفي سنة ٧٧١ هـ .

٤٢ - شرح جواهر البحار ، في مجلدين ، وهو شرح لكتابه (جواهر البحار في نظم سيرة المختار) .

٤٣ - شرح كتاب الحاوي ، للشرف السبكي .

٤٤ - صواب الجواب للسائل المرتاب المعارض المجادل في كفر ابن فارض ، وهو مجلد صنَّفه في الرد على التائية في التصوف ، للشيخ أبي حفص عمر بن علي بن الفارض الحموي ، المتوفي سنة ٥٧٦ هـ .

٤٥ - الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات ، وهو كتاب لطيف في مختصر القراءات ، ينحصر الكلام فيه ، في وسائل ، ومقاصد ، والوسائل في سبعة أجزاء ، والمقاصد في جزءين ، الأول الأصول ، في نحو عشرين بابًا ، والثاني الفرش في السور .

٤٦ - عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة ، منظومة في الخط ، والشكل ، والنقط ، تهذيبًا لمنظومة نور الدين أبي الثناء محمود بن أحمد ابن خطيب الدهشة المصري الحنفي الحموي .

٤٧ - عنوان الزمان في تراجم (بتراجم) الشيوخ والأقران ، جمع فيه شيوخه ، ثم جرّده في مختصر سماه :

٤٨ - عنوان العنوان ، أو عنوان العنوان بتجريد أسماء الشيوخ والأقران ، أو الشيوخ والتلامذة والأقران ، أثبت فيه أسماء من تيسر مِن مشائخه ، وأقرانه ، وتلامذته ، وأنسابهم ، ووفياتهم على ترتيب الحروف .

٤٩ - الفارض ، ذكر (حاجي خليفة) في « كشف الظنون » (١٢١٥) : « ذكره [البقاعي] في دلالة البرهان ، وقال : من أراد بسط الأدلة مما في هذه الرسالة ، فعليه بكتابي الفارض ، فإنه بحر عباب ، وذكرى عظيمة لا يستغني عنه في هذا الزمان متشرع » .

٥٠ – الفتح القدسي في آية الكرسي ، فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٨٧٩ هـ بالقاهرة .

٥١ – قوح الزبد من سقط الزند ، انتقاه من سقط الزند ، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري .

٥٢ – قدح الفكر ، وتنوير البصر بأجوبة الشهاب بن حجر، في الفقه.

٥٣ – القول الفارق بين الصادق والمنافق .

٥٤ – القول المعروف ، أو القول المألوف في الرد على منكر المعروف .

٥٥ – القول المفيد في أصول التجويد .

٥٦ – كفاية القارى في رواية أبي عمر .

٥٧ – لعب العرب بالميسر ، حققه عمر السويدي ، وطبع في لندبرغ ، بمطبعة ليدن ١٣٠٣ هـ ، ١٨٨٥ م .

٥٨ – ما لا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان ، في النحو ، فرغ من تأليفه في جمادي الأولى سنة ٨٣٦ هـ .

٥٩ – مختصر السيرة النبوية والثلاثة الخلفاء ، وهو اختصار لكتابه جواهر البحار .

٦٠ – مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السورة ، في مجلد صغير .

٦١ – الملتقط من معجم الطبراني في الوسط .

٦٢ – منتقى الغريب الفاني ، من الترغيب للأصفهاني .

٦٣ – نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، في التفسير ، وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد ، جمع فيه من أسرار القرآن الكريم ، ما تتحير فيه العقول ، فرغ من تأليفه في ٧ شعبان سنة ٨٧٥ هـ ، وكان ابتداؤه في شعبان سنة ٨٦١ هـ ، طبعت بعض أجزائه في حيدر آباد الدكن : دائرة المعارف العثمانية ، ٩٦٩ – ١٩٧٩ م .

٦٤ – النكت والفوائد على شرح العقائد ، ومؤلف العقائد هو ، نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي ، المتوفى سنة ٥٣٧ هـ ، وشارحها هو ، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ، المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، وقد

فرغ التفتازاني من شرحها ، سنة ٧٦٨ هـ .

٦٥ - النكت الوضية بما في شرح الألفية ، أو النكت الوضية على الألفية ، حاشية على ألفية العراقي ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين ، المتوفى سنة ٨٠٦ هـ ، في أصول الحديث ، أورد فيه ما استفاده من شيخه ابن حجر .

٦٦ - وشي الحرير في اختصار تفسير ابن جرير ، كتبه في نحو عشرين كراسًا[1] .

وفاته :

عندما تنكر له الناس ، وبالغوا في أذاه ، لَمَّ أطرافَه ، وتوجَّه إلى دمشق سنة ٨٨٠ هـ ، فنزل بالمدرسة الصالحية ، وتولى مشيخة القراء بتربة أم الصالح ، ولم يزل يكابد الشدائد ، حتى مات ليلة السبت ١٨ رجب سنة ٨٨٥ هـ ، ودفن خارج دمشق ، من جهة قبر عاتكة[2] .

تحليل شخصيته :

قبل الخوض في التعرف على شخصية البقاعي ، هناك مواقف ومؤثّرات ، يصعب إغفال أثرها في تكوين تلك الشخصية ، وهي : النشأة القاسية التي عاشها ، منذ أن تفتحت عيناه على الحياة ، وكانت تلك الحادثة التي

---

(١) عن مؤلفات البقاعي ، راجع : عنوان الزمان (مخطوط) : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، والضوء اللامع : ١٠٥/١ ، ١٠٦ ، ونظم العقيان : ٢٤ ، وشذرات الذهب : ٣٤٠/٧ ، وكشف الظنون : ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٧ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ٢١٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٣٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥١٣ ، ٦٠٢ ، ٦١٢ ، ٧٥٩ ، ٨٢٨ ، ٩١٠ - ٩١١ ، ١٠١٨ ، ١٠٩٠ ، ١١٤٢ ، ١١٤٥ - ١١٤٨ ، ١١٧٤ - ١١٧٥ ، ١٢١٥ ، ١٢٣٣ ، ١٣٦٥ ، ١٣٩٣ ، ١٤٢١ ، ١٥٠٠ ، ١٥٧٦ ، ١٧٠٤ ، ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، وإيضاح المكنون : ١٠٢/١ ، ١٥٢ ، ٤٧٥ ، ٦٧٨/٢ ، وهدية العارفين ٢٢/١ ، والأعلام : ٥٠/١ و٧/١٠ ، ومعجم المؤلفين : ٧٠/١ ، والتناسب القرآني (رسالة دكتوراه) : ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) الضوء اللامع : ١٠٦/١ - ١٠٧ ، وبدائع الزهور (طبعة بولاق) : ١٩٧/٢ ، وشذرات الذهب : ٣٣٩/٧ ، والبدر الطالع : ٢٠/١ - ٢١ .

تعرضت لها أسرته في قريتهم (خربة روحا) ، وذهب ضحيتها والده وأخـواه ، وجرح البقاعي نفسه فيها ، كانت بداية المأساة التي أثرت في شخصيته ، وبدأت تحدد مسيرته ، وعلاقته بالآخرين ، فأخذ يتنقل من بلد إلى آخر في وضع يسوده القلق ، وعدم الاستقرار ، وزاد القلق والاضطراب عنده ، عندما فقد أبناءه الواحد تلو الآخر ، وما عاشه من حياة زوجية غير مستقرة ، وعدم إقبال الدنيا عليه ، جاهًا ومالًا ، وما لازمه من شعور مؤرق بأنه لم ينل المكانة اللائقة لشخصه أو لعلمه ، عند رجال السلطة ، وبين علماء عصره ، وما لازمه أيضًا من شعور مؤرق ، مما لحق أسرته من هزيمة وتشرد ، لذا فهو دائم الثناء عليهم ، والتفاخر بهم .

تلك المؤثرات جعلت منه شخصية حادّ الطبع ، متقلّب العاطفة ، حُبًّا وكرهًا ، إذا مدح بالغ في المدح ، وإذا ذمّ أفحـش في الذم ، حتى مع أقرب الناس إليه ، شخصية يلفها السخط عندما يتحدث عن رجال السلطة وبعض علماء عصره ، والأسى والحزن ، وهو يتحدَّث عن أسرته .

فهو ليس على وفاق مع كثير من علماء عصره ، كثير الطعن فيهم والتثليب لهم ، يشهّر بهم ، ويتتبع سقطاتهم ، وبصفة خاصَّة القضاة منهم ، وكان اهتمامه واضحًا بقضائهم ، وما كانت تتمخض عنه مجالسهم ، يصفهم بالجهل ، والتعصب لمذاهبهم ، والصراع فيما بينهم ، وتصيد الأخطاء ، والإيقاع ببعضهم عند السلطان ، ورجال الدولة ، والضعف أمام السلطة ، وإهانة السلطان لكثير منهم ، إلى درجة الضرب المبرح ، عدا عن العزل والنفي ، واتهامهم في أخلاقهم وسوء سيرتهم ، مما يوحي بأنها تلك الطبيـعة الحادَّة ، والشخصية الناقمة عند البقاعي ، جعلته لا يري في هؤلاء غير الجانب السلبي .

لم تكن تلك الروح المتوثبة الحادة تجاه علماء ، وقضاة عصره فقط ، بل تجاه السلطة المملوكية الحاكمة ، ورجال الدولة فيها ؛ إذْ يرى أن السلطة الحاكمة في عصره كانت فاسدة ، وأن بخس الفضلاء حقّهم ، وإهانة العلماء سنة متّبعة فيها ، يصفهم أبشع وصف ، وكثيرًا ما يتصف موقفه

بالتناقض ، يثني على السلطان المملوكي في أول ملكه ، وإذا أخذ في الزوال ذمّه ووصفه بالنقائص .

كما أن تلك الروح الساخطة ألقت بظلالها على نظرة البقاعي للمجتمع الذي كان يعيش فيه ، فهو عندما كان يثني علي أهل الشام ، بأنهم كثيرًا ما يعاندون الملوك ، ويردونهم عن أغراضهم ، وأن الله تعالى يمنع من يريدهم بأذى[1] ، كان يذم المصريين ، ويصفهم بالذل ، لا يستطيعون ردّ الأذى عن أنفسهم ، ولا عن غيرهم مِن العامّة[2] ، وأهل القدس جماعة غلب عليهم الشر والباطل[3] ، ولا يخفى ما في هذه النظرة من تحامل وسخط ، أملته طبيعته الحادَّة الناقمة .

حياة الكفاف التى كان يعيشها البقاعي كان لها أثرها في اهتمامه بالمتصوِّفة ، أو المتفقّرة في عصره ، اهتم بهم ، وتتبع أخبارهم ، وحرص على إبراز دورهم في الحياة العامة ، وأثنى على ما كانوا يقومون به من أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وتصدّيهم للسلطة الحاكمة ، ومهاجمتهم دور الفساد ، وأوكار الدَّعارة[4] .

ولعل أثر تلك المواقف ليس بعيدًا عن اهتمام البقاعي أيضًا بالموالد ، وما كان يدور فيها من مظاهر واحتفالات ، وما كان يسودها مِن منكرات لم يخف نقده لها ، كذلك اهتمامه بالرؤى والأحلام ، وتفسيرها ، إلى درجة المبالغة ، وربطه ما يقع مِن حوادث مهمة في عصره ،أو لشخصه ، أو أسرته بتلك الأحلام ، أحداثًا ، ونتائج .

وهنا يبرز سؤال ، عن مدى تقبل مجتمع البقاعي ، السياسي ، والعلمي لتلك الروح الساخطة الناقدة ، وأثرها في النظرة له ، والحكم عليه .

يبدو أنّنا أمام موقفين متباعدين ، الأول يمثله أشخاصٌ استعداهم البقاعي

---

(١) تاريخه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

على نفسه ، رجال دولة ، أو علماء ، والثاني يمثله أشخاصٌ لم تصرفهم ما في طبيعة البقاعي مِن حدَّة ونقد ، من إنصافه ، وإحلاله المكانة اللائقة .

وقد كان شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ، أحد المعاصرين للبقاعي ، وممن زامله في التلمذة على يد شيخه ابن حجر العسقلاني ، على رأس منتقديه ، والمتحاملين عليه ، إلى درجة لا يترك مناسبة يرد فيها ذكره إلاّ ويصفه بأسوأ وصف ، ساعيًا للحط من علمه وقدره ، بأسلوب لافت للنظر ، فلا يمدح البقاعي رجلاً ، إلاّ ويذمه السخاوي – في الغالب – أو يشكك في معلوماته عنه ، وقد جاءت الترجمة المطوَّلة التي دبجَّ بها كتابه « الضوء اللامع »[1] ، مليئة بالسَّبِّ ، والانتقاص ، والمثالب ، ويبدو أنَّ السخاوي في موقفه هذا ، كان مدفوعًا بموقف مماثل وقفه البقاعي منه .

لم يسلم البقاعي من نقمة السلطة وبطشها ، وذلك عندما قام السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧ هـ) بسجنه في سجن أولي الجرائم ، وصادره وظيفته ، فنال هذا السلطان ، أقذع الشتائم ، وأشنع وصف مِن البقاعي .

ورغم ذلك ، نجد أشخاصًا آخرين أثنوا علي البقاعي ، وأشادوا بعلمه ، ومكانته ، فشيخه ابن حجر يصفه بالعلَّامة ، ويثني عليه[2] ، وعندما حفظ منظومتي ابن الهايم في الجبر ، وقواعِد الإعراب ، وعرضهما على شيخه ابن شرف ، كتب له : « المقرىء الشيخ المجيد »[3] ، كما وصفه جمال الدين يوسف بن تغري بردي بالعلامة الحافظ[4] ، وكذلك ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب[5] ، يصفه بأنه أحد أساطين عصره ،

---

(١) ١/١٠١ – ١١١ .

(٢) عنوان الزمان : (مخطوط) : ١٤٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٤٣ .

(٤) النجوم الزاهرة : ١٦/٣٤٧ ، والمنهل الصافي : ٤/٢٩٧ .

(٥) ٧/٣٤٠ .

وأنه برع ، وتميز ، وناظر ، وانتقد ، حتى على شيوخه ، ويقول : « وبالجملة فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته » ، كما كان القاضي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ مِن أكثر المتحمسين للبقاعي ، المدافعين عنه في كتابه « البدر الطالع »[1] يقول : « وبرع في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، لا كما قال السخاوي : أنه بلغ رتبة العلماء ، بل قصارى أمره إدراجه في الفضلاء ، وأنه ما علمه أتقن فنًّا ، قال : وتصانيفه شاهدة بما قلته . قلت : بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله ، وأنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف ، ولكن هذا مِن كلام الأقران في بعضهم بعض ، بما يخالف الإنصاف ، لما يجرى بينهم مِن المنافسات ، تارة على العلم ، وتارة على الدنيا ، وقد كان المترَجم له منحرفًا عن السخاوي ، والسخاوي منحرفًا عنه ، وجرى بينهما مِن المناقضة ، والمراسلة ، والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر ، ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور ، علم أنه مِن أوعية العلم المفرطين في الذكاء ، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول ، وكثيرًا ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز ، فأرجع إلى مطوّلات التفاسير ، ومختصراتها ، فلا أجد ما يشفي ، وأرجع إلى هذا الكتاب ، فأجد ما يفيد في الغالب ، وقد نال منه علماء عصره ؛ بسبب هذا الكتاب ، وأنكروا عليه النقل من التوراة والإنجيل ، وترسلوا عليه ، وأغروا به الرؤساء ، ورأيت له رسالة يجيب بها عنهم ، وينقل الأدلة على جواز النقل من الكتابين ، وفيها ما يشفي ، وقد حجّ ، ورابط ، وانجمع ، فأخذ عنه الطلبة في فنون ، وصنف التصانيف ، ولما تنكر له الناس ، وبالغوا في أذاه ، لمَّ أطرافه ، وتوجّه إلى دمشق ، وقد كان بلغ جماعة مِن أهل العلم في التعرض له بكل ما يكره ، إلى حد التكفير ، بل رام القاضي المالكي بالحكم عليه بكفره ، وإراقة دمه ، حتى ترامى على القاضي الزيني بن مزهر ، فعذره ، وحكم بإسلامه » .

---

(١) ١/ ٢٠ .

ثانيًا الكتاب المحقّق

- وصف المخطوط
- منهج المؤلف ، وأهميَّة كتابه
- منهج التحقيق



وصف المخطوط :

يقع في ما يقارب (٧٧٢) صفحة ، تتراوح مسطرته ما بين ٢٧ إلى ٤٣ سطرًا تقريبًا وربما وصلت إلى ضعف ذلك أو أكثر في بعض الصفحات وعدد كلمات السطر في المتوسط ، ما بين (١٨) إلى (٢٣) تقريبًا ، وهو بخط البقاعي نفسه ، إذْ جاء في نهاية الصفحة الأخيرة : « وافق الفراغ مِن هذا الديوان سلخ سنة سبعين وثمانمائة ، على يد منشئه إبراهيم بن عمر البقاعي ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا » . خطه متوسط ، ورغم إعجام بعض الكلمات ، إلّا أن غير المعجم منها كثير ، وكذلك الشأن بالنسبة للتشكيل ، كما أن هناك تداخلاً محدودًا في تسلسل بعض الصفحات ، أمكن تصحيحه .

النسخة الأصل في مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة ، تحت رقم (٣٧٨٩) ، وتوجد صور منها على ميكرو فيلم في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، ومعهد المخطوطات العربية .

جاء في مقدمة المؤلف : « فهذا تاريخ تلوت به تاريخ شيخنا ، شيخ الإسلام ، أبي الفضل ابن حَجَر ، بعد مماته »[1] ، وتاريخ ابن حجر ، أو « إنْباء الغُمْر بأبناء العُمْر » ينتهي بنهاية المحرم من سنة ٨٥٠ هـ ، بينما بدأت النسخة التي بين أيدينا بحوادث مستهل سنة ٨٥٥ هـ ، فهل بدأ البقاعي تاريخه من مستهل تلك السنة بالرغم من أنه اعتبره ذيلًا لتاريخ شيخه ابن حَجَر ؟ ولماذا ؟ أم أنه بدأ مِن حيث انتهى ابن حجر ، وهذا يعني أنَّ خرمًا وقع في أول النسخة التي بين أيدينا ضاعت معه أحداث خمس سنوات تقريبًا ، ويبدو من خلال البحث أنه لم يتوفر مِن النّسَّاخ من قام بنسخ

---

(١) ص ٦٣ .

كتاب البقاعي ، حتى يمكن معه التعرف على حقيقه الأمر ، وبالرغم مِن بعض الإيماءات التي تشير إلى حوادث سابقة لسنة ٨٥٥ هـ مما يوحي بأن البقاعي بدأ تاريخه من سنة ٨٥٠ هـ ، إلا أننا لا نستطيع الجزم بذلك ، ولعل دراسة وتحقيق الأقسام التالية مِن المخطوط تكشف لنا معلومات نستطيع معها تأكيد أو نفي هذا الأمر ، وعلى أي حال فإن النسخة التي بين أيدينا تتعرض للحوادث والوفيات في الفترة من أول محرم سنة ٨٥٥ هـ إلى نهاية ذي الحجّة سنة ٨٧٠ هـ .

كما جاء في مقدمة المؤلف أيضًا تحديدًا لعنوان الكتاب إذْ قال : « فأوفق الأسماء له إظهار العَصْر لإسْرَار أهل العَصْر »[1] .

كتب البقاعي مؤلَّفه في المرة الأولى ، ثم راجعه ثانية وصحّحه ، إضافة وحذفًا وتعديلاً وتعليقًا ، ربما استغرقت إضافاته صفحة ، أو أكثر ، وربما أثبت هذه الإضافات في نفس الصفحة ، وربما أفردها في صفحة مستقلة ملحقة بها ، ويُلفت نظر القارىء إليها بقوله : يتلوه في الفرجة ، أو يتلوه بمقلوبها ، أو يتلوه على هامش مقلوبها . أو برسم شكل معيّن مثل (سس) ، وإذا كانت الإضافة في الصفحة نفسها كان يرمز لها بالشكل (٢) إذا كانت في الجهة اليمنى ، أو (د) إذا كانت في الجهة اليسرى ، ويرسم الشكل (ך) دليلاً على انتهاء ما أضافه .

كما حرص البقاعي على التفريق بين ما هو مضاف إلى الأصل ، وما هو تعليق أو حاشية لها علاقة بالمتن ، حيث يرمز إلى ذلك بالحرف (حـ) وهناك حواشي لم يحددها بعلامة مميزة ، ولكنه وضعها في الطرف البعيد من الصفحة ، وغالبًا ما تحمل هذه الحواشي أفكارًا أقرب إلى الخيال والأحلام منها إلى الواقع ، وهناك تعليقات لا علاقة لها بالمتن أضافها البقاعي كفوائد ، وهي في الغالب تدور حول وصفات طبية لبعض العلل ، أو الجروح ، مثل : بخور للبراغيث ، أو دواء يسهل البلغم والسوداء والصفراء ، وفائدة للقيء ، ودواء للحفظ .

---

(١) ص ٦٤ .

كان مِن منهج المؤلف أن يضع عناوين جانبيه لكل فقرة ، سواء في الجهة اليمنى ، أو الجهة اليسرى من الصفحة ، ولكنه لم يلتزم بهذا المنهج في جميع صفحات الكتاب .

كما احتوى المخطوط تعليقات يؤكد نوع الخط الذى كُتبت بها ، وما تحمله من نقد لاذع للبقاعي ، وتهكم بعلمه وأخلاقه ، أنها لشخص غير المؤلف ، ومن حسن الحظ أنه لم يتصرف في المتن ، بل آثر تدوين تعليقاته ، وآرائه في حواشي الكتاب .

في المخطوط بعض الكلمات ، ربما قاربت السطر ، أو نصف السطر أحيانًا مطموسة الرسم ، أشير إليها في موضعها .

معلومات لم تتوفر للمؤلف حين شروعه في تدوين مؤلَّفه ، ترك لها فراغًا مناسبًا ، لا نستطيع أن نقول : أن الله سبحانه وتعالى لم يمهله كي يتمكن مِن إضافة تلك المعلومات ، حيث توفي بعد فراغه من تأليف الكتاب في نهاية سنة ٨٧٠ هـ بنحو خمس عشرة سنة أي سنة ٨٨٥ هـ ولكنها صوارف أخرى لم تمكنه من ذلك ، إمّا لانشغاله بمؤلف آخر في هذه الفترة ، وربما أنه بذل جهدًا ، ولكنه لم يوفق في الوصول إلى تلك المعلومات .

منهج المؤلف ، وأهمية كتابه :

عرض البقاعي بإسهاب أحداث عصره ، يومًا بيوم ، وشهرًا بشهر ، وسنة بسنة ، بلغة سهلة ، وبأسلوب جيد ، اجتهد – وهو المهتم بعلم اللغة وآدابها أن يتقيد بأصول وقواعد اللغة العربية ، وأن يدبج أفكاره بأسلوب ينم بأنه كان يملك ناصية اللغة والبيان ، وهو يتميز بذلك عن مؤرخي عصره ، مثل : ابن تغري بردي ، وابن إياس ، اللذان كتبا بلغة لا تخلو من الركاكة ، وكثرة ما يدخلها من كلمات عاميّة .

فوصف ما كان يدور في عهده من مواقف سياسية ، وأحداث عسكرية ، ومظاهر اجتماعية ، وحوادث طبيعية ؛ وصف الصراع على السلطة ، والتنافس على مراكز القيادة والريادة في المجتمع ، سواء منها

العسكرية ، أو القضائية ، أو الإدارية ، وعرض ما ساد مجتمعه من عادات ، وتقاليد ، واحتفالات وموالد ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، وممارسات صوفية ، وَصَف المماليك ، والأجلاب ، والجند في ثوراتهم ، وبطشهم ، ومصادراتهم ، واحتفالاتهم ، وألعابهم ، كما وصف المِحْمل واحتفالات دورانه ، وبشائر قدومه ، وما أصاب مجتمعه من أوبئة ، ومجاعات ، وما ناله من خسائر طبيعية ، من أمطار وسيول ، وزيادة النيل وما يصاحبه مِن احتفالات ، ونَقْصه وما يعمل له مِن احتياطات ، كما اهتم بالعملة زيادة ونقصًا ، وكذلك أرَّخ لوفيات أهم أعلام عصرة ، ويبدو أنه أراد أن يضع تأريخًا للحوادث ، وليس للوفيات ، لذا كان اهتمامه بها أقل ، وجاء ذكره لها عرضًا ، في سياق تسجيله لما وقع في عصره من أحداث ، عكس شيخه ابن حجر ، في تاريخه ، وابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » ، و « حوادث الدهور » حيث أفردا للوفيات صفحات مستقلة ، واهتم أيضًا بعلاقة الدولة المملوكية بما كان يجاورها مِن ممالك سلمًا أم حربًا ، وتتبع أخبار الدولة العثمانية ، واهتم بفتح القسطنطينية ، ولم يصرفه اهتمامه بمصر عن تتبعه لأخبار بلاد الشام .

وتزداد أهمية تاريخ البقاعي ، إذا عرفنا أنه كان على غير وفاق مع السلطة المملوكية ، ينظر لها نظر سخط وتذمر ؛ فقد ناله منها الأذى ، والحبس ، والتجويع ، وأنه شاميّ النزعة نالت أخبار بلاد الشام مساحة جيدة في مؤلَّفه ، عكس أهم مؤرِّخَيْن معاصِرَين له ، ابن تغري بردي ، ومحمد بن أحمد بن إياس ، وهما مِن المماليك الأجلاب ، بل ومن المقربين من الدولة المملوكية ، وأصحاب الثروة والإقطاع فيها ، ولاشك أن نظرتهما للدولة المملوكية تختلف عن نظرة البقاعي ، مما يبرز أهمية تاريخه ، وخاصة في مجال التحليل والتقويم .

منهج التحقيق :

مما سبق تتضح صعوبة التحقيق ، إذْ شكَّلَت الإضافات ، والتعليقات ، والفوائد ، والعناوين الفرعية ، وغيرها عبئًا كبيرًا ، تطلَّب جهدًا مضاعفًا .

ونظرًا لحجم المخطوط ، الذي تربو صفحاته على سبعمائة وسبعين صفحة ، فقد اقتضى الأمر تقسيمه إلى عدة أقسام ، كل قسم في مجلد مستقل ، يشتمل على حوادث عددٍ من السنوات ، وبالإضافة إلى الدراسة ، سيحتوي القسم الأول الذي بين أيدينا على الحوادث من أول المحرم سنة ٨٥٥ هـ ، إلى نهاية شهر ذي الحجة سنة ٨٥٧ هـ ، ويمكن تحديد الخطوات التي اتبعت في التحقيق فيما يلي :

– كتابة النص كتابة صحيحة .

– المحافظة على إخراجه بالصورة التي رسمها المؤلف ، ففي الكلمات مثل : خش قدم (خشقدم) ، وكاتب شكم (كاتب جكم) ، والإستَدَّار (الإستادَّار) ، وكذلك السنوات حرفًا أو رقمًا .

– مقارنته بما جاء عند مؤرخين معاصرين للبقاعي ، مثل : ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » ، و « حوادث الدهور » ، والسخاوي في « الضوء اللامع » ، و « التبر المسبوك » ، وابن إياس في « بدائع الزهور » ، وكذلك مقارنته بما جاء عند المؤلف نفسه في كتب أخرى ، مثل : عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران (مخطوط) ، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف ، وإثبات ذلك في الهامش .

– الاستعانة بالمؤلفات السابقة في تصحيح ما ورد في الكتاب مِن أخطاء ، وبيان ذلك في الهامش ، وكذلك تحديد بعض التواريخ بدقة ؛ فكثيرًا ما يلجأ البقاعي إلى القول : « في هذه السنة » ، أو « في عشره الأول » ، أو « في هذا الحدّ » ، أو « في هذا الشهر » وغيرها من التعابير العامة ، وإثبات التاريخ الدقيق في الهامش . تصحيح ما تركه المؤلف من فراغات في متن الكتاب ، ووضع ذلك بين قوسين معقوفين ، هكذا [ ] ، وبيان مصدر التصحيح في الهامش سواء من مصدر آخر ، أو من مفهوم السياق ، الاجتهاد في تصحيح بعض الكلمات المطموسة . ويستعان في ذلك بالمصادر الأخرى ، أو بما جاء عند المؤلف في موضع آخر من كتابه ، أو بمفهوم السياق ، وبيان ذلك في الهامش .

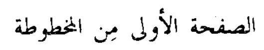
– إعجام بعض الكلمات غير المعجمة .

- تشكيل بعض الكلمات الموهمة في النطق .
- ترجمة الأعلام ما أمكن ؛ لما يزخر به الكتاب من عدد كبير من الأعلام لم نستطع التعرف على بعضهم في المصادر الأخرى .
- التعريف بالأمكنة والمواضع والبقاع ، ما أمكن أيضًا ؛ وذلك لكثرتها وإن كان ما لم يعرف بها أقل مما لم يترجم له من الأعلام .
- التعريف بالمصطلحات الفنيَّة والإدارية والعسكرية ، وقد زخر عصر المماليك بالكثير مِن هذه المصطلحات ، وقد أمكن الإفادة كثيرًا مما جاء في « صبح الأعشى » ، و « كتاب كشف زبدة الممالك » ، و « الخطط المقريزية » في التعريفِ بتلك المصطلحات .
- التعريف بالكتب التي أشار إليها المؤلف .
- تخريج الآيات القرآنية ، بعد كتابتها حسب رسم المصحف الشريف وبيان السورة ، ورقم الآية .
- تخريج ما ورد في الكتاب مِن أحاديث .
- ترتيب المراجع في هوامش الكتاب حسب وفيات المؤلفين ، الأقدم فالأقدم .
- إعادة ترتيب بعض الصفحات ، وكذلك بعض الأحداث ، حسب السياق الصحيح لها .
- وضع بعض الفهارس الفنية ، التي تعين الباحث على التعرف على ما يريد من معلومات بسهوله وأهمها :
  - فهرس الأعلام .
  - فهرس الأمكنة والمواضع والبلدان .
  - فهرس المصطلحات الفنية (الإدارية ، والعسكرية ، والسياسية) .
  - فهرس الموضوعات .

بسم الله الرحمن الرحيم رب سدد وأعن وألهم الصواب يا كريم

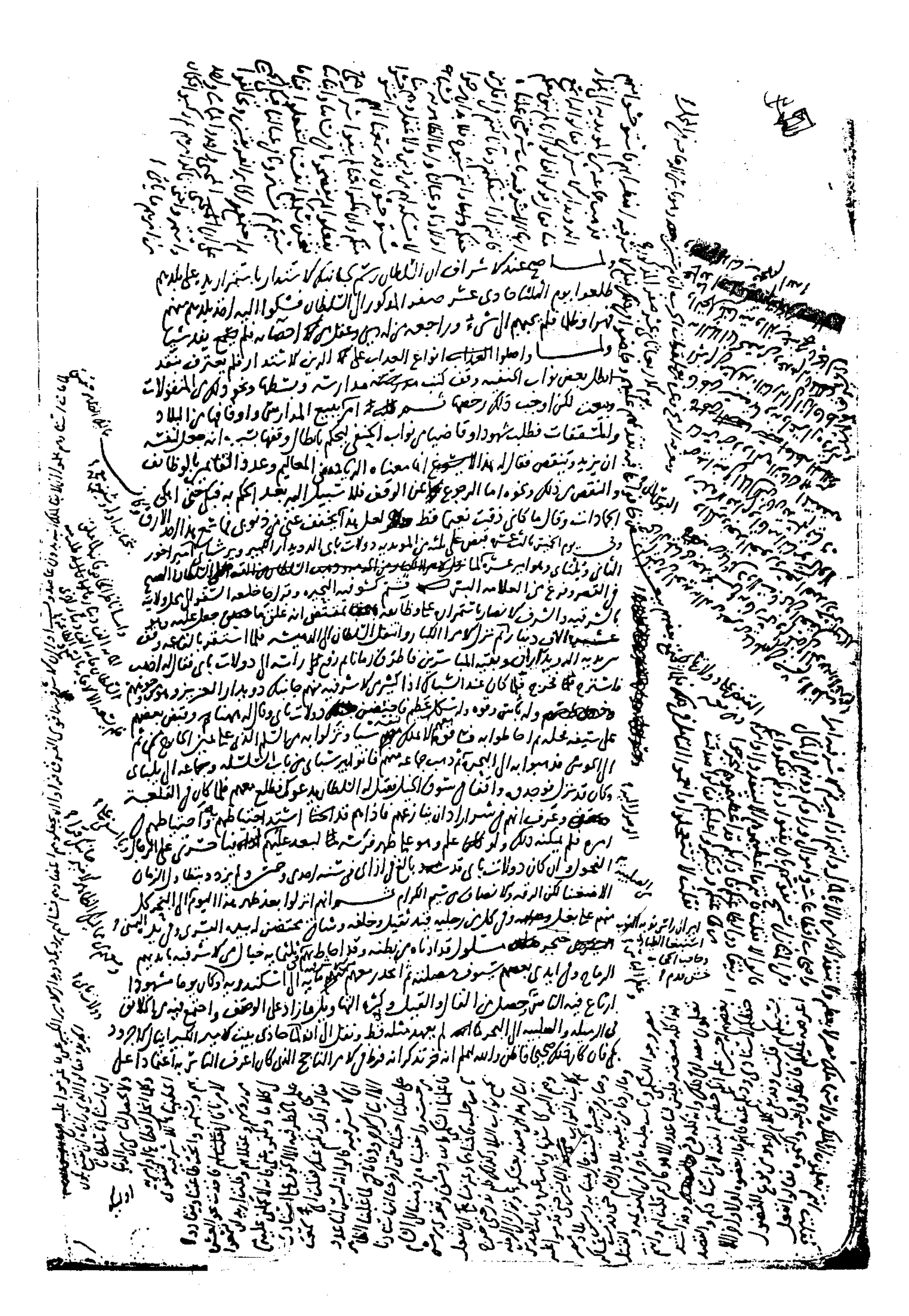
الحمد لله الذي يبدئ ويعيد ويبلي ويجيد جعل الناس وهم من نفس واحدة أطوارا وأفنى قومًا منهم صغارا وأفنى كبارا دلالة على أنه الفاعل المختار الواحد القهار العزيز الجبار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ذو الجلال والجمال الباقي ملكه وملكوته بلا زوال الدائم عظمته وجبروته في أبد الآباد وعلى ما كان من أزل الآزال وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده الذي قام بحقوق العبودية من الأقوال والأفعال ورسوله الذي بعثه بأعباء الرسالة فبلغ كل ما أمر به وما حاد ولا مال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل وسلم وعظم وشرف وكرم على مر الأيام وكر الليالي وبعد فهذا تاريخ تلوت به تاريخ شيخنا شيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر بعد ما تم إتمامه والله من بركاته عليَّ في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة عن ثلاث مدارك الثاني المظفر في حلبته العنان فلما أكثر التتبع للوقائع والمصاحبة تنقيبا عن الغرائب والبدائع فإني كثير الابتحاث عن الناس الذين لا أقف مثلًا إلا على ما فيه تنبيه... وكارم لا كبايس فلما يحصل أكثر الأخبار الإماماتية في حتى ملّا الأنظار غير أني أعملت في كثيرها بالغ من النقل فوهم العقل فربما شغبت الخلل بذكر الأسباب والعلل وأشرت إلى ما ... دون العجائب من ثمانية التجارب فيستفيد الناظر لذلك علماجا ومعرفة بأبناء الزمان مدحا وذما فإن رأيت ... حيرا فاعذرني واسبل عليه ذيل العفو ... تلهى في أني كنت مقبلا غاية الإقبال على ما يهمني ويعنيني من الأعمال معملًا الفكر فيه من سائر الأحوال وذلك ما آتاه الله وأنا منه علي من بيان ما لم أسبق إليه من أسرار القرآن ومن نظر كتابي نظم الدرر من تناسب الآي والسور دله على ذلك وما حصل لي فيه والحمد لله من دقيق المسالك وجليل المطالب والمدارك مع أن ... يعرف الرجال بالحق المبين لا بأمر الواضح اليقين وإن كان إنما يعرف الحق بالرجال فلينظر ما كنت عليه أصحاب أبناء أهل العصر وأهل الكمال فهنالك فلينافس المتنافسون وليعمل العاملون ويعلم لما به العالمون والله المسؤول في إبلاغ السؤل من كل مراد والوقوع فيه على الصواب والسداد فمن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل الله فما له من هاد اللهم وفقنا لما يرضيك عنا من الأقوال والأفعال فإنك أنت حسبنا ونعم الوكيل

تاريخ البقاعي إظهار العصر لأسرار أهل العصر


من سنة ٨٥٥ الى آخر سنة ٨٧٠

الصفحة الأولى من المخطوطة





نموذج لكثرة الإضافات والتعليقات





نموذج آخر لكثرة الإضافات والتعليقات



الصفحة الأخيرة من القسم الأول

وبداية القسم الثاني



القسم الثاني

التحقيق





القسم الأول

محرم ٨٥٥ هـ - ذي الحجة ٨٥٧ هـ

تأليف

إبراهيم بن عمر البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ = ١٤٠٦ - ١٤٨٠ م



[مقدِّمة المؤلف]

[١] بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم ، ربِّ سَدِّد ، وَأَعِن ، وأَلْهِم الصَّواب يا كريم . الحمد لله الذي يُبْدِئُ ، ويُعيد ، ويُنْشِىء ، ويُبِيد ، جعل الناسَ ، وهم من نَفْسٍ واحدة أطْوارًا ، وأَفْنَى قوْمًا منهم صِغارًا وآخرِيْن كِبارا ؛ دلالة على أنه الفاعل المختار ، الواحد القهّار ، العزيز الجبّار ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله ، ذو الجلال ، والجمال ، الباقِي مُلْكُه ومَلَكُوتُه بِلا زَوَال ، الدائم عظمتُه وجبروتُه في أبَدِ الآبَاد ، على ما كان في أزَلِ الآزال ، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده الذي قام بحق العبودِيّة في الأقوال والأفعال ، ورسوله الذي نهض بأعباء الرِّسالة ، فبلَّغ كلَّ ما أُمر به ، وما حَادَ ، ولا مال ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، خيرَ صَحْبٍ وآل ، وسلّم ، وعظّم ، وشرّف ، وكرّم على مرِّ الأيام ، وكرّ الليالي ، وبعد :

فهذا تاريخ تلوت به تاريخ[1] شيخنا ، شيخ الإسلام ، أبي الفضل ابن حَجَر[2] ، بعد مماته ، أعادَ الله مِن بركاته ، على أنّي لست من أبناء هذا الشأن ، المُطْلَقِين في حَلَبَتِهِ العنَان ، فلا أنا كثير التَّتبع للوقائع ، ولا صاحب تنقيب عن الغرائب منها والبدائع ، فإنّي كثير الانْجِماع عن

---

(١) هو كِتاب « إنْباء الغُمْر بأبناءِ العُمْر في التاريخ » أرَّخ فيه ابنُ حَجَر للحوادِث والوفيات مِن سنة ثلاثٍ وسبعين وسبعمائة إلى سنة خمسين وثمانمائه ، طُبع في تسعة أجزاء في الهند بمطبعة دائرة المعارف العثمانِية سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألف مِن الهجرة ، ثم أعادت دار الكتب العلمية في بيروت تصويره سنة ست وأربعمائة وألف للهجرة .

(٢) هو : أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد ، الشهير بابن حَجَر ، نسبة إلى آل حجر (تسكن الجنوب الآخر على بلاد الجريد من أرض قابس) ، الكناني ، العسقلاني الأصل ، والمصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ، الشافعي ، وُلد في ١٢ شعبان سنة ٧٧٣ هـ ، ومات في ليلة السبت ٢٨ ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٤٧) ، و « المنهل الصافي » (٢/١٧ رقم ٢٢٣) ، و « الدليل الشافي » (١/٦٤ رقم ٢٢١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥/٥٣٢) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٥) ، و « التبر المسبوك » (٢٣٠) ، و « الضوء اللامع » (٢/٣٦ رقم ١٠٤) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٧٥ – ٨٩) ، و « نظم العقيان » (٤٥) ، و « شذرات الذهب » (٧/٢٧٠) .

النّاس ، إلا عن الأفاضل ، الأماجد ، الأكْياس ، فلا يصل إليَّ من الأخبار ، إلّا ما شاع ، وطار ، حتى ملأ الأقطارَ ، غير أنّي أعْمَلت في كثير مما بلغني من النقل قَوِيم العقل ، فربما شفيتِ الغُلَل ، بذكر الأسباب والعِلل ، وأشرت إلى ما أفادَتْه العجائبُ ، من محاسن التَجارب ، فيستفيد الناظِرُ لذلك عِلمًا جمًّا ، ومعرفة بأبناء الزمان ، مَدْحًا وذمّا ، فأوْفَق الأسماء له ، (إظهار العَصْرِ ، لِأسْرَارِ أَهْلِ العَصْر) فإن رأيت فيه تقصيرًا[1] فاعْذرني ، وأَسْبل عليه ذيل الفتوة ، ولا تُعْسرِني ، فإنِّي إنما كنت مقبلا غاية الإقبال ، على ما يهمني ، ويعنيني من الأعمال ، مُعْمِلًا للفكرِ فيه غاية الإعْمال ، وذلك ما أتاحه الله لي ، وأفاضه عليّ من بيان ما لم أُسْبق إليه من أَسْرار القرآنِ ، ومن نظر كتابي (نظم الدُّرَر في تناسب الآي والسور) دَلَّه على ذلك ، وما حصل لي فيه والحمد لله ، من دقيق المسالِك ، وجليل المطالِب والمدارك ، هذا إنْ كان يُعْرف الرِّجال بالحق المبين ، والأمرِ الواضح اليقين ، وإنْ كان إنما يُعرف الحقُّ بالرجال ، فلينظر ما كَتب عليه أعيانُ أهلِ العصر ، وأهلُ الكمال ، فهنالِك فليتنافس المتنافسون ، وليَعمل العامِلون ، ويعلم الأئِمة العالِمون ، والله المسؤول في إبلاغ السُّؤل من كل مراد ، والوقوع فيه على الصواب والسّداد ، فمن يهدي الله ، فما له من مُضِلِ ، ومن يُضْلِلِ الله فما له من هَاد ، اللهم وفِّقْنا لما يُرضيك عَنّا من الْقَالِ والقِيل ، فإنَّك أنت حسبنا ، ونعم الوكيل .

[٢] **حوادث سنة خمسٍ وخمسين وثمانمائة :**

مستهلها يوم الأربعاء كما أخبر به جمعٌ جَمٌّ ، ولكن قاضي الشافعية الشرف يحيى المناوي[2] ، لم يُحِبَّ إثباته ؛ لئلا يخالف ما شاع مِن أنَّ يوم

---

(١) جملة (فيه تقصيرًا) بعض حروفها غير واضح في الأصل .

(٢) هو : يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام ، الشرف أبو زكريا بن سعد الدين ، الحدادي الأصل ، المُنَاوِي ، القاهري ، الشافعي وُلد في العشر الأَوَل من ذي الحجة سنة ٧٩٨ هـ وقيل : ٨٠٠ هـ ، ومات في ليلة الثلاثاء ١٣ جمادى الآخرة وقيل : ليلة الاثنين منه سنة ٨٧١ هـ ، وقد زاد على ٧٠ سنة . =

صومكم ، يوم نَحْركم ، يوم رأس سنتكم ، فلم يؤرّخ مستهلها ، إلَّا بالخميس[1] ، ففي يوم الأربعاء هذا عُرض أهل السّجون على السلطان ، فأنهى إليه أحدُهم ، أنَّ قاضيًا حنفيًا[2] يقال له ابن المَلَطِي ، سجنه على نحو سبعمائة درهم مصرية ، فأطلقه السلطان ، وضرب القاضي ضربًا كثيرًا ، وسجنه بالمَقْشَرَة[3] ، وفي يوم الخميس طلع القضاة لتهنئة السلطان بالشهر فأخذ يلوم الحنفي[4] ، ويؤنِّبه على تولية مِثْل هذا ، فقال له الحنفي : إنّه لم يعمل إلا بالشَّرع فَعَلامَ يسجن به اثنين وعشرين يومًا ! ، فلم تمضى مدَّة حتى ينظر في أمره ! ! ، وأنت عملت فيه بغير الشَّرع ، فأَذَلَّه هذا الكلام وكسره فأطلقه، واستمر الحنفي ذلك اليوم يُشنِّع على السلطان ، وكلما جاءته حكومة ، قال لأهلها : تراضوا فإن السلطان لا يرضى أن نحكم بالشّرع ، ونحو هذا الكلام .

وفي هذا اليوم عيّن السلطان الدويدار[5] الكبير ،

= له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٩٨) ، و « الدليل الشافي » (٧٨٠/٢ رقم ٢٦٣٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٥٣/١٦) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٧٥٢) ، و « الضوء اللامع » (٢٥٢/١٠ رقم ١٠٣٠) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٤٤٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٨٠ – ٨١ ، ٨٣) ، و « شذرات الذهب » (٣١٢/٧) .

(١) في « حوادث الدهور » (١٠١) ، و « النجوم الزاهرة » (٤٣٢/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٤) مستهل سنة ٨٥٥ هـ هو يوم الخميس .

(٢) كلمة (حنفيًا) بعض حروفها غير واضحة في الأصل .

(٣) المَقْشَرَة : سجنٌ بجوار باب الفتوح ، فيما بينه وبين الجامِع الحاكِمِي ، كان يُقَشَّر فيه القمح ، يسجن فيه أرباب الجرائم ، يقول المقريزي : « وهو من أشنع السجون وأضيقها ، يُقاسي فيه المسجونون مِن الغمّ والكرب ما لا يوصف » ، « الخطط » (١٨٨/٢) .

(٤) يقصد بذلك قاضي القضاة السعد الدَّيْري الحنفي . راجع « هامش ٧ » (ص ٦٨)

(٥) الدَّوَيْدَار : ويُقال : الدَّوَادَار ، كلمه مكوَّنة مِن لفظين : عربي (الدَّوَاة) التي يكتب منها ، وفارسي (دار) بمعنى ممسك ويكون المعنى (ممسك الدَّواة) ، وحُذِفت الهاء مِن آخره الدَّواة استثقالاً . وفي العربية يُقال لحامِل (الدَّوَاة) (داوٍ) على وزن قاضٍ .

كانت تعتبر وظيفة (الدويدار) مِن الوظائف السافِلة ، أول من أحدثها ملوك السلاجقة وكان الذي يليها غير جندي ، ثم زادت أهمية الدويدار ، فلم تقتصر وظيفته على حمل الدواة فقط ، بل أصبح يُباشر مهام تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامَّة الأمور ، وتقديم القِصَص إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب ، وتقديم البريد مع أمير جاندار ، وكاتب السرّ ، كما أصبح يقدم للسلطان =

دُولات[1] باي لنيابة[2] حلب ، لم يَطُل ذلك فقائِلٌ يقول بغير سبب ، وقائِل

= كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية ، من المناشير ، والتواقيع ، والكتب ، بل إنه في فترة من الفترات كان يبلّغ المراسيم السلطانية بغير مشاورة ، ويخرج نائب السلطنة ويعين في المرسوم ، كما حدث بالنسبة للأمير أقتمر الحنبلي عندما ولي وظيفة الدويدارية في عهد الأشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون (٧٦٤ – ٧٦٨ هـ) بل وصل الأمر في عهد هذا السلطان أن أصبح الدويدار من أكبر أمراء الألوف وكذلك في عهد الملك الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٨٠١ هـ) ، وكذلك في عهد الدولة الظاهرية ، حتى أصبح الدويدار يتصرف كتصرف النوّاب يولّي ويعزل ويحكم في القضايا المعطلة فصارت بذلك عادة لمن يلي وظيفة الدويدارية . راجع « النجوم الزاهِرة » (١٨٥/٧) ، و « صبح الأعشى » (٤٦٢/٥) ، و « خطط المقريزي » (٢٢٢/٢) ، و « حسن المحاضرة » (١٣١/٢ ، ١٣٤) .

وفي وقت لاحق أصبح هناك ما يعرف بالدويدار الكبير ، وهو مِن مقدمي الألوف ، والدويدار الثاني ، وهو مِن أمراء طبلخانات (أي ما دون المائة) ، والدويدار الثالث ، وهو مِن مقدمي العشرينات والعشراوات . راجع « زبدة كشف الممالك » (١١٤ – ١١٥) .

(١) هو : دُولات باي المحمودي المؤيدي الساقي الدويدار الكبير في الدولة الظاهريه جقمق ، أصله مِن مماليك المؤيد شيخ وساقيه توفي يوم السبت أول جمادي الآخره سنة ٨٥٧ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢٩٩/١ رقم ١٠٢٦) ، و « حوادث الدهور » (١٨٧ ، ٣٥٥) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦٥/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٢٠/٤ رقم ٨٢٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١١) .

(٢) نيابة : أجلها (النيابة العظمى) ، أو (كافِل الممالك الإسلامية) وهو نائب السلطان بالحضرة ، يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلّم في التقاليد والتواقيع والمناشير ونحوها ، ويستخدم الجند ، ويفرق الإقطاعات ، ويعين الإمرة والوظائف ، ويتصرف التصرف المطلق في كل أمر إلّا في ولاية المناصب الجليلة ، كالقضاء والوزارة وكتابة السر ، فإنه يعرض على السلطان من يراه مناسبًا وقلَّ ألاّ يجاب ؛ فهو سلطانٌ مختصر حتى إنه أُطلق عليه السلطان الثاني . وقد أُبطلت هذه الوظيفة أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ومِن وظائف النّيابة ، (نائب الغَيْبة) ، وهو الذي ينوب عن السلطان إذا غاب في مهمة مِن المهمّات ، وتنحصر مهمته في إخماد الثورات وخلاص الحقوق . وهناك النيابات الخاصة بإقليم أو مدينة أو قلعة ، ومن أهمها نيابة المملكة الشامِيَّة ويطلق على مُتَوَلِّيها (نائب السلطنة) وكانت له مرتبة كبيرة في الدولة المملوكية حتى إنها كانت تضاهي في الرتبة والألقاب والمكاتبة وظيفة النائب الكافِل بالحضرة السلطانية ، وعُبِّر عنه في المكاتبات السلطانية وغيرها ، بكافِل السلطنة الشريفة بالشام المحروسة .
=

يقول بل بذل الدويدار عشرة آلاف دينار[1]

الغزولي

ليلة الخميس ثاني محرّم هذا قُتل شخص ، يُقال له ابن الغزولي في بيته ؛ لكثرة اللصوص ؛ لشدة الغلاء ؛ لعدم تَفَقّد السلطان لِأحوال الناس ، فإن بحور أهل مِصر مَلْآى بالغِلال .

يوم الجمعة ثالث[2] محرّم هذا ، مات أميرُ المؤمنين أبو الربيع[3] سليمان المستكفي بأمر الله ، بعد صلاة الجمعة ، ودفِن من آخر ذلك اليوم .

يوم الأحد ، خامسه ، ماتت سارة[4] بنت السّراج عمر ابن قاضي القضاة عز الدّين عبد العزيز بن جماعة ، بعد عصره ، وصلى عليها بكرة يوم الاثنين

= وتأتي (نيابة السلطنة) في حلب في المرتبة الثانية مِن نيابة دِمشق ، ويعبّر عن صاحبها ، بنائب السلطنة الشريفة ، ولا يقال فيه (كافِل السلطنة) كما يُقال لنائب دِمشق .

وهناك نيابة القلعة بدمشق ، ونيابة قلعة حلب وهما نيابتان منفردتان عن نيابة السلطنة بهما ، ونيابات المدن الأخرى مثل : حماه ، صفد ، طرابُلُس ، القدس ، ونحوها . راجع : « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١١٥ – ١١٦) ، و « التعريف » (٩٤ – ٩٥) و « صبح الأعشى » (١٦/٤ – ١٨ ، ١٨٤ ، ٢١٧) ، و « حسن المحاضرة » (١٣٠/٢) ، و « زبدة كشف الممالك » (١١٢) .

(١) يشير (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (١١٧ ، ٣٥٥) أنّ (دُولات باي) اعتذر عن قبول هذه الوظيفة بحجة عدم تأهله لها ، وأصر على اعتذاره ، فاستمر نائب حلب السابق (قانبَاي الحمزاوي) على وظيفته ، وكُلِّف (دُولات باي) بإمرة الحج في ذلك العام .

(٢) في : « حوادِث الدهور » (١٠١) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٩) ، و « الضوء اللامِع » (٢٦٩/٣) (يوم الجمعة ثاني محرم) .

(٣) وُلِد في سنة ٧٩٥ هـ ، وتولّى الخلافة بعد أخيه المعتضد بالله داود في شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٥ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٣٢٠/١ رقم ١٠٩٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٩) ، و « الضوء اللامع » (٢٦٩/٣ رقم ١٠١٥) ، و « حسن المحاضرة » (٦٢) ، و « نظم العقيان » (١١٧ رقم ٨٨) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٣٣/٢) ، و « شذرات الذهب » (٢٨٤/٧) .

(٤) وُلدت بعد سنة ٧٦٠ هـ تقريبًا . لها ترجمة في : « التبر المسبوك » (٣٥٩) ، و « الضوء اللامع » (٥٢/١٢ رقم ٣٠٧) .

سادسة[١] ، قاضي الشافعية الشرف المناوي ، في مصلّى باب النّصر[٢] ، ودفنت في تربتهم ، قرب تربة الصوفية ، من الصحراء ، ونزل الناس بموتها درجة في سلسلة الإسناد [ولم[٣] يتخلف عن دفنها سوى ابن لأخيها عبد الله عامّي أدخل نفسه في حِداد من عصر ذلك اليوم ..] .

وفي يوم الاثنين[٤] هذا ، بُويع لِأَخي المستكفي ، أبي البقا ، حمزة[٥] ، بإمْرة المؤمنين ، ولقّب (القائم بأمر الله) ، وكان أهل البيعة[٦] : السلطان ، والقضاة الأربع ؛ الشرف المناوي الشافعي ، والسّعْد الدّيْري الحنفي[٧] ،

---

(١) في « الضوء اللامع » (١٢/ ٥٢) (خامِس المحرَّم) .

(٢) باب النصر : أوّل من بناه جوهر الصقلي خارج القاهِرة ، وعندما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من عكا ، وتقلّد وزارة المستنصر الفاطمي ، نقل باب النصر مِن حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن (القرن التاسع الهجري) قريبًا مِن مصلى العيد . « صبح الأعشى » (٣/٣٤٩) ، و « خطط المقريزي » (٤/٣٨١) .

(٣) ما بين الحاصرتين رَسْم كثير من حروفه غير واضح في الأصل ، والتصحيح حسب مفهوم السياق ، ورغم ذلك بقي ما يقرب من ثلاث كلمات لم نتمكن من تصحيحها .

(٤) في « حوادِث الدهور » (١٠١) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٤) (خامس الشهر) .

(٥) هو : حمزة بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن سليمان أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبو البقاء ابن المتوكل على الله ، وُلِد في سنة ٧٩١ هـ ، وولاه السلطان الظاهر جَقْمَقُ الخلافة في يوم الاثنين ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ ، وعُزل مِن الخلافة في يوم الخميس ثالث رجب سنة ٨٥٩ هـ ، وسجن في الإسكندرية حتى أُطلق صراحه سنة ٨٦٢ هـ ، فسكن الإسكندرية إلى أن مات في يوم الاثنين ١٧ شوال سنة ٨٦٢ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١/٢٧٩ رقم ٩٦٤) ، و « حوادث الدهور » (٣٨٠ – ٣٨٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٩٣ – ١٩٤) ، و « الضوء اللامع » (٣/١٦٦ رقم ٦٣٩) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٩١ – ٩٢) ، و « نظم العقيان » (١٠٧ رقم ٧٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥٨) .

(٦) راجع وصف البيعة في : « حوادث الدهور » (١٠١) ، و « التبر المسبوك » (٢٤٤) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٣٣) .

(٧) هو : سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر بن مصلح بن أبي بكر بن سعد ، القاضي سعد الدين ، أبو السعادات ، النابلسي الأُصل ، المقدسي ، الحنفي ، نزيل القاهرة ، المعروف بابن الدَّيْري ؛ نسبة لمكان بمردا جبل نابُلُس أو الدَّيْر الذي بحارة المرداويين مِن بيت المقدس ، وُلد ببيت المقدس في يوم الثلاثاء ١٤ أو ١٧ رجب سنة ٧٦٨ هـ ، أو ٧٦٧ هـ ، أو ٧٦٦ هـ ، وتولّى =

والولي الأموي السنباطي المالكي(١) ، والبدر بن البغدادي الحنبلي(٢) ، وكلًا من ، الأمير الكبير(٣) إِيْنَال العلائيّ(٤) ، وأمير سلاح(٥) أَسَنْبُغا الطياري(٦) ،

= القضاء على كره منه سنة ٨٤٢ هـ ، وانفصل عنه قُبيل موته بستة أشهر ، حيث مات ليلة الجمعة ٩ ربيع الآخر سنة ٨٦٧ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٣١٣/١ رقم ١٠٦٦) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٨/١٦ - ٣١٩) ، و « الضوء اللامع » (٢٤٩/٣ رقم ٩٣٩) ، و « الذيل على رفع الإصر » (١٢٧) ، و « حسن المحاضرة » (١٨٦/٢) ، و « نظم العقيان » (١١٥ رقم ٨٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٢١ - ١٢٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٠٦/٧) .

(١) هو : محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن داود ، ولي الدين ، أبو البقاء ابن الضياء بن الصدر بن النجم ، الأموي ، المحلي المولدِ ثم السنباطي ثم القاهري المالكي ، وُلد بالمحلة الكبرى سنة ٧٨٦ هـ أو ٧٨٧ هـ ، وولي قضاء المالكية بالقاهرة يوم الثلاثاء ٢٩ صفر سنة ٨٥٣ هـ ، واستمر فيه حتى مات في يوم الجمعة ١٠ رجب سنة ٨٦١ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٨٧/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١١٣/٩ رقم ٢٩٧) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٣٤٤) ، و « نظم العقيان) (١٦٤ رقم ١٧٤) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٥٨/٢) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن عبد المنعم بن داود بن سليمان قاضي القضاة البدر أبو المحاسن بن البدر أبي عبد الله البغدادي الأصل القاهري الحنبلي ، وُلِد بالقاهرة في جمادي الأولى سنة ٨٠١ هـ ، يقول عنه (ابن تغري بردي) في « حوادِث الدهور » (٣٥٣ - ٣٥٤) : « عُرف بالعفَّة والدين والتثبت في أحكامه .. فطلبه الظاهر وولّاه قضاء الحنابلة بدون سعي منه في ذلك يوم الاثنين العشرين مِن جمادى الأولى سنة أربع وأربعين [وثمانمائة] فباشر بعزّة وعفّة زائدة وحُمدت سيرتُه إلى الغاية حتى أنه نال في المنصب مِن الوجاهة والحُرْمة والعظمة الزائدة والكلمة النافِذة ما لم ينله قاضٍ في عصرنا هذا مِن جميع المذاهب ، مع علمي بتراجم من رافقه منهم ، بل لم يكن أحدٌ منهم يدانيه في معناه من التحري في أحكامه ، وإقامة حرمة الشرع ، وعدم الالتفات إلى رسائل أرباب الشوكة .. كان عارفًا بمذهبه والشروط ، ويحسن صناعة القضاء ، وكان عنده تأنٍّ وتثبّت في كلامه » . مات ليلة الخميس ٧ جمادي الأولى سنة ٨٥٧ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (١٨٤ ، ٣٥٣ - ٣٥٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٣١/٩ رقم ٣٣٦) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٣٤٩ - ٣٥٥) ، و « نظم العقيان » (١٦٤ رقم ١٧٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠) ،و « شذرات الذهب » (٢٩٢/٧ - ٢٩٣) .

(٣) الأمير الكبير : وظيفته من وظائف السيف الكبيرة ، وهو في الدرجة الأولى منها ، يليه أمير =

= سلاح ، في خدمته مائة مملوك ، ويقود ألف جندي ، فهو من مقدّمي الألوف ، الذي تُدَقّ على بابه ثمانية أحمال طبلخاناه وطبلان دهل وزمران وأربعة أنْفِره .

راجع « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١١٤) ، و « زبدة كشف الممالك » (١١٣ – ١١٤) .

(٤) هو : إينال بن عبد الله العلائيُ الظاهري ثم الناصري المعروف بالأجرود ، الأمير سيف الدين ، أتابك العساكِر بالديار المصرية ، استقر في السلطنة المملوكية بمصر ، بعد وثوبه على الملكِ المنصور عثمان بن جَقْمَق في ٨ ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ ، واستمر سلطانًا إلى أن مات بعد عصر يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ ، وقد قارب ٨٠ سنة من العمر .

له ترجمة فى : « خطط المقريزي » (٢٤٤/٢) ، و « المنهل الصافي » (٢٠٩/٣ رقم ٦٢٤) ، و « الدليل الشافي » (١٧٥/١ رقم ٦٢٣) ، و « حوادث الدهور » (١٦٨ – ١٧٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٧٥/١٦) ، و « ص » من « تاريخ البِقاعي » هذا ، و « الضوء اللامِع » (٣٢٨/٢ رقم ١٠٨٠) ، و « حسن المحاضرة » (١٢١/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٣ – ٨٤) ، و « شذرات الذهب » (٣٠٤/٧) .

(٥) أمير سِلاح : إمرة السلاح مِن وظائف السيف الكبيرة في الدوْلة المملوكية ، ويُقال لصاحبها أمير سِلاح ، في خدمته مائة مملوك ، ومقدَّم على ألف جندي حلقة ، وتُدَقّ على بابه ثمانية أحمال طبلخاناه ، وطبلانِ دهل وزمرانِ وأربعة أنفره ، ومرتبة وظيفته في مقدمي الألوف تلي مرتبة وظيفة (الأمير الكبير مباشرة) ، أما الأعمال التي يباشرها أمير سلاح فهي ، مقدَّم السلاح دارية ، والمتولّي لحمل سلاح السلطان في المجامِع العامّة ، والمتحدّث في السلاح خاناه وما يستعمل لها وما يُقَدَّم إليها وما يطلق منها . راجع « خطط المقريزي » (٢٢٢/٢) ، و « مسالِك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١١٤ ، ١١٨) ، و « صبح الأعشى » (١٨/٤ ، ٤٥٦/٥) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨٤/٧) ، و « زبدة كشف الممالك » (١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥) ، و « حسن المحاضرة » (١٣٣/٢) .

(٦) هو : أَسَنْبُغا بن عبد الله الناصِري الطياري الأمير سيف الدين ، وقيل : أَسَنْبُغا الناصري محمد ابن رجب ثم الطياري سودون ، وهو الأكثر في شهرته ، أصله مِن مماليك الوزير ناصِر الدين محمد ابن كلبك ، ثم خدم عند سودون الطياري وحظي عِنده وبه عُرِف ، مات نهار الجمعة ٥ ربيع الأول ، وقيل ليلة السبت ٦ منه سنة ٨٥٧ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٤٣٧/٣ رقم ٤٦٣) ، و « الدليل الشافي » (١٣٢/١ رقم ٤٦٢) ، و « حوادث الدهور » (٣٥٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦٢/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣١١/٢ رقم ٩٨٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨) وقد جاء فيه : « أزنبغا اليونسي الناصر » .

وأمير[1] [آخور][2] قانِبَاي الشركسي[3] ، وأمير مجلس[4] تَنَم[5]

---

(١) أمير آخور : مركب مِن لفظين : (أمير) وهو عربي ، و (آخُور) وهو فارسي بمعنى (المَعْلَف) أو (المِذْوَد) فيكون المعنى (أمير المَعْلَف أو أمير المِذْوَد) وأمير آخور صاحب وظيفة مِن أجل وظائف (القلم المملوكية) وصاحبها مِن مقدمي الألوف وهم الذين في خدمتهم مائة مملوك ويتقدمون على ألف جندي ، وربما جاء ترتيبه الخامس مِن أصحاب الوظائف الكبار التي يكون أصحابها مِن جملة مقدمي الألوف ، يأتي قبله (الأمير الكبير ، ثم أمير سلاح ، ثم أمير مجلس ، ثم أمير داودار الكبير) ، وهو المسؤول عن مباشرة النظر في إصطبل السلطان لذا أطلق المقريزي على وظيفته (نظر الإصطبلات) ، فهو الذي يتحدَّث في الإصطبل ، ويتولى أمر ما فيه مِن الخيل والإبل وغيرهما مما هو داخِل في حكم الإصطبلات ، ويساعده في مباشرة عمله ثلاثة مِن أمراء الطبلخاناة ، وهم (أمير آخور الثاني) وعدد مِن أمراء العشرينات والعشراوات ، وهم (أميرآخور الثالث) ، وعدد غير محصور مِن الجند . راجع « خطط المقريزي » (٢/٢٢٤ – ٢٢٥) ، و « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١١٤ ، ١٢٢) و « صبح الأعشى » (٤/١٨ ، ٥/٤٦١) ، و « زبدة كشف الممالك » (١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٢٦) ، و « حسن المحاضرة » (٢/١٣٢ ، ١٣٣) .

(٢) في الأصل (آخر) ، والتصحيح مِن مصادر « الهامش ١ » .

(٣) هو : قانِبَاي بن عبد الله الجاركسي (الشركسي) أمير آخور الكبير ، أعتقه الأمير (جَارْكَس القاسمي المصارِع) ، فعرف به ، مات بطَّالًا بثغر دِمْيَاط في يوم السبت ١٤ شهر ربيع الآخر سنة ٨٦٦ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢/٥٢٩ رقم ١٨١٨) ، و « حوادث الدهور » (٤١٧ ، ٥٦٥ – ٥٦٦) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣١٥) ، و « الضوء اللامِع » (٦/١٩٤ رقم ٦٥٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١١٠) .

(٤) أمير مجلس : لقبٌ يطلق على مَن يتولَّى ترتيب مجلس السلطان ، أو الأمير ، حراسة وفَرْشًا ، ويتحدَّث إلى الأطباء والكحّالين ونحوهم ، ولا يكون إلا واحِدًا . وقد كانت مرتبته جليلة أكبر قدرًا مِن أمير سلاح . « صبح الأعشى » (٤/١٨ ، ٥/٤٥٥) ، و « حسن المحاضرة » (٢/١٣٣) .

(٥) هو : تَنَم بن عبد الله بن عبد الرزاق الجركسي المؤيدي شيخ الأمير سيف الدين المحتسب ، ويقال له : أمير مجلس ، وأمير سلاح ، ونائب الشام وغيرها مِن الوظائف التي تولَّاها ، باشر الحسبة في عهد الظاهِر جقمق إلى أن عُزل عنها بقاضي القضاة بدر الدين محمود العينتابي الحنفي ، مات بدمشق في يوم الأربعاء ٢٢ جمادي الأولى سنة ٨٦٨ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٤/١٧٥ رقم ٨٠١) ، و « الدليل الشافي » (١/٢٢٩ رقم ٧٩٩) ، و « حوادِث الدهور » (٥٧٠ – ٥٧١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٣٠) ، و « الضوء اللامع » (٣/٤٤ رقم ١٨٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣٨) .

المحتسب[١] ، والدويدار الكبير دُولات باي ، وغيرهم من الأمراء ، والمباشرين[٢] : كاتب السرّ[٣] ، الكمال[٤] بن البارزي ، وناظر[٥] الجيش ،

---

(١) المحتسب : الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، وقد فرّق الماوردي بين المحتسب والمتطوع مِن تسعه أوْجه ، وتوسَّع في بيان كافة الأمور المتعلقة بالحسبة والقائم عليها . راجع « الأحكام السلطانية » (٢٤٠ – ٢٥٩) ، وراجع أيضًا ما ذكره النويري ، عن الحسبة في « نهاية الأرب » (٦/٢٦١ – ٣١٥) ، ويبدو أن وظيفة الحسبة في العصر المماليكي لم تختلف عن هذا المفهوم ، وقد عُدَّت مِن وظائف ذوي العلم ، وصَنَّف (العمريُّ) في « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » ، (١١٤ ، ١٢٢) أربابَ الوظائف إلى : ذوي السيوف ، وذوي الأقلام ، وذوي العلم ، وعَدَّ الحسبة مِن الوظائف الكِبار لذوي العلم الذين منهم أيضًا : القضاة ، والخطباء ، ونظر بيت المال ، كما يصف القلقشندي ، في « صبح الأعشى » (٤/٣٧ ، ١٩٣) الحسبة في عصر المماليك ، ويذكر أنها مِن الوظائف الدينية ويوجد محتسبان بالحضرة السلطانية : أحدهما بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرًا وأرفعهما شأنًا ، وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحري ، ما عدا الإسكندرية فإنّ لها محتسبًا يخصها ؛ والثاني بالفسطاط وهو أقل مرتبة مِن الأول ، وله التحدث والتولية بالوجه القبلي بكماله ، والذي يجلس منهما بدار العدل أيام المواكب محتسب القاهرة فقط ، ومحل جلوسه دون وكيل بيت المال ، إلاّ إذا كان أرفع مِنه بعلم أو نحوه ، فإنه يجلس أعلى منه .

(٢) المباشرين : يُفهم من عنوان الفصل الذي عقده (ابن شاهين الظاهري) في « زبدة كشف الممالك » (٩٣ ، ٩٨) أن المباشرين هم الموظفون مِن كتبة وموقعين ونحوهم ، في دواوين الدولة المختلفة مثل : ديوان الإنشاء ، والجيش ، والمفرد والخاص وغيرها .

(٣) كاتب السرّ : المقصود بالسر (ديوان الإنشاء) أو (ديوان الطغرا) وللتعرف على معنى الديوان ، وكيف عُرف في الإسلام ، وأقسامه وتطوره يرجع إلى « الأحكام السلطانية » (١٩٩ – ٢١٨) ، و « مقدمة ابن خلدون » (٢/٦٧٥ – ٦٨٧) ، وقد عقد القلقشندي ، في كتابه « صبح الأعشى » (١/٨٩ – ١٠٠) بابًا للتعريف بالديوان وأصل وضْعه في الإسلام وتفرُّقه بعد ذلك في الممالك ، وأبوابًا أخر متعلقة بالديوان ، استغرقت الجزءين الأول والثاني وصفحات من الجزء الثالث .

ووظيفة كاتب السر من وظائف ذوي الأقلام الكبار ، وقد استقرت مهمة كاتب السر ، أو (كاتم السر) في الدولة المملوكية منذ عهد الناصر محمد قلاوون ، على قراءة الكتب الواردة للسلطان ، وكتابة أجوبتها إمّا بخطه ، أو بخط كتاب الدَّسْت أو كُتَّاب الدَّرْج بحسب الحال ، وله تفسير الأجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها ، وله تصريف المراسيم ورودًا وصدورًا ، وله الجلوس بين يدي السلطان بدار العدْل لقراءةِ القِصَص والتوقيع عليها بخطه في المجلس ، فصار يُوقِّع فيما كان يوقَّع عليه بقلم الوزارة ، وصار له التحدُّث في مجلس السلطان عند عقد المشورة وعِند اجتماع =

= الحكام الفصل أمرٍ مُهم ، وله التوسط بين الأمراء والسلطان فيما يندب إليه عند الخلاف ، وصار يُرجع إليه القضاةُ ومشائخُ العلم ونحوهم ، ويشاور السلطان فيما لابدَّ مِن مشاورته فيه . وكانت منزلته تحت الوزير في الجلوس فلما عَظُمت مكانته أصبح يجلس فوق الوزير ، يقول (المقريزي) في (خططه) : « ومنزلة كاتب السرّ منزلة صاحب ديوان الإنشاء ، إلّا أنه يتميز بالتوقيع على القِصَص ؛ تارة بمراجعة السلطان ، وتارة بغير مراجعة ، فذلك يحتاج إليه سائر أهل الدولة مِن أرباب السيوف والأقلام » راجع تفصيل ذلك في الصفحات (٢٢٥ - ٢٢٧) ، وأيضًا راجع المزيد من المعلومات في « مسالك الأبصار - دولة المماليك الأولى » (١١٤ ، ١٢٠) ، و « صبح الأعشى » (٣٠/٤) ، و « زبدة كشف الممالك » (٩٨ - ١٠٠) وجاء فيه أنّ مُوَقّعي ديوان الإنشاء قِسمان : موقعي الدست ، وموقعي الدَّرْج . وراجع أيضًا ما جاء في « حسن المحاضر » (١٣٢/٢) .

(٤) هو : محمد بن محمد بن محمد بن عثمان ، القاضي كمال الدين أبو المعالي بن القاضي ناصر الدين بن القاضِي كمال الدين الجُهَني الحموي الشافعي ابن البارزي ، كاتب السر بمصر ، وابن كاتب السر بها ، وُلِد بحماه في ليلة ٢١ مِن ذي الحجة سنة ٧٩٦ هـ ، ومات يوم الأحد ٢٦ صفر سنة ٨٥٦ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٦٧٧/٢ رقم ٢٣٢٢) ، و « حوادث الدهور » (١٢٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٣/١٦) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٦٨٢) ، و « التبر المسبوك » (٤١٧ - ٤١٨) ، و « الضوء اللامع » (٢٣٦/٩ رقم ٥٨٣) ، و « نظم العقيان » (١٦٨ رقم ١٨٤) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٣٣/٢) ، و « شذرات الذهب » (٢٩٠/٧) .

(٥) ناظر الجيش : جاء في « صبح الأعشى » (٤٦٥/٥) : « الناظِر هو من يَنْظُرُ في الأموال ، ويُنَفِّذ تصرفاتها ، ويُرْفَع إليه حسابها لينظر فيه ويتأمَّله ، فَيُمْضي ما يمضي ، ويردُّ ما يردُّ .. ثم هو يختلف باختلاف ما يُضاف إليه كناظر الجيش وهو الذي يتحدث في أمر الجيوش وضبطها » .

ويشير صاحِب « زبدة كشف الممالك » (١٠٣) إلى أن استقرار المملكة ونجاحها يرتبط بضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند ، بترتيب منازلـهم على قدر طبقاتهم وضبط مقادير إقطاعاتهم ونفقاتهم ورعاية مبادئ مُدَدِهم وأوقاتهم ، وجميع هذه الأمور مرتبطة بناظر الجيش الذي مدارة جميع أحوال المملكة على ما يصدر منه ويرد إليه .

وقد اعتبر (العمري) في كتابه « مسالك الأبصار - دولة المماليك الأولى » (١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠) أن وظيفة ناظر الجيش من وظائف ذوي الأقلام الكبار .

يرتبط بناظر الجيش ديوانٌ هو (ديوان الجيش) وينقسم إلى قسمين : ديوان الجيش المصري به جميع ما ينصب إلى الديار المصرية مِن أمّج مِن الفرات وإلى الجنادل ، وديوان الجيش الشامي به جميع ما ينصب إلى أرض الشمال مِن الفرات من أمّج وإلى ديار بكر ، ويعتبر هذا الديوان مِن =

المحب[1] بن الأشقر ، وناظر[2] الخاص الجمال[3] يوسف بن كاتب جَكَم ،

= أرفع دواوين الأموال ؛ فيه بيت التواقيع والمراسيم السلطانية ، وكل ديوان من دواوين الأموال هو فرع منه .

وناظر الجيش يكون معه مِن المُسْتَوْفين مَن يضبط كلّيات المملكة وجزئياتها في الإقطاعات وغيرها يرأسهم شخصٌ يقال له مستوفي الصحبة . راجع تفصيل ذلك في : « خطط المقريزي » (٢٢٧/٢) ، و « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١٢٠ – ١٢١) ، و « صبح الأعشى » (٢٩/٤ ، ٣٠ – ٣١) ، و « زبدة كشف الممالك » (١٠٣) ، و « حسن المحاضرة » (١٣٢/٢) .

(١) هو : محمد بن عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن نوح القاضي محب الدين ابن الشيخ شرف الدين ، الكَرَادي الأصل (نسبة إلى كَرَاد قبيلة مِن التركمان) ، القرمي القاهري الحنفي ، كاتب السر بمصر وناظر جيشها المعروف بابن الأشقر ، وُلد بالقاهرة سنة ٧٧٥ هـ وقيل ٧٨٠ هـ ، ومات يوم الثلاثاء ١٢ رجب سنة ٨٦٣ هـ .

وله ترجمة في : « الدليل الشافي » (٦٥٣/٢ رقم ٢٢٤٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٠٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٤٣/٨ رقم ٣٣٥) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٢٦٦ – ٢٧٨) ، و « نظم العقيان » (١٥٣ رقم ١٥٩) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٣) .

(٢) ناظِر الخاص : وظيفة (نظر الخاص) كانت معروفة زمن الخلفاء الفاطميين ، إلاّ أنها بلغت قدرًا كبيرًا مِن الأهمية في عصر الدولة التركية (المملوكية) ؛ وذلك بسبب إبطال الناصر محمد ابن قلاوون لمنصب الوزارة ، وإسناد المهام التي كان يقوم بها الوزير إلى ناظر الخاص ، الذي أصبح كأنه الوزير ؛ لقربه مِن السلطان وزيادة تصرفه .

أصبح ناظر الخاص ، متحدثًا فيما هو خاص بمال السلطان ، وصار له تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين ، وإليه أيضًا التحدُّث في الخزانة السلطانية يقول (المقريزي) في « خططه » (٢٢٧/٢) : « وكان نظر الخزانة منْصِبًا جليلاً إلى أن أُستُحْدِثت وظيفة نظر الخاص ، فضعف أمر نظر الخزانة ، وأمر الخزانة أيضًا ، وصارت تسُمّى الخزانة الكبرى ، وهو اسم أكبر مِن مسمَّاها ، ولم يبق بها إلاّ خِلع يخلع منها أو ما يحضر إليها ويُصرف أوّلاً فأوّلا .

وصاحب وظيفة (نظر الخاص) لا يستطيع الاستقلال بأمر إلّا بمراجعة السلطان ، وله أتباع مِن كتّاب ديوان الخاص ، مثل : مستوفي الخاص ، وناظر خزانة الخاص ونحو ذلك . راجع « خطط المقريزي » (٢٢٧/٢) ، و « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١١٥ ، ١٢١) ، و « صبح الأعشى » (٣٠/٤) ، و « زبدة كشف الممالك » (١٠٧) .

(٣) هو : يوسف بن عبد الكريم بن بركة ، الصاحب الرئيس جمال الدين أبو المحاسن بن القاضي كريم الدين المصري الشافعي ، المعروف بابن كاتب جَكَم ؛ لكون جده كان كاتبًا عنده ، وُلد سنة ٨١٩ هـ بالقاهرة ، ونشأ تحت كنف أبيه ، ووصل مكانة مرموقة في دولة الظاهِر جَقْمَق ، ثم دولة =

والإستادّار[1] الزين[2] يحيى ، والوزير[3] أمين[4] الدين بن الهَيْصَم ، وفي

= الأشرف إينال ، وتولَّى عدة مناصب سَنِيَّة ، منها الوزارة ، ونظَر الجيش ، ونظر الخاص ، ومات ليلة الخميس ١٨ ذي الحجة سنة ٨٦٢ هـ بالقاهرة .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٨٠٤/٢ رقم ٢٧٠٤) ، و « حوادث الدهور » (٣٨٣ – ٣٨٨) ، و « النجوم الزاهرة » (١٩٧/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٢٢/١٠ رقم ١٢١٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥٩) .

(١) الإسْتَدّار : كلمة مركبة مِن لفظين فارسيين : (إسْتَذ) ومعناها الأخذ ، و (دار) ومعناها المُمْسِك ، فأُدْغمت الذّال الأولى وهي المعجمة في الثانية وهي المهملة ، فصار (إسْتَدّار) ، ومعناه المتولّي للأخذ ، ويقال : (سِتَدّار) بإسقاط الألف وكسر السين ، والمتشدِّقون يقولون : (أُسْتَادّار) ، و (أُسْتاذ الدار) ظنًّا منهم أن المراد حقيقة الدار في اللفظ العربي ، وأنّ أستاذ بمعنى السّيد أو الكبير ، لذا يقولون : (أُسْتَادّار العالِية) أو (أُسْتَاذ الدار العالية) .

وتعتبر وظيفة (الإسْتَدّار) مِن وظائف ذوي السيوف الكبار ، فإليه أمر البيوت السلطانية كلها ، مِن المطابخ والشراب خاناه ، والحاشية والغلمان ، وهو الذي يمشي بطلب السلطان في السرحات والأسفار ، وله الحكم في غلمان السلطان وباب داره ، وإليه أمور الجاشْنَكِريّة ، وله الحديث المطلق والتصرف التام في استدعاء ما يحتاجه كل مَنْ في بيت السلطان مِن النفقات والكساوى ونحوها .

وفى أيام الظاهر برقوق أقام جمال الدين محمود بن علي بن أصفر اسْتَدّارًا وأسند إليه تدبير أموال المملكة ، فتصرف في جميع ما يرجع إلى أمر الوزير وناظر الخاص حتى أصبحا لا يُمْضِيان الأمور إلاّ برأيه . فارتفعت مكانته وأصبح كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذ أمره ، فاستقر ذلك لمن وليَ الإسْتَدّارِيَّة من بعده في الدولة المملوكية . راجع « خطط المقريزي » (٢٢٢/٢) ، و « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢) ، و « صبح الأعشى » (٢٠/٤ ، ٤٥٧/٥) ، و « حسن المحاضرة » (١٣١/٢) .

(٢) هو : يحيى بن عبد الرزاق الزين القبطي القاهري الإسْتَدّار ، ويعرف بابن الأشقر ، تولّى عِدَّة مناصب ، ومنها الإسْتَدّارية التي وُلّي وعُزل منها أكثر مِن مرة . وضُيِّق عليه كثيرًا في آخر الأمر ، وصودرت أملاكه ، حتّى مات بطالًا ، وهو مسجون في برج القلعة مِن شِدَّة التعذيب في ليلة الخميس ٢٨ ربيع الأول سنة ٨٧٤ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٣٣/١٠ رقم ٩٨٣) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١١٣/٢ – ١١٤) .

(٣) الوزير : إما أن يكون مشتقًا مِن الوِزْر وهو الثّقَل ؛ لأنه يحمل عن المَلِك أثقاله ، وإما أن يكون مشتقًا مِن الأَزْر وهو الظّهر ؛ لأن الملك يَقْوَى بوزيره كقوّة البدن بظهره ، وإما أن يكون مشتقًا مِنَ الوَزَر وهو الملجأ ، ومنه قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ سورة القيامة ، آية (١١) أيّ لا ملجأ ؛ لأن الملك يلجأ إلى وزيره ومعونته . =

....

= لم يكن لفظ « وزير » معروفًا في عصر النبوة ، أو عصر الراشدين ، وعندما قامت الدولة الأموية وانقلبت الخلافة إلى ملك واستُحْدِثت رسومُ السلطان وألقابه ، وبعد سلسلة الاغتيالات التي وقعت، حيث قُتل عمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم ، ونجا معاوية وعمرو بن العاص ، وبعد ظهور الحاجة إلى تنظيم الناس على باب الخليفة وعَرْض شكاياتهم ، استحدث بنو أمية وظيفة الحاجب ، وتطور الأمر واحتاج بنو أمية إلى من يشير عليهم ويعينهم في أمور القبائل والعصائب ، واتخذوا لذلك من أُطلق عليه اسم وزير . فلما جاءت الدولة العباسية وعظمت واستفحلت ، عظم واستفحل شأن الوزير فانقسمت وظيفة الوزارة إلى قسمين : وزارة تفويض ، ووزارة تنفيذ . ومازال منصب الوزارة ومازال أمر الوزير في تطور واستفحال ، حتى ضعف منصبُ الوزارة وامْتُهن أمْرُ الوزير بظهور منصب إمْرَة الأمراء منذ سنة ٣٣٤ هـ حتى نهاية الدولة ، وكذلك استمر الوضع في عصر دولة الترك (المماليك) .

وفي عصر الدولة التركية (المماليك) قُدِّمت رتبة النيابة على الوزارة وتناوب على منصب الوزارة أناس مِن أصحاب السيوف ، وأناس مِن أرباب القلم ، فإذا وليها صاحب القلم أُطلق عليه اسم (الصاحب) ، وعندما استحدث الظاهر برقوق (ديوان المفرد) ازدادت الوزارة ضعفًا حتى أصبح قصارى ما يمكن أن يتحدَّث فيه الوزير هو أمر المكوس واستخراجها مِن جهاتها ، وصرفها في ثمن اللحم وحوائج المطبخ ، حتى قيل عنه في هذه الفترة أنه مجرد (حوائج كاش عفش) يشتري اللحم والحطب وحوائج الطعام . بل تردى به الأمر إلى أن أصبح كاتبًا يتردد ليل نهار على باب الإسْتَدَّار يتصرف بأمره ونهيه . فانقسمت الوزارة بين أربعة : كاتبُ السر ، وأخذ مِن الوزارة التوقيع على القِصَص بالولايات والعزل ونحو ذلك . والإسْتَدَّار ، وأخذ التصرف في أرض مصر ، والتحدّث في الدواوين السلطانية ، وفي كشف الأقاليم وَوُلاة النواحِي وأرباب الوظائف . وناظِر الخاص ، وأخذ جانبًا كبيرًا مِن الأموال الديوانية السلطانية ؛ ليصرفها في تعلقات الخزانة السلطانية . والوزير ، وبقي له شيء يسير من النواحِي والتحدّث في المكوس وبعض الدواوين ومصارف المطبخ السلطاني والسواقِي ونحوها ، وإليه مرجع ناظِر الدولة ، وشادّ الدواوين ، وناظر بيت المال ، وناظر الإهراء ، ومستوفي الدولة وناظر الجهات .

راجع : « الأحكام السلطانية » (٢٢ – ٢٩) ، و « نهاية الأرب » (٦ / ٩٢ – ١٤١) ، و « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١١٩ – ١٢١) ، و « مقدمة ابن خلدون » (٦٦٥/٢ – ٦٧١) ، و « صبح الأعشى » (٤٤٨/٥ – ٤٤٩ ، ٢٧٣/٣) ، و (خطط المقريزي) (٢ / ٢٢٣ – ٢٢٤) ، و « حسن المحاضرة » (٢ / ١٣٠) .

(٤) هو : إبراهيم بن عبد الغني بن إبراهيم أمين الدين بن مجد الدين القبطي المصري ويعرف بابن الهَيْصَم ، مات بطّالاً في ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٩ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١١٣/١ رقم ٥٠) ، و « المنهل الصافي » (٢١/١ رقم ٤٩) ، و « حوادث الدهور » (٣٦٢ – ٣٦٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧٥/١٦ – =

هذا اليوم وقع رجلٌ بسرقة بقرة ، فأُرْكبها ، وطِيْف به ، فكانت هيئة غريبة .

وفي يوم الخميس تاسعه وُلِّي الشهابُ أحمد[1] التِّلِمْساني قضاء المالكية ، بدمشق عن سالم[2] المغربي ، الذي قَتَل أبا الفتح الطِّيبي ، وكان قد ظَنَّ أنه بقتله وصل عند أهل الدولة إلى رتبة أُمِن فِيها من العزل[3] .

وفي يوم السبت حادي عشره طلب أبو يزيد الشرواني العجمي ، من السلطان أن يُنْعم عليه بتركة رجل نصراني مات بالطور[4] فقبَّحَ عليه ذلك ، ونسَبه إلى تحليل ما حرَّم الله من إرث مَنْ ليس على مِلَّته ، ورسم[5] بنَفْيِهِ إلى بلاده ، ثم في يوم الأحد ثاني عشره ، شَفع فيه ناظرُ الجيش المحب بن الأشقر ، فخلّى عنه .

= ١٧٦) ، و « الضوء اللامع » (١/٦٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٢٥ – ٢٦) .

(١) هو : أحمد بن سعيد بن محمد ، الشهاب أبو العباس التِّلِمساني المغربي المالكي ، مات مصروفًا في دمشق في ٤ ربيع الثاني سنة ٨٧٤ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١/٣٠٦) .

(٢) هو : سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي المالكي ، نشأ ببجاية ، واشتغل بتونس ، وسمع بالحجاز ومصر وغيرهما ، وولي قضاء المالكية بدمشق ، ثم قضاء القدس ، ثم عاد إلى الشام ، فحمدت سيرته . لم يؤرخ (السخاوي) ، عندما ترجم له في « الضوء اللامع » (٣/٢٤٠ رقم ٩٠٣) . تاريخ وفاته .

(٣) راجع : استقرار الشهاب أحمد في قضاء المالكية بدمشق في « حوادِث الدهور » (٢ / ١٠) .

(٤) الطُّوْر : جاء في « معجم البلدان » (٤/٤٧) : « وبالقرب مِن مصر عند موضع يسمى مَدْيَن جبلٌ يسمى الطُّوْر ، ولا يخلو من الصالحين .. وعليه كان الخطاب الثاني لموسى عليه السلام عند خروجه مِن مصر ببني إسرائيل » .

كما جاء في « صبح الأعشى » (٣/٣٨٧) : « جبلٌ داخلٌ في بحر القُلْزم ، على رأسه دَيْرٌ عظيم ، وفي واديه بساتين وأشجار » وأطلق عليه (طور سينا) . كما جاء فيه (٣/٣٨٧) أن الطُّور يُطلق على ساحل في جانب الرأس الداخل في بحر القُلْزم بين عَقَبَة أَيْلَه وبين بَرِّ الديار المصرية ، وهو ساحل كثير الواصِل في الزمن المتقدم ؛ لقربه مِن بحر الحجاز ، وكثرة المراسي فيه .

(٥) رسم : بمعنى أَمَر ، راجع المعاني المختلفة لكلمة (رسم) في « محيط المحيط » (٣٣٥) .

وفي يوم الاثنين ثالث عشره مات ناصر[1] الدين محمد بن أحمد بن المهندس المصري ، موقِّع[2] قاضي[3] القضاة ابن حَجَر ، وصُلِّي عليه من الغد ودُفن .

---

(١)وُلِد بمصر سنة ٧٩١ هـ ، له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٣٦٣ – ٣٦٤) ، و « الضوء اللامع » (٧١/٧ رقم ١٣٣) .

(٢) مُوَقِّع : المقصود به الكاتب ، يذكر (ابن خلدون) في « المقدِّمة » (٦٨١) أن مِن خطط الكتابة التوقيع : « وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالِس حكمه وفصله ويوقع على القِصَص المرفوعة إليه أحكامُها والفصل فيها متلقاة مِن السلطان بأوجز لفظ وأبلغه » وعادة ما يكون المَوَقِّع مِن أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة ، وأهل العلم والبلاغة ، وربما اقتضت طبيعة بعض الدول إسناد وظيفة التوقيع إلى أرباب السيوف .

والموقعون موظفون أو مباشرون في ديوان الإنشاء وهم ينقسمون إلى : موقعي الدَّسْت وهم أجلهم ولهم مراتب بعضها أعلى مِن بعض ، وموقعي الدَّرْج ولهم أيضًا مراتب . « زبدة كشف الممالك » (١٠٠) .

والتوقيع كان قبل العصر المملوكي نوعان : التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم ، وهي رتبة جليلة تلي رتبة صاحب ديوان الإنشاء ، يحظى صاحبها بمجالسة الخليفة في أكثر أيام الأسبوع يذاكره في كتاب الله تعالى وأخبار الأنبياء والخلفاء السابقين ، ويقرأ عليه مُلَحَ السِّير ويذكِّره بمكارم الأخلاق ، ويُقَوِّي يده في تجويد الخط ونحو ذلك ، له موضع مِن حقوق ديوان المكاتبات لا يُدخل إليه إلا بإذن ، وله طرّاحة ومسند وفرَّاش يقدم إليه ما يوقع عليه . والتوقيع بالقلم الجليل ، رتبة جليلة يقال لها : الخدمة الصغرى ، وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقِّع به صاحِب القلم الدقيق وبَسْطه ، ولصاحب هذه الوظيفة الطراحة والمسند دون الحاجِب .

وصاحب القلم الدقيق بمثابة كاتب السر أو الدست في عصر الدولة المملوكية ، أما صاحب القلم الجليل فهو بمثابة كاتب الدَّرْج . راجع : « صبح الأعشى » (٤٨٦/٣ – ٤٨٧ ، ٥٢٢) ، و « خطط المقريزي » (٤٠٢/٢) .

(٣) قاضي القضاة : « القضاة أعظم الأركان وَقْعًا وأعمّها نفعًا وعليهم مدار مصالح الأمة عقلًا وشرعًا ... أجلهم قاضي القضاة الشافِعِي ، ثم يليه قاضي القضاة الحنفي ، ثم يليه قاضِي القضاة المالكي ، ثم يليه قاضي القضاة الحنبلي » . وإذا جلس السلطان للمظالم ، جلس قضاة القضاة عن يمينه ويسرته ، فيجلس الشافعي عن يمينه ، ويليه المالكي ويليه قاضِي العسكر ، ثم محتسب القاهر ، ثم مفتي دار العدل الشافِعِي ، ويجلس الحنفي عن يسرة السلطان ويليه الحنبلي ، وقد كان جلوسهم أيام السلطان الناصر محمد قلاوون عن يساره ، وقيل : عن يمينه ، يليه قاضي القضاة الشافعي ، ثم الحنفي ، ثم المالكي ، ثم الحنبلي . راجع : « رحلة ابن بطوطة » (٤٤ ، ٤٥) و « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١٠١) ، و « صبح الأعشى » (٣٤/٤ – ٣٦) ، و « خطط =

وفي هذا اليوم وصل الخبر بأنّ جهنشاه[1] أرسل ابـن أخيـه

=المقريزي »(١/٤٠٣ - ٤٠٤ ، ٢/ ٢٠٨ - ٢٠٩) ، و « زبدة كشف الممالك »(٩٠ - ٩٢) .

(١) في الفترة من سنة ٧٨٢ هـ إلى سنة ٨٧٤ هـ ، ظهرت في آذربيجان والعراق دولة عرفت باسم (آل قرا قيونلي) يُعزى تأسيسها إلى (قرا محمد تورمش بن بيرم خواجة) الذي استمر حكمه حتى قتل سنة ٧٩٢ هـ ، فاستقل ابنه (قرا يوسف) بعد وفاة والده استقلالًا تامًّا (بأرمنستان وآذربيجان) ، حتى سنة ٨٠٢ هـ عندما سقطت بلاده في يد تيمورلنك ، فالتجأ إلى (أحمد الجلائري) ثم التجأ الاثنان معًا في سنة (٨٠٥ هـ) إلى سلطان المماليك بمصر (فرج ابن برقوق) فحبسهما تقربًا إلى تيمورلنك ، وعندما توفي تيمورلنك سنة (٨٠٧ هـ) أطلق صراحهما ، فعاد (قرا يوسف) واستعاد سلطانه ، وبسط يده على (آذربيجان) كلها ، وأشرك معه في الحكم ابنه (بير بوداق) فمات هذا الابن سنة (٨١٧ هـ) وبقي (قرا يوسف) منفردًا بالحكم حتى سنة (٨٢٣ هـ) فتعاقب على الحكم مِن بعده ولداه : إسكندر ، وجهان شاه ، ثم مِن بعدهما حفيداه : حسين على بن إسكندر ، وحسن على بن جهان شاه ، وفي فترة حكم الآخير استولى (أوغورلي محمد بن أوزون حسن) زعيم عشيرة (آق قيونلي) على بلاده سنة (٨٧٤ هـ) فانقرضت دولة (قراقيونلي) وكانت منها شعبة تحكم في بغداد ، وذلك أنّ (قرا يوسف) كان قد عين ابنه (شاه محمد) حاكمًا مستقلًا على بغداد ، فعندما مات سنة (٨٣٧ هـ) خلفه أخوه (أسبان) ثم انتقلت الزعامة إلى (قولاد بن أسبان) ثم (بير بوداق بن جهان شاه) ثم أخوه (محمد ميرزا) سنة (٨٧١ هـ) ، حتى انقرضت هذه الشعبة على يد (أوزون حسن آق قيونلي) سنة (٨٧٣ هـ) . راجع « الدول الإسلامية » (ق ٢/٥٥٦ - ٥٥٩) .

وقد جاءت ترجمة (جهنشاه) كما يلي : « جهنشاه بن قرا يوسف بن قرا محمد التركماني الأصل ، صاحب العراقَين وملك المشرق إلى (شيراز) وممالك آذربيجان ، ولد في أوائل القرن التاسع تقريبًا بماردين ، فَسُمِّيَ (ماردين شاه) فغضب والده وقال : هذا اسم نساء فسماه (جهنشاه) ، ونشأ في كنف أبيه ثم أخيه (إسكندر) ، وعندما شبّ لجأ إلى (شاه رخ بن تيمور) فأرسل إليه أخوه من قبض عليه ، وأراد قتله ، فأنقذته أمه ، ثم فر ثانيًا إلى (شاه رخ) فقدم له الدَعم والمساعدة وشجعه على قتال أخيه ، وكانت بين الأخوين عدة مواقف انتهت بقتل (إسكندر) في ذي القعدة سنة (٨٤١ هـ) ، فحكم (تبريز) وما والاها نائبًا عن (شاه رخ) ، ولم يلبث أن بسط نفوذه على (بغداد) بعد موت أخيه (أصبهان) أو (أسبان) فزاد نفوذه ، وكثرت عساكِره ، وأخذ في مخالفة (شاه رخ) باطِنًا ، وعندما مات (شاه رخ) وتفرقت كلمة أولاده تعاظم أمر (جهنشاه) وطمع في توسيع رقعة نفوذه ، فسار في سنة (٨٥٤ هـ) إلى (ديار بكر) وقاتل صاحبها (جهان كير) وانتزع منه بعد قتال مرير (أرز نكان) ، و (الرُّها) مع قلعتها ، ثم حاصر (جهان كير) في مدينة (آمِد) ، ووصلت عساكره إلى (مَلَطْية) ، و (دوركي) . مات قتيلًا على يد (حسن بك قرايلك) بالقرب من ديار بكر سنة ٨٧٢ هـ ، فأرسل (حسن بك) برأسه إلى القاهرة فعلّقت ، وقيل : إنه مات ولم يُقتل » .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١/٢٥٢ رقم ٨٦٣) ، و « النجوم الزاهرة » =

بُولادَ[1] ابن إصْبَهان ، إلى سلطان مصر ، ليسأله عمّا يَرْسم له به ، فإن أراد رجع إلى بلاده ، وإنْ أراد استمر على ديار بكر[2] ، حتى يأخذ ما بقي منها ، ويجعل الخطبة ، والسِّكّة[3] بها باسم السلطان ، ويُقيم ابن أخيه عند السلطان إلى أن ينقضي ذلك[4] .

يوم الخميس سادس عشر محرَّم المذكور ، وصل كتاب الشيخ حسن[5]

= (٣٨٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٨٠/٣ رقم ٣١٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٩٩) ، و « شذرات الذهب » (٣١٤/٧) .

(١) في « الدول الإسلامية » (ق ٥٥٨/٢) (قولاد بن إسبان) وجاء في « هامش ١ » مِن الصفحة نفسها : « يورد بعض المؤرخين هذا الاسم : اسبان ، اسبهان ، اصفهان ، اسبند » .

(٢) ديار بكر : جاء في « معجم البلدان » (٤٩٤/٢) ، هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر ابن وائل بن قاسط . وحدُّها ما غرَّب مِن دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمِد وميّا فارقين وقديتجاوز دجلة إلى سِعِرْت وحيزان وحِينِي وما يتخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل .

(٣) السِّكَّة : تحدَّث (ابن خلدون) في « المقدِّمة » (٧٠٠/٢ - ٧٠٤) عن السّكّة ، وقال : « هي الختم على الدنانير والدّراهم المتعامَل بها بين النّاس بطابع حديد ، يُنقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ، ويُضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة .. ولفظ السِّكة كان اسمًا للطابع وهي الحديدة المتّخذة لذلك ، ثم نُقل إلى أثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ، ثم نُقل إلى القيام على ذلك ، والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه ، وهي الوظيفة ، فصار عْلَمًا عليها في عرف الدول ، وهي وظيفة ضرورية للملك ؛ إذ بها يتميز الخالص مِن المغشوش بين الناس في النقود ، عند المعاملات ، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة » .

(٤) قارن بما ورد في « الضوء اللامع » (٨٠/٣) .

(٥) حسن بن [عثمان] بن قرايلوك . قُتل في معركة مع ابن أخيه (حسن بن علي بن عثمان (قرايلوك) سنة ٨٥٥ هـ . ويتحدث السخاوي في « التبر المسبوك » (٣٤٥) ، و « الضوء اللامع » (٨٠/٣) عن هذه المعركة ، ويذكر أن جهانكير بن علي بك بن عثمان بك (قرايلوك) أرسل أخاه (حسن) بعسكر هائل ، لقتال عسكر جهانشاه الذي كان يصحبه عمه حسن قرايلوك ، فهاجمه بغته ، وظفر بعمه وبابنه فقتلهما معًا وحَزّ رأسهما وقتل معهما عدة من عسكر جهنشاه ثم عاد إلى أخيه جهانكير بآمِد ، وقد ظفر ظفرًا هائلا . ويبدو أن هناك وهْمٌ أو تصحيف في كتاب الضوء اللامِع المشار إليه حيث ذكر العبارة التالية : « فظفر عمه به فقتله وبعث برأسه إلى أخيه [جهانكير] ، خاصَّة وأن السخاوي ذكر في « التبر المسبوك » (٣٥٨) في أحداث سنة ٨٥٥ هـ=

ابـن قرالوك إلى السلطان ، يخبره أنـه [ما نقـم][1] مِن أخيـه جهنكيـر[2] ، إلا لكثـرة ظلمـه[3] ، وأذاه لعبـاد الله ، ويسأل فضـل

= ما نصه : « حسن بن قرايلوك قُتل في المعركة كما تقدّم » يقصد كما جاء في الصفحة ٣٤٥ المشار إليها . وأيضًا في كتاب الضوء اللامع نفسه وفي ترجمته لحسن بن قرايلوك عثمان (٣/١٢١ رقم ٤٧٠) أشار أنه قُتل في معركة سنة ٨٥٥ هـ . راجع أيضًا « حوادث الدهور » (١٠٤) .

وهذه الملابسات تثير الشك حول صاحب الكتاب الذي أشار إليه البِقاعي هنا ، هل هو حسن ابن قرايلوك (عثمان) العم ، أم ابن أخيه حسن بن علي بن قرايلوك عثمان ؟ فالأوّل مات سنة ٨٥٥ هـ ، والثاني سنة ٨٨٢ هـ ، حسب ما جاء في « الضوء اللامع » (٣/١١٢ رقم ٤٤٢) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/١٨٤) ، و « شذرات الذهب » (٧/٣٣٤) ، وقد عرف بالطويل .

وفي إشارة (لابن تغري بردي) ، في « حوادث الدهور » (١٣٧) ما يدل على خلافات عميقة وقعت بين أبناء (على بك بن قرايلوك) ، انتهت هذه الخلافات باستيلاء (حسن بن علي بك) على آمد وأخذها مِن أخيه جهانكير بن علي ، يقول ابن تغردي بردي : « وأرسل بمفاتيحها إلى السلطان الظاهِر جَقْمَق ، فشكر له ذلك ، واستحسن وردّ إليه المفاتيح » وهذه الحادثة وقعت في سنة ٨٥٦ هـ ، وهي نتاج خلافات ونزاعات سابقة بدأت - فيما يبدو - قبل هذا التاريخ ، مما يوحي بأن صاحب ذلك الكتاب هو : حسن بك بن علي بك بن قرايلوك عثمان . ينتمي إلى عشيرة عُرفت باسم (آل قيونلي) وهي عشيرة تركمانية هاجرت من تركستان إلى آذربيجان ، ثم أطراف ديار بكر ، ثم استقرت بين آمد والموصِل وشكلت دولة حكمت في الفترة من سنة ٨٠٦ هـ تقريبًا إلى سنة ٩١٤ هـ وعُرفت باسم (آق قيونلي) وكان المؤسس الحقيقي لها هو (بهاء الدين قرا عثمان بن قتلغ المشهور بلقب قرايولك ، أو قرايلوك ، أو أيلوك ، أو أيلك) . راجع « الدول الإسلامية » (ق ٢/٥٦١ - ٥٦٨) .

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح حسب مفهوم السياق .

(٢) هو : جهنكير بن علي بك بن عثمان قرايلك بن قطلوبك ، صاحِب آمِد ، وماردين ، وأزرنكان وغيرها ، وُلد بديار بكر في حدود سنة ٨٢٠ هـ تقريبًا ، قدم مع والدِه إلى مصر ، وأنعم عليه بإمرة حلب ، ثم ولاّه الظاهر جَقْمَقَ الرُّها ، ثم استولى على آمد بعد موت عمه (حمزة) ، ثم أزركان ، ثم ماردين حتى صفت له ديار بكر ، فأظهر خلاف الظاهِر جَقْمق بل ضرب بعض بلاده ، وانضم إليه يَبْغوت الأعرج نائب حَمَاه وغيره ، فطرقه (جهانشاه) فشتت شمله وفرَّق عساكره ، فحاول استرضاء سلطان مصر ، وفي هذه الفترة أرسل أخاه (حسن) لقتال عساكر (جهانشاه) - كما سبقت الإشارة إليه في الهامش السابق -.

له ترجمة في « المنهل الصافي » (١/٢٥٢ رقم ٨٦٤) ، و « الضوء اللامع » (٣/٨٠ رقم ٣١٥) .

(٣) في الأصل : (الطلمه) والتصحيح حسب مفهوم السياق .

السلطان أن يكون له عضدًا ، ونحو هذا من الترقق والكلام اللّين ، العذب .

وفي حدود[1] العشرين من محرّم ، وصل ابن[2] جهنكير بن قَرَالوك ، وكان نائبًا للسلطان في بعض النواحي ، الملاصقة لبلاد أبيه ، فأعطاه السلطان إقطاعًا[3] [بحلب ..][4] .

يوم الأربعاء ثاني عشري[5] محرّم سنة خمس وخمسين ، مات الفخر[6] محمد بن الشرف محمد بن الخازن القَلْيوبي ، ومحمد[7] المعروف بقُوزِي ابن آل ملك ، وصُلِّي عليهما بباب النصر ، وكان الناس

---

(١) في « حوادِث الدهور » (١٠٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٤) ، في يوم الخميس خامس عشره .

(٢) جاء في « الدول الإسلامية » (ق ٥٦٨/٢) أن له أربعة أبناء هم : علي ، ومراد ، وقاسم ، وإبراهيم .

(٣) في « حوادث الدهور » (١٠٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٤) ، أنه كان دون العشرين مِن عمره ، وعلى يده مطالعة مِن والدة تتضمن أنه مملوك السلطان ، ويسأل الرضى عنه ، فأكرم السلطان الولد المذكور ، وأنعم عليه بإمرة عشرة بطرابلس ، ورسم له بالتوجّه إليها مع مَنْ جاء معه من حاشية والده ، وعددهم عشرة . وكان صاحب « الضوء اللامع » (٨١/٣) قد أشار إلى أنّ (جهانكير) كان خاضعًا لسلطان المماليك ثم أظهر الخلاف وانضم إليه بعض الناقمين على السلطان وعلى رأسهم يَبْغوت الأعرج نائب حماه ، فقصده (جهانشاه) وشتت عسكره ، وأضعف جمعه ، وعند ذلك أرسل وفده هذا لسلطان المماليك يطلب رضاه .

(٤) ما بين الحاصرتين ، غير واضح في الأصل ، وصحح حسب مفهوم السياق ، ويبقى ما يقرب من كلمتين لم نستطع الجزم بتصحيحهما .

(٥) في : « حوادث الدهور » (١٠٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٤) (حادي عشريه) .

(٦) هو : محمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد المهيمن ، فخر الدين بن شرف الدين بن الحارث ، يعرف بابن الخازن .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٣٦٨) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٨/٨ رقم ٨٤٢) .

(٧) هو : محمد بن أمير حاج بن أحمد بن آل ملك ، ناصر الدين القاهري ، ويعرف بقُوزِي ، مِن بيت إمرة وخير ، وُلد بالقاهِرة سنة ٨٣٨ هـ تقريبًا .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٣٦٤) ، و « الضوء اللامع » (١٤٧/٧ رقم ٣٦٢) ، وعن أصل أسرة آل ملك ، راجع « خطط المقريزي » (٣١٠/٢) .

بالبِرْكة[1] ، للقاء الحاج ، ثم رحل المِحْمَل[2] يوم الجمعة رابع عشريه .

---

(١) البِرْكة : تقع بظاهر القاهرة مِن بحريِّها ، كانت تسمى بركة الجب نسبة إلى أرض جب عُمَيْرَة ، وهو ابن تميم بن جزء التجيبي مِن بني القرناء ، ثم عرفت ببركة الحجاج أو (الحاج) ، مِن أَجْل نزول حجاج البر فيها عند مسيرهم إلى الحج ، وعند عودهم منه ، وكان موضع البركة متنزها للخلفاء الفاطميين ، واستعراض عساكرهم ، وقد ذُكر عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ) أنه كان يركب في كل سنة على النجب مع النساء والحشم إلى جبّ عُمَيْرة بهيئة أنه خارج للحج على سبيل الهزؤ والمجانة ، ومعه الخمر في الروايا عِوَضًا عن الماء ويسقيه الناس ، وأيضًا ملوك بني أيوب اتخذوا ذلك الموضع متنزها للصيد ولعب الأكرة وكذلك المماليك مِن بعدهم ، وقد أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون في صفر من سنة ٧٢٢ هـ بأن يُعْمل فيها أحواشٌ للخيل والجمال وميدان . يقول المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ : « وما برح الملوك يركبون إلى هذه البركة لرمي الكراكي ، وهم على ذلك إلى هذا الوقت » . ويقول : « وبركة الحجاج اليوم أرباب دركها قَوْمٌ مِن العرب يُعْرَفون ببني صبرة » . راجع « الخطط» (٤٨٩/١ – ٤٩٠ ، ١٦٣/٢ – ١٦٤) ، و « الانتصار » (ق ٤٥/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧/٥ – ١٨) .

(٢) المِحْمَل : جاء في « محيط المحيط » (١٩٦) ، (المَحْمِل) ، « شقّان على البعير يُركب فيهما ، أو يحمل فيهما العديلان ، والزنبيل يُحْمل فيه العِنَب إلى الجرين ، ونسيج مِن الحرير يُرسله السلطان كل سنة إلى مكّة ، ثم يرسل في السنة القابلة عِوَضَه ، ويسترجعه تبركًا به ، وقال في المغرب (المَحمِل) بفتح الميم الأولى ، وكسر الثانية ، وعلى العكس ، الهودج الحجَّاجِي » . راجع هذه المعاني أيضًا في « تكملة المعاجم العربية » (٣٣٥/٣ – ٣٣٦) .

وفي « صبح الأعشى » (١٣٢/٢) : « المِحْمَل ، بكسر الميم الأولى ، وفتح الثانية ، هو آلة كالمِحَفَّة إلا أنه يحمل على أعلى ظهر الجمل ، بخلاف المِحَفَّة ، فإنها تحمل بين جملين أو بغلين » .

واضح أنَّ أهمية المحمل ارتبطت بحمل كسوة الكعبة المشرفة في كل عام ، إلّا أن حمل الكسوة أو ما في معناها لم يكن قاصرًا على العهد المملوكي ، فقد حمل الفاطميون مِن قبل ما عُرف (بالشَّمْسَة) إلى الكعبة المشرفة ، وأورد المقريزي نصًّا مهمًّا في كتابه « اتعاظ الحنفا » (١٤٠/١ – ١٤٢) عن (الشَّمْسَة) التي حملها (المعز لدين الله الفاطمي/٣٤١ – ٣٦٥) ونصبها على إيوان قصره يوم عرفة من سنة ٣٦٢ هـ وأشار إلى أنَّ الخليفة العباسي المتوكل سبق المعز في عمل (الشَّمْسَة) عندما عمل سلسلة ذهب مكلَّلة بالدُّرّ والياقوت والجوهر ، يحملها قائدٌ يُبعَث مِن العِراق ، فيدفعها لِلْحَجَبَة ويُشْهِد عليهم بِقَبْضِها ، وتُعَلَّق على الكعبة يوم سادس الثمان ، وتُنْزع يوم التروية ، بل أضاف في هذا النص الهام أن الخليفة المأمون العباسي سبق الجميع باتخاذ ياقوتة ، تعلّق على الكعبة كل عام .

وفي العهد المملوكي ، زاد الاهتمام بالمحمل ، وصاحبته مظاهر احتفاليه لم تكن معروفة مِن قبل =

[وفاة ابن الجيعان] صفر سنة خمسٍ وخمسين وثمانمائة ، مات عبد الرحمن[1] بن الجيعان ، يوم الخميس مُسْتَهلّه[2] .

= وبولغ في تجهيز المحمل ، والاحتفال بتوديعه واستقباله ، فلم يعد اسم الشَّمْسة معروفًا بل عُرفت باسم (الكسوة ، أو المحمل ، أو المحمل الشريف) والأخير لم يكن معروفًا قبل عهد (الظاهر بيبرس البندقداري ٦٥٨ – ٦٧٦ هـ) وفي عهد هذا السلطان أيضًا طيف بالمحمل ، وبكسوة الكعبة المشرَّفة بالقاهرة وذلك في سنة ٦٧٥ هـ ، وهو أوّل من فعل ذلك مِن المماليك . راجع « الخطط التوفيقية » (٢٩/١) و « نظم دولة سلاطين المماليك » (١٤٣/٢) ، وتعليق (جمال الدين الشيال) على النص الخاص بالشَّمْسَة في « اتعاظ الحنفاء » (١٤٠/١) (هامش ١) .

(ابن بطوطة) الذي زار مِصْر في حدود سنة (٧٢٦ هـ) يصف دوران المحمل ، ويذكر أنه يومٌ مشهودٌ ، يركب فيه القضاة الأربعة ، ووكيل بيت المال والمحتسب ، ومعهم أعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء وأرباب الدولة ، ويقصدون جميعًا باب القلعة ، فيخرج إليهم المحمل على جمل ، وأمامه الأمير المعيَّن لسفر الحجاز في تلك السنة ، ومعه عسكره ، والسقاؤون على جمالِهم ، فيجتمع الناس ويطوفون بالمحمل ، والحداة يحدون أمامه . راجع « الرحلة » (٤٦ – ٤٧) .

ويضيف (القلقشندي) في « صبح الأعشى » (٥٧/٤) أن المحمل في هيئة لطيفة مِن خركاه وعليه غِشاءٌ مِن حرير أطلس أصفر ، وبأعلاه قُبَّةٌ مِن فِضَّة مطليّة .

أما مواعيد دوران المحمل ، فهي مرتان في السنة : الأولى بعد النصف مِن رجب ، يحمل ويُنادى لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس ، ويبيت ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب مِن جامِع الحاكِم وفي الصباح يحمل على الجمل ، ويسير تحت القلعة ، ويعود بعد دورانه إلى جامع الحاكمِ ويبقى هناك إلى شوال ، وفي منتصفه يفعل به ما فُعل في المرَّة الأولى ، فيمر مِن تحت القلعة إلى باب النصر ويخرج بعد ذلك إلى الرَّيْدانيَّة للسفر .

عن دوران المحمل ، وعن هيئته ، وعن الاحتفال به ، وتجهيزه ، وسفره ، والمحطّات التي يمر بها ذهابًا وإيابًا . راجع « رحلة ابن بطوطة » (٤٦ – ٤٧) ، و « حوادِث الدهور » (٣٠٣ – ٣٠٥) ، و « ص » مِن « تاريخ البقاعي – موضوع التحقيق » ، و « صبح الأعشى » (٥٧/٤ – ٥٨ ، و « حسن المحاضرة » (٣١٠/٢ – ٣١١) .

(١) هو : عبد الرحمن بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهّاب بن يعقوب ، المجد أبو الفضل بن الفخر بن الجيعان .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٠٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢/١٦) ، وفيهما أنه مات يوم الخميس ٢٩ محرَّم ، وله ترجمة أيضًا في « التبر المسبوك » (٣٥٩) ، و « الضوء اللامِع » (٨٥/٤ رقم ٢٤٢) وفيهما أنه مات ٢٧ محرم .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٠٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٥) ، أوَّله يوم الجمعة .

وخرج[1] ابن جهنكير بن قرالوك مِن القاهرة إلى حلب على بعض الإقطاعات[2] ، وكان نائبًا للسلطان على بعض النواحي المصاقِبَة لبلاد أبيه ، فلما حُصِر أبوه ، وتزلزلت أرْكانُه ، أمره باللحاق بالسلطان رجاء أن يحصل له بذلك فَرَج .

يوم الأحد رابعه ، مات القاضي جمال[3] الدين عبد الله بن العلَّامة محب الدين [محمد][4] ابن العلَّامة جمال الدين عبد الله بن هشام

---

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ٨٢) .

(٢) الإقطاعات : جاء في « محيط المحيط » (٧٤٥) : « قاطَع فلانًا على عَمَلٍ ، ولّاه إياه بأجرة معيَّنة (مولَّدة) » ، وأقطع الإمامُ الجندَ البلَدَ ، جعل لهم غلَّته رزقًا ، واسم ذلك المكان الذي يُقطع قطيعة » .

تجري الإقطاعات على الجند والأمراء ، وغالِبًا ما تكون إقطاعاتهم بلادًا وأرضًا ، يستغلّها مقطعها ، ويتصرَّف فيها كيف يشاء ، وربما كان فيها نقد إلّا أنه قليل ، أبطله الملك الناصر محمد ابن قلاوون .

وقد بلغ إقطاع كبار الأمراء مائتي ألف دينار جيشية وربما تناقص حسب درجة الأمير إلى ثمانين ألف دينار تقريبًا ، ويتراوح إقطاع أمراء الطبلخاناة ما بين ثلاثين ألف إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار ، أمّا أمراء العشرات فلا يتجاوز إقطاع الواحد منهم تسعة آلاف دينار ، ومقدَّمي الحَلْقة يصل إقطاع الواحِد منهم إلى ألف وخمسمائة دينار ، وأيضًا أعيان الجند ربما وصل إقطاع الواحد منهم إلى مائتين وخمسين ألف .

وفي حال وفاة صاحب الإقطاع ، فإذا كان أميرًا ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، فليس للنواب حقُّ التصرف في إقطاعه ، بل يُبلَّغ السلطانُ بذلك ، فيأمر مكانه من أراد مِمَّن في خدمته ، فيخرجه إلى مكان الخِدمة ، أو مِمَّن في مكان الخدمة ، أو نقل إليه مِن بلد إلى آخر حسب ما يراه في ذلك . أمَّا إذا كان مِن جند الحَلْقة فإنْ للنائب استخدام عِوَضه ، فيكتب رقُعة في ديوان جيش تلك المملكة ، فترسل إلى السلطان ، فيُقَابَل عليها مِن ديوان الجيش بالحضرة ، فإذا أمضاه السلطان كتب عليها (يُكْتَب) ويكتب بها مربّعة مِن ديوان الجيش ، ويكتب عليها منشور . راجع تفصيل ذلك في : « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١٠٨ – ١١٠) ، و « صبح الأعشى » (٥٠/٤ – ٥١) ، و « خطط المقريزي » (٢١٧/٢) .

(٣) له ترجمة في: « النجوم الزاهرة » وجاء فيه : « أنه توفي العشر الأخير مِن محرَّم » ، و « التبر المسبوك » (٣٦١ – ٣٦٢) وجاء فيه : « مات في ليلة الأحد ثالث صفر .. وغلط مَنْ أرَّخ وفاته في المحرَّم » ، و « الضوء اللامع » (٥٦/٥ – ٥٧) وفيه : « مات في صفر ، وأخطأ مَن قال : المحرَّم » ، و « شذرات الذهب » (٢٨٥/٧) وفيه « توفي بمصر في المحرَّم الحرام » .

(٤) بياض في الأصل ، والتصحيح مِن مصادر الهامش السابق .

الشافِعِي ، ثم الحنبلي ، بعد انقطاعٍ طويلٍ في عِدَّة أشهر بِعِلَلٍ مختلفة ، آخِرها الاستسقاء . وصلّى عليه قاضِي الشافعية الشرف المناوي بجامِع الحاكم[1] ، ودُفِن بتربة الصُّوفِيَّة[2] . وكان فاضِلًا في الفقه والنحو . وخلَّف مِن البنين مئة ، وأظـن أن مولده في أوّل هذا القرن أو آخر الذي قبله[3] .

وفي أوائل هذا الشهر ، أُطْلع الأميرُ تَمُرْبُغا[4] الدويدار الثاني محمدَ[5]

---

(١) جامِع الحاكم : يقع خارج باب الفتوح ، أحد أبواب القاهرة ، أسّسه الخليفة الفاطِمي العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معدّ سنة ٣٨٠ هـ ، وكان يُعرَف بجامع الخطبة ، ويقال له أيضًا الجامع الأنور ، وفي سنة ٤٠٣ هـ أتم ابنه الحاكِم بأمر الله بناءه ، وتهدم في زلزال سنة ٧٠٢ هـ ، فجدَّد بناءه بيبرس الجاشنكير ، ورتب فيه دروسًا على المذاهب الأربعة ودرس حديث ، ودرس نحو ، ودرس قراءات . راجع « خطط المقريزي » (٢٧٧/٢) ، و « حسن المحاضرة » (٢٥٣/٢) ، و « الخطط التوفيقية » (٦٦/٢) .

(٢) تربة الصُوفِية : يذكر « المقريزي » في « الخطط » (٤٦٤/٢) ، أن صوفية الخانقاه الصلاحية لسعيد السعداء ، أخذوا قطعة قدر فدَّانين خارج باب النصر ، وأداروا عليها سورًا من حجر ، وجعلوها مقبرة لمن يموت منهم ، ثم وسَّعوا فيها بعد سنة ٧٩٠ هـ ، ومازال الناس يقصدون تربة الصوفية هذه لزيارة من فيها من الأموات ، ويدفنون فيها موتاهم ، إلى أن تولى مشيخة الخانقاة الشيخ شمس الدين محمد البلالي ، فقبر بها كثير من أعوان الظلمة ، فصارت مجمع من نسوان ، ومجلس لعب .

(٣) جاء في « الضوء اللامع » (٥٦/٥) أنه وُلِد بعد التسعين وسبعمائة بالقاهِرة .

(٤) هو : تَمُرْبُغا بن عبد الله العلمي الظاهري جَقْمَق الدويدار الثاني في دولة أستاذه ثم دويدارًا كبيرًا للمنصور عثمان مدَّةً يسيرة إلى أن حبسه الأشرف إينال ، وأطلقه بطّالًا إلى مكة المشرفة ، تولى السلطنة في ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٢ هـ ، وخُلع في ٥ رجب مِن السنة نفسها ، ومات يوم الجمعة ٨ ذي الحجة سنة ٨٧٩ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (١٠٠/٤ رقم ٧٨٤) ، و « الدليل الشافي » (٢٢٣/١ رقم ٧٨٢) ، و « الضوء اللامِع » (٤٠/٣ رقم ١٦٧) ، و « نظم العقيان » (١٠٢ رقم ٦١) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٥٦/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٢٦/٧) .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن محمد ، الشمس أبو عبد الله البيدموري التركي التونسي المالكي ، ويُقال له : التُّرَيْكي بالتصغير . وُلد سنة ٨٢٠ هـ أو قبلها في تونس ، قدم القاهِرة هارِبًا سنة ٨٤٩ هـ ، وانتمى لأبي الخير النحّاس ، حتى كـاد يلي قضاء مصر ، وأعطاه =

التُّونُسي ، المشهور بالتركي إلى السلطان ، بعد اختفائه مدة غَيْبَتِه في الحجاز ؛ مِن أجل تَرِكَةِ عبد الرّزّاق ، وكان قد تزوَّج زوجَته ، وأتَى منها بابن ، ثم مات ابنُها من عبد الرزاق ، فَوَرِث منه ابنها منه ، وكان من المخلَّف عن عبد الرّزاق بيت مِن أحاسِن بيوت القاهرة ، كان قد وقَفَه وَقْفًا أوَّله على نفسه ، فأراد التركي مِن شرهه إبْطال هذا الوقْف ؛ لِيَرِث منه حصَّة ، فنازعه بعضُ الورَّاث[1] ...

[٣] وفي يوم الثلاثاء [سادس][2] صفر سنة ٨٥٥ وقعت بِطَاقَةُ[3] ابن أخي جهنشاه مِن قَطْيَا[4] .

= خزانة المحمودية فامتُحن ومسَّه غاية المكروه ، ثم رجع إلى بلاده . يقول السخاوي : « وقد أفحش البِقاعي في شأنه حِميَّةً لشيخه أبي الفضل البجائيّ ، واعتمد في كثير مما أثبته على أعدائه كأبي الفضل » مات سنة ٨٩٤ هـ . راجع « عنوان الزمان » (مخطوط) (٤١٦ – ٤١٨) ، و « الضوء اللامع » (٢٨٦/٦ رقم ٩٦١) .

(١) جملة تقارب سطر غير واضحة الكتابة .

(٢) ورد في الأصل (سابع) وهو وَهم مِن البِقاعي ؛ لأنه اعتبر يوم الخميس هو مستهل صفر ، فيكون يوم الثلاثاء هو سادس صفر .

(٣) بِطَاقَةٌ : مفرد (بطائق) ، وهي الرسائل المحمولة على أجنحة الطَّير ، تُكْتب على قَطْع صغير فى عرض ثلاثة أصابع مطبوقة ، وهي مِن الورَق الشامي الرّقيق للغاية ، يُعْرف بورق الطير ، ويستخدم في كتابتها قَلَمٌ يُسَمَّى (قَلَمُ الجناح) ، وعادة ما تؤرّخ هذه الرسائل بأجزاء اليوم والليلة ، وقد بلغ الاهتمام بهذا النوع مِن الرسائل أنْ اتخذت لها مراكز ، أُطلق عليها (مراكز الحمام) ، أو (مراكِز البطائق) ، وهي مزوّدَة بأبراج : يضع الطيرُ فيها تلك البطائق .

وأوّل ما استُخدم هذا النوع مِن الحمام في بلاد الموصل ، ثم حافظ عليه الفاطميون ، وأفردوا له دِيْوانًا ، وجَرَائِدَ بأنسابه ، وكانت عناية نور الدين محمود زنكي به كبيرة أيضًا ، واستمر استخدام هذا النوع مِن الطير في دولة المماليك ، وأصبح لِلأَبْرَاج بَرَّاجة ، وخُدَّام وأقْفَاص ، وأبْغال لِلتَّدْريج ، ومرتباتٌ وأرزاق . راجع : « التعريف » (٢٥٤ – ٢٥٥) ، و « صبح الأعشى » (١٩٢/٦ – ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٥٠ و ١٢٢/١٤) ، و « زبدة كشف الممالك » (١١٦ – ١١٧) .

(٤) قَطْيا : ويُقال لها (قَطْيَة) . وهي قرية صغيرة قُرْب (الفَرَما) تؤخذ بها المرتَّبات السلطانية مِن التجّار الوارِدِين إلى مِصْر والصّادِرين عنها ، وحولها رمْل يختم في الليل ، ويُحْفظ ما حَوْله بالعربان ، حتى لا يمرَّ أحدٌ لَيْلاً . =

الجلال قرقشندي

ومات الجلالَ محمد[1] بن القطب أحمد بن إسماعيل القَرْقَشَنْدي[2] الشافِعي العدل بدكّان[3] الطلبة عِند مسجد سام بن نوح ، وهو أَسَنّ مِن أَخِيه الشيخ علاء[4] الدين وغيره ممن تخلَّف مِن إخْوَتِهِ . أظنّ أنّ مولِدَه بعد سنة ثمانين[5] . وكان مُهَاب الشهادَة ، مَوْثُوقًا به ، وعِنْدَه فضيلة .

ابن إصبهان

وفي صبيحة الجمعة[6] [تاسع][7] صفر المذكور ، وَصَل بُولاد بن

= راجع : « معجم البلدان » (٣٧٨/٤) ، و « صبح الأعشى » (٣٧٧/١٤ – ٣٧٨) .

(١) وُلِد سنة ٧٨٦ هـ ، له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٣٦٢) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٤/٦ رقم ٩٨٠) .

(٢) نسبة إلى (قَرْقَشندة) بلدة بأسفل مصر ، مِن أعمال القَلْيوبِيَّة ، فوصِفت بأنها بلدة حسَنة غَزيرة الفواكِة . راجع : « معجم البلدان » (٣٢٧/٤) ، و « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » (ق٥٠/٢) ، و « صبح الأعشى » (٣٩٩/٣ – ٤٠٠) ، و « التحفة السنية » (١٣) .

(٣) دكان : الدّكان ، دكّة ، مصطبة ، و(دكّان) منطقة عظيمة مِن الحجر ، و (الدُّكّاني) صاحب الدُّكّان ، والعامّة تقول : دكانجي على طريقة النسبة عند الأتراك . راجع : « محيط المحيط » (٢٨٧) ، و « تكملة المعاجم العربية » (٣٨٧/٤) .

(٤) هو : علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي ، العلاء أبو الفتوح بن القطب القرشي القَلْقشندي الأصل ، القاهري الشافعي ، وُلِد في ذي الحجة سنة ٧٨٨ هـ ، وقيل : ٧٨٠ هـ بالقاهرة ومات بعد تعلُّله بالإسهال أشهرًا يوم الاثنين مستهل محرَّم سنة ٨٥٦ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٤٥٠/١ رقم ١٥٥٨) ، و « حوادث الدهور » (١٢١ ، ١٦٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٢/١٦) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٠٤) ، و « التبر المسبوك » (٤٠٤ ، و « الضوء اللامع » (١٦١/٥ رقم ٥٥٧) ، و « حسن المحاضرة » (٤٤٣/١) ، و « نظم العقيان » (١٣٠ رقم ١١٤) ، و « شذرات الذهب » (٢٨٨/٧ – ٢٨٩) .

(٥) جاء في مصادر الهامش السابق عدا (عنوان الزمان) للمؤلف نفسه أنه وُلِد سنة ٧٨٨ هـ .

(٦) في « النجوم الزاهِرة » (٤٣٢/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٥) كان وصوله يوم السبت تاسعه .

(٧) في الأصل : (سابع) وقد وهم البقاعي هنا كما وهم مِن قبل « هـامش٢ » مِن الصفحة (٨٧) ؛ لِأنه اعتبر مستهل صفر هو يوم الخميس ، فيكون يوم الجمعة تاسع صفر ، وليس سابعه ، ومما يؤكّد وهمه ، أنه قال في يوم الثلاثاء في الهامِش المشار إليه : سابع صفر، وأيضاً اعتبر يوم الجمعة هذا سابع صفر .

إصبهان ، سلطان بغداد ، وابن سلطانها ، وهو ابن أخي جهنشاه[1] ، شابًّا أمْرَد في دون العشرين سَنَة ، ومعه مِن جماعَتِهِ نحو خمسة عشر رجلًا ، وألْبِس كَلَفْتة[2] على زَيّ المصرِيين ، وسَلَّارِيًّا[3] أحْمَرَ ، ودخل مِن الصحراء وفي خِدْمَته أرْبعة مِن الأمراء ، أو خمسة ، منهم الدويدار الثاني تَمُرْبُغا ، وحاجب[4] الحُجَّاب ، وأنزِل في قصر[5] الميدان .

---

(١) عن هدف هذا الوفد ، راجِع : « ص ٧٩ » ، و « حوادِث الدهور » (١٠٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٥) .

(٢) كَلَفْتة : وتجمع على (كَلَفْتات) ، ويقال لها : كلوتة ، وتجمع على كلوتات ، وتسمي أيضًا (كلفة وكلفتاة) وهي طاقية صغيرة ، مِن الصوف المطلي الأحْمَر ، اتُّخِذت غِطاءً للرأس في الدوْلتين : الأيوبية والمملوكية ، يُلَفّ فَوْقها عمائم صِغار ، وفي أيّام الأمير يلبغا الخاصِكِي القائم بدولة الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) زيد في حجمها ، وحجم ما يُلَفّ حولها وعُرِفت (بالكلوتات الطرخانية) ، وسميت الصغيرة (بالناصرية) وفي عهد الظاهر برقوق (٧٨٤ - ٨٠١ هـ) ، بولغ في حجمها وعُمل في شدّتها عِوجًا ، وسميت (كلوتات جركسية) . « خطط المقريزي » (٢١٧/٢) .

وجاء في « صبح الأعشى » (٦/٤) أن السلطان والجند كانوا يلبسون الكلوتة الصفراء بغير عمامة ، حتى عهد الملك الأشرف خليل ، فأحدث الشاش عليها ، فصارت تلبس فوق الذوائب الشعر المُرْخاة ، حتى حلق السلطان الناصر محمد قلاوون رأسه عندما حج في سلطنته الثالثة ، فحلق الناسُ رؤوسهم .

ويُصنِّفها (العمري) في « مسالك الأبصار - دولة المماليك الأولى » (١٣٠) ضمن خِلَع التشريف ويذكر من خِلع أكابر ذوي المئين من أرباب السيوف كَلوتَةَ زركش مذهّب وكلاليب ذهب وشاش لانس رفيع موصولٌ به في طرفيه حرير أبيض مرقومٌ بألقاب السلطان مع نقوش باهِرة مِن الحرير الملوَّن .

(٣) سلّارِيًّا : السَّلاري ، نوعٌ مِن الأقبية تلبس فوق الثياب ، تنسب إلى الأمير (سلار) ، أحد مماليك الملك الصّالِح علي بن قلاوون ، وكانت تعرف قبل ذلك (بالبغلطاق) . راجع « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٥٥/١) ، و « الخطط التوفيقية » (٥٢/١) .

(٤) حاجِب الحجاب : هو كبير الحجبة ، ويُقال له : أمير حاجِب ، ودرجته في الرتبة الأولى مِن وظيفة الحجوبية ، وهو مِن مقدّمي الألوف في السابِق ، ويأتِي في الرتبة الثانية مِن النائب ، ومِن شأنِه أنْ يجلس بدار العدل ، وإذا خرج النائب عن البلد كان هو نائب الغَيْبة عنه ، وهو الذي يقبض على نائب السلطنة إذا برز مرسومُ السلطان بذلك ، ويقوم بأمر البلد إلى أنْ يُقَام نائبٌ آخر . راجع : « صبح الأعشى » (١٨٥/٤) ، و « خطط المقريزي » (٢١٩/٢) .

(٥) قصر الميدان : هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون بالقلعة ، بناه الملك الكامل محمد =

وفي يوم الاثنين ثانِي[1] عشر هذا الشهر أُطلع السلطانُ إلى الحَوْش[2] ، وقد صُفّ له الرّجالُ مِن باب المدرَّج[3] بالرِّماح ، وحَضَر بين يَدَي السلطان بجماعته وهو جالِسٌ على التَّخْت[4] وحده على [العادة][5] والأمراء جالسون تحته ، والمباشرون وبقية الجند وقوف ،

= ابن العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٦١١ هـ ، إلّا أنه تلاشى ، وعفَت آثاره ، وفي سنة ٧١٣ هـ جدَّده الملك الناصر محمد بن قلاوون وزرعه وحفر به الآبار ، وأدار عليه سورًا من الحجر ، وأنشأ فوقه القصر الأبلق وذلك في ٧١٤ هـ ، ولعله هو المقصود بقصر الميدان هنا . « خطط المقريزي » (٢/٢٠٩-٢١٠ ، ٢٢٨-٢٢٩) .

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٣٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٥) ، (الاثنين حادِي عَشْره) .

(٢) الحَوْش : حظيرة واسعة مسيَّجة ، يطلق على ما حول الدار . راجع « محيط المحيط » (٢٠٤) ، و« تكملة المعاجم العربية » (٣/٣٦٩ - ٣٧٠) .

وجاء في « خطط المقريزي » (٢/٢٢٩) ، أنَّ هذا الحوش بناه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ ، مساحته أربعة فدادين ، واتُّخِذَ مراحٌ للغنم ومربط للبقر، وأُجْري إليه الماء مِن القلعة ، وفي أيام الظاهر برقوق عمل المولد في هذا الحوش واستمر أيضًا في أيّام ابنه فرج .

(٣) باب المدرَّج : أحد أبواب القلعة ، ويعرف بباب الدّرْفيل ، وكان قديمًا يعرف بباب سارية ، ويُتوصل إليه مِن تحت دار الضيافة ، ويُنْتهى منه إلى القرافَة ، وهو فيما بين سور القلعة والجبل ، والدرفيل هو : الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرِّيُّ ، المعروف بالدرفيل ، داوادار الملك الظاهِر ركن الدين بيبرس البندقداري ، مات سنة ٦٧٢ هـ . « النجوم الزاهرة » (١٥/٢٦٤) ، و « خطط المقريزي » (٢/٢٠٥) .

(٤) التَّخْتُ : وقد يقال له : السرير ، وهو ما يجلِسُ عليه الملوك في المواكب ولم يزل مِن رسوم الملوك قديمًا وحديثًا ؛ رفعة لمكانة الملك في الجلوس عن غيره ، حتى لا يساويه غيرُه مِن جلسائه .

وتختلف الأسرَّة باختلاف حال الملوك ، فتارة تكون مِن أبنية رُخام ونحوه ، وتارة تكون من خشب ، وتارة مِن فرش محشوَّة متراكبة . ويقال : إن أول من اتخذ السريرَ في الإسلام معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه . « مقدمة ابن خلدون » (٢/٧٠٠) ، و « صبح الأعشى » (٢/١٣٢ - ١٣٣) .

يصف « ابن إياس » في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٣/٧) استقبال الأشرف قانصوه الغوري سنة ٩٢٢ هـ لوفد من ملك الحبشة ، ويقول : « فلما حضر هذا القاصد عمل له السلطانُ موكِبًا بالحوش مِن غير شاش ولا قماش .. فجلس السلطان على المصطبة التي أنشأها بالحوش ، ونصب على رأسه السحابة الزّرْكش ، واصطفت الأمراء عن يمينه وشماله كل واحد منهم في منزلته » .

(٥) كلمة غير واضحة في الأصل ، والتصحيح حسب مفهوم السياق .

فخلع مِن أذنيه حَلَقتين ، أحدهما بها بَلَخْشَة[1] حسنة ، والأخرى بها لؤلؤة كبيرة ، كانتا مِن زمان أبيه ، فقدّمهما إلى السلطان ، وقدَّم الرّسل مِن جهة جهنشاه نحو عشرين جملًا بُخْتِيًّا[2] وثلاثه لَبُوس[3] .[4]..[5] ثم أمر به أن يُضمّ إلى ولده عثمان[6] ، وأنْ تستمر جماعته في الميدان ، وكان أبوه زنديقًا أفسد بغداد ، وقتل مَن بها مِن أهل الخير ، حتى قتل الخطيب على المنبر ، وأبطل الجمعة والجماعة ، ونابذ الدين[7] .. إلى أن هلك لا رحمه الله فملك ابنه هذا ، وأُقِيمَ له مَنْ يُدَبِّر أمْرَه ، ثم قَصَده عمُّه جهنشاه فأخذ بغداد منه ، ثم جَهَّزَه إلى السلطان الظّاهِر جَقْمَق عِند قدومه إلى

---

(١) بَلَخْشَة : أو بَلَخْش ، ويُسَمّى (اللَّعْل) ، مِن الأحجار النفيسة ، أبعده عن الياقوتية عِلَل ، مِن اليُبْس والرطوبة وغيرهما ، وهو وإن تشبه بالياقوت في الصِّبْغ والمائية والشعاع ، إلّا أنه ليس في مستوى نفاسته إذْ تنزل قيمته إلى النصف مِن قيمة الياقوت ، وهو على ثلاثة ألوان : أحمر مُعَقْرَب ، وأخضر زَبَرْجَدي ، وأصفر ، والأحمر أجوده ، يستخرج مِن نواحِي (بَلَخْشَا) أو (بَذَخشان) مِن بلاد الترك المتاخمة للصين ، واستخراجه لا يتم إلاّ بتعب كثير وانفاق زائد ؛ « لهذا عزّ وجودُه وغلت قيمتُه وكثُرَ طالِبُه والتفتت الأعناقُ إلى التحلّي به » . « صبح الأعشى » (١٠٣/٢ - ١٠٤ ، ٤٤٣/٤ - ٤٤٤) .

(٢) بُخْتِيًّا : البُخْت ، هي الإبل الخُراسانية ، وعندأهل مصر ،تقال لِلإبل مطلقًا . « محيط المحيط » (٢٩) .

(٣) لَبُوس : أي دروع . « محيط المحيط » (٨٠٦) .

(٤) جملة مِن ثلاث أو أربع كلمات غير واضحة في الأصل .

(٥) في « حوادِث الدهور » (١٠٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٥) وصفٌ لهدية جهنشاه ، وهي عبارة عن أربعة عشر بُخْتِيًّا ، وثلاثة أقفاص سلاح ؛ مِن خود وزرديّات ونحوها .

(٦) المُلَقَّب بالمنصور الفخر أبو السعادات ، وُلد في ربيع الأول سنة ٨٣٩ هـ ، واستقر في السلطنة بعد وفاة أبيه في ١١ محرَّم سنة ٨٥٧ هـ ، وخُلع في ٧ ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ ، ومات بدمياط يوم الخميس ١٨ محرم سنة ٨٩٢ هـ .

له ترجمة في « خطط المقريزي » (٢٤٢/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٢٧/٥ رقم ٤٥٦) ، و « حسن المحاضرة » (١٢١/٢) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢٤٢/٢) وسترد أخباره في (ص ٢٨٩) .

(٧) كلمة غير واضحة في الأصل .

الجزيرة[1] ديار بكر لِتملُّكِها مِن أولاد قَرالوك .

ثم بعد بعد ذلك بيسير وَصَلَ الخَبرُ بأن جهنكير بيَّت أخاه الشيخ حسن الذي كان السبَبَ في [انتصار][2] جهنشاه في مـارِدِين[3] ، فقتله ، فَفَتّ ذلك في عضد جهنشاه ، وقلق عسكره لطول سفرهم ، ثم ردّ السلطانُ رسولَه بهدايا كثيرَة ، وأرسل معه مِن عِنده رسولا[4] .

موت الوَزَّة

وفيه مات ناصِرُ الدّين الشاذِلي ابن بنت ابن المبلق ، ناظِر الأَوْقاف[5] المشهور بالوَزَّة ، ودُفِن مِن الغَد .

---

(١) الجزيرة : ويقال لها : جزيرة أقّور ، تقع بين دجلة والفرات ، مجاورة لبلاد الشام تشتمل على ديار مُضر ، وديار بكر . « معجم البلدان » (١٣٤) .

(٢) كلمة (انتصار) غير واضحة في الأصل والتصحيح حسب ما جاء في « هـامش ١ » مِن (ص ٨١) .

(٣) مَارِدِين : قلعة على قِنّة جبل الجزيرة ، مشرفة على دُنَيْسر ، ودارا ، ونِصِّيبين ، وقدّامها رَبَضٌ عظيم ، والدور فيها كالدَّرج كل دار فوق الأخرى . « معجم البلدان » (٥/٣٩) .

(٤) معلومات أخرى هامة حول هذا الوفد ، منها : أنَّ السلطان منعهم مِن الاجتماع بالناس ، ورتّب لهم كل يوم عشرة آلاف درهم مِن أجل النفقة . « حوادث الدهور » (١٠٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٥) .

كما عقد اجتماع آخر مع السلطان عُمِلَتْ فيه ضيافَةٌ هائله حدَّده (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٣٤٥) بأسبوع مِن اللقاء السابق ، وذكر (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٣٣) أنه في يوم الاثنين ١٨ صفر .

وفي يوم الأربعاء ٢٠ صفر ، أنعم السلطان على الوفد بملغ ألفي دينار رسم نفقة السفر ، وفي ٢٢ منه سافر الوفد ، وصحبه الأمير قائم التاجر المؤيدي أحد أمراء العشرات رسولًا مِن قِبل السلطان إلى (جهنشاه) بعد أن أنعم عليه السلطان بألف دينار وَحَمَّله هَدِيَّةً تشتمل على ما بين اسْكندري مذهب وحرير ، ونحوه ، بلغت قيمته خمسة عشر ألف دينار . « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٣٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٥) .

(٥) ناظِر الأوقاف : الناظر هو مَن ينظر في الأموال ، وينفِّذ تصرفاتها ، ويُرفع إليه حسابها لينظر فيه ، ويتأمَّله فيُمْضِي ما يُمْضِي ويردّ ما يرد ، ويختلف باختلاف ما يضاف إليه مثل : ناظر الجيش ، وناظر الخاص ، وناظِر الدواوين ، وناظر الأوقاف ونحوها . « صبح الأعشى » (٤/٤٦٥ ، ٩/٢٥٧) .

موت ابن حِتّي ونفي أبي العبّاس

وفيه نُفِيَ التّاج[1] بن حِتّي ، الذي كان يُباشِر على جُدَّة ، وأبو العباس[2] الوفائي في زنجير[3] إلى طَرَسُوس[4] . ومِن العجائب أنّ أبا الخَيْر[5] النحّاس كان يخدمه ، ثم كانت مشاجَرَةٌ بسبب ارتفاع أبي الخير ، فكان مِن غرائِب الكوائن اجتماع الخصمين منفيَّيْن في تلك البلاد الشاسِعة .

ثم رجع أبو العبّاس في ربيع الأوّل مِن سَنَةِ ست ، ولم يصل إلى طَرَسُوس ؛ وذلك أنّ رفيقه ابن حِتّي مات وهما ذاهِبان ، ومرض أبو العبّاس ، فروجِع السلطان فيه فأطْلقه .

موت الكمال الأسيوطي

وفي يوم الثلاثاء ، ثالِث عشر صفر المذكور ، مات القاضِي كمال[6] الدين

---

(١) جاء في « الضوء اللامع » (١٥٤/١١) « تاج الدين بن حِتّي التاجر ، ضربه السلطان في سنة خمس وخمسين ، ثم أمر بإدخاله المَقْشَرة ، ثم بنفيه مع خصمه الفخر التوريزي ، ثم استرخى السلطان » .

(٢) هو : « أبو العباس الوفائي شاد العمائر عِند جوهر القنقباي ، ومَن رافع فيه أبو الخير النحاس ، واتُّهِم بذخائِر عِنْده لمخدومه ، وضُرِب بين يدي الظاهِر في سنة خمس وخمسين [وثمانمائة] » . « الضوء اللامِع » (١١٩/١١) .

(٣) زِنْجير : الزِّنْجير ، السلسلة (فارسي) ، ويُبْنى منه فعلٌ فيقال : زنجره فتزنجر ، أي : قيَّده بالزنجير فتقيد . « محيط المحيط » (٣٨٠) . وراجع أيضًا « ص » .

(٤) طَرَسُوس : مدينة أحدثها سليمان بن عبد الملك ، خادِم الرشيد سنة نيف وتسعين ومائة في ثغور الشام ، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . « معجم البلدان » (٢٨/٤) .

(٥) هو : محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، وقيل محمد بن أحمد بن محمد بن خلف الزين أبو الخير القاهري الشافعي ، ويعرف بابن الفقيه ، وبابن النحاس حِرْفة أبيه ثم حِرْفته ، ولد في رجب سنة ٨١٥ هـ ، ومات يوم الجمعة ٢٠ محرَّم سنة ٨٦٤ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٣٢٩ ، ٣٩٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢١٠/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٦٣/٧ رقم ١٢٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٩) .

(٦) هو : أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خليل بن نصير بن الخضر بن الهمام ، الكمال أبو المناقب بن ناصر الدين بن سابق الدين الفارسي الخضيري السيوطي الشافعي ، وُلِد في ذي القعدة سنة ٨٠٤ هـ بسيوط . « الضوء اللامِع » (٧٢/١١ رقم ٢٠١) ، و « شذرات الذهب » (٢٨٤/٧ – ٢٨٥) .

الأسيوطي الشافِعي ، نزيل الصَّلِيبة[1] عند نحو [إحدى وخمسين سنة[2] تقريبًا] ، [وكان أحد نُوَّاب[3]] الشافِعِيَّة ، وكان عارِفًا بالشروط[4] .

وفي يوم السبت سابع عشره ، مات شهابُ الدين أحمد[5] بن العلَّامة شمس الدين الشَّطَنوفي الشافِعي عن نحو خمسين سنة ظَنًّا ، وكان مِن محاسِن أهل مِصْرَ ، حُسْن خُلق وَخَلْق ، وحلاوَة شكلٍ وقَوْل ، وعِنده فضيلة ، وله مشارَكة في بعض الفنون ، وكان أبوه شيخ الناس في النحو ، أسأل الله أنْ يتغمَّده برحمته ، وَيَخْلِفه خير الخلف في ذرّيته . وأخبرني ثِقةٌ أنه مات مطعونًا[6] خلف أُذنه .

---

(١) الصَّلِيبة : شارع عامرٌ بالدور ، خارج القاهرة بالقرب من الجامع الطولوني يقع فيه خانقاه شيخو التي بناها الأمير سيف الدين شيخو العمري سنة ست وخمسين وسبعمائة ، ويُعرف أيضاً بصليبة الجامع الطولوني . راجع : « الانتصار لواسطة عقد الآثار » (ق ١/ ١٢٤) ، و « صبح الأعشى » (٣/ ٣٥٦ ، ٣٥٨) ، و « خطط المقريزي » (٢/ ٤٢١) ، و « الخطط التوفيقية » (٢/ ١١٥) .

(٢) ما بين الحاصرتين جملة غير واضحة في الأصل ، والتصحيح حسب مفهوم السياق ، حيث ولد سنة ٨٠٤ هـ .

(٣) ما بين الحاصرتين جملة غير واضحة في الأصل ، والتصحيح حسب مفهوم السياق .

(٤) الشروط : جمع شَرْط ، والشرط تعليق شيء بشيء ، بحيث إذا وُجِدَ الأول وُجِدَ الثاني ، وقيل : الشرط ما يتوقّف عليه وجود الشيء ويكون خارجًا عن ما هِيَّته ، ولا يكون مؤثِّرًا في وجوده ، وقيل : الشرط ما يَتوقّف ثبوت الحكم عليه .

« كتاب التعريفات » (١٣١) ، وراجع أيضًا تعريفات أخرى في « محيط المحيط » (٤٦٠) .

(٥) هو : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، وقيل : عبد الله بدل أبي بكر ، الشهاب بن الشمس الشطنوفي الأصل القاهري الشافعي ، وُلِد بالقاهرة سنة ٧٩٧ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢/ ٦٧ رقم ٢٠٥) وجاء فيه أن وفاته كانت في ١٦ صفر .

(٦) مطعونًا : مصاب بمرض الطّاعون ، وجاء في « لسان العرب » (١٧/ ١٣٧) : « الطاعون المرض العام والوباء الذي يَفْسُد له الهواء ؛ فتفسد به الأَمْزِجة والأبدان » .

والطاعون أنواع : طاعون بشري ، وطاعون البقر ، وطاعون الخيل ، وطاعون الدجاج ، وطاعون رئوي يصيب المواشي .

والبشري منه ، عبارة عن مرض معد حاد يتسبب عن عدوى بميكروب يُسمى (باسيل الطاعون) وهو أصلًا يصيب الحيوانات القارِضه كالفئران وينتقل إلى الإنسان بواسطة البراغيث عِندما تلدغ فأرًا مصابًا بالمرض ، يظهر في صور ثلاث : دُمَّلي ، وتسمّمي ، ورئوي ، وأعراضه في الأنواع الثلاثة عبارة عن ارتفاع في درجات الحرارة مع صداع وإعياء شديدين ثم تظهر أعراض تسممية كاحتقان الوجه والعينين وجفاف اللسان مع هلوسة تعقبها غيبوبة قد تنتهي بالوفاة . وفي النوع الدّملي ، يظهر في اليوم الثاني والثالث ورم التهابي بإحدى الغدد السطحية ، في خُنِّ الورك ، أو تحت الإبط ، أو في الرّقبه ، وأخطر أنواع الطاعون ، هو الطاعون الرئوي . راجع تفصيل ذلك في : « الموسوعة العربية الميسرة » (١١٤٦ - ١١٤٧) .

موت ابن عثمان

وفي أواخِرِ صفر هذا ، قدِم الخَبَرُ إلى القاهِرَة بأنّ السلطان يزيد[1] بن مراد بك بن أُورخان بن عثمان الشجاع المجاهد ، مات رحمه الله في سابع محرَّم مِن هذه السَّنَة ؛ ولقد فَجِع المسلمون به فجيعة عظيمة ، فإنه كان سَيْفًا مسلولًا على بني الأصفر ما زاحفهم زحفًا إلَّا كانت العاقِبَةُ فيه لله ، ولرسوله ، وافتتح كثيرًا مِن بِلادِهم ، وضَرَب عليها الجزيَةَ ، نسأل الله تعالى أن يعوِّض المسلمين خَيْرًا منه في ابنه الملك محمد . [وأرسل][2] السلطان رسولًا لتعزية ابنه به .

ضرب الإستدار

وفي [يوم[3] الأحَد رابع عشري صفر ضرب الأجلابُ[4] الإسْتَدَّار القبطي[5]] في رأسه فشجوه شجة منكرة ، فأدخل إلى جامِع[6] القلعة ،

---

(١) هكذا ورد في الأصل ، وقد وَهم البِقاعي في ذلك ، والصحيح أنَّه : خَوَندكار مُرَاد بك بن أبي الفتح محمد بن بايزيد بن مراد بن أَرْخَان بن عثمان ، المُلقَّب غياث الدين كِرْشجي ، ومعناه الوتري ، نسبة للوتر ؛ لكون أبيه مازَحَه يَوْمًا قائِلاً له : ما حالك مع إخوتك بعدي ؟ فقال : أخنقهم بالوتر ، فضحك وأعجبه ، وقال له : عافية كِرْشَجي ، وُلد في حدود سنة ٨١٠ هـ ، وملك البلاد بعد موت أبيه سنة ٨٢٤ هـ ، وطالت أيَّامه ، وحسنت سيرته ، وأبدع في الجهاد ، وكانت وفاته في ٧ محرم من سنة ٨٥٥ هـ .

له ترجمة في « الدليل الشافي » (٧٣١/٢ رقم ٢٤٩٩) ، و « حوادث الدهور » (١٠٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٢/١٦) ، و « الضوء اللامِع » (١٥٢/١٠ رقم ٦٠٤) ، و « نظم العقيان » (١٧٥ رقم ١٩١) .

(٢) كلمة (وأرسل) غير واضحة في الأصل والتصحيح حسب مفهوم السياق .

(٣) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح مِن « التبر المسبوك » (٣٤٦) ، ومِن مفهوم السياق .

(٤) الأجلاب : جاء في « محيط المحيط » (١١٤ – ١١٥) ، جَلَبه يجلُبه ويجلِبَهُ جَلْبًا وجَلَبًا ، ساقه مِن موضِع إلى آخر ، وجاء به مِن بلد إلى بلد للتجارة ، وجلَبَ الرجل ، انساق ، يُقَالُ : جلبتُه فَجَلَب أي سقته فانساق .

(٥) هو : يحيى بن عبد الرزاق، الزين المعروف بابن الأشقر، راجع : « هامش ٢ » (ص ٧٥) .

(٦) جامع القلعة : يقع هذا الجامِع في قلعة الجبل ، ويقال له : جامِع القلعة القديم وهو على يسار السالك مِن باب القلعة الكبير إلى ديوان الخديوي ، بناه الملك الناصر محمد بن قلاوون مكان جامِع قديم سنة ٧١٨ هـ ، وهو غير جامع محمد علي باشا المعروف بالقلعة حاليًا . راجع : « خِطط المقريزي » (٣٢٥/٢) ، و « الخطط التوفيقية » (٧٧/٥) .

ثم خِيْط جرحُه ، خَوْفًا مِن الهواء ، ثم انقطع في منزله على خَوف شديد ، وشرع السلطان يُنقِّب عَمَّنْ باشر ضَرْبه ، وكان ذلك مِن الغَلَط ، فاشتدَّ غَضبُ الأجلاب ، وقصدوا الإسْتَدَّار في بيته فاختفى منهم ، ونقل أمتعته ، وخاف ناظِر الخاص الجمالُ يوسف بن كاتب جَكَم على نفسه منهم ؛ فتمارض ولزِم بيته ، وحصل بين تَمُرْبُغا الدويدار الثاني ، وبين بُرْدبَك[1] البَشْمَقدار[2] خصومة شنيعة بحضرة السلطان ، وكان العالي فيها بُرُدْبَك ؛ بواسِطَة الأجلاب يرجعون إليه ، وصار تَمُرْبُغا خائفًا على نفسه عاقِبة ذلك ، حتى إنه كان يطلع إلى القلعة مِن غير المكان المعتاد[3] .

أخذ قبرص

وفي هذا الحد وَصل الخبر أن ملك الكيْتلان[4] مِن الفرنج استولى على

(١) هو : بُرُدْبَك بن عبد الله المحمدي الظاهري ، الأمير سيف الدين ، المعروف بالبَشْمَقدار مِن مماليك الظاهر جَقْمَق ، مات سنة ٨٧٢ هـ ، وقيل ٨٨٢ هـ وقد قارب الخمسين مِن العُمْر .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٢٥٥/١ رقم ٦٥٠) ، و « الدليل الشافي » (١٨٥/١ رقم ٦٤٩) ، و « حوادِث الدهور » (٦٦٥ - ٦٦٦) ، و « الضوء اللامِع » (٧/٣ رقم ٣٠) ، و « إنباء الهصر » (١١٥) .

(٢) البَشْمَقْدار : كلمة مركّبة مِن لفظين : تركي وهو (بَشمَق) ومعناه النعل ، وفارسي وهو (دار) ومعناه ممسك ، ويكون المعنى ممسك النعل ، لذا سُمِّي به حامل نعل السلطان أو الأمير ، وربما قيل : بَصْمَقدار . « صبح الأعشى » (٤٥٩/٥) .

(٣) ممن ذكر حادِثة ضرب الأجلاب للإسْتَدَّار ، « ابن تغري بردي » في « النجوم الزاهرة » (٤٣٣/١٥) ، و (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٣٤٦) ، وما يمكن إضافته لما ذكره البقاعي هنا هو : أن الإسْتَدَّار ضُرب في باب القلة ، (أحد أبواب القلعة) وأنه ضُرب حتى سقط عن فرسه فاقِدًا للحس ، وكاد الأجلاب أن يقتلوه لولا أن خَلَّصه مقدَّم المماليك ونقباء القصر .

(٤) جاء في « صبح الأعشى » (٤٠٩/٥) : « القَيْتلان : بالقاف ، والياء الساكنة (آخر الحروف) ، والمثَنَّاة الفوقِيَّة ، ولام ألف ، ونون ، ويُقال : الكيْتلان بإبدال القاف كافًا ، وهذا الجاري على ألسنة الناس ، وهم يقطنون مملكة المَرَا الممتدة مِن الخليج القسطنطيني غربًا ، وذلك مناصفة مع صاحب القسطنطينية » .

جزيرة قُبْرُس[١] وكانت من حين أخذها الأشرف[٢] ، تحت ذمة المسلمين وأنَّه عَمَّر عمارة[٣] كبيرة لغزو البلاد الإسلامية ، جعل الله [الدائرة[٤] عليه] .

موت ابن حسّان

وفي أول يوم السبت مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين ، مات الإمام العلّامة شمس الدين محمد[٥] بن حسَّان القدسي ، شيخ خانقاة[٦] سعيد[٧] السعداء ، وكان فاضلاً ومَفَنَّنا ، يَعرف غالبَ الفنون ، التي

---

(١) قُبْرُس : ويقال لها أيضًا (قُبْرُص) ، جزيرة على البحر الشامي (بحر الروم – المعروف حاليًا بالأبيض المتوسط ، فُتحت عُنْوَةً على يد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٣٣ هـ ، وجاء في « النجوم الزاهرة » (١٤/٢٩٥ – ٢٩٦) ، « وجزيرة قبرس تُسَمَّى باللغة الرومية شبرا ، والبحر يحيط بها مائتي ميل ... ، وسلطانها يقال له : أرادشبرا ، أي سلطان الجزيرة ، وقبرس مدينة بالجزيرة تسمى الأسقفية ومسيرة جزيرة قبرص سبعة أيام وبالجزيرة اثنا عشر ألف قرية كبارًا وصغارًا » ، راجع أيضًا : « فتوح البلدان » (١/١٨٠) ، و « معجم البلدان » (٤/٣٠٥) ، و « آثار البلاد » (٢٤٠) ، و « الروض المعطار » (٤٥٣) .

(٢) ابن تغري بردي في « النجوم الزاهرة » (١٤/٢٩٢ – ٣٠٤) تحدّث بالتفصيل عن أخذ المسلمين لقبرص ، وذلك سنة ٨٢٩ هـ ، في عهد السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبي النصر بَرْسباى ، الذي جلس على تخت السلطة ٨ ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ إلى أن مات في ١٣ ذي الحجة ٨٤١ هـ . راجع أيضًا : « خطط المقريزي » (٢/٢٤٤) .

(٣) عمارة : العمارة ، الطائفة مِن السفن تكون معًا ، وهي مِن كلام المولَّدِين . « خطط المقريزي » (٢/٩٤) ، و « محيط المحيط » (٦٣٢) .

(٤) ما بين الحاصِرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح حسب مفهوم السياق .

(٥) هو : محمد بن محمد بن علي بن محمد بن حسان ، الشمس بن الشمس الموصلي الأصل المقدسي ثم القاهري الشافعي ، ويعرف بابن حسان ، وُلِدَ في صفر سنة ٨٠٠ هـ تقريبًا ، وقيل : بعد سنة ٨٠٥ هـ بالقدس .

له ترجمة في : « حوادِثَ الدهور » (١٠٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٧١) ، و « الضوء اللامع » (٩/١٥٢ رقم ٣٨٧) .

(٦) خانقاة : ويقال : خانكاة ، جمعها خوانق ، أو خوانك ، وهي كلمة فارسيَّة معناها بيت ، وقيل : أصلها (خَوَنقاه) أي : الموضع الذي يأكل فيه الملك ، والخوانك حديثة في الإسلام في حدود الأربعمائة مِن الهجرة ، وجعلت لتخلّي الصوفية فيها لعبادَة الله تعالى . « خطط المقريزي » (٢/٤١٤) ، و « الخطط التوفيقية » (٦/٥٠) .

(٧) خانقاة سعيد السعداء : كانت دارًا تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء قنبر أو (عنبر) ، أحد الأستاذين المحنّكين خدَّام القصر ، عتيق الخليفة المستنصر ، قُتِل في ٧ شعبان سنة ٥٤٤ هـ ، وقفها السلطان صلاح الدين بن أيوب على الصوفيَّة سنة ٥٦٩ هـ ، ورتَّب لهم فيها كلّ يوم طعامًا وخبزًا ، وهي أول خانقاة عُملت بديار مصر ، نُعِت شيخها بشيخ الصوفية .=

الأسيوطي

يُقرئ فيها أهل الزمان ؛ من الفقه ، والحديث ، والعربية من : النحو ، والصرّف ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق ، والأصول الفقهية ، والدينية ،

موت ابن الشطنوفي

وكان ملازمًا لإقراء الطلبة ، كثير النفع لهم بالعلم ، والتواضع ، وليّن الجانب ، وكثُر تأسّف الناس عليه ، وحضر جنازته ، من القضاة ، والطلبة ، وغيرهم، جمعٌ كثير ، وصلّى عليه قاضي الشافعية الشرف يحيى المناوي بباب النصر ، وشيّعه إلى تربة سعيد السعداء ماشيًا ، في خلق كثير ، وقرأ على قبره ، بعد الدّفن سورة الأنعام جمع من الطلبة ، وعَظُم الثناء عليه ، والتوجّع لِفَقْدِه ، رحمه الله . وأعطي أخوه محب الدين محمد[1] ، ما كان بيده من الجَوالي[2] ، وهو ثلاثون درهمًا مصرية ، تكون مقدار

=« خطط المقريزي » (٢/٤١٥) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٢٦٠) ، و « الخطط التوفيقية » (٦/٥٠) .

(١) هو : محمد بن محمد بن علي بن محمد بن حسان ، المحب ، وُلِد سنة ٨١٥ هـ ، يقول « السخاوي » : « وَحَجَ غَيْر مَرَّة وآخِر ما كان هناك في سنة ٩٨ [٨] هـ . « الضوء اللامع » (٩/١٥٤ رقم ٣٨٨) .

(٢) الجوالي : هي ما يؤخذ مِن أهل الذّمة عن الجزية المقررة على رقابهم في كل سنة ، وهي علي قسمين : ما في حاضرة الديار المصرية مِن الفسطاط والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك .

أما ما بحاضر الديار المصريّة ، فعليها ناظر مِن قبل السلطان ، يتبعه عددٌ مِن المباشرين مِن : شاد ، وعامل ، وشهود ، وحاشر لليهود ، وحاشر للنصارى مهمته التعريف بالأسماء الوارِدة في الديوان ومن ينضّم إليها ممن يُبَلّغ عنهم مِن الصبيان ، ويعبر عنهم (بالنَّشْو) أو من يَقْدم إلى الحاضرة مِن البلاد الخارجة عنها ، ويعبّر عنهم (بالطارئ) ، أو من يهتدي أو من يموت ممن اسمه وارد في الديوان .

أمّا مقدارها فقد نقص عمّا كان عليه في السابق حتى أصبح أعلاها خمسة وعشرين درهما ، وأدناها عشر دراهم .

وكانت تستخرج في أوّل المحرَّم مِن كل سنة ، ثم صارت في أيام من ذي الحجة ، وأخيرًا أصبحت تستخرج معجَّلة في شهر رمضان .

ما يتحصل مِن الجوالي يُحْمَل منه قدر معين كل سنة لبيت المال ، والباقي يوزّع على المرتبين مِن القضاة وأهل العلم والدّيانه .

أما ما هو خارج عن حاضِرة الديار المصرية مِن سائر بلدانها فإذا كانت البلد لمُقْطَع مِن أمير أو غيره فجزية أهل الذِّمَّة تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع ، أمَّا إذا كانت تلك البلد جارية في بعض الدواوين السلطانية فتكون الجزية المتحصّلة في ذلك الديوان . « صبح الأعشى » (٣/٤٥٨ - ٤٥٩) ، و « خطط المقريزي » (١/١٠٧) .

درهم وربع من الفضة ، وقِرَاءةُ الحديث بالمؤيدية[1] ، وأخَذ عنه تدريس الحديث بقبة المدرسة البيبرسِيَّة[2] الشيخ زينُ الدين قاسم[3] الحنفي ، ومشيخة الصوفية بالخانقاة الصلاحية سعيد السعداء ، الشيخ خالد[4] الرّيفي بواسطة ناظر المكان الشرف[5] الأنصاري .

وفي يوم السبت هذا أصلح السلطان بين تَمْرُبُغا دُوَيْداره ، و بين بُرْدَبك ، البَشْمَقْدَار .

---

(١) المؤيدية : مدرسة أنشأها الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي (٨١٥ - ٨٢٤ هـ) سنة ٨١٩ هـ ، وقيل سنة ٨٢٠ هـ ، بلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار . « حسن المحاضرة » (٢٧٢/٢) ، و « الدّارس » (٣٧٠/٢) .

(٢) المدرسة البيبرسيَّة : جاء في « الخطط التوفيقية » (١٧/٣ ، ٣٩ - ٤٠) : « هي المعروفة بجامع بيبرس الخياط بشارع الجودرية الذي أنشأه سنة ٦٦٢ هـ ، وبداخله قبر زوجته وأولاده وعليه قبة شامخة مِن الحجر صنعتها دقيقة » .

(٣) هو : قاسم بن قطلوبغا الزين ، وربما لُقِّب الشرف أبو العدل السودوني نسبة لمعتق أبيه سُودُون الشيخوني ، ويُعرف بقاسم الحنفي ، وُلد في المحرَّم سنة ٨٠٢ هـ ، وقيل سنة ٨٠١ هـ بالقاهرة ، ومات ليلة الخميس ٤ ربيع الآخر سنة ٨٧٩ هـ ، وقيل ٨٧٧ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٨٣) ، و « الضوء اللامع » (١٨٤/٦ رقم ٦٣٥) ، و« بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٥١/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٢٦/٧) .

(٤) هو : خالد بن أيوب بن خالد ، الزين المنوفي القاهري الأزهري الشافعي ، وُلد بعد سِنة ثمانمائة بيسير ، ومات يوم الأربعاء ثالث عشر شوال ، وقيل : إن موته كان ثاني شوال مِن سنة ٨٧٠ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٥٨٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٤٩/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٧٠/٣ رقم ٦٥٦) ، و « نظم العقيان » (١٠٩ رقم ٧٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦٣) .

(٥) هو : موسى بن علي بن محمد بن سليمان ، الشرف التتائي القاهري الشافعي ويعرف بالأنصاري ، وُلد سنة ٨٢٠ هـ بتتا ، قرية بالمنوفية ، ومات في عشاء ليلة الاثنين ١٧ صفر سنة ٨٨١ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٨٤/١٠ رقم ٧٨٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٦٦/٢) .

نزول السلطان للمباشرين

وفي يوم الأحد ثاني ربيع المذكور، نزل السلطان في نَفَرٍ يَسِير جدًّا، نحو ثلاثين مملوكًا إلى الإسْتَدَّار فعاده، ثم عاد ناظر الخاص، ثم خرج من باب النصر، وطلع إلى القلعة، من ناحية الصحراء[1]، فأرسل إليه المذكوران من التحف ما يليق بمثلهما[2].

طلوع الإستدار

وفي يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول طلع الإسْتَدَّار إلى الخدمة في جَمْع كثيف، فأُلبس خِلعة[3] سنيّة، وحصل له إقبالٌ زائد. وفي يوم الخميس سادسه طلع ناظر الخاص كذلك[4].

---

(١) خبر زيارة السلطان لكل مِن الإسْتَدَّار وناظر الخاص، جاء في « النجوم الزاهرة » (٤٣٣/١٥)، و « التبر المسبوك » (٣٤٦).

(٢) وصف هذه التحف والهدايا في « حوادث الدهورر » (١٠٣ – ١٠٤).

(٣) خِلْعَة : الخِلْعَة، هي ما يُخْلع على الإنسان، يقال : أَلْبسه الخِلْعَة. وتطلق عادَة على ما يخلعه الخليفة أو السلطان أو الملك، على كِبار رجـالات دولته، أو من يفد على مملكته مِن كبار الزائرين، وهي تعبير عن تقديره للمخلوع عليه ورفع مكانته.

وتنقسم الخِلَع إلى ثلاثة أقسام : خلع أرباب السيوف، وخلع ذوي الأقلام، وخلع العلماء، ويتفاوت نوع الخِلْعة في كل قسم حسب درجة المخلوع عليه ومكانته، ومناسبة الخِلْعَة.

وللخِلَع مناسبات منها : إذا تولى السلطان السلطة، وإذا ولي أمير أو صاحب منصب وظيفة، وفي عيد الفطر أيضا يُخْلَع على جميع أرباب الوظائف كل بما يناسبه، وفي أوقات الصيد، وعندما يرد إلى البلاد وفدٌ زائر، وكذلك عندما يصل التجار إلى السلطان ويبيعون عليه، وأيضًا وقت دوران المحمل فإنه يخلع على أرباب الوظائف فيه مثل : الناظر، والقاضي، والمحتسب، والشاهد، والأدلة، وناظر الكسوة، ونحوهم.

وجرت العادة أنه كلما خَلَقت الخِلْعَةُ أُعيدت إلى الخزانة، وصُرِف عوضها.

كما جرت العادة أن يكون المتحدِّث في أمور الخِلَع والتشاريف السلطانية في القلعة موظفان مِن كبار موظفي الدولة، وهما : الخَزَنْدار، وناظِر الخِزَانة.

يذكر المقريزي، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ، أنه لم يبق مِن الخلع في زمنه سوى ما يُخْلع على أرباب الدولة، كما يذكر أنه استجد في أيام الناصر فرج (٨٠١ – ٨١٥ هـ) نوعٌ مِن الخِلَع يقال له : الجبّة، يلبسه الوزيرُ ونحوه مِن أرباب الرتب العليَّة، ترفعًا عن لبس الخِلْعَة. راجع « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى) (١٣٠ – ١٣٤)، و « صبح الأعشى » (٥٢/٤ – ٥٤، ١٨٦، ١٨٧)، و « خطط المقريزي » (٢٢٨/٢)، و « محيط المحيط » (٢٤٩)، ويراجع فيه تعريف الخلعة، و « الملابس المملوكية » (١٠١ – ١١٤).

(٤) جاء في « حوادِث الدهور » (١٠٤)، و « التبر المسبوك » (٣٤٦) أن الخِلْعة كانت لكل منهما عِبارة عن كامِليَّة بفرو وسمّور.

وفي سحر ليلة الأحد تاسع الشهر مات الشيخ أحمد[1] الزواوي المغربي ، عن نحو سبعين سنة فيما أظن ، وصلى عليه في الجامع الأزهر قاضي الشافعية الشرف يحيى المناوي ، واجتمع له خلق كثير ، من الفقهاء ، والفقراء ، والمباشرين ، والأمراء ، والعامة ، وكثر التّرحم عليه ، والتّأسف ، والثناء ، والتلهف ، ولقد كان جديرًا بذلك ، فإنه لم يَخْلف بعده مثله ، فإنه كان صائم الدهر ، منقطعًا في خلوة[2] الجامع مبتذلًا في الملبسِ ، مع قوّة البدن والقلب ، وحُسن الشكل ، وشهامة النّفس ، عظيم المساعدة للفقراء عند الكبراء ، غزير البِرّ لذوي الحاجات ، جليلا عند الخاصّة والعامّة ، مهيبًا في النفوس ، مقبول الكلام ، ودُفن في مقابر الصّوفية ، ومشى في جنازته القاضي الشافعي [٤] ، وجماعة .

موت الذّبلي

وفي يوم هذه الليلة ، وهو يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأول سنة ٥٥ ، مات ناصر الدين بن الذُّبَلي القدسي تلميذ شمس الدين بن حسّان ، وكان قد نزل مِن جنازته محمومًا .

موت العلاء ابن مَيِّز

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر الشهر ، مات تلميذه الآخر ، الفاضل علاء الدين ، علي بن مَيَّز ، ويقال أيضًا ابن ميِّزتُ القدسي ، الشافعي ، وصلى عليه كاتبه في باب النصر ، ودُفن في تربة الصوفية ، وكان في أوله دلّالًا ، ثم قَدِم القاهرة قبل سنة خمسين بيسير ، فانقطع إلى الشيخ شمس الدين بن حسّان ، فانتفع به علمًا ، ودنيا ، ولم يمت ، إلا وهو أحد المشهورين بالبراعة في المنطق ، والأصول ، والعربية بأنواعها ، والفقه ، ودُفن وراء

---

(١) هو : أحمد بن صالح بن خلاسة الشهاب الزواوي المغربي المالكي ، والزواوي نسبة إلى زواوة ، قبيلة كبيرة بظاهر بَجايَة مِن أعمال إفريقية ، ذات بطون وأفخاذ . « الضوء اللامع » (٣١٥/١ و ٢٠٥/١١) .

(٢) خَلْوة الجامِع : غرفة صغيرة ملحقة بالجامع وربما كانت مفروشة بالرّمل ، لا حصير فيها ولا بُسْط ، ينفرد فيها الإنسان بعيدًا عن الناس للعبادة .

ويبدو أن الخَلْوات لم تقتصر على الجوامِع والمساجد ، كما أنّ أغراضها لم تقتصر على العبادة فقط . راجع « محيط المحيط » (٢٥٣) ، و « تكملة المعاجم العربية » (١٩٦/٤) .

الشيخ شمس الدين بن حسّان ، وابن الذُّبَلي ، بالقرب منهما ، وذلك من غرائب الاتّفاق ، رحمهم الله تعالى آمين .

موت الشمس الحلبي

وفي ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول المذكور ، مات شمس[1] الدين محمد بن الشيخ شمس الدين محمد الحلبي ، وكان من أعيان الناس ، وكان يَصْحب السلطانَ الظاهر جَقْمَق ؛ لِأن السلطان كان يعتقد أباه ، حين كان أميرًا ، أو قبل ذلك ، ثم اختص خاله غرس الدين السَّخاوي بصحبته ، فَعَظُما به ، وصَلَّى عليه في يوم هذه الليلة في باب النصر قاضي الشافعية ، الشّرف المناوي ، ودُفن في تربة جمال الدين ، وكانت جنازته حسَنة .

زواج السلطان

وفي يوم الاثنين سابع عشر الشهر المذكور ، عُقد للسلطان على بنت[2] عبد الباسط[3] بن خليل الدّمشقي ، وكان قد خطبها أولًا لابنه عثمان ، ثم قيل له : إنها غاية في الحسن فخطبها لنفسه ، وفصَّل للشافعي خِلعة يلبسها عند تزويجه إيّاها به ، على العادة ، فقيل له : إنها صغيرة ، ولا مُجْبر لها ، فليس للشافعي أن يتعاطى العقد عليها ؛ لِأنّ ذلك غير صحيح في مذهبه ، وإنما يصح ذلك عند الحنفية ، والحنابلة ، فسعى الشافِعِّي في أن يكون هو

---

(١) هو : محمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد الشمس بن الشمس بن العماد الحَلِبي الأصل الحجازي ، المدني المولد المكي ثم القاهري الشافِعي ، وُلِد سنة ٧٩٩ هـ في المدينة .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (١٠٤) ، و « النجوم الزاهِرة » (٣/١٦) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٦٥٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٦٨) ، و « الضوء اللامع » (٥٤/٩ ، رقم ١٤٨) .

(٢) جاء في « الضوء اللامع » (٩٣/١٢ رقم ٥٨٠) : « فاطِمة ابنة عبد الباسط بن خليل ، تزوّجها بكرًا الظاهر جَقْمَق بعد أبيها ، وكان الوصي عليها البدر البغدادي قاضي الحنابِلة .

(٣) هو : عبد الباسط بن خليل ، ابن إبراهيم ، أو يعقوب ، الزين الدمشقي ثم القاهري ، أول من تسمى بعبد الباسط ، ولد سنة ٧٨٤ هـ بدمشق ومات بطَّالًا يوم الثلاثاء ٤ شوال سنة ٨٥٤ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٩٦) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٥٢/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٢٩) ، و « الضوء اللامع » (٢٤/٤ رقم ٨١) ، و « نظم العقيان » (١٢٢ رقم ٩٨) .

رئيس المجلس ، الذي يكون فيه العقد ؛ بأنْ يعقد أحد نوّاب الحنفي نائبًا عنه ، بحضرته ، فلم يُجِب السلطانُ إلى ذلك ، وألبسه الخِلعة التي كان سمّاها له ، يوم السبت خامس عشر الشهر ، فلما تحقق أنّ ذلك زال عنه ، سعى (فيما نُقل إليّ) في دَفْع ذلك عن الحنّفي ، وهو السعد بن الدَّيْري ، إلى الحنبلي ، وهو البدر ابن البغدادي ، وكان قد نَقَه من مرض أشفى منه على الموت ، وانقطع بسببه مدّةً ، فكان ذلك في يوم الاثنين المذكور ، وأُلبس خِلعة سَنِيَّةً لذلك ؛ سرورًا بعافيته ، وَوَجد الشّافِعِيُّ مِن خروج هذا العقد عنه وُجْدًا شديدًا[1] .

سفر الإستدار والأميرين

وفي يوم الجمعة حادي عشري الشهر سافر الزّين يحيى الإِسْتَدَّار ، إلى نواحي المنزلة[2] ، ومعه الأمير الكبير إيْنَال الأجْرود ، وأمير المجلس ، تَنَم ، المعروف بالمحتسب ؛ وذلك أن الإسْتَدَّار كان خائفًا من العُرْبان ، وأهل الأرياف ؛ لشدّة ما نالهم منه ، من الظلم ، على ما هم فيه من شدة الزّمان ، بالغلاء ، وضيق العيش ، فزيّن للسلطان أنّ سفرهم معه مناسب ؛ لأجل عمل مصالح ماهم بتلك الناحية من البلاد ، فأمرهم بذلك ، وكان هو يريد أن يسافر في البحر ، فسألا السلطان ، أن يسافرا في البر ؛ لأنه أرفق ، وأوسع ، فأبى ، وألزمهما ، أن يكونا معه ، أينما كان برًّا ، أو بَحْرًا[3] .

موت الكاتب

يوم الأحد ثالث عشريه ، مات الشمس[4] الكاتب الرومي الحنفي ،

---

(١) في « حوادِث الدهور » (١٠٤ – ١٠٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٧) ، أن قاضي الحنابلة البدر البغدادي هو وصيّ أبيها ، وقد خلع عليه السلطان عندما عقد له عليها كامِليّة بفرو وسمّور .

(٢) المنزلة : مدينة في الوجه البحري ، كانت قديمًا مِن المدائن الكبيرة ، وتعرف عند الأقباط والروم باسم (إيتنيزوس) أو (إيتغيزيس) ، تقع في برك قريبة مِن البحر الرومي ، وتنسب إليها بركة المنزلة . راجع : « الخطط التوفيقية » (١٥/٧٥) .

(٣) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٠٥) .

(٤) هو : شمس الدين محمد الحنفي ، الرومي الأصل والمولد ، المصري الدار والوفاة المعروف بالكاتب .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٠٥) ، و (النجوم الزاهرة) (١٦/٤) ، و « التبر المسبوك » (٣٧٤) ، و « الضوء اللامع » (١٠/١١٢ رقم ٤١٩) .

الذي كان من أخِصّاء[1] السلطان ، ثم غَضِب عليه ، ونسبه إلى الوقيعة في الإمام الشافعي ، وغيره من أكابر أصحابه ، وأُذِن في الدعوى عليه بذلك ، وعَزّره واستمر منقطعًا عنه ، ولم يَحْفل الناسُ بجنازته ، ولا صلى عليه كثيرٌ منهم .

قصة بيغوت

وفي هذا الشهر جاء الخبر ، أنّ بَيْغُوت[2] ، الذي كان نائب حَماة وذهب إلى جهنكير ؛ فِرارًا من السلطان[3] رجع طالِبًا العَفْوَ ، فأَجابه السلطانُ إلى ذلك ، وأرسل إليه مرسومًا بالأمان ، والإذن له في القدوم ، فجاء الخبرُ في أواخر هذا الشهر ، أنه يوم ورود هذا المرسوم عليه ، دخل عليه وهو بحلب أربعةُ رجال في زَيِّ العرب ، إلى الدار التي هو بها ، وقد خرج من الحمَّام ، وليس عنده أحد ، وطلعوا إليه في مقعد هو به مظهرين إرادَة السلام عليه ، فاستنكرهم ، وقام وكأنَّ الدَّرج كانت ضيِّقة فأَعْجَلهم عن أن يصير الأربعةُ معه في المقعد ، فوصل إليه أَوَّلُهم ، وضربه بسكين في بطنه فاحْدَودب[4] فشقَّت ثيابه ، ولم تصل إلى بطنه ، فَحُقِّقَ ما يُحكى عن شجاعته أنه لطم الضارِبَ على عنقه ، فطارت السكينُ من يده بعيدًا ، فجذب خِنْجرًا ، ورفع يده ليضرب به فبادر بَيْغُوت يَدَه ليُمْسِكها ،

---

(١) أخِصَّاء السلطان : أيْ المقربين إليه مِن رجال دولته ، والعامَّة تقول : هذا خاصَّة فلان أيْ ملكه . « محيط المحيط » (٢٣٥) .

(٢) هو : بَيْغوت بن عبد الله من صَفَرْ خجا المؤيدي، الأمير سيف الدين المعروف بالأعرج ، نائب صفد ، ثم حماة ، ثم صفد ، مات بها في أواخر شعبان أو ثاني رمضان سنة ٨٥٧ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٣/٥٠٦ رقم ٧٤٥) ، و « الدليل الشافي » (١/٢١٠ رقم ٧٤٣) ، و « حوادث الدهور » (٣٥٦ – ٣٥٧) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٦٨) ، و « الضوء اللامع » (٣/٢٣ رقم ١١٦) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٤٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣) .

(٣) أشار (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (٧٦) أن سبب ذلك ، هو إعلان عصيانه على السلطان سنة ٨٥٤ هـ ، وانضمامه إلى العجل بن نعير .

(٤) فاحْدَودب : أي انحنى ، راجع « محيط المحيط » (١٥٢) .

فقصرت يدُه فإذا هي قابضةٌ على الخنجر ، فانجرحت ، وخرج في هذه الحال مملوكٌ من مماليكه من مبيت ذلك المقعد بسيف مِصْلَت[1] ، فضرب عنقَ البدوي ، وهرب رفقاؤه وَأُتِيَ بمن يُظَنّ أنه يعرف أَهَل البادية ، فلم يَعْرفه أحدٌ[2] .

ولاية ابن القطان

وفي يوم الخميس سابع عشري ربيع الأول المذكور وُلِّيَ البدرُ محمد[3] ابن البهاء محمد بن الشمس محمد بن القطان الشافعي قضاء طرابُلُس عن تقي الدين أبي بكر بن عز الدين ، فلم يتم ذلك ، بل عُزل بعد أن أُلْبِس الخِلعة بأيّام ، واستمر قضاؤها شاغرًا[4] ، حتى وليه ابن الزُّهري[5] .

موت الأسيوطي

وفي يوم السبت تاسع عشرينه ، مات البدر الأُسيوطي ، وكان يومًا قل أنْ رُؤِيَ مثله في شدة الحرّ ، وكثرة ، الشَّعَث[6] ، واختلاف الأَهْوِية الحارّة ، فقال بعضُ الناس (وأحسن) : إن جهنّم جديرة بأن تتنفس ، لاجتذابه ، فإنّ هذا الرجل كان في نهاية الوحَاشَةِ [٥] خَلقًا وخُلُقًا ، كان في أول مـا نشأ من مغاني العَرَب ، ويُحْكى عنه في ذلك عجائب ، ثم انتقل إلى القاهرة ، فتصرَّف في أبواب القضاة ففاق الرُّسُلَ

---

(١) مِصْلَت : أي السيف الصقيل الماضي . « القاموس المحيط » (١٥٧/١) .

(٢) راجع أخبار (يَبْغوت) مفصلة في « حوادِث الدهور » (٢٣ ، ٢٥ ، ٥٩ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ١٢١ ، ٣٥٦) .

(٣) وُلد بمصر ، بعد عصر يوم الجمعة ١٦ رمضان سنة ٨١٤ هـ بمصر . ومات في ضحى الجمعة ١٦ ذي القعدة سنة ٨٧٩ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣٤٨/٩ رقم ٦٠٠) ، و « شذرات الذهب » (٣٢٨/٧) .

(٤) في « الضوء اللامع » (١٠٥) : « وفي يوم الخميس سابع عشريه استقر صاحبنا القاضي بدر الدين بن القطان في قضاء طرابُلُس ، ثم عُزِل بعد أيّام ورُشح ولده عِوَضه ، وكلاهما لم يَلِ » .

(٥) هو : أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن رجب ، شهاب الدين البقاعي ثم الدمشقي الشافعي ويعرف بابن الزهري ، ولد يوم الجمعة ١٧ ربيع الثاني سنة ٨٠٦ هـ بالبقاع العزيزي ، فقيه ، أُصولي ، محدّث ، انتقل إلى دمشق ، والقاهرة ، باشر القضاء في أماكن مختلفة ، كالرملة ، وحماة ، وطرابلس ، وغزة ، وحلب ، مات في ربيع الآخر سنة ٨٧٨ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١ / ١٩٢) ، وراجع أخباره في « حوادث الدهور » (٨ ، ٥٥ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٨٣) ، و « ص ١٢٨ » من تاريخ البقاعي هذا .

(٦) الشعث : في « لسان العرب » (٤٦٦/٢) : « تَشَعَّثَ : تَلَبَّدَ شعره واغْبَرَّ » ولعل المقصود هنا هو تلبد الجو ، والغبار المثار .

في ذلك ، فصار وكيلًا في الأمور الصِّعاب ، واتَّسَعت معرفته في الجدل ، والخِصام ، والحِيَل التي تَبْطُلُ بها الحقوق ، ثم اتصل ببعض الأكابر ، لانطباعه في السخريّة ، ومعرفته بالخِصام في المحاكمات ، فَوُلّي قاضي القضاة علم الدين صالح البُلْقِيني[1] ، بسعيه في آخِر دولة الأشرف[2] ، فأقامه نَقِيبًا[3] له ، فحصل في ولايته تلك من الفساد ، أمْرٌ عظيم ، وكَثُر فيه القال والقيل ، فلم تطل مُدَّتُه ، ونَزَى للأسيوطي كثيرٌ من الأعداء ، فضبطوا عليه الكلمات التي اجترأ فيها على العظائم ، فإنه كان شديد الجُرْأة ، فادُّعِيَ عليه ، ثم نصره السَّفْطي[4] على أخصامه . وصَحِب ناظِرَ

---

(١) هو : صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ، القاضي علم الدين أبو البقاء ابن شيخ الإسلام السراج أبي حفص الكناني العسقلاني البُلْقيني الأصل القاهري الشافعي ، وُلد في ليلة الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ بالقاهرة ولي قضاء الشافعية في الديار المصرية في ٦ ذي الحجة سنة ٨٢٦ هـ ثم صرف بعد سنة وأكثر مِن شهر ، وتكرر عَوْده وصَرْفه ، حتى بلغ عدد مرات ولايته للقضاء سبع مرات استغرقت ثلاث عشرة سنة ونصف سنة . ومات يوم الأربعاء ٥ رجب سنة ٨٦٨ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١/٣٥١ رقم ١٢٠٥) ، و « حوادث الدهور » (٥٧٣ – ٥٧٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٣٣) ، و « الضوء اللامع » (٣/٣١٢ رقم ١١٩٩) ، و « الذيل على رفع الإصر » (١٥٥ – ١٨٤) ، و « حسن المحاضرة » (١/٤٤٤) ، و « نظم العقيان » (١١٩ رقم ٩١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٤٠) ، و « شذرات الذهب » (٧ / ٣٠٧) .

(٢) هو : الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال العلائيّ المعروف بالأجرود . راجع « هامش ٢٦ » (ص ٣) .

(٣) نقيبًا : جاء في « لسان العرب » (٢/٢٦٧) : « النقيب : عريف القوم ، والجمع نُقَباء ، والنقيب العريف ، وهو شاهدُ القوم وضمينهم » .

(٤) هو : محمد بن أحمد بن يوسف بن حجّاج القاضي ولي الدين السَّفْطي (نسبة لسفط الحناء مِن الشرقيَّة) القاهري الشافعي ، ولد سنة ٧٩٦ هـ ، أو ٧٩٠ هـ بالصليبة مِن القاهرة ، ومات يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة سنة ٨٥٤ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢/٥٩٩ رقم ٢٠٥٦) ، و « حوادث الدهور » (١٥٦ – ١٥٧) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥/٥٥٥) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٤٦١ – ٤٦٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٣٤ – ٣٣٧) ، و « الضوء اللامع » (٧/١١٨ رقم ٢٥٦) ، و « نظم العقيان » (١٣٩ رقم ١٣٤) .

الخاص ، الجمال يوسف بن كاتب جَكَم ، فتقدَّم عنده ، وصَحِب بعضَ الأمراء ، وكان حَظِيًّا عند الجميع ، لما فيه من منافِعهم الدنيوية ، وَعَظُم أمرُه ، واشتدَّ أذاه ، ثم عادَى ناظِرَ الخاص ، وانتقل إلى أبي الخير النحّاس فقدّر قُرْب انعكاس أبي الخير ، فأصلح بينه وبين ناظِر الخاص تَنَم[1] المؤيّدي أمير سِلاح ، واستمر مؤذيًا إلى أنْ أراح الله منه البلاد والعباد ، في اليوم المذكور ، وكان موته قبل ظهره ، ولم يخرج إلى يوم الأحد في مثل وقت موته ، ولم يُصَلّ عليه ، إلّا قليل ، وحدَّثني الجمال[2] بن السابق ، أن الشّهاب[3] بن صالح ، حدَّثه ، أن الحفّار الذي ألْحَده ، وضع بلاطَةً ، ثم صعد هاربًا مِن القَبْرِ ، فَسُئِل ، فقال : احترقت رجلي ، وعدّ الناسُ موتَه ، وموت اللَّذَين قبله ، وهما : الكاتب ، والحلبي من تنفسات الدهر ، ومن تنفساته أيضًا ، أنه عُزل حميد[4] الدين بن قاضي بغداد المدعي[5] أنه من ذرية الإمام أبي حنيفة ، من قضاة الحنفية بدمشق

عزل حميد الدين

---

(١) راجع « هامش ٥ » (ص ٧١) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود الجمال ، أبو عبد الله بن الأمير ناصر الدين أبي عبد الله بن القاضي ناصر الدين بن القاضي بدر الدين أبي عبد الله بن النور أبي الثناء الحموي المعرِّي المولد القاهري الوفاة الحنفي ، المعروف بابن السابق ، وُلِد في مستهل ذي القعدة سنة ٨١١ هـ بالمعرَّة ، ومات ليلة الخميس ٧ رمضان سنة ٨٧٧ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣٠٥/٩ رقم ٧٥٦) .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن صالح بن عثمان بن محمد بن محمد ، الشهاب أبو الثناء بن الشمس ابن الفخر .. المحيوي الأشليمي ثم الحسيني القاهري الشافعي نزيل البرقونية ، ويعرف بابن صالح ، ويُقال له أيضًا سبط السعودي ، ولكن شهرته بابن صالح أكثر ، ولد في العشر الأول مِن ربيع الأول سنة ٨٢٠ هـ بالحسينية ، ومات في القاهرة يوم الاثنين ١٠ شعبان سنة ٨٦٣ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١١٤/٢ رقم ٣٤٣) ، و « نظم العقيان » (٥٨ رقم ٣٩) ، و « شذرات الذهب » (٣٠٢/٧) .

(٤) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن محمد .. حميد الدين أبو المعالي بن التاج النعماني – نسبة للإمام أبي حنيفة النعمان – ، وُلِد في ٢٧ صفر سنة ٨٠٥ هـ ، ومات ليلة الأحد ٦ ربيع الأول سنة ٨٦٧ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٤٦/٧ رقم ٩٨) .

(٥) قال السخاوي ، في « الضوء اللامع » (٤٧/٧) : « وطُعِن في نسبه » . كما قال : « وقال =

في أوائل شهر ربيع الآخر ، أو أواخر الذي قبله ، وَوُلِّي الشيخ قوام[1] الدين ، والذي قام في ذلك السّراج[2] ابن المزلّق ، ناظر جيش دمشق ، وَجُهِّز مرسومٌ بالكشف عنه أيّام مباشرته ، فوصل الخبر بذلك في منتصف الشهر ، فهرب قاصِدًا القاهرة ، فرده الحاجب - وكان شديد البغض له - من الطريق بنحو خمسة عشر شرطيًّا ، وأراد تبييته في التّرسِيم[3] ، فَضَمِنه من يُوْثَق به ، فَمُكِّن من النوم في بيته ، ثم أصبح والِي الشُّرطَة[4] على بابِه

= شيخنا رحمه الله (يقصد ابن حجر العسقلاني) : وكان أبوه يدَّعي أنه من ذرية الإمام أبي حنيفة ، وأملى لنفسه نسبًا إلى يوسف بن أبي حنيفة كتبه عنه التقي المقريزي ، يَعْرف من له أدنى ممارسة بالأخبار تلفيقه » .

(١) هو : محمد بن محمد بن محمد بن قَوَام ، قَوَام الدين بن قوام الدين الرّومي الأصل الدمشقي الحنفي ، ويعرف بلقبه ، ولد في ٨ ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ ، وقيل سنة ٧٩٨ هـ بدمشق . تولى قضاء الحنفية بدمشق مسؤولًا بدون إرشاء غير مرة فحمدت سيرته ، ومات مصروفًا عن القضاء في ليلة الخميس ٨ ذي القعدة سنة ٨٥٨ هـ بمنزله بدمشق .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٧٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٦٦/٩ رقم ٦٩٥) ، و « نظم العقيان » (١٦٦ رقم ١٧٩) .

(٢) يبدو أن البقاعي قد خلط بين الأخوين : السراج عمر ، والبدر حسن ، لأن الذي ولي نظر جيش دمشق هو البدر وليس السراج ، راجع ترجمة السراج في « الضوء اللامع » (١٢٠/٦ رقم ٣٩٠) ، أما البدر ، فهو : حسن بن محمد بن علي بن أبي بكر بن محمد ، البدر بن الخواجا الشمس الحلبي الأصل الدمشقي ، مات بدمشق في ذي القعدة سنة ٨٧٨ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامِع » (١٢٦/٣ رقم ٤٨٥) ، و « تاريخ البصروي » (٦٣) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٥٠/٢) .

(٣) التّرسِيم : أمْرٌ بإقامة حرسٍ لمنع شخص مِن الهرب ، وحالة الشخص الذي أقيم عليه الحرس ، فهو حَجْزُ حريَّة ، ومنع مِن الخروج عقوبة عسكرية ، ويقال : جُعل تحت التّرسيم ، أي حُجِزت حريّته ، جعل في التوقيف . راجع : « تكملة المعاجم العربية » (١٤٠/٥) .

(٤) الشُّرطَة : تحدث (ابن خلدون) في « المقدِّمة » (٦٨٧/٢ - ٦٨٨) عن الشُّرطَة وذكر أنّ صاحبها يُسَمَّى في إفريقية (الحاكِم) ، وعند أهل الأندلس (صاحب المدينة) وفي دولة الترك (الوالي) ، وهي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة ، وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان ، وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لِمَن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدائها أولًا ، ثم الحدود بعد استيفائها . =

يطلبه لحضور مجلس الدعوى عليه ، وإذا على بابه نَعْشٌ لا يدري من أتى به . فلم يوقظه إلا هذه المصيبة ، فلما تحقق أمر الوالي ، والنعش لم يَرْتب في أنه ، أُمر بضرب عنقه ، وأن النَّعش أُحضر ليُحمل فيه ، فكادت روحُه تزهق ، ثم حضر المجلس ، فادّعى عليه التاج محمد بن الشهاب أحمد بن عرب شاه دَعاوَى هائِلة عِند القاضي الشافعي الجمال[1] بن الباعوني ، وألزمه في بعضها يمينًا فحلف ، فأقام البَيِّنَة بتكذيبه ، وكان عليه يومًا مشؤومًا ، ثم توالت عليه المراسِيمُ بالكَشْف فاستمر مُرَسَّمًا عليه ، بيّتَ على الباب الذي هو فيه عدة أُناس بالأسلحة خوفًا من أن يهرب ، ومازال في أسوأ حال ، بعدما كان يتجبَّر على الجبابرة ، ولهذا كانوا يبغضونه ، واستمر كذلك إلى أنْ جاءه بعضُ الفلاحين ، فاستراب به فَسُئِلَ عن أمره ، فقال : إن له معه كلامًا ، فاستدناه ، فلما قرب منه تنكّرت أحوالُه ، فخيف عليه منه ، فقبض جماعتُه عليه ، واستوثقوا منه ، ورُفِع إلى القلعة[2] ، فسئل ،

= رفع مِن مكانَةِ هذه المرتبة ، وقُلِّدت كبار القواد وعظماء الخاصَّة من مواليهم ، ولم تكن عامَّة التنفيذ في طبقات الناس ، إنما كان حكمهم على الدَّهماء ، وأهل الرِّيَب ، والضرب على أيدي الرعاع والفجرة .

كما أشار « المقريزي » في « خططه » (٢/٢٢٣) إلى أن الولاية هي التي يسميها السلف الشرطة ، وبعضهم يقول : صاحِب العسس ، وهو الطوّاف بالليل لتتبع أهل الريب ، وكان عبد الله بن مسعود هو أول من عس في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كما جاء في : « حسن المحاضرة » (٢/١٣١) : « والولاية صاحبها هو صاحب الشرطة » .

(١) هو : يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله بن عبد الرحمن ، الجمال أبو المحاسِن بن الشهاب الباعوني المقدسي ثم الصالحي الدمشقي الشافِعي ، وعُرف بالباعوني ، نسبة إلى باعون قرية صغيرة من قرى حَوْران بالقرب مِن عجلون . وُلِد يوم السبت ١٢ جمادى الآخرة وقيل : يوم السبت ١٨ منه ، ومات في ربيع الآخر ، وقيل : مستهل جمادى الأولى سنة ٨٨٠ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٧٥٧) ، و « الضوء اللامع » (١٠/٢٩٨ رقم ١١٦٢) ، و « تاريخ البصروي » (٧٢) ، و « نظم العقيان » (١٧٨ رقم ١٩٨) ، و « شذرات الذهب » (٧/٣٣٠) .

(٢) القَلْعَة : ويقال لها : (قلعة الجبل) ، وهي مقر السلطان في عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية ، ودار مملكته ، بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش للملك الناصِر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سنة ٥٧٢ هـ . =

فلم يعترف بسوء ، فأمر الحميد بعض جماعته أن يقفوا له بخيل ، في مكان سمَّاه ، في ساعة عَيَّنها ، ثم إنه في تلك الساعة ، قال للموكلين به ، أنه حصلت له جَنَابة ، فمشى معه بعضُهم ، فدخل إلى حمّام ذات بابين ، واستحيوا أن يدخلوا معه إلى الحمّام ، فخرج من الباب الآخر ، ثم أتى جماعته ، فركب ، وسار على غير طرق معروفة نحو وادي التَّيم[1] ، فلم يطلع خبره إلا من[2] ... » .

الدعوى على ابن الأشقر

وفي يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وخمسين وثمانمائه ، رَسَم السلطانُ ، بأن يُدَّعى على ناظر الجيش المحب بن الأشقر ، عند القاضي الشافعي ، الشرف المناوي ؛ من أجل تَرِكه عبد الرزاق ، التي ورث منها التركي ، وكان ابنُ الأشقر وَصِيًّا عليها ، فلم يزل التركي بعد ظهوره ، يقوم ويقعد ، حتى أثْبت في ذهن السلطان خيانته فيها ، فهزَّه غير مرة ؛ ليقدّم له من المال ما يكفّه به عنه ، فلم يفعل ما أرضاه ، فأوْقع به ما ذكر ، فأقام التركي وكيلًا ، فادّعى عليه أنّه اشترى مِن التَّرِكة أعيانًا ، باثنتين وسبعين ألفًا ، بغير طريق شرعي ؛ لِأنّ على التركة دَيْنًا ، فأجاب ،

= تقع على قطعة مِن جبل متصل بجبل المقطَّم ، ترتفع في موضع وتنخفض في آخر ، تقع في الجهة البحرية منها ، القاهرة ، ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش في الجهة القبلية الغربية ، وفي غربيها النيل الأعظم ، ومِن ورائها في الجهة الشرقية جبل المقطَّم .

وهي ذات سور وأبراج ، فسيحة الأفنية ، ولها ثلاثة أبواب : الأول مِن جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقلُّ أبوابها سالِكًا ، وأعزُّ استطراقًا ، والثاني باب السرّ وهو خاص بأكابر الأمراء ، وخواص الدولة ، والثالث بابها الأعظم أو « المُدَرَّج » المواجِه للقاهرة يدخل منه باقي الأمراء وسائر الناس .

للوقوف على معلومات مفصّلة عن القلعة . راجع : « صبح الأعشى » (٣٦٨/٣ – ٣٧٥) ، و « خطط المقريزي » (٢٠١/٢ – ٢٠٧) .

(١) وادي التَّيم : يُفهم مِن إشارة وردت عنه (للقلقشندي) في : « صبح الأعشى » (١٢١/١) ، وكذلك في « تاريخ البصروي » (٨٤ ، ١٢٨ ، ١٤١) أنه أحد أودية بلاد الشام .

(٢) ربع سطر في الأصل ، لم نستطع الجزم بتصحيحه .

بأنه لم يُبع من التركة شيء ، إلا بعد وفاء الدَّين بمقتضى هذا الإشهاد ، وأن الأعيان المذكورة لم يشترها إلّا مِمّن اشترى من التركة ، فقال التركي مُلَقِّنًا لوكيله : كان على التركة دينٌ آخر يعلمه . فأجاب : بأنه لا يعلمه . فسأله ، أَنْ يَحْلف على نفي العِلم فاستقال البائع لتلك الأعيان ، فأقاله ، فأُعلم بأنه قد أُطلق من التّرسيم ، فقال : لا أذهب إلى بيتي حتى يأذن السلطانُ ، فنام في المدرسة الزّمامية[1] ، التي على باب الشافعي بخط يقرب مِن البندقانيين[2] ، وشَقّ على الناس ما فُعل به ، فإنه رجل كبير القدر ، عظيم الخدمة ، قديم الشّرف ، حسن المعاشرة للناس ، محبّ للخير ، عديم الشّرّ ، ثم أُعلم السلطان بكرة الأحد سابع الشهر بما كان ، فَرسم بِتَخْلية سبيله ، وأمَر بأن تُفصَّل له جبّة[3] بفروسَمّور[4] فَلَبِسها يوم الاثنين ثامِنه ، وَبُذل في مقابلة ذلك – على ما بلغني – ألفي دينار ، وركب فى خدمته الناس ، ولم يتخلّف أحدٌ من القضاة ، والأكابر ؛ سوى القاضِي الشافعي ، ولامَهُ النّاس على ذلك كثيرًا ، وكأنه خاف من لوم السلطان له ؛ لكون الدعوى كانت عنده بأمر السلطان ، وغرضه كما اتفق للقاء يأتي

---

(١) المدرسة الزِّمامية : تقع بخط رأس البندقانيين مِن القاهرة ، فيما بين البندقانيين وسويقة الصَّاحِب ، بناها الأمير الطواشي زين الدين مقبل الرومي للسلطان الظّاهِر برقوق سنة ٧٩٧ هـ . راجع « خطط المقريزي » (٣٩٤/٢) ، و « الخطط التوفيقية » (٧/٦) .

(٢) خط البندقانيين : جاء في « خطط المقريزي » (٣١/٢) : « هذا الخط كان قديمًا اصطبل الجميزة أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين ، فلما زالت الدولة اختُطَّ وصارت فيه مساكن وسوق من جملته عدّة دكاكين لعمل قسي البندق ؛ فعُرِف الخط بالبندقانيين لذلك . راجع أيضًا « الخطط التوفيقية » (٣٣/٣) .

(٣) جبة: «ثوب مقطوع الكم طويل يُلْبس فوق الثياب». «محيط المحيط» (٩٠) وللمزيد من المعلومات عن الجبة راجع : « الملابس المملوكية » (٩٤) ، و « الملابس العربية الإسلامية » (٢٤١ – ٢٥١) .

(٤) سَمُّور : حيوان ثديي لاحم بري يستوطن أوراسيا الشمالية ، سميك الفراء ، بني أو أسود أو مشوب بالرمادي أو البني ، يشبه السنَّور ، يُتَّخذ مِن جلده فِراءٌ ثمينة ؛ للينها وخِفّتها وإدفائها وحسنها ، وزعم البعض أنه النمس وليس كذلك ، وربما أُطلق السَّمُّور على جلده ، والمولّدون يفتحون الميم ، فيقولون : سَمَّر » . « محيط المحيط » (٤٢٦) ، و« الموسوعة العربية الميسرة » (١٠١٦) .

عند دعوى أبي الخير النّحاس عنده على السفْطي ، فآثر مَلَامة الناس على ملامة السلطان ، وأما التركي ، فما تخلّف أحدٌ عن ذمّه ، وتبيّن أن الذين مالَؤوه على القضية : الدويدار الثاني تَمُرْبُغا ، والشرف الأنْصاري ، والقاضي الشافعي ، مع إظهار البراءة منه ، وكان هذا فاتح السّوء على ناظر الجيش ؛ لم يزل السلطان بعد ذلك يتعهده بالتهديد ، فيتعهده هو ببذل الذّهب حتى تضعضع حالُه ، ثم تزوّج التركي امرأة الولي السفْطي ، فعلمت امرأة عبد الرزّاق ، فلم تزل به ، حتى طلّقها ، فلم تُمَكّنه من شيء مِن مال ابنها مِنْه ، ثم أثبت الشرفُ الأنْصاري ، أنّ السفْطي كان طلقها ثلاثًا قبل موته ، فمنعها من ميراثها منه ؛ لأجل شؤم التركي ، والذي أثبت ذلك القاضي الشافعي ، فصار التركي مذبذبًا ، محرومًا ، نسأل الله الحماية ، ثم بعد ذلك راجع امرأة عبد الرزّاق ، وطلق امرأة السَّفْطي .

رجوع الإستدار

وفي يوم الخميس حادي عشره ، رجع الإسْتَدَّار ، والأميران ، اللذان كانا سافرا معه ، الأمير الكبير إينال العلائيُّ ، الشهير بالأجْرود ، وأمير مجلس تَنَم المؤيّدي ، الشهير بالمحتسب ، وطلعا إلى السلطان ، فخلع على كل منهم على العادة .

[وصول] يبغوت

وفي يوم الأحد رابع عشره ، وصل يَبْغُوت[1] ، الذي كان نائب حَمَاة ، ونزع يده من الطاعة وفرّ إلى جهنكير ، وطلع إلى السلطان ، فأظهر له القبولَ ، ونزل عند القاضي كاتب الكمال بن البارزي الحموي ، فأقام نحو شهر ، ثم أمره بالإقامة في دمشق ، وَرَسم له في كل يوم ثلاثة دنانير .

مقتلة حَوْرَان

وفي هذا العشْر ، وصل الخبر ، أنه كان في بلاد حَوْران[2] على قرية يقال لها الخَمَّان[3] وقْعَةٌ بين مَقْلَد ، وأبي بكر بن قُدَيم أميري عرب آل

---

(١) راجع خبره أيضًا في « النجوم الزاهِرة » (١٥/٤٣٤) .

(٢) حَوْرَان : « كَوْرة واسعة مِن أعمال دمشق مِن جهة القِبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارِع وحرار ، ومازالت منازل العرب ، وذكْرها في أشعارهم كثير ، قَصَبتها بصرى » « معجم البلدان » (٢/٣١٧) .

(٣) الخَمَّان : « مِن نواحِي البَثَنية مِن أرض الشام » « معجم البلدان » (٢/٣٨٨) .

مري ، قُتل فيها مائتا رجل ، منهم بعض أولاد القاق ، مُقَدَّم بلاد الجَيْدُورِ[1] ، وبعض أولاد حسين أمير عرب حارِثه وكانت الدولة فيها لمَقْلَد ؛ وذلك أنه رجلٌ شجاعٌ عفيـفٌ محَبَّبٌ إلى رعيته ، وكان أَمْرُه أعْلى ، وكان من عادة سلطان الزمان جَقْمَق الشركسي ، المُلَقَّب بالظاهر ، خَفض كلَّ من كان بهذه الصفة ، فعزله ، وَوَلَّى قريبَه أبا بكر بن قُدَيم ، فلم يَدِن له الناسُ ، فجمع ممن أطاعه ، من العشير[2] ، والعرب ، والتركمان ناسًا كثيرًا ، وسار بهم لقتال مَقْلَد ، وكان في مائتي فارس فقط ، فلمّا سمع بهم عرف أنه لا يُطِيقهم ؛ فرحل من طريقهم فَلَقّاه القدرُ إياهم على الخَمَّان ، فاضطر إلى قتالهم ، وسَلَّط الله عليهم[3] ريحًا مُظْلِمًا ، ضرب بها وجوهَهم ، حتى ضرب بعْضُهم بَعْضا ، فانهزموا ، فَقُتِل من تقدم ، وهرب ابنُ قُدَيم إلى الغُوْطَة[4] ، وكان السلطان قد أرسل بعضَ دويْدارِيّته ، لكشفِ أمرِ الرجلين ، ثم بدا له ، فأرسل في إثره أن يُلَبّس ابنُ قُدَيم خِلعَة ، فأرسل نائب الغَيْبَة[5] بدمشق إليه فألْبَسه الخِلْعَة ، وكان ناسٌ من أهل حَوْرَان قد أَتَوا إلى دمشق سائلين أن يُوَلّى مَقْلَد ؛ فإنَّ بلادهم

---

(١) الجَيْدُور : جاء في : « معجم البلدان » (١٩٧/٢) : « كَوْرة مِن نواحِي دِمشق ، فيها قرى ، وهي في شمالِي حَوْرَان ، ويُقال :إنها والجَوْلان كَوْرة واحِدة » .

(٢) العشير : هم بدو الشام والدروز . « النجوم الزاهرة » (٢٠١/١٢ هامش ٤) .

(٣) في الأصل (عليهما) والتصحيح بمقتضى السياق .

(٤) الغُوْطَة : قيل : المطمئن مِن الأرض ، وقيل : هي مجتمع النَّبات ، وهي الكَوْرة التي منها دِمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميْلًا ، تحيط بها جبال من جميع جهاتها خاصة شماليها وتنبع منها مياهها ، كلها أشجارٌ وأنهارٌ متّصلة ، تعتبر مِن أنزه بلاد الله وأحسنها منظرًا ، وهي إحدى جنات الدُّنيا الأربع : الصُّغْد ، والأُبُلّه ، وشعب بوّان ، والغُوْطَة ، وهي : أجلها . « معجم البلدان » (٢١٩/٤) .

(٥) نائِب الغَيْبَة : « هو الذي يُترك إذا غاب السلطانُ ، والنائِب الكافل ، وليس إلّا لإخماد الثَّوائر وخلاص الحقوق ، وحُكمه في رسم الكتابَة إليه رَسْمَ مِثله مِن الأمراء » « التعريف بالمصطلح الشريف » (٩٤ – ٩٥) ، و « صبح الأعشى » (١٧/٤ – ١٨) ، وراجع أيضًا : « هامش ٢ » (ص ٦٦) .

فسدت ، ولا يقدر على حفظها غيره ، فصادفوا ابن قُدَيم لابِسًا خِلْعة الاستمرار في ناحية ميدان[1] الحصا ، فرجموه .

قصة السفاري

وفي تاسع عشره ، أتى إلى الشيخ علي المحتسب[2] شخصان يخدمان شيخًا مُعْتَقَدًا في جامع عمرو في مصر ، يُقال له : السَّفاري[3] ، وأخبراه أنه أَمَرهما أن يضعا في عنقه زنجيرًا كان معهما وكذا في عنق نائبه عز الدين[4] الأنبابي ، وأنهما لا يقدران على مخالفة الشيخ ؛ خوفًا من ضرر يُعَجّل لهما[5] ، فأخذهما ، وطلع بهما إلى السلطان فضربهما يوم السبت العشرين منه ، ضربًا شنيعًا ، وأمرهما إلى المقْشَرة ، ونُودي عليهما ، هذا جزاء من يتكلم بما لا يعنيه ، وَضَرب والي مصر العتيقة ، منصور[6] بن

---

(١) مَيْدان الحصا : يقع هذا الميدان بمحلة جليلة ظاهر دمشق تسمى (القُبَيْبَات) . راجع « تاريخ البصروي » (١٧٨) .

(٢) هو : علي بن نصر الله الخراساني العجمي ، ويعرف بالشيخ علي الطويل ، ويقال له يا رعلي ، أو يَرْعَلَي الطويل ، وُلِد في حران في حدود سنة ٧٨٠ هـ ، ومات معزولًا في ذي القعدة سنة ٨٦٢ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٤٨٧/١ رقم ١٦٩١) ، و « حوادث الدهور » (٣٨٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٩٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٤٧/٦ رقم ١٢٩) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥٩) .

(٣) عُرف بمحمد السَّفَاري نزيل جامع عمرو بن العاص . « حوادث الدهور » (١٠٦) ، و « النجوم الزاهرة » (٥/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٨) .

(٤) هو : عبد العزيز بن يوسف العز الأنبابي الشافعي نائب الحسبة ، وناب في القضاء أيضًا ، لم يكن بالمرضي في مباشراته ونياباته ، مات يوم الجمعة ٦ شوال سنة ٨٧٢ هـ . « الضوء اللامع » (٢٣٩/٤ رقم ٦١٤) .

(٥) في « حوادث الدهور » (١٠٦) : « ومعهما جنزيران وباشتان ، وقالا له : الشيخ يأمرك أن تجعل في عنقك أحد الجنزيرين والباشتين ، والآخرين في عنق عز الدين » . قارن أيضًا بما جاء في « التبر المسبوك » (٣٤٨) .

(٦) لم أعثر له ترجمة ، إلّا أن هناك إشارة في : « حوادث الدهور » (٢٢) تفيد بأنه عُزل عن ولاية القاهرة على كره منه في يوم السبت عاشر ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ ، كما أشار إليه (ابن إياس) في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٣٦/٢) على أنَّه أحد ولاة القاهرة أيام (الظاهر جَقْمَق) .

علاء الدين علي الطبلاوي ؛ لكونه مكّنهما من الباشتين ، والزنجير ، فحلف له أنه لم يكن ذلك بعلمه ، فلم [٦] يصدقه ، ثم أطلقه ، وأمر والي القاهرة جانِبَك السَّاقي[١] أن يُحْضر السّفّاري ، فأرسل إليه دويداره ، فأتاه ، فإذا هناك خلقٌ ، قد ملأوا ، جامع عمرو ، فَبَلَّغه أنّ السلطان يريد رؤيتَه ، فتغيّر حالُه ، وظهر عليه الجذب[٢] وخلَّط في الكلام ونُقل أنّه قال : إن السلطان يموت لتسعة عشر يومًا[٣] ، فأخبر السلطانُ أنه غير عاقل ، فتركه ثم أخرج خادميه ، من المَقْشرة بعد أيام[٤] .

الحمصي

وفي يوم السبت خامس[٥] شهر ربيع الآخر ، وصل السّراج الحمصي[٦]

---

(١) هو : جانِبَك بن عبد الله اليشبكي الساقي ، خُلِع عليه بولاية القاهرة في يوم السبت ١٠ ذي القعدة سنة ٨٥١ هـ ، ومات يوم الخميس ١٨ ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٢٣٧/٤ رقم ٨٢٣) ، و « الدليل الشافي » (٢٣٧/١ رقم ٨٢٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٦١/٣ رقم ٢٤٩) ، و «بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر » (٨) .

(٢) الجَذْب : جاء في « محيط المحيط » (٩٧) « الجذب عند أهل السلوك عبارة عن جذب الله تعالى عَبْدًا إلى حضرته » و « المجذوب اسم مفعول ، وهو في اصطلاح الصوفيَّة من ارتضاه الحق سبحانه لنفسه واصطفاه لحضرة أُنسِه وطهّره بماء قدسه ، فحاز مِن المنح والمواهب ما فاز به في جميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعِب » .

(٣) في « حوادث الدهور » (١٠٧) أنه قال : « إن السلطانَ يموت في حادي عشري جمادى الأُولى منها » [أي سنة ٨٥٥] .

(٤) قارن بما ورد في « حوادث الدهور » (١٠٦ – ١٠٧) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٨) .

(٥) هكذا ورد في الأصل ، وهو مخالف للتسلسل التأريخي للأحداث ، والذي حرص البقاعي على الإلتزام به ، ولم أجد ما يمكن تصحيحه عليه في المصادر الأخرى ، فهل هذا خلل في منهج البقاعي التأريخي وهو نادر الحدوث عنده ، أم أنه وهم منه لم يقصده ، فقال : (ربيع الآخر) بدل أن يقول (جمادى الأولى) على كل لم تتوفر القرائن الكافية التي يمكن بها الأخذ بأحد الرأيين .

(٦) هو : عمر بن موسى بن الحسن السراج القرشي المخزومي الحمصي ثم القاهري الشافعي ، ويعرف بابن الحمصي ، ولد بها في رمضان سنة ٧٧٧ هـ ، ولي عدة وظائف منها مشيخة الصلاحية ببيت المقدس ونظرها ، ورشح لقضاء مصر ، وكتابة سرها إلّا أن ذلك لم يتم له ، مات بطّالًا في صفر سنة ٨٦١ هـ ببيت المقدس .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٨٥/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٣٩/٦ رقم ٤٣٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤٤) .

شيخ الصلاحية[1] ببيت المقدس إلى القاهرة ، ووصل التاج ابن عرب شاه ، ومعه ما أثبت على ابن قاضي بغداد وقاضي الحنفية بدمشق ، من المحاضر .

عَـزل كاتب السر

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى سنة ٨٥٥ هـ عُرِّف السلطان ، أنه وصل إلى نائب بعض البلاد الشمالية مراسيمُ مُزَوَّرة ، فغضب السلطانُ على كاتبِ السرّ ، الكمال البارِزِي ، وأساء له القوْل ، ومنعه من المباشرة عنه ، ثم تبيّن له ، أن الذي أفْسد المراسيمَ صاحبُها ، وذلك أنه كشط شيئًا ، وأثبت مكانه غيْره ، فثبتت براءة القاضي ، كاتب السرّ ، فطلبه السلطانُ ، واعتذر إليه ، وألبسه خِلعَة ، يوم السبت ثاني عشر الشهر ، وأمر المباشرين ، من المتعممين[2] ، والجند ، أن يشيِّعوه إلى بيته .

وفي هذا الحدّ ، وصل محضرٌ فيه خطوط جماعة من حنفية دمشق ، بالثناء على ابن قاضي بغداد ؛ بالعفّة ، وإيصال المعاليم إلى مستحقيها ، وحسن المعاشرة ، فأمر السلطان بإطلاقه ، من التّرسِيم .

موت السَّفاري

وفي يوم الجمعة حادي عشر الشهر ، مات[3] السفّاري ، الذي حُبس خادماه في المَقْشرة ، من أجل المحتسب ، فزاد موتُه السلطانَ عُتُوًّا ، وجبريّة ؛ لِأجل أن الأمر الذي أخبر به انقلب عليه ، ورأيت سيدي[4]

---

(١) الصلاحية : مدرسة بالقرب مِن البيمارستان النّوري بناها نور الدين محمود بن زنكي الشهيد ، ونسبت إلى الملك الناصِر صلاح الدين فاتح بيت المقدس ، وقد جاء في « البداية والنهاية » (٣٢٦/١٢) أنّ صلاح الدين بنى في سنة ٥٨٣ هـ ، بعد فتحه لبيت المقدس مدرسة يُقال لها (الصلاحِيَّة ، والناصرية) . راجع « الدارس » (٣٣١/١) .

(٢) المباشرون مِن المتعممين : هم الموظفون الذين يلبسون على رؤوسهم نوعًا مِن العمائم (بقيار) . راجع « نظم دولة سلاطين المماليك » (٨١/٢) .

(٣) ورد خبر موته في : « حوادث الدهور » (١٠٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٥/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٨) .

(٤) هو : يوسف بن تغري بردي ، الجمال أبو المحاسِن بن الأتابكي اليشبغاوي الرومي ، نائب الشام ، وُلِد في شوال سنة ٨١٣ هـ ، وقيل ٨١٢ بالقاهرة ، وهو صاحب المصنّفات : المنهل الصافي =

يوسف بن تغري بردي ، يؤوِّل ما نُقِل عنه بأنّه لم يفصح للناس ، بل قال : بعد تسعة عشرَ يومًا نستريح منه ، أو نحو هذا ، فظنوا أنه يعني بموت السلطان ، فنقلوه ، وما عني إلا موت نفسه رحمه الله[1] .

الشيخ محمد الحنفي

وفي هذا الشهر أعطى شخصٌ من المغاربة اثنين ممن يتـردَّدا إلى زاوية[2] الشيخ محمد[3] الحنفي ورقةً فيها : أن بمكان يُقال له : دير البغل[4] خبيّة[5] ليس عليها مانع فذهبا ، فَحَفَرا ، ثم قال أحدهما للآخر : قد تعِبْنا ، فنذهب ، ونعود في وقت آخر . ففعلا ، ثم سأل ذلك القائل في المعاودة ،

= والمستوفي بعد الوافي ، والدليل الشافي على المنهل الصافي ، وحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وغيره مات في « ذي الحجة سنة ٨٧٤ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣٠٥/١٠ رقم ١١٧٨) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١١٨/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣١٧/٧) .

(١) راجع ذلك في « حوادث الدهور » (١٠٧ – ١٠٨) .

(٢) زاوية : قد تطلق على مصلى في الجامع ، وعلى شقة في بناية المسجد يتلقى فيها الطلاب دروسهم ويدرسون فيها ويكتبون منزوين عن الناس وعلى الحجرة المنفصلة ، وعلى المسجد الصغير . راجع هذه المعاني وغيرها في « تكملة المعاجم العربية » (٣٩٢/٥) .

(٣) هو : محمد بن حسن بن علي ، شمس الدين القاهري الصوفي الشاذلي الحنفي ، المعروف بالشيخ الحنفي ، ولد في سنة ٧٦٧ تقريبًا ، وكان في بدايته يقرئ المماليك بأطباق القلعة ، ثم فتح له حانوتًا ، ثم ترك ذلك وانقطع عن الناس ، وعرف بالخيروالديانة ، عظمّه الظاهر طَطَر وأنعم عليه عندما تسلطن بإقطاعات هائلة . له زاوية عُرفت بزاوية الشيخ محمد الحنفي تقع خارج قنطرة طُقُزْ دَمُرْ خارج القاهرة . مات في أوائل ربيع الأول سنة ٨٤٧ هـ ، وهو في حدود الثمانين .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٤٠) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٠/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٨٤ – ٨٥) .

(٤) دير البغل : جاء في « خطط المقريزي » (٥٠٢/٢ – ٥٠٣) ، أنه هو دير القصير ، ويقع في أعلى جبل المقطم على سطح في قلّته ، وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نَزِه البقعة ، له بئر منقورة في الحجر يُستقى منها الماء ، مطل على القرية المعروفة بشهران ، وعلى الصحراء والبحر ، وقد عُرف باسم « دير البغل » ؛ لأنه كان به بغل يُستقى عليه الماء ، فإذا فُرغ منه تُرك ، وعاد إلى الدّيرْ ، وقد هدم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، هذا الدير في رمضان سنة أربعمائة .

والدير عند النصارى يختص بالنسّاك المقيمين به ، بينما الكنيسة مجتمع عام لصلاتهم .

(٥) خبيَّة : الخَبيَّة عِند العامَّة ، الكنوز التي دُفِن فيها مالٌ مِن القديم . « محيط المحيط » (٢١٣) .

فلم يفعل فذهب صاحبُه ، فوجد حَفْر المكان أوسع مما كان ؛ فاتَّهم صاحبَه ، بأنه كادَه حتى أخذ ما في المكان ، فأتى إليه ، فلم يُقِرّ له بشيء ، فأخبر شخصًا من الجند ، فأتى إليه ، فهدّده ، فأصرّ على الإنكار ، فضربه ، ثم ذهبوا إلى الزاوية ، ليوفق بينهم الشيخ أبو الفضل[1] بن الشيخ محمد ، فسأل المتهم أن يدفع إلى صاحبه خمسة دنانير ، بعد أن كان يطلب خمسمائة دينار ، ويتوعّدُ بأنواع الوعيد ، ثم ذهبوا ، فاتّسع خوف المتّهم ، فخنق نفْسَه بحبْل معلَّق في بيته ، فخاف الجندي ، فأخبر السلطان بالخبر ، وحَرَّفه ، فطلب الشيخ أبا الفضل يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الأولى سنة ٨٥٥ ، وأراد ضَرْبه ، فلم يُقَدّر له ذلك ، فأمر بزنجير ، فوضع في عنقه ، وأُنزل إلى بيت الوالي ، إلى القصر ، الذي تجاه الكامِليّة[2] ، فشقّ ذلك على الناس عامّة ؛ فإنه شاب نشأ في عبادة الله ، من أهل العلم ، والدين ، والكرم ، والعقل ، وأرسل الشيخ كمال[3] الدين بن الهمّام ،

---

(١) هو : عبد الرحمن بن محمد بن حسن بن علي أبو الفضل بن الشمس الحنفي ، يقول السخاوي : « وسماه بعض المؤرخين محمدًا وهو غلط » ، نشأ بالقاهرة في كنف والده ، فاشتغل وعقد المعياد في زاويته في حياته ، ثم بعده ، ودار حوله بعضُ أتباع أبيه ، ولكنه لم يرتق لناموسه ووجاهته ، مات في ليلة السبت ٨ ذي الحجة سنة ٨٦٨ هـ بجزيرة أَرْوَى المعروفة بالوسْطَانية ، وحمل ودُفن بزاوية أبيه .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٧٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٣٤) ، و « الضوء اللامع » (٤/١٢٩ رقم ٣٣٩) .

(٢) الكامِليّة : مدرسة تقع بخط بين القصرين بالقاهرة ، وتعرف بدار الحديث الكاملية ، أنشأها السلطان الملك الكامِل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سنة ٦٢١ هـ ، أو ٦٢٢ هـ ، وهي ثاني دار عملت للحديث بعد دار الحديث التي أنشأها نور الدين محمود بدمشق ، وليس بمصر دار حديث غيرها وغير دار الحديث التي بالشيخونية . « خطط المقريزي » (٢/٣٧٥) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٢٦٢) ، و « الخطط التوفيقة » (٢/١٣ ، و ٦/٤) .

(٣) هو : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود ، الكمال بن همَّام الدين بن حميد الدين بن سعد الدين السيواسي الأصل ثم القاهري الحنفي ، ويعرف بابن الهمام ، ولد سنة ٧٨٨ ، أو ٧٨٩ ، أو ٧٩٠ هـ ، ومات يوم الجمعة ٧ رمضان سنة ٨٦١ هـ . =

ورقة أطنب فيها في مدح هذا الشاب ، وَبتَرْبِيَتِه ، فكان جوابه الوقيعة في والده ، ونِسْبته إلى أكل الدنيا بالدين ، فقال له رسول الشيخ : قال الله تعالى : ﴿ ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[1] . فلم تنجح فيه موعظة ، وحُرِّض المباشرون : كاتِبُ السّر ، وناظرُ الخاص ، والوزيرُ ، والإسْتِدارُ ، والدويدارية ، وغيرهم ، على الشفاعة فيه صبيحة الخميس ، فَعَلِم السلطانُ ذلك ، فافتتحهم بإظهار الغضب ، وفَرْط الحَنْق ، حتّى رأوا أن الصوابَ الكفّ عن الكلام فيه ، وكان هذا دَأْبه ، إذا كان له غرضٌ في شيء ، وخاف أن يُثنى فيه عن مراده ، أظهر الغضَب لكل من يتوهَّم كلامَه فيه ، ثم أذِنَ الله تعالى وله الحمد فأطلقه ، يوم السبت تاسع عشر الشهر[2] .

مناداة البحر

وفي يوم الاثنين[3] حادي عشري الشهر ، وهو الموافق لسادس عشري بؤونه[4] ، من سنة القِبْط ، نُودِيَ على البحر بزيادة ثلاث أصابع ، وكانت قاعدته أربعة أَذْرع ونصف ، بعد أن كان احترق احتراقًا ، قلّ أن عُهد مثلُه ؛ بحيث أن بحر الروضة نشف من نحو خمسة مواضع ، فكان يمْشي فيما بينها ، وبين مصر من تلك المواضع ، من أراد مشيًا ، وأخبرني غير واحد من الثقات الأثبات ، أنه ليلة نزول النقطة أتى القاضِي كاتبُ السّرّ الكمال البارزي بثلاث قطع طين كل واحدة وزن ستة عشر درهما،

= له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢/٦٥٠ رقم ٢٢٣٦) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٨٧) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٥٨٩ - ٥٩١) ، و « الضوء اللامع » (٨/١٢٧ رقم ٣٠١) ، و « حسن المحاضرة » (١/٤٧٤ رقم ٥٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤٦ - ٤٧) ، و « شذرات الذهب » (٧/٢٩٨) .

(١) الأنعام / ١٦٤ .

(٢) راجع : « التبر المسبوك » (٣٤٩ - ٣٥٠) .

(٣) في « حوادث الدهور » (١٠٨) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٠) الأحد العشرين منه .

(٤) بؤونه : وترسم أحيانًا (بؤنة) ، وهو الشهر العاشر مِن أشهر القِبط ، ودخوله في ٢٥ أيّار مِن شهور السُّريان ، وآخره ٢٣ مِن حزيران ، وفي ٢٢ منه يَعْقِد الجوز ، ويقوى اندفاع النيل ، وفي ٢٧ منه يؤخذ قاعُ النيل، وفي الثامِن والعشرين منه يُنادى عليه . « صبح الأعشى » (٢/٣٨٧ - ٣٨٨) ، و « خطط المقريزي » (١/٢٧٢ - ٢٧٣) .

وبوزن إحداها قمحًا، فبَيَّتَ إحدى القطع في خزانة في قاعته ، وأخرى فى القاعة ، وأخرى تحت السماء ، وكذا القمح ، ثم وزن ذلك في النهار ، فوجد قطع الطين قد زادت كلّ واحدة منها أربعة قراريط ونصف سواءً ، لم تزد واحدةٌ منها عن الأخرى شيئًا ، ووجد القمحَ قد نقص وزن نصف درهم ، وقالوا إن القاعدة ، المجرَّبة في مثل ذلك ، أنّ الله تعالى أَجْرَى العادَة ، أن يزيد البحرُ لكل قيراط من زيادة الطين ذراعًا ، بعد السِّتة عشر ، وينقص سعر القمح إن نقص وزنه ، ويزيد إن زاد ، وقد وقع ذلك في القمح ، نقص سعره عما كان كثيرًا ، فإنه كان قد وصل الإردبُّ[1] منه إلى ستة دنانير، فنقص ثلاثة ، نسأل الله الزيادة ، وأن يحقق أمر الطين ، كما حقق أمر القمح ، وتناقصت أسعارُ الحبوب بدخول الجديد منها ، وبزيادة البحر، بعد أن كانت عزّت عِزّة زائدة ، حتى قارب سعرُ الفول سعرَ القمح ، وهو ستة دنانير ، وكان الحال في هذا العام شديدًا من جهة الغلا جدًّا ، انكشف فيه حالُ غالب الناس ، وصار كثير من المستوردين سائِلا، لكن الذي كان يخفّف الأمرَ ، ويسكّن الرَّوْعَ ، وجود الخُبْزُ والدقيق ، وقد كان الظّنُّ قاضيًا بعدْمه ، أو عِزَّة وجوده ، وكنت أتعجب من وجوده ، ولا أدري سببه إلى أن أخبرني الشيـخُ علي العجمي المحتسب : أنه رأى الترفّق للطحانين ، والخبّازين ، فكان لا يغفل عن افتقادهم ساعة واحدة ، من النهار ، فإذا أُخْبر ، أنَّ الخبازَ ترك الخبزَ أحضره ، وسأله عن سبب ذلك ، فيخبره ، أن الطحّان لم يُحضر إليه دقيقًا ، فيرسل إلى الطحّان المقرَّر له ، فيسأله ، فيخبره أن تجّار القمح لا يأخذون منه ، من ثمن القمح إلا ذهبًا ، وأن الخباز لا يعطيه إلا فلوسًا ، قال : فأترفّق به ، وأترفق له ، وأعطيه الثمن من عندي ذهبًا ، وآخذ الفلوس ، فأصرفها ، وأخذت من

---

(١) الإرْدَبّ : من المكاييل، ويختلف مقداره مِن بلد إلى آخر، وفي مصر ستّ وَيْبات ، الوَيْبة أربعة أرباع ، الرُّبع أربعة أقداح، القدح مائتان واثنان، وثلاثون درهمًا ، وهو الإردب المتعامل به . « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار / دولة المماليك الأولى » (٨١) ، و « صبح الأعشى » (٤٤١/٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٢١/٢) .

السلطان ذهبًا ، فكنت أستعين به على ذلك . قال : وربما كنت أسعى في تيسير أمر بعض الخبازين ، من المغرب ، فما أفرغ منه إلى نصف الليل ، أو بعد ذلك ، وجمعت الطحّانين ، وطلعت بهم إلى السلطان ، وسألته أن يكلمهم كلامًا حَسَنًا ، ويعِدهم الخيرَ إذا سَدُّوا أمر البلاد ، إلى مجيء النيل ، ففعل ، فسرُّوا بذلك كثيرًا . قال : وكنت لا أغفل عن اجتلاب القمح من سائر البلاد ، وتركتهم من الأمر والنهي ، فكانوا يبيعون كيف شاءوا ، وبأي ثمن أرادوا ، حتى طمأن الله العباد ، بمجيء البحر الذي لا يقدر عليه أحد سواه . فشكرته لعمري على ما صنع ، وما وصل ، وما قطع ، جزاه الله خيرًا آمين .

وصول حميد الدين

[٧] وفي نحو العشرين من جمادي الأولى، وصل حميد الدين بن قاضي بغداد ، قاضي الحنفية بدمشق ، إلى القاهرة ، هاربًا مما حل به في دمشق عقب عزله[١] من سوء التراسيم ، وتسليط أُولِي الغدر على الفتك به .

رد نساء جهنكير

وفي هذا الحد ، بلغ السلطان ، أنّ نساء جهنكير اللاتي كان النوّاب ردّوهنّ ، وأرسل هو يعيب على النُّوَّاب ذلك فاستقدمهن بلغه أنهن وَصَلْن إلى دمشق جائِيات ، فجهّزَ مرسومًا على يد بريدِي ، بردِّهن .

المرتد

وفي هذا الشهر عُثر على شخص من ريف مصر ارتدَّ ، بعد أن كان نصرانيًّا فأسلم ، فَرُفع إلى قاضي المالكية ، الولي السّنباطي ، فسأله عن ذلك ، فاعترف ، فعرض عليه الإسلامَ ، فأَبى ، فقال له : هل عليك دَيْنٌ ، فيُوَفَّى ، أَوْ لَكَ ظُلَامة عند أحد ، فتَنْتصر فيها ، أو لِأَحد عليك طلْبة فيُرْضَى ، فقال : لا . فوعظه ، وخوَّفه ، فأبى إلا الموت على دِيْن النصارى ، فضُرب عنقُه ، يوم السبت سادس عشري جمادى هذا ، تحت

---

(١) راجع « ص ١٠٧ » .

الصالحية[1] ، وسحبته العامة ، فأحرقوه ، خارج البلد ، على عادتهم في مثله .

نصاب وابن عبد القادر

وفي هذه السنة أرسل السلطانُ إلى الأمير مبارك[2] شاه ، نائب القدس ، بالقبض على محمد بن سليمان القادري ، شيخ جبل نابُلُس ، وإلى ابن أيوب ، نائب السَّلْط[3] ، بالقبض على نصاب أمير عرب البَلْقَاء[4] ونواحيها ، فأمّا ابن أيوب فكان بينه ، وبين نصاب مصاهرة ، فأرسل إليه ، ليَحضر نكاح شخص من خاصَّته ففعل ، فقبض عليه في ربيع الأول من السنة ، وأمّا نائب القدس ، فأرسل يستمهل ، ثم لم يزل يخادع ، حتى عمل مهمًا لختان أولاده ، واستدعاه ، فقبض عليه في هذا الشهر ، فأما نصاب ، فإنه مات في السجن حَتف أنْفه ، في شهر رجب من السنة فيما أظن ، وأما ابن عبد القادر فاستمر مسجونًا في القدس إلى أن أُخذ صاحبه منه عشرة آلاف دينار ، ثم لم يقنع منه بذلك ، فأمر أن يُضرب خمسمائة سوط فَفُعل ، فلم يوجد عنده زيادة ، على ذلك ، فأُقدم إلى القاهرة ، ثم

---

(١) الصّالحية : مدرسة بخط بين القصرين مِن القاهِرة ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامِل ، شرع في بنائها في ١٣ ذي القعدة سنة ٦٣٩ هـ . وهي من أجلّ مدارس القاهِرة إلّا أنه تقادم عهدها فَرَثَّت . « الخطط المقريزية » (٢/٣٧٤) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٢٦٣) ، و « الخطط التوفيقية » (٦/٩) .

(٢) هو : مبارك شاه السيفي سودون من عبد الرحمن ، تولّى وعُزِل عن نيابة القدس ونيابة الكَرَك أكثر من مَرَّة . راجع أخباره في « حوادث الدهور » (٤٥ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٧٢ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ٤١٩ ، ٤٣٤) ، و « بدائع الزهور » (١١٢ ، ١٢٧) .

(٣) السَّلْطُ : أو الصَّلْتُ ، بلدة لطيفة مِن جُنْدِ الأُرْدُنّ ، في جبل الغور الشرقي ، جنوب عجلون على مَرحلة منها . « التعريف بالمصطلح الشريف » (٢٢٨) ، و « صبح الأعشى » (٤/١٠٦) .

(٤) البَلْقَاء : كَوْرة مِن أعمال دِمشق ، بين الشام ووادي القُرَى ، مَصبتها عَمّان ، وفيها قرًى كثيرة ومزارع واسعة، سمّيت بالبَلْقاء بن سوريّه من بني عمّان بن لوط ، وهو الذي بناها. « معجم البلدان » (١/٤٨٩) ، و« صبح الأعشى » (٤/١٠٦) ، و « الروض المعطار » (٩٦ – ٩٧) .

أُمر به إلى إسْكندرية ، ليُسجن بها ، كما يأتي .

وفي أواخر جمادى الأولى ، أخذ الفرنج مركبين من مراكب مسلمي الروم ، من قرب ميناء إسكندرية ، بعد أن كان بينهم قتال شديد ، ساعة من النهار ، بمرأى مِنْ أهلِ إسكندرية ، ولم يكن عند نائبها مِن القوة ، والسفن ، ما يمدهم به ، فلا قوة إلا بالله .

دخول بنت عبد الباسط

وفي يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة ، نُقِل جهاز بنت عبد الباسط ابن خليل الدِّمشقي ، زوجة السلطان إلى القلعة . وفي ليلة الخميس ثامنه ، بين المغرب والعشاء ، طلعت هي في محفَّة ، وفي خدمتها من النساء على حمر المكارية والخدّام ، الذين يعرفون الآن بالطّواشِيَّة[1] ، السود ، والبيض ، والمماليك على الخيول المسَوَّمة[2] شيء كثير ، والغلمان في خلالهم ، بالفوانيس ، والمشاعل ، فأُصلح في يوم الخميس هذا من شأنها ، ثم بنىء السلطان بها ليلة الجمعة تاسعه ، فلم يقدر على افتضاضها ، واستمرت عنده ، ليس له منها إلّا التقبيل، حتى أَوْرَم شفتها ، فيما يُقال .

ابن خلف

وفي يوم الخميس هذا رُفع إلى السلطان أن القاضي أبا الخير[3] همام الدين بن خلف الترساوي الشافعي ، الحاكم بقناطر السبّاع[4] ، اختلس

---

(١) الطواشية : هم الخصيان أو الخدم ، ينقسمون إلى عدة أقسام أجلهم مقدّم المماليك السلطانية ، قسم سوّاقون بالطباق ، وقسم على الأبواب ، وقسم كتانيّة وقسم على باب السّتارة . راجع « التعريف بالمصطلح الشريف » (١٠٥) ، و « صبح الأعشى » (٤٧٧/٣ ، ٤٨٩/٥) ، و « زبدة كشف الممالك » (١٢٢) ، و « العصر المماليكي » (٤٣٣) . وجاء في « الخطط التوفيقية » (٧١/١١) ، أن طواش لفظة تركية ، أصلها (طابوش) ، فتلاعبت بها العامَّة ، وقالوا : طواشي .

(٢) الخيل المسوّمة : جاء في « لسان العرب » (٢٠٤/١٥) ، الخيل المسوّمة ، المرسلة وعليها ركبانها ، والخيل المسوّمة هي التي عليها السيما والسومة وهي العلامة.

(٣) جاء في « التبر المسبوك » (٣٥٠) ، « وفي يوم السبت المذكور [أي عاشر جمادى الأولى] ضرب شمس الدين بن خلف أحد نوّاب الشافعية بين يدي السلطان ، ثم رسم إلى المقشرة ؛ لريبة ظهرت في شهود مجلسه ، هذا بعد أن كان للسلطان عليه إقبال بحيث رتب له في الجوالي وغيرها » .

(٤) قناطِر السّباع : أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على خليج مصر الكبير ، ونصب عليها سِباعًا مِن الحجارة ، فقيل لها : قناطِر السباع مِن أجل ذلك . « خطط المقريزي » (١٤٦/٢) .

شهودُ مجلسه شيئًا ، واسْتَحَسَّ هـو عليهم ، وكان يصحب السلطانَ ، وأبوه من قبله ، وكان لهذا على السلطان مرتَّب ، فطلبه السلطانُ ، وضربه ، وضرب بعضَ شهودِه ضربًا شديدًا ، وأمر بهم إلى المَقْشرة ، وقطع مرتَّب القاضي ، ثم سُعي فيهم فأُطْلقوا آخر يوم الجمعة عاشره ، وكان شخصٌ من نُوّاب الحنفي ، يُقَال له ابنُ شِيرِين[1] (بالشين المعجمة) قد رُمِيَ قبيل هذا بيسير بالتّزوير ، فأمر السلطانُ بعزل نوّاب القضاة أجمعين ، ثم عيّن لكل قاضٍ عِدّةً من النواب ، لا يتجاوزها ، فعين للشافعي عشرة ، وللحنفي ستّة ، وترك المالكي والحنبلي ، على حالهما ، ثم أُطلق للشافعي استثناءه من يريد ، وأمر أن يمنعهم من الحكم ، في الدكاكين ، فكانوا يحكمون في بيوتهم ، وفي المدارس .

ابن بكّور

وفي يوم الاثنين ثالث[2] عشر جمادى الآخرة هذا ، أنهى إلى السلطان القاضي عزّ الدين بن بَكُّور الشافعي زورًا على شخص نصراني ، وكان يمقته قبل ذلك مع صحبته له ، وتردّده إليه ، فضربَه ، وأمر به إلى المقشرة ، مكشوف الرأس ، راكبًا حمارًا ، يُنَادى عليه ، هذا جزاء قاضٍ يزوّر المساطير[3] ، فَشُقّت به البلدُ ، من القلعة ، إلى المقشرة ؛ وهي في باب الفتوح[4] على هذه الحالة ، ثم أخرجه يوم الثلاثاء رابع عشره ، وخلع عليه .

---

(١) هو : محمود بن يوسف بن مسعود الكمال العجمي الأصل القاهِري الحنفي ، يُعْرف بابن شِيرين ، ناب عن السعد الدِّيْرِي ، ومات في ذي القعدة سنة ٨٧٥ هـ . « الضوء اللامِع » (١٤٩/١٠ رقم ٥٩٢) .

(٢) راجع الخبر في « التبر المسبوك » (٣٥٠) ، و « الضوء اللامع » (١٤٩/١١) . وقد جاء فيهما أن ذلك كان في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة .

(٣) المساطير : جاء في « لسان العرب » (٢٨/٦) : « السَّطْر الخطّ والكتابة » .

(٤) باب الفتوح : اختطه القائد الفاطِمي جوهر الصقلي برأس حارة برجوان من قبليها دون جِدار الجامع الحاكمي ، يقول المقريزي ، المتوفى سنة (٨٤٥ هـ) : « وهو دون موضعه الآن ، وبقى منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى » .

أما الباب المشار إليه ، فهو مِن وَضْع أمير الجيوش أبي النجم بدر الجمالي . « خطط المقريزي » (٣٨١/٢) ، و « صبح الأعشى » (٣٤٩/٣) .

أمر الفرنج في صور

وفي أوائل[1] هذا الشهر هجم جمعٌ من الفرنج مدينةَ صُور ، من بلاد الشام ، ليلًا فقاتلهم أهلُها ، قتالًا شديدًا ، فبلغ الخبرُ محمد[2] بن بشارة ، مقدّم بلاد جبل[3] عامِلة ، وهو أقرب الرؤساء إليهم ، فأتى لذلك [٨] فيما تيسر معه ، في ذلك الوقت ، من الفرسان ، في نحو ثلاثين فارسًا ، وأمر بإيقاد النّيْران ، فكان كلما نظر أهلُ قرية النارَ أوقدوا مثلها ، وأسرعوا نحو الصَّوْت ، فما وصل إلى صور حتى تلاحقت به رجال العشران ، فوجد الفرنج ، قد غلبوا على البلد ، وجاسوا خلال الديار ، فحال بينهم ، وبين البحر ، فوقع بينهم الحربُ ، من ذلك الوقت ، إلى قَرِيب الزّوال ، من يوم تلك الليلة ، وقَتل منهم أربعين رجلًا ، فيما بلغني عن كتابه ، وقُتِل من المسلمين ثلاثة أنفس ، ونجى من بَقِيَ مِن الفرنج بنفسه ، وأسروا نحو أربعة أنفس ، من أهل البلد ، ولم يَتمكن من رؤوس المقتولين إلا من عشرة رؤوس ، فأرسلها إلى السلطان مع لبوس جميع القتلى ، فوصل ذلك يوم الثلاثاء ، هذا ولله الحمد ، والمِنَّة على نَصْر دينه ، وإعزاز كلمته ، ثم وردت المكاتبات الشاميّة ، أنهم ذهبوا إلى صَيْدا فأرادوا ورود نهر الدّامور[4] ، ليستقوا منه ، فحصل بينهم وبين من هناك قتالٌ ، ولم يتمكّنُوا من مُرَادِهم ، ثم بادروا إلى بيروت تَرَجِّيًا لفرصة الغَفْلة ، فجَدّ نائبها السَّيْر مِن صيدا ، فما وصلوا إلا والبَرُّ معمورٌ برجال الإسلام ، فلم يُمْكِنهم

---

(١) في « حوادث الدهور » (١٠٩) : « وفي يوم الأحد حادِي عشره [أي جمادي الآخرة] وصل ابنُ بشارة مقدَّم العشير بالبلاد الشامِيَّة ، وأخبر أنه طرق صور عدة مراكِب مِن الفرنج تزيد على عشرين مركبا .. » ، قارن أيضًا « بالتبر المسبوك » (٣٥٠ - ٣٥١) .

(٢) وصفه (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٣٣٧/١١) بأنه أحد مشائخ العشير .

(٣) جبل عاملة : يقع في جنوب لبنان ، عند ملتقى الطرق بين صفد ، وتبنين ، وبانياس . « اتعاظ الحنفا » (١٠٩/٣ هامش ٤) ، و « خطط الشام » (١٤/١) ، و « المراجعات » (١٠) .

(٤) نهر الدّامور : يقع هذا النهر إلى الشمال من مدينة صور في لبنان ، ويصب جنوب مدينة الدامور . « أطلس العالم » (١٧) .

طروق البرِّ ، فتوجّهوا نحو طرابُلُس ، فأقاموا بساحلها ثلاثة أيَّام ، والنَّاس تجاهِهم بالبَرِّ ، ولم يحصلوا على طائل ، فرجعوا .

برج الطينة

وفي يوم الخميس[1] ثالث عشري جمادى الآخرة هذا وصل الخبرُ أنّ الفرنج طرقوا بُرْج الطِّينة[2] ، الذي بين قَطْيا ودِمْيَاط ، وكان فيه نحو خمسة عشر رجلًا ، فنزلوا إلى البرِّ ، ونصبوا عليه المَكَاحِل[3] ، فحاصروه ، حتى عجز من فيه ، فَقُتل منهم أربعةُ أنفس[4] ، وهرب الباقون ، فَهَدَموا بعضَ البرج ، وأخذوا ما به من السلاح ، والأمتعة ، وكان من كان هناك ، قد عرَّفوا ما بالميناء ، من المراكب ، فَحَرق الفرنجُ ما برزَ لهم على وجه الماء منها ، ولا قوّة إلا بالله .

دِمْيَاط

وفي يوم السبت خامس عشري الشهر ، ورد الخبر أنهم نزلوا على فم دِمْيَاط في سبعة أغربة[5] ، كل غراب بمائة وثمانين مِقْذافًا[6] ، وسبع سلالِير[7] ، يُظَن أنَّ بهم نحو أربعة آلاف رجل ، وأنهم قصدوا غُرَّة

---

(١) في : « حوادِث الدهور » (١٠٩) ، و « التبر المسبوك » (٣٥١) « في يوم الأربعاء رابع عشره » .

(٢) الطينة : مدينة كانت من أعظم مدن مصر في النهاية الشرقية مِن بحيرة المنزلة بمديرية الدقهليَّة ، كانت تسمى (بيلوز) ومعناها الطينة ، فسماها العرب الطينة . راجع ما قيل عن هذه المدينة بالتفصيل في « الخطط التوفيقية » (٦٧/١٣) .

(٣) المكاحِل : هي المدافِع التي يُرمى عنها بالنِّفْطِ ، وبعضها يرمى عنه بأسْهم عظام ، وبعضها يرمى عنه ببُنْدُقٍ مِن حديد مِن زِنة عشرة أرطال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رِطْل . « التعريف بالمصطلح الشريف » (٢٧٢) ، و « صبح الأعشى » (١٤٤/٢) .

(٤) في « حوادِث الدهور » (١٠٩) ، و « التبر المسبوك » ، خمسة أنفس .

(٥) أغربة : جمع غراب ، وهي نوع مِن السفن الحربيّة القديمة ، مدبَّبة الحيْزوم ، لها أشرعة ومجاذيف « نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم » (١٩٢/١) ، و « تاريخ المماليك البحرية » (٣٦٧) .

(٦) المِقْذَاف : ما تُساق به السفينة كالمجذاف ، جمعه مقاذف ومقاذيف . « محيط المحيط » (٧٣٢) .

(٧) سلالير : نوع مِن السفن واحدتها (سلورة) . « كتاب الإلمام » (٢٣٣/٢) .

البرْج ، الذي عَمّره عبد اللطيف[1] الطّواشي ، فلم يُقَدَّر لهم ذلك ؛ بسبب أن عبد اللطيف ، الذي عمّر البُرْج ، كان مقيمًا عنده فاستجاش من قرب منه إلى [أن] كثر الناسُ عنده ، فقصدوا طروق الجزيرة التي إلى شرقي القبتين ، إلى الشمال من البَرِّ المتصل بدِمْيَاط ، لأبقار ترعى بها ، فسبقهم المسلمون إليها، فمنعوهم ، فاستمروا يترددون فيما هنالك ، يُقْلِعون حتى يغيبوا عن العيون ، ثم يرجعون ، فَظُنّ أنهم ينتظرون سفينةً ، لمعين الدين تاجر دِمْياط ، أرسلها إلى بلاد البرجل ، وبها مالٌ كثيرٌ جدًّا ، وطلب أهلُ دِمْياط من السلطان النَّجْدة ، فأخبرني القاضي كاتبُ السِّرِّ كمال الدين ابن البارزي بأنَّه أخذ في قراءة الكتاب على السلطان ، فلما قرأ قليلًا من أوائله قال له السلطانُ : اتركني من هذا واذهبْ عَنِّي. قال: فتركت قراءة بقيته عليه ، واسترجعت .

ابن محمد الصُّغَيِّر

وكان عبد[2] العزيز بن محمد الصّغَيِّر (بالتصغير مثقلًا) قد سأل السلطان في هذا الشهر أن يمكنه من التكلم على الأوقاف وليقطع المرتبات عليها ويَعْمرها ، وما فاض بها عن العمارة حمله إلى الخزانة الشريفة ، فرَسَم له بذلك ، وذهب بالمرسوم إلى السّعد بن الدَّيْري الحنفي ، فكتب عليه بالامتثال ، ثم ذهب إلى الشافعي فأبى ، ثم اجتمع بالسلطان فسأله أن يمنعه من الكلام على ما تحت يده فأجابه ، وطلب المرسوم من ابن الصغيِّر فقطَّعه، ثم كتب له آخر بالكلام على ما عدا أوقاف الشافعية ، ولبس الخِلعة

---

(١) هو : عبد اللطيف زين الدين الطّواشي الرومي المَنْجَكي العثماني الْطُنْبُغا ، مات ليلة الجمعة ١٤ صفر سنة ٨٦١ هـ . « الدليل الشافي » (٤٢٩/١ رقم ١٤٨١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨٥/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٤٠/٤ رقم ٩٥٠) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤٤) .

(٢) هو : عبد العزيز بن محمد بن علي بن قطلبك تاج الدين بن ناصر الدين بن علي الدين ، وُلد في جمادى الآخِرة سنة ٨١٦ هـ . ولم تذكر مصادر التحقيق المتيسّرة تاريخ وفاته . « حوادث الدهور » (٣٦١) ، و « الضوء اللامع » (٢٢٩/٤ رقم ٥٨٨) .

بذلك يوم الاثنين سابع[1] عشري جمادى الآخرة هذا ، فنزل في جَبَروت زايد ، وكان قد بيَّت على خلق كثير من الفقهاء ممن تحت أيديهم أوقاف ، فأحضرهم إلى بيته ، فتعقّبه الدويدار الثاني تَمُرْبُغـا مملوك السلطان ، وناظر الخاص يوسف بن كاتب جَكم ، فقرأ عليه ورقة من عند قاضي القضاة ابن الدَّيْرِي الحنفي تتضمَّن الاستعفاء من القضاء ، فإنه صار منسوبًا إلى الخيانة في الأوقاف ، والعجز عن القيام بها ، فأخلّ ذلك بناموسه في القضاء ، وآل الأمر إلى عَجْزه عن تنفيذ الأحكام على الأخصام ، ونحو هذا من الكلام ، وكلَّمَا السلطانَ في أمر ابن الصُّغَيِّر ، وفَصَّلا له بعضَ ما يريد أن يؤذي به النّاس ، فأرسل طَوَاشِيًّا إلى بيته ، فأخذ منه الخِلْعَة والمرسوم ، فأما الخلعة فردها إلى ناظر الخاص ، وأما المرسوم فقطعَهُ ، وقال بعض أهل الخير في ناظر الخاص : إنّ الله ليؤيِّد هذا الدِّين بالرجل الفاجر[2] .

وصول الترجمان من قبرس

[٩] وفي هذا العشر الأخير من جمادى الآخرة هذا ، وصل فارس ترجمان الفرنج بجزية أهل قُبْرُص ، ومعه نحو المائة من الأسرى ، وكان قد أرسل إلى هذه الجزيرة مِنْ مدَّة طويلة ، وانقطع خبره حتى ساءت بهم الظنون ، وتبيَّن أنَّ أصل ذلك الخبر السَّابق عن استيلاء الكَيْتلان على قُبْرُس[3] ؛ أن ملك الكَيْتلان صاهر صاحب قبرص ، فتزوّج ابنته ، وجعله صاحب قُبْرُس الملك بعده ، والتزم له ذلك الملك أن يمنعه مِنْ سائر من حوله مِن المسلمين العرب والعجم . ردّ الله كيدهم في نحورهم آمين .

ابن الزهري قاضي طرابلس

واستمر قضاء الشافعية بطرابُلُس شاغرًا من ربيع الأول من هذه السنة حتى وَلِيَه الشهاب بن الزُّهْرِي[4] في هذا الشهر ، ثم سافر في أوائل شعبان

---

(١) في : « حوادِث الدهور » (١٠٩) ، و « التبر المسبوك » (٣٥١) ، يوم الاثنين ٢٦ جمادي الآخِرة .

(٢) راجع : « حوادِث الدهور » (١٠٩ – ١١٠) ، و « التبر المسبوك » (٣٥١) .

(٣) أحيانًا يكتبها المؤلف بالسين . وأحيانًا بالصّاد .

(٤) راجع « ص ١٠٥ » ، « هامش ٥ » .

فَعُزل بعد خروجه بشخص يقال له : ابنُ وجيه ، وأُرسل إليه فَرْدًّ من منزلة[1] العاقولة بين الصَّالحية ، وقَطْية ، فلما رجع أُعيد .

وفي إحدى الجماديَين[2] مات الشريف هَلْمَان صاحب يَنْبُع ، وولي مكانه الشريف سُنْقُر[3] .

الدعوى على تركة عبد الباسط

وفي يوم الأربعاء سادس شهر رجب من السنة ؛ وهي سنة ٨٥٥ ، عُقد مجلس بالقضاة في بيت كاتب السرِّ الكمال بن البارزي ، وادَّعى وكيل السلطان على أوصياء تركة عبد الباسط ، أنَّ للسلطان في تركته ألف دينار ، وكذا، كذا دينارًا؛ بسبب أنها كانت على عبد الباسط للولي السّفْطي، ولتَغْري بَرْمُش[4] الزَّرَدْكَاش[5] ، وأن إرْث الزَّرَدْكَاش صار لبيت المال ،

---

(١) منزلة العاقولة : مركز مِن مراكِز البريد القديمة ، مقارِب لقنطرة الجسر الجارِي تحتها فواضِلُ ماء النيل أوان زيادَته ، إذا خرج إلى الرَّمْل . « التعريف بالمصطلح الشريف » (٢٤٦) ، و « صبح الأعشى » (٣٧٧/١٤) .

(٢) كان ذلك في أواخِر جمادى الأولى ، وهو : هَلْمَان بن وُبَيْر بن مِخْبار ، وقيل (نخبار) والأول أشْهَر الحسيني الأمير زين الدين الشريف .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٧٦٧/٢ رقم ٢٦٠٨) ، و « النجوم الزاهرة » (٥/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٠٩/١٠ رقم ٨٩٨) ، و « التبر المسبوك » (٢٨٠) .

(٣) هو : سُنْقُر بن وُبَيْر بن مِخْبار ، ولِيَ إمْرة يَنْبُع بعد وفاة أخيه (هَلْمان) سنة ٨٥٥ هـ ، وقد شكرت سيرته « حوادث الدهور » (١٠٩) ، و « النجوم الزاهرة » (٥/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٧٣/٣ رقم ١٠٣٩) ، وقال صاحب « الضوء اللامع » : « ورأيت من أرّخه سنة اثنتين وخمسين [وثمانمائة] فيُحَرّر مع التاريخ المذكور » .

(٤) هو : تغري بَرْمَش بن عبد الله اليَشْبُكي الزَّرَدْكاش ، مات في مكة المكرمة في شوال سنة ٨٥٤ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٦٥/٤ رقم ٧٦٨) ، و « الدليل الشافي » (٢١٨/١ رقم ٧٦٦) ، و « حوادث الدهور » (٩٨) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٥٨/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٢٨) ، و « الضوء اللامع » (٣/ ٣٤ رقم ١٤٥) .

(٥) الزَّرَدْكاش : هو الصانع الذي يعمل في السلاح خاناه لإصلاح العُدَد وتجديد المستعملات . « صبح الأعشى » (١٢/٣) .

وأن السفْطي أشهد عليه ، أَنّ جميع ما يملكه للسلطان ، فكان هذا أول صنائعه بآل عبد الباسط ، بعد مصاهرتهم .

عزل كاتب السر

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شهر رجب ، من السنة ، وقف ابنُ الشمس الحموي[1] ، ناظر القدس ، وبنْتُه ، للسلطان ، وشَكَوا إليه أَنَّ ابن محاسن ، الذي كان من جماعة أبي الخير احتاط على ما خلَّفه أبوهما . فقال لكاتب السرِّ[2] : لِمَ لَمْ تخبرني بهذا في حِينِه يا كذا ، يا كذا ، وأخذ في شَتْمه بما لا يرتضيه أقلُّ العامة مروءة ، ثم أمر به إلى المقْشَرة ، فشَفَع فيه الأمراءُ ، وبقيةُ المباشرين ، وكرَّرُوا ذلك ، فأمر أن يجلس في بيته ، وَيُورد خمسةَ آلاف دينار ، وطُلب ابنُ محاسن ، فأُمر به إلى المقْشَرة ، حتى يُورد اثنين وعشرين ألف دينار ، ثم أرسل إلى كاتب السِّرِّ مِن الأمراء من يُلَيِّنه ، لمباشرة وظيفته على العادة ، فأبى أَشَدَّ الإباء ، ثم لم يزل يوالي عليه ذلك ، حتى أجاب ، فخُلِع عليه يوم[3] الخميس ثامن عشري الشهر ، بعد أن أورد الخمسة الآلاف دينار ، واستمرَّ أَيَّامًا بعد لبسه الخِلْعة ، لا يكلِّمه السلطانُ إلا بترجمان من الأمراء ، حتى عَلِم كلُّ أحد أنه ليس القصد إلا مضاررته إلى أن يموت كمدا[4] .

---

(١) هو : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر ، زين الدين وقيل : أمين الدين ابن الشمس الدَّيْري القدسي ثم المصري الحنفي ، وُلد في القدس في رجب سنة ٨١٦ هـ ، وقيل : في شعبان سنة ٨١٧ هـ ، وقيل في شعبان سنة ٨١٩ هـ ، ومات وهو على ولاية نظر القدس والخليل في رابع ذي الحجة سنة ٨٥٦ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٤٠٦/١ رقم ١٤٠٠) ، و « الضوء اللامع » (١٦٢ – ١٦٣) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٢٥١) ، و « التبر المسبوك » (٤٠٢) ، و « الضوء اللامع » (١٣٢/٤ رقم ٣٥٣) ، و « نظم العقيان » (١٢٦ رقم ١٠٦) ، و « شذرات الذهب » (٢٨٩/٧) .

(٢) وهو : القاضي كمال الدين بن البارزي ، وقد ورد الخبرُ في « حوادث الدهور » (١١١) .

(٣) في « حوادث الدهور » (١١١) ، و « التبر المسبوك » (١١٢ ، ٣٥١) يوم الخميس حادي عشريه .

(٤) راجع : « حوادث الدهور » (١١١) ، و « التبر المسبوك » (٣٥١) .

واستمر البحرُ ، بحمد الله تعالى وفضله ، كل يوم في زيادة ، لم تنقطع زيادته يومًا واحدًا ، حتى أَوْفَى ستة عشر ذراعًا ، وزاد إصبعين ، من سبع عشرة ، يوم الخميس رابع عشر شهر رجب المذكور ، الموافق التاسع عشر مسرى ، مِن أشهر القبط ، وأقل ما كانت زيادته إصبعًا ، وأكثر ما كانت خمس عشرة . وطيَّبَ اللهُ تعالى – وهو الجميل ، الصانع ، المستَحِقُّ لجميع المحامد في كل سَرَّاء وضَرَّاء – قلوب العباد ، وأحيا بإحيائه بِهِ أرضَ مصر ، جميعَ البلاد ، فإنها عمدة المملكة جميعها[1] .

وفاء البحر

وكان ذلك مُصَحِّحًا ، لما نَقَل لي بعضُ الطلبة : أنَّ الإمام تقي الدين السُّبكي[2] ، نقل في كتاب الإجارة ، من شرحه للمنهاج[3] ، عن الأستاذ

---

(١) جاء في « حوادث الدهور » (١١١) : « فنزل المقام الفخري عثمان مِن وقته في وجوه الناس مِن الأمراء ، وأعيان الدولة إلى أن عدَّى النيل وخلَّق المقياس ، ثم عاد في الحرَّاقة حتى فتح خليج السدِّ على العادة ، ثم ركب وطلع إلى القلعة » .

(٢) هو : أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام بن حماد بن يحيى بن عثمان بن علي بن سوار ابن سليم وقيل : أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيي بن عمر بن عثمان بن علي بن مسور بن سوار بن سليم السبكي ، الشافعي ، الفقيه ، المحدث ، المفسر ، الأصولي .. ولد بسُبْك العبيد من أعمال المنوفية بمصر في غرة صفر سنة ٦٨٣ هـ ، ولي قضاء الشام ، ومشيخة دار الحديث بالأشرفية والشامية البرانية والمسرورية وغيرها « كان محققًا مدققًا نظارًا ، له في الفقه وغيره الاستنباطات الجليلة ، والدقائق والقواعد المحرَّرة ، التي لم يُسبق إليها ، وكان منصفًا في البحث .. وصنف نحو مائة وخمسين كتابًا ، منها : كشف الدسائس في هدم الكنائس ، والابتهاج في شرح المنهاج للنووي ، والدر النظيم في تفسير القرآن العظيم ، ومختصر طبقات الفقهاء ، والسيف المسلول على من سب الرسول ، مات في جزيرة الفيل على شاطئ النيل ، يوم الاثنين ٣ أو ٤ من جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ .

له ترجمة في : « طبقات الشافعية » (١٣٩/١٠ رقم ١٣٩٣) ، و « البداية والنهاية » (٢٥٢/١٤) ، و « الدليل الشافي » (٤٦٣/١ رقم ١٦٠٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٨/١٠ – ٣١٩) ، و « حسن المحاضرة » (٣٢١/١ – ٣٢٨) ، و « الدارس » (١٣٤/١) ، و « شذرات الذهب » (١٨٠/٦ – ١٨١) ، و « الأعلام » (١١٦/٥) ، و « معجم المؤلفين » (١٢٧/٧) .

(٣) هو كتاب منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية للإمام محيي الدين ابن أبي زكريا ابن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، شرحه الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي =

أبي إسحاق الإسْفَرَايِيني[1] ، أنه قال : أَجْرى الله العادةَ ، أن نِيل مصر يتوقَّف في كل خمسين سنة ، وقد كان في سنة ست وثمانمائة ، توقَّف على ما نُقل ، أحسنَ الله العاقِبة .

ضرب ابن محاسن

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره ، ضُرب ابنُ المحاسن ، بحضرة السلطان ضربًا كثيرًا ، يُقال : إنه يقارب ألف عصا ، حتى رُفع محمولًا ، و فُرض لأولاد الحموي عليه كفايتهم ، ورُدَّ إلى المَقْشَرة في زنجيره ، ليحاسَب على مال الحموي ، ثم عُقِد له مجلسٌ بعد ذلك ، فاعترف بما يزيد عن خمسة آلاف دينار .

قِصّة القط

وفي يوم الأربعاء سابع عشري شهر رجب هذا سنة ٨٥٥ هـ ضَرَبَ جزّارٌ في باب الزُّهومة[2] ، من القاهرة هِرًّا تَكَرَّر أذاه له بسكّين ، فجرحه في يده ، فاشتكاه بعض العامَّة إلى جانِبَك الساقي والي القاهرة ، فأمر بقطع أعْصَابه ، ثم شُفع فيه ، فَضُرِبَ ضربًا كثيرًا ، وطِيف به ، ومعه من العامّة خلق يعْسر حصرهم ؛ يضربونه ، ويهينونه بأنواع الإهانات ، والهِرُّ على كتفه، ووراءه حَرَسي ينادي: هذا جزاء من يقطع أعصابَ القِطط، على أيام نائب السلطان، ثم سُلِّم إليه الهرُّ، وَرُسِم بأن يداويه ببعض الجرائحية، ويمَوِّنه،

= السبكي ولم يكمله ، حيث وصل إلى الطلاق ، وسمّاه الابتهاج ، وأكمله ابنه من بعده بهاء الدين أحمد المتوفى سنة ٧٧٣ هـ . « كشف الظنون » (١٨٧٣/٢) .

(١) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق ، أول من لقب مِن الفقهاء بـ (ركن الدين) ، نشأ في إسفرايين ، بين نيسابور وجرجان ، مات سنة ٤١٨ هـ ، مِن مؤلفاته : الجامع في أصول الدين ، ورسالة في أصول الفقه .

له ترجمة في : « وفيات الأعيان » (٢٨/١) ، و « طبقات الشافعية » (٢٥٦/٤) ، و « شذرات الذهب » (٢٠٩/٣) ، و « الأعلام » (٥٩/١) ، و « معجم المؤلفين » (٨٣/١) .

(٢) باب الزُّهومة : يذكر القَلْقَشَنْدي المتوفى سنة (٨٢١ هـ) أنَّ مكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصلاحِيَّة ، وقد كان يُدخل بالطعام إلى القصر مِنه فسُمي باب الزُّهومة لذلك ، والزُّهومة : الزَّفَر . « صبح الأعشى » (٣٤٦/٣) ، وراجع أيضا « الخطط المقريزية » (٤٣٥/١) .

إلى أن يَبْرأ ، ويريه للوالي ، فكانت من أغرب القضايا .

رجوع الأمراء من حلب

وفي هذا الحد ، أو بعده بقليل ، في أوائل شعبان[١] أُمِن من قدوم جهنشاه ، فأُرسل إلى نوَّاب بلاد الشام ، المقيمين بحلب ، بالرجوع إلى بلادهم ، فرجعوا ، ووصل نائبُ[٢] الشام إلى دمشق في أواخر شعبان ، أو أوَّل رمضان .

[١٠] ثم كان آخر السَّنة القبطية ، يوم الاثنين سادس عشري شهر رجب[٣] ، من سنة خمس وخمسين المذكورة ، ثم دخلت أيَّامُ النسيم ، وكانت السنة كبيسة[٤] ، فكانت نسيئة ، وكان النَّيْرُوز[٥] ؛ وهو أول توت يوم الاثنين ، ثاني شعبان ، من السنة .

---

(١) في : « التبر المسبوك » (٣٥١) « وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره [أي رجب] رُسم بعود نُوَّاب البلادِ الشَّامِيَّة مِن البلاد الحلبيَّة إلى محالِّهم ، بعد إقامتهم هناك أُزْيَد مِن سنة » .

(٢) هو ، جُلُبَّان الأمير آخور ، استقر في نيابة الشام في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٨٤٣ هـ . راجع « النجوم الزاهرة » (١٥/٣٣٥) .

(٣) في : « حوادِث الدهور » (١١٢) « شعبان أوَّله الأحد ، ويوافِقه آخِر أيام النسيء ، آخِر السنة القبطيَّة » .

(٤) السنة الكبيسة : اصطلح القبط على جعْل شهرهم ثلاثين يومًا ، فإذا انقضت الاثنا عشر شهرًا أضافوا إليها خمسة أيَّام يسمُّونها أيام النسيء ، يفعلون ذلك ثلاث سنين متوالية ، فإذا كانت السَّنة الرَّابعة أضافوا إلى خمسة النسيء المذكورة ما اجتمع من الرُّبْع يوم الزائد على الخمسة أيَّام في السنة الشَّمْسِيَّة ، فتصير ستة أيام ، ويجعلونها كبيسة في تلك السنة ، وبعضُ ظُرَفائِهم يُسَمِّى الخمسة المزيدة السنة الصغيرة . « صبح الأعشى » (٢/٣٩٩) ، و « خطط المقريزي » (١/٢٦١) .

(٥) النَّيْروز : تعريب نُوروز ، ومعناها عِند الفرس اليوم الجديد ، وهو اليوم الذي مَلَك فيه أحدُ ملوك الطبقة الثانية واسمه (جم شا) ، وكان ينسب إلى الإصلاح ، وقيل : هو اليوم الذي خلق الله فيه النُّور ، وقيل : إنّه أول الزّمان . مدَّته ستَّة أيام تبدأ من أوَّل شهور سنة الفرس ، ويسمى اليوم السادس النّوروز الكبير ، وقد جرت عادَة عامَّة الفرس فيه رفع النَّار في ليلته ، ورش الماء في صبيحته ، يرمزون بالنار إلى تحليل العفونات التي أبقاها الشتاءُ في الهواء ، وبالماء إلى تطهير الأبدان مما انضاف إليها مِن دُخان النار المُوقَدة في ليلته .

اتخذ القبط (النَّيْروزَ) عِيدًا لهم في أوَّل سنتهم ، وهو أول يوم مِن توت . ويتخذون فيه نفس =

قصة أمـــراء جانِبَك

وفي يوم الاثنين هذا[1] قدم جانِبَك[2] ، مملوك السلطان ، وعامله على البَهَارِ[3] بجُدَّة من الحجاز ، فلاقاه أعيانُ أهل المملكة ، من الأمراء ، والمباشرين ، وكان قد توجه لملاقاته من أخِصَّائه ، وأُصدقائه ، مِن قَبْل ذلك مَنْ جَاوَز عقبة[4] أَيْلَة ، وقدم معه قاضي جُدَّة ، الكمال أبو البركات بن ظهيرة[5] ، وكان صديقه ، ووردت معهم ، ومن قَبْلهم مطالعات كثيرة

= المظاهر التي كان يتخذها الفرس ، مِن إشعال النيران ، ورش الماء ، فهو يوم لهو المصريين قديمًا وحديثًا . « صبح الأعشى » (٤١٨/٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٩) ، و « خطط المقريزي » (٢٦٧/١) .

(١) في « النجوم الزاهرة » (٤٣٤/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٥١) ، « في يوم الاثنين تاسع شعبان » .

(٢) هو : الأمير سيف الدين جانِبَك بن عبد الله الظاهري جَقْمق ، كان أحد أمراء الطبلخانات ، المعروف بنائب جدَّة ، مات مقتولًا على يد المماليك الأجلاب بباب القلعة داخل قلعة الجبل وقت صلاة الصبح مِن يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة سنة ٨٦٧ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٣٤٣/٤ رقم ٨٢٩) ، و « الدليل الشافي » (٢٣٩/١ رقم ٨٢٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٢٠/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٥٧/٣ رقم ٢٣٥) .

(٣) البَهَار : جاء في « محيط المحيط » (٥٨) أن من معاني (البهار) متاع البحر ، ويبدو أن المقصود به هنا الميناء ، ويفهم ذلك مما ذكره (ابن تغري بردي) في « المنهل الصافي » (٢٤٣/٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٦٨/١٥) أن السلطان الظاهر جقمق ولاه إمرة بندر جدَّة في موسم سنة ٨٤٩ هـ ، وجاء في « المعجم الوسيط » (٧١/١) أن البندر يطلق على مُرْسَى السفن في الميناء ، وهي كلمة فارسية .

(٤) عَقَبة أَيْلَة : أَيْلَة مدينة بين الفسطاط ومكَّة المكرمة على شاطئ بحر القُلْزُم (الأحمر) سميت باسم أيلة بنت مَدْينَ بن إبراهيم عليه السلام ، تُعَدُّ في بلاد الشَّام ، كان يتجمع بها حجاج الفسطاط والشام .

« معجم ما استعجم » (٢١٦/١) ، و « معجم البلدان » (٢٩٢/١) ، و « خطط المقريزي » (١٨٤/١) .

(٥) هو : محمد بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة الكمال أبو البركات بن النور بن الكمال أبي البركات القرشي المكي الشافعي . وُلد سنة ٨٢٩ هـ ، ومات عصر يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر سنة ٨٨٢ هـ ، عن ستين سنة . « الضوء اللامع » (٢٠٢/٨ رقم ٥٤٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٣٦/٧) .

بالغضِّ من خطيب المسجد الحرام ، أبي الفضل بن أبي الفضل النُّوَيْرِي[١] ، وذِكْر ما يتعاطى من الجَبَرُوت ، والتعاظُمِ ، وما لا يليق بأمْثاله ، والدعاء على من يساعده ، فعزله السلطانُ ، وَوَلَّى أخا قاضي جُدَّة ، العلَّامة برهان الدين إبراهيم بن علي بن ظهيرة[٢] ، وَرَسَم بمنع أبي الفضل من قدوم القاهرة[٣] .

وفي يوم قدوم جانِبَك هذا كانت قصَّة بني حرمي مع الشريف[٤] في بيت الوالي[٥] ، وقد كان ميعادِي في تلك الجمعة في قوله تعالى في سورة الحج : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[٦] [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ][٧] ومن جملة الآيات : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ

---

(١) هو : محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز أبو الفضل كمال الدين ، قاضي مكَّة وخطيبها . وُلد في ليلة خامِس ربيع الآخر سنة ٨٢٧ هـ بمكة المشرفة ، ومات ضحى يوم الخميس ١٣ رمضان سنة ٨٧٣ هـ . « أخبار الزمان » (مخطوط) (٦٤٨) ، و « الضوء اللامِع » (٣١/٩ رقم ٩٢ و ١٣٠/١١ رقم ٤٢٠) .

(٢) هو : إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق بن محمد بن علي البرهان . ولد في ليلة النصف مِن جمادى الأولى سنة ٨٢٥ هـ بمكة ، ومات في ليلة الجمعة ٦ ذي القعدة سنة ٨٩١ هـ ، عن ستين سنة .

له ترجمة مُطَوَّلة في « الضوء اللامع » (٨٨/١ – ٩٩) ، وله ترجمة أيضًا في « شذرات الذهب » (٣٥٠/٧) .

(٣) في « التبر المسبوك » (٣٥١ – ٣٥٢) : « في سادس عشره [أي شعبان] استقر الشيخ برهان الدين إبراهيم بن علي بن ظهيرة القرشي المكي في خطَابَة المسجد الحرام ، بعد عزل الأُخوين الخطيبين ، أبي القاسم وأبي الفضل النويريين بعناية جانِبَك شاد جُدَّة » .

(٤) هو : عبد الوهَّاب بن أبي بكر بن أحمد بن محمد التاج الحسيني الصلتي ثم الدمشقي الشافعي ، ويعرف بابن الواعِظ ولد في سنة ٨٣٣ هـ ، كان صديقًا للبِقاعي ، مات سنة ٨٩٣ هـ . « الضوء اللامع » (٩٩/٥ رقم ٣٧٠) .

(٥) وكان في هذه الفترة (جانِبَك اليشبكي) . « النجوم الزاهرة » (٤٢٣/١٥ ، ٤٥١) .

(٦) في الأصل : « إلى عذاب يوم عقيم » .

(٧) آية ٣٨ .

وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾[1] الآيات ، فكان كذلك ؛ حصلت واقِعَةٌ عظيمة مهولة دُفِع عنَّا فيها دفعًا كبيرًا ، وأخرجوا الشريف مِن الحجاز على وجه فضيع ، انتهكوا فيه حرمة [بيت الله][2] وتعدَّوا الحدود ، ونبذوا الدين والمروءة وراء ظهورهم .

وفُتح سدُّ الأميرية[3] يوم الثلاثاء ثاني توت ، وزاد البحر في ذلك اليوم إصبعين نُودِيَ بها مِن الغد على العادَة ، فصارت الزِّيادة بها على سبعة عشر إصبعًا من ثمانية عشر ذراعًا ، فكانت الزيادَةُ بعد هذا الفتح مِن النِّعم الجليلة ، ثم فُتح سدُّ قناطِر بني منجا[4] ، يوم الخميس رابع توت وخامِس شعبان سنة خمس ، وزاد البحر أيْضًا ، ولما وصل الماءُ إلى سدِّ شيبين[5] فَتَحه[6] .

---

(١) آية ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) ما بين الحاصرتين جملة غير واضِحة في الأصل ، والتصحيح حسب مفهوم السياق .

(٣) سد الأميرية : أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٥ هـ قنطرة الأميرية ، وهي آخر ما على الخليج الكبير مِن القناطِرِ بضواحِي القاهرة ، وعند هذه القنطرة ينسَدُّ ماء النيل إذا فُتح الخليج عند وفاء زيادة النيل ستة عشر ذراعًا ولا يزال الماء عند (سد الأميرية) هذا إلى يوم (النوروز) فيخرج والي القاهِرة إليه فيفتح السَّدَّ فيمر الماء إلى جسر شبين القصر . « خطط المقريزي » (١٤٨/٢) .

(٤) قناطر بني منجا : يُطلق عليها المقريزي ، قناطر بحر أبي المنجا ، ويقول : « هذه القناطِر من أعظم قناطِر مصر وأكبرها ، أنشأها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري في سنة خمس وستين وستمائة وتولى عمارتها الأمير عز الدين أيبك الأفرم » « الخطط » (١٥١/٢) . سميت بهذا الاسم نسبة إلى رجل يهودي ، يُقال له (أبو المنجا) ، كان يشرف على أعمال البلاد الشرقية وسأله الناس هناك بفتح ترعة حتى يصل الماء إلى أراضيهم ، وعندما علم الأفضل أمير الجيوش أمر بحفر ترعة بُدِئ العمل فيها يوم الثلاثاء ٦ شعبان سنة ٥٠٦ هـ ، واستمر ست سنوات . وسماها بالبحر الأفضلي إلّا أن الناس لم يعرفوها إلّا باسم أبي المنجا . راجع تفصيل ذلك في « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » (٤٦/١ - ٤٧) .

(٥) سد شيبين : هي شبين القصر ، حيث يصل الماءُ إليها بعد فتح سد بني منجا ، ويسد عليه حتى يرْوي ما على جانبي الخليج من البلاد ، ثم يُفتح في يوم عيد الصليب ، اليوم السابع عشر من النوروز . « خطط المقريزي » (١٤٨/٢) .

(٦) راجع « حوادث الدهور » (١١٢ - ١١٣) .

ونزل الماءُ إلى ما تحته من البلاد وتَزَعْزع البحَرُ له بنقص أحد عشر إصبعًا ، وفي خرقه لهذا السّدّ بوار القَلْيُوبيّة[١] ، وغالب الشّرْقِيّة[٢] ، فتوجه إليه الإسْتَدَّار ، فعجز عن سدّه ، فَسَدّ من قناطر شيبين السّبْع ستةً ، ثم رأى أهلُ البلاد أن يفتح واحدة منها ففعل ، وتلك القناطر تحت السّدّ بيسير ، فتراجع البحر ، وزاد سبع أصابع ، في ثلاثة أيام ، وروى ما كان يُظَنّ تشريقه[٣] ، ولله الحمد . ثم قدِم الإسْتَدّار يوم الخميس ثاني عشر شعبان المذكور .

وفي هذا الشهر اشتكت خَوَنْد[٤] بنت[٥] الملك الظاهر طَطَر ، إلى السلطان علي القاضي ، كاتب السّرّ ، وادّعت أنه غصبها بلدة [يُقال لها][٦] زَبَد بفتح الزّاي والموحده ، من قرى حَماة[٧] ، فسأل القاضي

---

(١) القَلْيُوبيّة : إقليم يقع شمال ضواحِي القاهِرة مِن الجهة الشمالية ، تقع شرق النيل يقول عنها القلقشندي : « وهي عملٌ جليل ، حسن القرى ، كثير البساتين ، غزير الفواكه » . « صبح الأعشى » (٣٩٩/٣) . مقره مدينة قَلْيُوب . راجع « الانتصار » (٤٧/٢) ، و « صبح الأعشى » (٣٩٩/٣) .

(٢) الشرقية : إقليمٌ مصاقِبٌ للضواحِي مِن شمالِيّها مما يلي جهة المُقَطّم ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها ، إلّا أن البساتين فيه قليلة ، بل تكاد أن تكون معدومة ؛ لاتصاله بالسباخ ، وَبَدَاوَة غالب أهله ، آخِر العمران فيها مِن جهة الشمال الصَّالِحِيَّة ، وما وراء ذلك منقَطَع رمال . وعاصمة هذا الإقليم مدينة (بِلْبَيْس) . « الانتصار » (٥١/١) ، و « صبح الأعشى » (٤٠٠/٣) .

(٣) تشريقه : جاء في « محيط المحيط » (٤٦٢) : « شَرِقَت الأرض امتنعت أن يجري فيها الماءُ » .

(٤) خوند : لقب يطلق على نساء الملوك ، جمعه (خوندات) وربما أُطلق على السيد الأمير ، وهي لفظة فارسية . « الخطط التوفيقية » (٣٥/٩) .

(٥) هي : فاطمة بنت الظاهر ططر ، زوجة الأشرف بَرْسِباي ، توفيت في صفر سنة ٨٧٤ هـ . « الضوء اللامِع » (٩٢/١٢) .

(٦) غير واضحة في الأصل ، والتصحيح بمقتضى السياق .

(٧) حَمَاة : مدينة بين حِمْص وحلب ، مبنيّة على نهر العاصِي ، مِن أحاسِن مدن الشام . « معجم البلدان » (٣٠/٢) . و « مسالِك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١٢٦) .

كاتب السّرّ الوقوف على مستندها ؛ ليعارض بين الحدود المذكورة فيه ، والحدود المذكورة في مستنده ، ثم ينظر الحق في أي جهة ، فأَعْطت مستندها للقاضي ، ناظر الجيش ، المحب بن الأشقر ، فكتب حزَّين ، وأرسلهما إلى القاضي كاتب السّرّ ، وقال : إن ذلك هو الذي رآه في مستندها ، ثم أرسل السلطانُ ، يأمرُ كاتِبَ السّرّ بإحضار مستنده ، فأحضره إليه يوم السبت رابع عشر شعبان ، فأخذه منه ، ولم ينظر فيه ، وقال : عَلِمْنا الحقَّ في أيّ جهة . وغيَّبه عنه . والحال أنَّ البلد المذكورةَ ، من جملة أوقاف مدرسة[1] ابن أَقْبُغَا[2] آص ، وكانت قد خربت ، فاستبدلها كاتب السّرّ بحكِم حاكم ، ونفّذ حكمه على القضاة الأربع ، فانظر وتعجب .

وفي يوم الأحد خامس عشر شعبان زاد البحر ثلاثة أصابع ، وَفَّى بها ما كان نقص ، وزاد إصبعين ، فصار على تسعة عشر إصبعًا من ثمانية عشر ذراعًا .

قصة امـرأة جانبك

وفي هذا الحد أَعْلم جانِبَك ، عامل جُدَّة السلطانَ ، أنه بلغه ، أن زوجته خانته في غيبته ، في نفسها ، فأمر بحبسها ، وحبس جاريتين كانتا عندها ، وحبس بعض من يتردد إليها ، ثم أمر بتوسيطهن[3] ، فأصبحت

---

(١) مدرسة ابن أقْبُغا آص : ويُقال لها : المدرسة الأقبغاوية : وهي بجوار الجامِع الأزهر ، على يسار الداخِل إليه مِن بابه الكبير البحري ، أنشأها الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد أستاذ الملك الناصِر محمد بن قلاوون ، وفرغ البناء منها سنة ٧١٠ هـ . « الخطط » (٣٨٤/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٤٥/٩) .

(٢) لعل المقصود به : أقبُغا بن عبد الله بن عبد الواحِد الناصِري محمد بن قلاوون علاء الدين ، وقيل : سيف الدين . كان أحد المقدّمين ، ثم ولي الإِستَدّارية ، ثم صار مقدَّم المماليك ، قتل في الإسكندرية بعد أن حُبس بها سنة ٧٤٤ هـ ، وكان غير مشكور السيرة .

له ترجمة في : « الوافي بالوفيات » (٣٠٤/٩ رقم ٤٢٣٦) ، و « المنهل الصافي » (٤٨٠/٢ رقم ٤٨٥) ، و « الدليل الشافي » (١٣٨/١ رقم ٤٨٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٠٧/١٠) ، و « الخطط » (٣٨٤/٢) .

(٣) توسيطهن : أي قَطْع كل منهن إلى نصفين . راجع في معنى (التوسيط) : « القاموس المحيط » (٤٠٦/٢) ، و « محيط المحيط » (٩٦٨) .

المرأة مَيِّتة ، يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان هذا ، فيُقال : إنها ابتلعت قطعةً من حجر الماس . ويُقال : إنها سُمَّت ، والله أعلم ، ثم تحقّق ، أن جانِبَك وسَّط ثلاثة أنفس ممن كان في خدمتها بنفسه في بيته ، وأما امرأته ، فإنه لم يزل يُقَرِّفها ؛ بأن يضع بعض أصابعه على عروقٍ في عنقها حتى تغيب ، ثم يرسلها ، ثم يفعل ذلك حتى ماتت ، فعل كل ذلك ليلًا ، فأما المُوَسَّطون ، فإنه حفر لهم وغيَّبهم ، وأما المرأة ، فإنها كانت أولًا من حظايا السلطان ، فكان لها صدائق من حظاياه ، فخشي من أمرها فتركها حتى أصبح ، ودعا بالأطباء ، والشهود ، فنظروها ، فلم يجدوا بها أثر ضرب ، ولا خَنْق ولا سبب من أسباب القتل ، فكتبوا محضرًا بذلك ، وعرضه على السلطان ، ثم فشى هذا الخبر ، ونفر عن جانِبَك كثيرٌ من أصحابه ، واختل عليه معظمُ حاله ، بسبب هذه القصة ، واضْطغَن عليه كل امرأة في بيت السلطان .

قصة أهل جامع الأزهر

وكان الأمير قَراجا[1] مملوك السلطان ، وخَزَنْداره الثاني ، مجاورًا لجامع الأزهر[2] مدة سنتين ، وهو من متفقهي الأتْراك ، ومُتَصوْلِحِيْهِم ، فكان يسمع كثيرًا من أخبار الأشرار المجاورين بجامع الأزهر ، من جَهَلَتِهِم ، ومُتَزَوْكِرِيْهِم[3] ، وكان بالجامع نحو ألف نفس من المجاورين المنقطعين

---

(١) هو : قَرَاجا الظاهري جَقْمَق الخازندار ، كان عاقِلًا ساكِنًا ديِّنًا متواضِعًا ذا إلمام بالفقه وغيره ، يقول عنه (ابن تغري بردي) : « وهو خير المماليك الظاهريَّة بلا مُدَافعة » ، قُتِل في ربيع الأول سنة ٨٧٢ هـ .

له ترجمة في « الدليل الشافي » (٥٣٨/٢ رقم ١٨٤٦) ، و « الضوء اللامِع » (٢١٥/٦ رقم ٧١٧) .

(٢) جامع الأزهر : أول جامِع أُسِّس بالقاهرة ، أنشأه القائد جوهر الصِّقِلّي الكاتب مولى المعز لدين الله ، عندما اختط القاهرة ، وابتدأ ببنائه يوم السبت لست بقين مِن جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ، وكمل بناؤه لسبع خلون مِن رمضان سنة ٣٦١ هـ . « صبح الأعشى » (٣٦٠/٣) ، و « خطط المقريزي » (٢٧٣/٢) ، و « حسن المحاضرة » (٢٥١/٢) .

(٣) مُتَزَوْ كريهم : جاء في « تكملة المعاجم العربية » (٣٤٢/٥) : « زواكِرة ، كلمة مغربية معناها المنافقون » .

للاشغال بالقرآن ، والعلم ، تشتمل عليهم أربعة أرْوِقة[1] : رواق ابن معمر[2] ، ورواق الريافة في الجانب الشمالي من الجامع ، إلى جهة الميضأة ، ورواق المغاربة ، ورواق[3] الجبرت والزّيالع واليمنيين[4] ، في الجهة الجنوبية ، وكان من المقرّر أنّ مثل هذا الجمع لا يخلو عن مُفْسِدٍ ، وكان الأمير قَرَاجا ، يَسْمع كثيرًا من أخبار شُرَّارهم الجهلة منهم ، والمتَزَوْكِرين ، وكان منهم شخصٌ يُقال له : أحمد الصندلي[5] ، ينتسب إلى خَيْر وزهد وكرم ، فأنكر قضيّة تتعلق بقَرَاجا ، فحصل بين بعض

---

(١) أرْوِقة : الرِّواق ، والرُّواق ، بيت كالفسطاط ، أو سقف في مقدّم البيت جمعه رواقات وأروقة ورُوْق . « محيط المحيط » (٣٦٠) .

وكان الجامِع الأزهر يشتمل على عدّة أروقة وحارات ، لطوائف المجاورين به ، تختص كلُّ طائفة بجهة تقيم فيها بأمتعتها ، وتصرف عليهم الجرايات والمرتبات ، ولكل طائفة دفتر تحت يد نقيبهم ، وشيخ يحكم فيهم ، ويُدافع عنهم ، ويخاطب في شأنهم مِن طرف شيخ العموم ، أو مِن طرف مشائخ المذاهِب ، ولكل طائفة أيضًا أوقاف مِن عقارات وخلافها ؛ يُصْرف عليهم مِن رَيْعها بشروط يقررها الواقِف ، واصطلاحات معروفة ، وهي غير الأوقاف العموميَّة لكافة أهل الأزهر . « الخطط التوفيقية » (٤/٢٠) .

(٢) رواق ابن معمر : رواق مشهور مِن أروقة الجامِع الأزهر ، عن يمين الداخل إلى الميضأة ، وبعضه مِن بوائك الصحن ، لا يخص جهة معيّنة ، مرتبه في كل يوم ٤٣٠ رغيفًا . « الخطط التوفيقية » (٤/٢٤) .

(٣) رواق الجبرت : هذا الرواق داخل رواق البرنية ، وأوسع منه ، وبه دكة ودواليب ، وأهله قليلون ، ظهر منهم علماء جهابذه ، مرتبه كل يومين ٥١ رغيفًا . « الخطط التوفيقية » (٤/٢٣) .

(٤) رواق اليمنية : يقع بجوار رواق البرنية ، على باب الرحبة ، وهو أرضي صغير فيه دواليب وخزن ، أوقفه الخواجا مصطفى أفندي بن الخواجا محمود على المجاورين اليمنية بالجامع الأزهر ، وله جراية كل يوم ٣٤ رغيفًا . « الخطط التوفيقية » (٤/٢٣) .

(٥) هو : أحمد بن محمد بن حسن بن الشيخ أبي الحسن الشهاب اللامي القاهري الشافعي ، المعروف بالصندلي ، شيخٌ مُعَمَّر ، كثير التلاوة والعِبادة . مات ليلة الأحد ٢٨ ذي الحجة سنة ٨٨٩ هـ ، وقد جاوز التسعين . « الضوء اللامِع » (٢/١٠٩ رقم ٣٢٦) .

أتباعه ، وبين أتباع قَرَاجا من الجند وأتباعهم خصامٌ أَوْصَل إلى المباطَشة[1] بالأَيْدي ، فَعَظُم عليه ذلك ، ثم بعد أيَّام دخل شخصٌ من الفلاحين إلى الجامع ، يستغيث بأَهْلِه ، وكان معه نقيب ، من بيت الدويدار الكبير ، دُوْلات باي ، ناظر الجامِع ، فَذَبُّوا عنه ، فأراد النقيب نزعه منهم ، فضربه بعضُ أشرارهم ، فلم يصل إلى شيء ، فاجتمع دُولات باي ، وقَرَاجا ، وشكوا إلى السلطان مثل هذه الحال ، من المجاورين ، فأمر بإخراجهم من الجامع ، ونَقْلِ خزائنهم منه ، وإخراج كراسي المصاحِف ، وإخراب الخلاوي[2] التي بالجامع ، وأمر بأن يُعقد مجلسٌ بالقضاة ، فاجتمع القضاةُ الأَرْبع : الشرف يحيى المناوي ، والسّعد بن الدَّيْرِي الحنفي ، والولي السّنباطي المالكي ، والبدر محمد بن أحمد بن عبد المنعم البغدادي الحنبلي ، بالجامع ، ومعهم كاتب السرِّ الكمال بن البارزي ، وناظر الجامع الدويدار الكبير ، وذلك يوم السبت حادي عشري شعبان سنة ٨٥٥ هـ ، فرأى القضاة غير ما رأى السلطان ، ثم طلعوا إليه ، لِيُعْلِموه بما اتُّفِقَ ، فشرعوا يُصَبِّرونه ، وَيَسْأَلونه الإمْهال في هذا الأمر ، إلى أن ينسلخ شهر رمضان ، فلم يفعل ، وتبيّن منه حنْق عظيم ، على المجاورين ، وأمرهم بمعاودة عقد المجلس في الجامع ، والإسراع بإخراج المجاورين . ثم نزل السلطان يوم الأحد ثاني عشريه ، إلى زيارة بنته[3] ، من أُخت[4] كاتبِ السّرّ ، وهي زوجة

---

(١) المباطشة : أي مدّ كلٌّ منهما يدَه على صاحبه ؛ ليبطش به . « محيط المحيط » (٤٤) .

(٢) الخلاوي : أماكن يختلي فيها النّاسُ مع أنفسهم للعبادة . « محيط المحيط » (٢٥٣) .

(٣) في « الضوء اللامع » (٢٧/١٢ رقم ١٥١) هي : خَوَنْد خديجة ، وفي « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٢٥) هي : خَوَنْد عائشة ، أمّها (خَوَنْد مُغُل البارزي) ، ماتت قبل استكمال الثلاثين مِن عمرها في حياة أمّها في عصر يوم الاثنين ١٠ جمادى الأولى سنة ٨٦٧ هـ . راجع أيضًا : « حوادث الدهور » (٧٩٩) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٩/١٦) .

(٤) هي : مُغُل بنت محمد بن محمد بن عثمان خَوَند الكبرى بنت القاضي ناصِر الدين بن البارزي ، وُلِدت في رمضان سنة ٨٠٣ هـ ، تزوّجها الظاهِر جقمق في أوائل الدولة الأشرفية ، ثم فارقها =

يَزْبُك[1] مملوكه ، ثم لما خرج من عندها[2] ، لم يُشَكُّ في أنه يأتي إلى الجامع الأزهر ، فبادر دُولات باي ، إلى الجامع ، وفرش للسلطان ، عند المحراب ، فلم يُعَرِّج السلطانُ ، فصرفه الله عن إتيان الجامع ، بعد أن وصل إلى عطفة الخَرَّاطين[3] ، فطلع إلى القلعة ، ولم يعرِّج عليه ، ثم كفّ عنهم .

العاملي

وفي أواخر يوم الاثنين ، ثالث عشري شعبان هذا ، مات الشيخ شمس الدين محمد بن عبّاس العاملي[4] ، عن نحو ثمانين سنة ، وصُلي عليه من الغد عند مدرسة ابن الحاجب في باب النصر ، وحضر جنازته قاضي المالكية الولي السنباطي ، وأظنه الذي صلى إمامًا ، وقاضي الحنابلة البدر البغدادي ، والشيخ أمين الدين الأقصرائي[5] ، وناس كثر من الطلبة ،

= بعد أن تسلطن ، وماتت يوم الثلاثاء ٥ ذي القعدة سنة ٨٧٦ هـ . « الضوء اللامع » (١٢٦/١٢ رقم ٧٧٦) .

(١) هو : أُزْبك بن عبد الله من طَطَخ الأشرفي الظاهري جَقْمَق ، زوَّجه أستاذه الملك الظاهر جَقْمق بابنته مِن مطلقته خَوَنْد مُغُل سنة ٨٥٢ هـ ، ومات سنة ٩٠٤ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٣٤٦/٢ رقم ٣٩٤) ، و « الدليل الشافي » (١٣/١ رقم ٣٩٢) ، و « الضوء اللامع » (٢٧٠/٢ رقم ٨٤٤) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق ٣٥٥/٢) .

(٢) جاء في « النجوم الزاهرة » (٤٣٥/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٢) ، أنّ السلطان دخل إلى ابنته في بيت زوجها أُزْبك بدرب الطنبذي بُسوَيْقة الصاحب في يوم الأحد ٢٢ شعبان ، بعد أن رأى المدرسة الفخرية التي جدَّدها الجمالي ناظر الخواص .

(٣) عطفة الخرَّاطين : لعلها ، تقع في سوق الخرَّاطين الذي يسلك فيه من سوق المهاميز إلى الجامع الأزهر ، وكان يعرف قديمًا بعقبة الصبَّاغين ، ثم عرف بسوق القشاشين ، وكان فيما بين دار الضرْب والوكالة الآمرية وبين المارستان ، وكان سوقًا كبيرًا معمور الجانبين بالحوانيت المعدّة لبيع المهد الذي يُرَبّى فيه الأطفال وحوانيت الخرّاطين ، وحوانيت صنّاع السكاكين ، وصنّاع الدوي . « خطط المقريزي » (١٠٣/٢) .

(٤) هو : محمد بن عبّاس بن أحمد بن إبراهيم أبو أحمد وأبو محمد بن الشرف الأنصاري العامِلي القاهري الشافِعي ، وُلد بمنية العامِل أثناء سنة ٧٦٠ هـ . « الضوء اللامِع » (٢٧٧/٧ رقم ٧١١) .

(٥) الأقصرائي : نسبة لأقصراء إحدى مدن الرّوم ، وهو يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأمين أبو زكريّا بن الشمس أبي محمد الأقصرائي القاهري الحنفي ، ولد في سنة ٧٩٧ هـ ، ومات عصر يوم الجمعة ٢٦ محرّم سنة ٨٨٠ هـ . « الضوء اللامع » (٢٤٠/١٠ رقم ١٠٠٨) ، و « حسن =

وغيرهم ، ودُفِن قُرب تربة الصوفية ، وكان يتكسب من الشهادة ، يجلس في الدكان التي عند حبس الرّحبة[1] ، ومن قراءة البخاري للناس ، والسِّيَر ، وكان لا يعرف العربية ، ولا شيئًا من العلوم ؛ فكان يلحن ، ويصحّف ، ومع ذلك فكان منسوبًا إلى التساهل في شهادته ؛ يشهد على المزبحرين ، ونحوهم ، ممن يتحقق [له كذبهم][2] [١١] ، ويتناول مما يأتي إلى أهل السجن ، من الصدقة ؛ من الأكل ، والخُضَر ، وكان يلازم قراءة سيرة البكري الكذّاب ، حتى في جامع الأزهر ، وكان يصلي الفرائض ، في دكان الشهود ، وليس بينه وبين المسجد ، إلا الطريق ، والناس يمرّون قُدَّامه ، إلى غير ذلك من أشياء لا تليق ، فلذلك لم آخذ عنه شيئًا ، ولا غالب أصحابنا ، مع أنه كان قد سمع على العزيز المليجي وغيْره وأخذ عنه بعضُ المتهافتين سنة أربع وخمسين لغرض فاسد[3] .

قصة ناظر الخاص

وفي يوم[4] الثلاثاء رابع عشري شعبان هذا ، وقف المماليك الأَجْلاب ، للقاضي ناظر الخاص ، في باب القلعة ، ليطلبوا منه الزيادة

= المحاضرة » (٤٧٨/١) و « نظم العقيان » (١٧٨) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٥٧/٢) .

(١) حبس الرَّحبة : وهو عبارة عن قصر عمرته خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، بخط رحبة باب العيد ، فلما ماتت سكنه الأمراء بالأجرة ، وعندما تولى فرج أستادارية الملك الناصر ، صار يجلس برحبة هذا القصر ، وعمل القصر سجنًا للوزراء والأعيان ، يقول المقريزي : « فصار موحشًا ، يروع النفوس ذِكْرُه ؛ لما قتل فيه من الناس خنقًا ، وتحت العقوبة » . « خطط المقريزي » (٧١/٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل والتصحيح من مفهوم السياق .

(٣) أشار السخاوي إلى أنه لم يتحام عن قراءة ما نص الأئمة على كذبه ووضعه مِن الأحاديث لعدم تمييزة ، كما أشار إلى تكسبه بالشهادة ، وقال عنه : « وبالجملة فهو متساهل » . إلّا أنه عندما أورد ما قاله البِقاعي عنه قال : « ولكن لا اعتداد بقول هذا فيه لما كان بينهما مِن المخاصمات مع مجاورتهما » . « الضوء اللامع » (٢٧٧/٧) .

(٤) في « حوادث الدهور » (١١٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٤٣٥/١٥) : « وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه رسم السلطان بتفرقة دراهم الكسوة على المماليك السلطانية » . وفي « التبر =

في كسوتهم ، وكان لكل واحدٍ من الأجلاب ألف درهم فلوسًا بثلاثة دنانير ونصف ، ولكل واحد ، من الخاصكية[1] ، ألف وخمسمائه ، ويُقال : إنَّ بعضهم رَجَمه ، فرجع إلى السلطان ، فخرج السلطانُ ماشيًا ، حتى وصل إلى المكان الذي يفرِّقون فيه عليهم ثمن الكسوة ، فتفرقوا قبل أن يأتيهم ، فجلس هناك ، وطلبهم ، فلم يأت أحدٌ منهم ، فذهب[2] ، واستمر ناظرُ الخاص إلى أنْ تفرقوا في وسط النهار ، فنزل إلى بيته ، ثم طلع يوم الأربعاء خامِس عشريه ، قبل آذان الصبح ، قبل أن يجتمعوا له ، ثم كُشف أمرهم ، فإذا هم قد اصطفّوا له ، من باب المدرّج ، إلى باب الوزير[3] ، فخرج السلطانُ ماشيًا إلى باب القلعة ، ثم أرسل إليهم بعضَ الأمراء ، من مماليكه ، فدار الكلام بينهم ، وطالت المراجعات ، إلى أنْ رَضَوا بأنّ كلَّ مَنْ له شيءٌ يضعّف له ؛ فالخاصكِّيَّة بثلاثة آلاف ، كل واحد ، وَمَنْ دُوْنَه بألفين ، وأمر السلطان بأن يقبضوا في ذلك الوقت ، فأبوا إلا في غد ، وفي الغد ،

= المسبوك » (٣٥٢) : « وفي يوم الاثنين ثالث عشريه امتنع المماليك السلطانية مِن قبض دراهم الكسوة » .

(١) الخاصِكيَّة : هم ، الذين يلازمون السلطان في خلواته ، ويسوقون المحمل الشريف ، ويتعيَّنون بكوامِل الكفَّال ، ويتجهَّزون في المهمات الشريفة ، والمتعيّنون للإمرة ، والمتقرّبون في المملكة .. ومنهم من هو صاحب وظيفة ، ومنهم مَنْ ليس له وظيفة . « زبدة كشف الممالك » (١١٥ – ١١٦) . وراجع أيضًا « صبح الأعشى » (٤٧٧/٣) .

(٢) في « حوادِث الدهور » (١١٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٤٣٥/١٥) : « إن السلطان عندما بلغه خبر امتناعهم عن أخذ دراهم الكسوة ، وطالبوا بالزيادة ؛ غضب وخرج مِن وقته ماشيًا حتى وَصَل إلى الإيوان ، وجلس على السُّلَّمة السفلى بالقرب مِن الأرض ، واستدعى كاتب المماليك بعضهم فلم يلتفت أحدٌ إليه وأصرّوا على موقفهم ، فلم يسع السلطان إلّا أن دعا عليهم .

(٣) باب الوزير : يقع هذا الباب في التبانة خارج القاهرة . راجع « النجوم الزاهرة » (٣٥٢/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦٦) وجاء في « الخطط التوفيقية » (٦٤/٤) : « هو أحد أبواب القرافة ، تحت القلعة » ، كما جاء في « هامش ٢ ، من ص ١٨٠ ، من الجزء ١٠ ، من النجوم الزاهرة » ، أنه أحد أبواب القاهرة الخارجه في سورها الشرقي ، الذي أنشأه صلاح الدين في المسافة الواقعة بين الباب المحروق ، وبين قلعة الجبل ، وقد فتح هذا الباب الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروين ، المعروف بوزير بغداد ، عندما كان وزيرًا للملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢ هـ .

وهو يوم الخميس سادس عشري الشهر ، أظهر ناظرُ الخاص ، أنه مريض ، فلم يركب ، وأرسل من يُنْفِق على الجند ، فأما الأجْلَاب ، فأبوا أن يقبضوا ، حتى يُعطى كلُّ واحد منهم مع ذلك خمسين دينارًا ، وادَّعوا أنه كان وعدهم بها ، إن أزالوا أبا الخير النّحاس ، وأما غيرهم فقبضوا ، ثم قبض الباقون ، وسكنت ثائرتهم .

وفي هذا الحد تزاحف عربُ الشرقية من سعد ، ووائل ، فقُتل بينهم نحو خمسين نفسًا ، وكان غالبهم من وائل ، وكانوا هم الباغين ، المبتدئين .

عزل الباعوني

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان سنة [٨٥٥ هـ][١] هذه شكى شخصٌ شَريفٌ عجمي كحَّال من الجمال يوسف بن الباعوني ، قاضي دمشق الشافعي ، أنه منعه الاسترزاق بِصنْعة الكحل بدمشق ، وكان السلطان يبغضه ؛ لعدم افتقاده بالهدايا ، فعزله ، وولَّى السِّراج عمر الحمصي[٢] ، المُجْمَع على قِلَّة عِلْمه ودِيْنه[٣] ، وخلع عليه يوم الخميس رابعه ، وكتب معه مراسيم بالكشف عن الباعوني ، ومحاسبته على التركات التي تولى عليها ، وأُخْرجت عن الحمصي الصلاحِيّة[٤] وأعيدت إلى الجمال[٥] بن جماعة[٦] ،

---

(١) في الأصل (٥٥٧) والتصحيح بمقتضى السياق .

(٢) راجع « حوادِث الدهور » (١١٤ – ١١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٢) ، وقد جاء فيه أن الباعوني أعيد مرة أخرى إلى قضاء دمشق في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٥٥ هـ وعُزل السِّراج الحمصي .

(٣) جاء في « الضوء اللامِع » (٨٣/٦) : « وتوسّع في الإذن لكثيرين بالإفتاء والتدريس ، ونال منه البِقاعي ؛ بسبب فُتْياه في كائنة الكنيسة ، ما كان سببًا للمزيد مِن حط مقداره » . وجاء في « التبر المسبوك » (٣٥٢) : « أعيد الباعوني وعُزل الحمصي ؛ لِأن الخيرة للمسلمين كانت في ذلك » .

(٤) راجع « صفحة ١١٦ » ، « هامِش ١ » .

(٥) هو : عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، الجمال بن النجم بن الزين بن البرهان الكناني الحموي الأصل المقدسي الشافِعي ، وُلِد في ذي القعدة سنة ٧٠٨ هـ ببيت المقدس ، ومات في ذي القعدة سنة ٨٦٥ هـ .

(٦) جاء في « الضوء اللامِع » (٥٢/٥) أنه صُرف عن الصلاحِيَّة بالسِّراج في رجب سنة ٨٥٤ هـ ، ثم أُعيد إليها في رمضان سنة ٨٥٦ هـ .

ثم جاء الخبر ، أن هذا الشريف العجمي ، حصل منه في مباشرة الكحل ، ما أوجب المعرفة بجهله بذلك ، فأجمع فضلاء الشام ، على أنه لا يحل تمكينه من عيون الناس ، فَمُنِع ، وأما في القاهرة فإنه كان له أمر عجيب ، وذلك أنّ الشيخ علي المحتسب العجمي ، ادّعى أن له نحوًا من عشرين سنة لا يبصر بإحدى عَيْنيه شيئًا ، وأن هذا الشريف قَدَحها[1] ، فأبصر بها ، وسمعته يذكر في كيفية قَدْحها ، قصَّةً غريبةً ، لكن لم يبلغني أنه ظهر له أثر في غير عين المحتسب ، وكان المحتسب يُبْغض ابن الباعوني ، فأورث ذلك عندي رِيْبَةً في ذلك ، والله أعلم .

وداع منادي البحر

وفي هذا التاريخ ، وهو أوائل بانه ، من شهور القبط ، نودي على البحر ، أنه ثبت على ثمانية أصابع ، من تسعة عشر ذراعًا ، وأن الزِّيادة المعتبرة انتهت ، ولم يبق إلا صبَّة بابه ، ولا عِبْرة بها ؛ لأنها مما يتراجع إلى البحر من الأراضي المغمورة بالماء ، لكن الذي لم يَشكّ فيه أحدٌ ، أنه قارب العشرين ، وإنما منع ظهورَ الزيادة ، استعجالُ الناس في أعلى الأرض ، وأدناها ، بقطع الجسور ، وفتح الترع ، قبل الميقات ؛ خوفًا من مثل ما وقع في العام الماضي ، وذلك أنه نُقل عن أهل كل ناحية أنهم قالوا : لم نَرَ مثل الماء في الكثرة في هذا العام .

ولاية ابن الزهري حلب

وفي هذا الحد أيضًا ، أعيد ابن عز الدين[2] ، إلى قضاء طرابُلُس ، وَوُلِّي ابنُ[3] الزهري ، قضاء حلب ، عن ابن الخَزَرِي[4] .

---

(١) قَدَح : جاء في « محيط المحيط » (٧١٨) : « قَدَح الطبيبُ العينَ ، أيّ أخْرَج منها الماءَ المنصبَّ إليها مِن داخِل .

(٢) هو : تقي الدين عبد الرحمن بن حجّي بن عز الدين قاضي قضاة الشافعية بطرابلس . « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٧) .

(٣) كان ذلك في يوم الخميس ٤ رمضان سنة ٨٥٥ هـ . راجع : « حوادِث الدهور » (١١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٢) .

(٤) هو : عمر بن أحمد بن المبارك الزين الحموي الشافعي ، وُلد في مدينة حَمَاة ، قبل سنة ٧٨٠ هـ تقريبًا ونشأ بها ، ولي قضاء حلب أكثر من مرة ، وحمدت سيرته ، كما قدم القاهرة أكثر من مرة =

وفي وسط هذا[1] العام ، مات صاحب يَنْبُع الشريف هَلْمان ابن وُبَير (بالموحّدة مصغرًا) الحَسَني (مُكبّرًا) ، وولي عنه سُنْقُر ، بواسِطة الشرف الأنصاري ، وأظن قصته كانت في أحد الربيْعَين ، أو الجُمَادِيِّين .

ثم مات أُمَيَّان[2] (بالتَّحْتَانِيَّة مصغرًا) الحُسَيني (مصغرًا) صاحب المدِينة وولى[3] عنه قريبه[4] زُبيري[5] (بزاي وموحَّدة مصغر وفي آخره ياء نسبة) .

وفي يوم الأحد رابع عشر شهر رمضان سنة [٨٥٥ هـ] عُقِد مجلسٌ بالقضاة عند السلطان ، بين القاضِي كاتب السّر ، وبين بنت الملك الظاهِر طَطر ؛ بسبب قرية زَبَد من بلاد حَمَاة ، فأُعْلَم القاضي الشافعي السلطان أنه ليس لها عند القاضي كاتِب السرّ حقٌّ ، وأن حدود الأرض التي في مستندها لا تطابق حدوده ، فَرَسم السلطانُ بأنه يَشْتري منها أرضها ففعل .

وفي العشرين[6] مِن رمضان هذا سافر جانِبَك الساقي والي الشرطة في سفر الوالي

= كان أولها سنة ٨٣١ هـ ، ومات يوم الجمعة ١٠ ربيع الآخِر سنة ٨٦٢ هـ . « الضوء اللامع » (٧١/٦ رقم ٢٤١) .

(١) راجع « صفحة ١٢٩ » ، « هامش ٢ » .

(٢) هو : أُمَيَّان ، وقيل : (وميَّان) بن مانِع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني المدني .

له ترجمة في : « النجوم الزاهِرة » (٥/١٦) ، و « الضوء اللامِع » (٣٢١/٢ رقم ١٠٤١) .

(٣) كان ذلك في يوم الخميس ٤ رمضان سنة ٨٥٥ هـ . راجع « حوادِث الدهور » (١١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٢) ، وجاء في « الضوء اللامِع » (٢٣٢/٣) أن زبيري ولي المدينة عن ابن عمه أميان بن مانع في رمضان سنة ٨٥٤ هـ ، وأقام بها حتى سنة ٨٦٥ هـ ، حيث انفصل عنها بزهير بن سليمان بن هبه بن جماز .

(٤) جاء في « حوادث الدهور » (١١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٢) ، زبير .

(٥) هو : زبيري (اسم بلفظ النسب) ابن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور الحسيني . توفي في سنة ٨٨٨ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامِع » (٢٣٢/٣ رقم ٨٨٦) .

(٦) في « حوادث الدهور » (١١٥) ، وفي « التبر المسبوك » (٣٥٢) أن السلطان خلع على =

البَرّ إلى الجون ، من نواحي[1] أنْطَاكِيَة[2] ؛ ليقطع خشبًا ، وتعمل منه سفنًا ويحمله فيها .

ولاية السُّوبِينِي طرابلس

وفي يوم الأربعاء ، رابع عشري رمضان هذا ، عَزَل السلطانُ ابنَ عز الدين ، من قضاء طرابُلُس ، وولاها البرهان السُّوْبِيْنِي[3][4] .

قدوم ابن سليمان

وفي هذا اليوم ، أُقدم محمد بن سليمان بن عبد القادر ، شيخ جبل نابُلُس ، مُضَيّقًا عليه ، فأُمر به إلى سجن الإسكندرية ، مقيَّدًا ، واستمر في القَيْد إلى أوائل سنة ثمان وخمسين .

موت التاج البلقيني

وفي يوم السبت سابع عشري شهر رمضان هذا [١٢][5] مات

= جانِبَك الساقي اليشبكي خِلعة السفر إلى الجون في يوم الخميس ١١ رمضان سنة ٨٥٥ هـ .

وجاء في « حوادث الدهور » (١١٥)أن جانِبَك سافر إلى الجون في يوم الاثنين ٢٢ رمضان .

(١) في « حوادِث الدهور » (١١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٢) « مِن بر التركية » .

(٢) أنْطَاكِيَة : هي قصبة العواصم مِن الثغور الشامية ، وهي مِن أعيان البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكِه وسعة الخير، تقع إلى الشمال الغربي من سوريا اليوم ، داخل الحدود التركية . راجع : « معجم ما استعجم » (١/٢٠٠ - ٢٠١) ، و « معجم البلدان » (١/٢٦٦ - ٢٧٠) ، و « آثار البلاد وأخبار العباد » (١٥٠ - ١٥١) ، و « أطلس التاريخ الإسلامي » (٣٥) .

(٣) هو : إبراهيم بن عمر بن إبراهيم البرهان الحموي الأصل السّوْبِيْنِي الطرابُلُسي الشافِعي ، وُلد سنة ٨٠٠ هـ في قرية سوبين مِن قرى حَمَاة ، ومات في ذي الحجة سنة ٨٥٨ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (١٤٠) ، و « الضوء اللامِع » (١/١٠٠) ، وجاء فيه أن البِقاعي أفْحَش بشأنه .

(٤) جاء في « النجوم الزاهرة » (١٥ / ٤٣٨) « وفي يوم السبت رابِعه [أي شوال] استقر السُّوبِينِي في قضاء طرابُلُس .

(٥) في « أعلى هذه الصفحة ذكر البقاعي حاشية لا علاقة لها بما جاء في متنها وَإنَّما تتعلَّق بأحداث سنوات سابقة نذكرها من باب الفائدة: « التفتازاني ، والجرجاني : أخبرني الفاضِل المفنن جمال الدين محمد بن ناصر الدين بن محمد السابق الحموي الحنفي أنّ الإمام شهاب الدين أحمد بن عربشاه الحنفي ، أخبره أن الشيخ علاء الدين محمد البخاري الحنفي أخبره أن شيخه نادِرة الزمان سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافِعي مات في سنة تسعين ، أو إحْدى وتسعين - الشكّ مِن =

القاضي تاج الدين محمد بن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقِيني[١] ، وصُلّيَ عليه يوم الاثنين ثامن عشريه ، في جامع الحاكم ، ثم ذُهب به من سوق مرجوش[٢] ، إلى قرب القنطرة ، فدُفن في زاويةٍ هناك ، وخَلَّف أولادًا عدَّة ، أفضلهم أبو السَّعَادات محمد[٣] ، ثم علاء الدين علي[٤] ، وكان خيِّرًا ، ساكِنًا ، وقورًا ، عاقِلًا ، لم يكن في أقَاربه في ذلك مثله .

موت نائب صفد

وفي هذا الحدِّ[٥] مات بصَفَد نائبها يَشْبُك الحمزاوي[٦] ، فورد خبره في أوائل[٧] شوال ، وولي نيابتها مكانه الأمير بَيْغُوت ، الذي كان نائب

= ابن السابق - ، قال : وأخبرني ابنُ عربشاه أن الشريف الجرجاني مات سنة تسع عشرة وثمانمائة عن نحو سبعين سنة ، فإنه بلغني أن مولده سنة سبع أو ثماني وثمانين وسبعمائة » .

(١) وُلِد في منتصف ذي القعدة سنة ٧٨٧ هـ بالقاهرة .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٦٣٤/٢ رقم ٢١٨٢) ، و « النجوم الزاهِرة » (٦/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٤/٧ رقم ٧٦٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٦٥) .

(٢) سوق مرجوش : بناه أمير الجيوش بدر الجمالي ، ويقال له : سوق حارة برجوان ، يقع من باب حارة برجوان إلى قرب الجامع الحاكمي ، وهو من الأسواق القديمة ، وكان يعرف في أيام الخلفاء الفاطميين بسوق أمير الجيوش ، كان معمور الجانبين بعدة وافرة من باعة اللحم بأنواعه ، والزّياتين ، والجبّانين ، والخُضَريين ، والشوّايين ، وغيرهم . « خطط المقريزي » (٩٥/٢) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٤١/١) ، و « الخطط التوفيقية » (١١/٢) .

(٣) وُلد في ١٤ ذي الحجة سنة ٨٢١ هـ ، ومات يوم السبت ثاني ربيع الأول سنة ٨٩٠ هـ . « الضوء اللامِع » (٩٩/٩ رقم ٢٦٠) .

(٤) وُلد في رجب سنة ٨٠٤ هـ بالقاهرة ، ومات في ليلة الاثنين ثامِن عشري شعبان سنة ٨٨٣ هـ . « الضوء اللامع » (٣١٠/٥ رقم ١٠٢٥) .

(٥) في « النجوم الزاهِرة » (٤٣٧/١٥) في ليلة السبت ٢٩ رمضان وفي « الدليل الشافي » (٧٨٩/٢) ، و « الضوء اللامع » (٢٧٦/١٠) في ليلة السبت ٢٧ رمضان .

(٦) هو : يَشْبُك بن عبد الله السيفي سودُون الحمزاوي .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٧٨٩/٢ رقم ٢٦٥٩) ، و « النجوم الزاهرة » (٧/١٦) ، و « الضوء اللامِع » (٢٧٦/١٠ رقم ١٠٨٧) .

(٧) في « النجوم الزاهِرة » (٤٣٧/١٥) في يوم الجمعة ثالِث شوال .

حماة ، وهرب إلى بلاد جهنكير بن قرالوك ، ثم رجع في هذه السنة ، ورضي عنه السلطان ، ثم تحرَّرَ ، أنَّ موت نائب صفد ، كان بعد عصر يوم الجمعة سادس عشري[1] شهر رمضان .

موت ابن التفا

ومات بالقاهرة ، في هذه الساعة ، من هذا اليوم[2] ، الحاجب الثاني لمدينة حلب ، ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن حسن البابي الحلبي المعروف بابن التْفَا[3] ، بِفَتْح الفوقانِيَّة ، ثم فَاءٍ مقصور ، وكان مِنْ أصدق الناس ، لنائب صَفَد ، فكان ذلك من عجائب الاتفاق .

موت ابن الشيخ حسن

وفي هذا الحد جاء خبر محمد بن الشيخ حسن إسْتَدَّار السلطان بدمشق أنه مات بها عن غير وارث .

نفي العبيد

وفي هذه الأيام قيل : إنَّ السلطان يريد أن ينفي العبيدَ الزنوجَ ، ونادى ، أنَّ مَنْ كان عنده عبدٌ ، يَطْلع به إلى السلطان ، فيأخذ ثمنَه ، فطلع إليه جماعةٌ بثلاثين عبدًا ، فاشتراهم ، بثلاثمائة دينار ، ثم طلع إليه في غد ذلك اليوم ناسٌ آخرون ، فاستدعى عبدًا منهم ، فقال له : اقرأ الفاتحة . فقال : لا أُحْسنها . فضرب مولاه ، فهرب الباقون ، وانتهى الناس ، عن الطلوع إليه بالعبيد ، فأرسل من قبض على بعض العبيد ، ثم كفَّ عنهم .

وفي يوم الخميس تاسع شوال هذا ، وهو من سنة خمس وخمسين وثمانمائة نادى المنادي عن السلطان ، بأنه لا يبقى في القاهرة غريبٌ ، إلا رجع إلى بلاده ثم لم يسمع أحد هذا القول ، ولا ظهر له فائدة .

ولاية أبي السعادات قضاء العسكر

وفي يوم الاثنين ثالث عشر شوال هذا ، لَبس أبو السعادات بن التّاج البُلْقِينِي خِلْعة قضاء العسكر[4] ، عن أبيه .

---

(1) راجع « هامش ٥ » من (ص ١٤٩) .

(2) في « النجوم الزاهِرة » (٦/١٦) في يوم السبت ٢٧ رمضان .

(3) في « النجوم الزاهِرة » (٦/١٦) ، المعروف بابن التُّغَا .

(4) جاء في « صبح الأعشى » (٩٦/١١) تحديد مهام قاضي العسكر ، بأن يتخذ معه كاتبًا يكتب للناس ، وأن يقبل من الجُنْد من كان ظاهرُه العدالة ، وأن يكون له منزل معروف يُقْصَد إذا نُصبت =

وفي يوم الخميس سادس عشر شوال هذا ، خُلع على القاضي حميد الدين البغدادي[1] ، المشهور بابن أبي حنيفة ، بولاية قضاء الحنفية بدمشق[2] .

نيابة القدس

وفي هذا الحدّ عُزل عمر شاه ، عن نيابة القدس ، ووليها فارس دويدار طوغان[3] العثماني ، الذي كان نائبها .

قصة تمراز في أخذ اليمن

وكان تِمْرَاز[4] الأَحْول ، لَمّا أخذ المال ، الذي جمعه من مكس جُدَّة ، قصد به ناحية الهند ، كما تقدم ، فوصل إلى بعض بلادها[5] ، إلى مملكة بعض الكفّار السمرة ، فبلغه أنَّ المال ، الذي مع تِمْراز ، لصاحب مصر ، وأنه هرب به ، فأحضره ، وسأله عن البضائع ، التي يطلبها ، ثم أحضرها إليه ، فلما تَجَهَّزَ أَمَرَه أن يرجع إلى مصر ، فأقبل راجعًا ، فلما

= الخِيام ، والأفضل أن يكون عن يمين الأعلام السلطانية ، وأن يكون مستعدًا للأحكام التي يكثر فصلها في العسكر ، مثل : الغنائم ، والشَّرِكة ، والقِسْمة ، والمبيعات ، والرّدّ بالعيب ، وأن يسرع في فصل القضاء بين الخُصوم لئلا يكون في ذلك تشاغُل عن مَوَاقع الحرب ومقدّماته .

(١) في « التبر المسبوك » (٣٥٣) النعماني .

(٢) راجع « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٣٨) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٣) .

(٣) هو : طوغان بن عبد الله العثماني ، أصله من مماليك الأتابك ألطُنْبُغا العثماني نائب الشام ترقى بعد وفاته ، حتى صار خاصكيًا ثم ولي نيابة القدس سنين فحمدت سيرته ، ووصف بالشجاعة والكرم ، مات في ذي القعدة سنة ٨٥٢ هـ في مدينة غَزَّة .

له ترجمة في « حوادِث الدهور » (١٤٧) ، و « الدليل الشافي » (١/٣٧٣ رقم ١٢٨٠) ، و « النجوم الزاهِرة » (١٥/٥٣٢) ، و « الضوء اللامع » (٤/١٣) ، و « التبر المسبوك » (٢٤١ - ٢٤٢) .

(٤) هو : سيف الدين تِمْرَاز بن عبد الله بن بَكْتَمُر المؤيدي المصارع شادّبَنْدر جدّ . مات قتيلًا في المعركة بين الحديدة وبيت الفقيه ابن حشيبر مِن اليمن في ٢٥ رمضان سنة ٨٥٥ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (١٥٨) ، و « الدليل الشافي » (١/٢٢٦ رقم ٧٩٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٨) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٧) ، و « الضوء اللامع » (٣/٣٥ رقم ١٤٩) .

(٥) في « حوادث الدهور » (١٠٦) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٢٧) : « وصل إلى كالِكُوت وحاكم كالكوت سامِريّ وجميع أهل البلد سمرة ، وبها تجار غير سمرة وأكثرهم مِن المسلمين .

حاذَى اليمن نزل بها[1] ، فوردت مكاتباته في نصف شوال سنة ٥٥ ، أنه لَمّا طلع إلى بلاد اليمن وجد أهلها مختلفين على ملكهم ، وقد طالت منازعاتِهم ، فاقتضت آراؤهم الاجتماع عليه ، لقطع تلك الحروب ، ففعلوا ذلك ، وولّوه اليمن ، وأنَّ الواصل منه إلى السلطان خمسمائة تَكْرَة من الفلفل ، وأنه سَيُجَهِّزُ بعدها خمسمائه أخرى ، وطلب من السلطان أن يرسل له خِلعة ، ليكون نائبه على اليمن ، فكانت هذه القصة - إنْ صَحَّت - من أغرب ما سُمع به في تاريخ ، والله المُعطي لا رَبّ غيره ، ولا مُعْتمد سواه . فأُجيب بأنَّ الخِلعَة جُهّزت إلى جدة ، فإن أرادها ، فَلْيَتَجَهَّز ليلبسها هناك . وتبين أنه لم يأخذ اليمن ، وإنما كان مراده بذلك إقامة جاهِهِ ، وقطع أطماع الناس عنه[2] .

سير الحجاج

وفي ليلة الثلاثاء ، حادي عشر شوال هذا ، رَحَل ركْب الحُجَّاجِ الأول ، وأميرهم عبد العزيز بن محمد الصّغَيِّر (بالتصغير مثقلاً) وفي ليلة الأربعاء ثاني عشريه ، رحل المحمل ، وأميرهم سُو نْجُبْغا[3] ، صهر السلطان ، وكاتب السر ، وكان الحجاج في هذا العام قليلاً جدًّا ، بحيث أنه لا يتوقف ذو تدبير في أن الأليق ، أن الركبين كان ينبغي أن يكونا

---

(١) في « حوادث الدهور » (١٥٩) ، نزل الحديدة من اليمن ، وفي « النجوم الزاهرة » (١٥/ ٤٢٨) : « عندما وصل باب المندب من عمل اليمن عند مدينة عدن أخذ المركبين المشحونين بالفلفل ، وتوجَّه بهما إلى جزيرة مقابلةِ الحديدة تسمى كَمَران » .

(٢) راجع خبر هذه القصة مفصلاً في : « حوادِث الدهور » (١٠٦ ، ١٥٩) ، و « النجوم الزاهرة » (٤٢٦/١٥ - ٤٢٨) ، و « التبر المسبوك » (٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٣) هو : سو نجبغا اليونسي الناصري فرج ، تأمر في أوائل دولة الظاهر جقمق ، وسافر أمير محمل غير مرَّة ، وفي عهد المنصور تولى إمرة عشرة ، بعد أن أنعم عليه بإقطاع طبلخاناة ، مات مقتولًا على يد تغري بردي القلاوي يوم السبت ١٦ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ ، وقد زاد على ستين سنة .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٣٣٧/١ رقم ١١٦٢) ، و « حوادث الدهور » (٣٥٤ - ٣٥٥) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦٥/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٨٧/٣ رقم ١٠٩٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠) .

قصة القسيس الفرنجي الذي أسلم

ركبًا واحدًا[1] ، وأنهم يخشى عليهم بالفرقة من العربان ، وذهب مع سُو نْجُبْغا ، شخص من مسلمة الفرنج ، الذين بنواحي الأندلس ، من مدينة يقال لها[2] .. سُمّي حِين أسلم ، إسماعيل ، وقصته من أغرب القصص ؛ وذلك أنه طلب علوم النصارى ، فقرأ الكتبَ السماوية ؛ الإنجيل وغيره ، فُفتح عليه ، حتى صار يتكلم بلسان الوعظ ، وزَهَدَ في الدنيا ، وأحب العلم ، فحصل له قبول عظيم ، ورفعوا منزلته ، حتى صار من أماثل قِسّيسِيهم ، فحمله ذلك على تطلب غرائب الكتب ، لاسيَّما الكتب السماوية ، فتكررت على مسامعه الآيات المبشّرة بالنبي محمد ﷺ ؛ ففاوض بعض من يعرف علمه وديانته في ذلك ، فنهاه عن الفَحْصِ عنها ، فألح عليه ، فاعترف له بأن هذا المُبَشَّر به ، هو محمد الذي يدين المسلمون بشريعته ، فسأله ، عن سبب إخفائه لذلك ، فأخبره أنه الخوف على نفسه ، فأراد التّثبت في ذلك ؛ فارتحل إلى علمائهم ، وتغلغل في بلادهم ، حتى وصل إلى رومة المدائن ، واجتمع برئيس جميع النصارى ، الذي يُقال له : البابا ، فلزمه للتّعلّم والخِدْمة ، حتى اختصّ به ، وعَظُمت منزلَتُه عنده ، وهو مع ذلك ملازم للوعظ ، والناس مقبلون عليه ، حتى كَثُرت أتباعُه ، ثم سأل البابا عن تلك البشائر ، فنهاه عن الخوض فيها ، فألح عليه ، إلى أن اعترف [١٣] له بما اعترف به الأول ، مِن أنَّ المراد بهذه البشائر ، محمد العربي ، وأنّ دِينه هو الحق ، وما عداه باطل ، وأنّ المانع له من إظهاره ، الخوفُ على نفسه ، وأنه لا يموت إلّا عليه ، وأنّ البابا الذي كان قبل عليه مات ، فاستشاره في اللحاق ببلاد الإسلام ، فقال له : إن قدرت فافعل . فأخذ في الرجوع إلى بلاده ، فَعُرِض عليه من الدنيا ، من الملوك ، والعظماء ، والتجّار ، ما يرجو عليه حسن الجزاء ، في الآخرة ، فأعرض عنه ، و لم يقبل لِأحدٍ شيئًا ، وتبعه من النصارى خلائق ،

---

(١) راجع « حوادث الدهور » (١١٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٣) .

(٢) لم يذكر البقاعي اسم هذه المدينة .

وهو مع ذلك ملازم للوعظ ، والتذكير ، وكلما وصل إلى بلد زادت أتباعُه، وارتفعت بينهم رُتْبَتُه ، وزاد إلحاحُ الناس عليه بالدنيا ، وهو يأبى ذلك فيزيد إعراضُه الناسَ عليه إقبالًا ، حتى وصل إلى بلدة ، ثم قصد ناحية الأندلس ، حتى وصل إلى قُرْطُبَة[1] ، وهي الآن في مملكة ..[2] ، فاجتمع به واستشاره في الدخول إلى بلاد الإسلام ؛ ليذَكّرهم بالله ، ويُبَصّرهم في الدين ، ويفعل فعل الحواريين ، فهو على إحدى الحسنيين ، إما أن يهتدوا على يده ، وإما أن يصلبوه ، كما صُلب غالبُ الحواريين ، وكان من المقرر عند جهلة النصارى ، أنّ المسلمين جهلة ، لو حصل لهم من يذكّرهم ، ويُحْسن في ذلك ، رجعوا عن الإسلام ، فأذِن له ، فأراد أتباعُه ، وهم نحو عشرة آلاف رجل القدوم معه ، فمنعهم ، وَمَكَّن نحو خمسمائه رجل ، مِمّن يثق بكمال محبته له ، واعتقاده فيه ، فوصل بهم إلى أول حصون المسلمين ، من الأندلس ، فلما قربوا من الحصن ، استعدّ أهلُه للمحاربة ، فأرسل واحدًا من أتباعه ، يطلب الاجتماع بأمير الحصن ، فاجتمعا مفردين ، فأعلمه بقصّته ، وشهد شهادة الحق ، فأطلعه إلى الحصن ، ثم أمر أصحابَه أن يقفوا له تحت برج من أبراجه ، بحيث يسمعون كلامه ، فأطلّ عليهم ، ووعظهم ، وذكّرهم ، وسألهم كيف يعرفون حَالَه

---

(١) جاء في « صبح الأعشى » (٥/٢٢٦) مدينة غربي نهر إشْبِيلِيَة في غرب الأندلس بجنوب ، وهي مِن أعظم مُدُن الأندلس .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين لم يذكر البقاعي فيه اسم المملكة التي تتبعها قرطبة في ذلك الوقت ، وهي مملكة (قشتالة) ، حيث سقطت قُرطُبَة في أيدي القشتاليين بزعامة فرناندو في ٢٩ يونية سنة ١٢٣٦ م (٢٣ شوال سنة ٦٣٣ هـ) ، وقد كان زعيم المملكة في تلك الفترة خوان الثاني أو يوحنا الثاني الذي حكم مملكة قشتالة منذ سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) وهو في الثانية مِن عمره ووضع تحت وصاية أمه كونستانس الإنجليزية وعمه الأمير فرناندو صاحب أنتقيره . واستمر حكم خوان الثاني قرابة نصف قرن ، حيث مات في سنة ٨٥٨ هـ ، يوليه ١٤٥٤ م ، وهو والد إيسابيلا الكاثوليكية التي تَبوّأت العرش فيما بعد ، وكان لها شأن عظيم في تاريخ إسبانيا النصرانية . راجع « صبح الأعشى » (٥/٢٧٠) ، و « نهاية الأندلس » (٨٨ ، ٩٠ ، ١٧٥) ، « التاريخ الأندلسى » (٥١٨ ، ٥٢٦) .

ونصْحَه ؟ فاعترفوا بما يعرفون من ذلك ، فقال : إنّي لم آتِ إلا هَرَبًا بنفسي من النار ، فمن أراد الجنَّة فيطلع متابعًا لي على ما أنا عليه ، ومن أراد النار ، فليرجع ، فإنّ دين الإسلام هو الحقّ ، وما عداه باطل . قال : فوجموا ساعة ، ثم ذهب منهم نحوِ عشرين نَفْسًا ، راجعين إلى بلادهم ، واستمرّ الباقون ساكتين ، ثم قالوا : نحن لك تبع ، فإنّا قومٌ جُهَّال ، وقد رضيناك حجَّة فيما بيننا ، وبين الله . فقال : أنا أشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وأن ما سوى ذلك باطل ، فقالوا : ونحن كذلك . ففتح لهم باب الحصن ، وصَعِدوا رافعين أصابعَهم شاهدين شهادة الحق ، فكان يومًا مشهودًا ، ثم إنَّ صاحب ذلك الحصن ، كتب بذلك الخبر إلى ملك الأندلس[1] ، ثم قدم إليه إسماعيل بمن معه ، فَسُرُّوا بلقائهم ، غاية السرور ، وعرض صاحبُ الأندلس على إسماعيل المُقَام عنده ، وأن يرتب له ما أحب ، من الدنيا ؛ نَقْدًا ، وطعامًا ، وآلات . فقال : لابُدّ لي من الحج ، وزيارة النبي ، الذي تابعته ، فَجَهَّزَه إلى من يليه من الملوك ، ومن يليه إلى من يليه ، وكل ملك ، قدم عليه ، يُبالغ في إكرامه ، وملاقاته بجنده ، إلى أن قدم إلى بِجَايَة[2] ، فكتب معه والد الشيخ أبي الفضل ، الإمام العلّامة ، الزاهد ، أبو عبد الله محمد بن العلّامة الزاهد أبي القاسم محمد المَشَدّالي إلى من يَقْدِم عليهم ، من أكابر المسلمين ، ما

---

(١) لعله يقصد صاحب مملكة غرناطة محمد بن نصر بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج ابن إسماعيل بن يوسف بن نصر أبا عبد الله الغني بالله المعروف بالأحنف عندما حكم غرناطة للمرة الثانية في الفترة من سنة ٨٤٩ هـ (١٤٤٦ م) إلى سنة ٨٦٣ هـ (١٤٥٨ م) . راجع « الضوء اللامع » (٦٨/١٠ رقم ٢٢٩) ، و « نهاية الأندلس » (١٦٣ - ١٦٤) ، و « التاريخ الأندلسي » (٥٦٧) .

(٢) بِجَايَة : مدينة على ساحل البحر ، بين إفريقية والمغرب ، كانت ميناءً قديمًا ، ثم بُنِيت المدينةُ ، وهي في لحف جبل شاهِق تقع في قبلتها جبالٌ كانت قاعدةَ بني حَمّاد ، بينها وبين طُرْطُوشة من الأندلس ثلاث مَجَار من البحر ، يقول ياقوت : « وهي مفتقرة إلى جميع البلاد ، لا يَخصّها مِن المنافِع شيء ، إنما هي دار مملكة تركب منها السفن ، وتسافر على جميع الجهات » . « معجم البلدان » (٣٣٩/١) وراجع أيضًا « صبح الأعشى » (١٠٩/٥) .

صورته ...[1] ، فقدم بكتابه إلى تونس ، فأُكْرم غاية الإكرام وكُتب معه إلى صاحب مصر ، الملك الظاهر جَقْمَق ، فحصلت له في الطريق ، في بعض سواحل بَرْقَة[2] ، مصيبةٌ أذهبت جميعَ ما جَهَّزه به هؤلاء الملوك ، وقدم إلى الإسكندرية ، ليْس معه شيءٌ ، ثم إلى مصر ، فاجتمع بشيخنا ، نادرة الدهر ، وعلّامة الأنام ، أبي الفضل محمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن المشدَّالي البجائي[3] ، وحدَّثه بقصته ، وأراه كتاب أبيه ، وهو الذي حدّثني حديثَه ، فقابله بما يليق به ، من الإكرام ، وذَكَرَه لكاتبِ السّرّ ، القاضي كمال الدين محمد بن الناصر محمد بن محمد بن البارزي الجهني الحموي الشافعي ، فذكره للسلطان . وكان من مشكلات الدّهر في أفعاله عطاءً ، ومنعًا ، وغير ذلك ، فأمره بإقدامه عليه ، ففعل ، فوقف له ، وعانقه ، وأوصله من الكلام ، إلى أقصى ما يؤمّل ، ثم وقف به شيطانُ همته هنالك ، فلم يأمر له بشيء مِن الدنيا ، والحال أنه ربما أُعْطى بعضَ من لا نَفْع به في دِين ، ولا دُنْيا ، من آحاد التركمان عشرة آلاف دينار ، وأما إعطاؤه الألف وما قاربها ، لمثل أولئك فكثير [١٤] ، فكساه كاتبُ السّرّ ، وأعطاه ما ينفقه وطيّبَ خاطره ، فحصل له قبل تَجَهّز الرَّكب مرضٌ ، فلما جاء وقت الرَّحيل عُرض عليه أن يُقيم خوفًا من زيادة مرضه بحركة السَّفر ، فأبى إلا السَّفر ، وإن مات في الطريق ، فجهّزه القاضي ، مع صهره[4] ، أمير الحاج ، وأوصاه به ، وأوصى زوجته ، وهي أخت

---

(١) لم يدوّن البقاعي صورة ذلك الكتاب بل ترك له فراغًا بمقدار ثلاثة أسطر ويبدو أنه مات قبل أن يحصل عليه ويدوّنه في كتابه .

(٢) بَرْقَة : في « معجم البلدان » (٣٨٨/١) : « صقع كبير بين الإسكندرية وإفريقية يشتمل على مُدْن وقرى قاعدتها أنطابلس » .

(٣) وُلِد في ليلة النصف من رجب سنة ٨٢١ هـ وقيل ٨٢٢ هـ ، وقيل له (المشَدَّالي) نسبة إلى قبيلة مِن زواوَة ، مات سنة ٨٦٥ هـ . راجع « ص ٢٦ » ، و « النجوم الزاهرة » (٣١١/١٦) ، وذكر السخاوي في ترجمة مطوّله عنه ، أنه مات في أواخر سنة ٨٦٤ هـ « الضوء اللامع » (١٨٠/٩ – ١٨٨ رقم ٤٦٦) .

(٤) وهو (سُوْ نْجُبغا) . راجع « ص ١٥٢ » .

القاضي ، وأكّد عليها ، وكذلك جماعتهم ، فحملوه معهم ، وأخبروه بسرورهم به ، وأمروه بأن يرفع إليهم جميع ما يحتاجُه ، والله تعالى المسؤول ، بأن يلطف به ، ويحسن إليه .

وفي يوم الأربعاء سادس ذي القعدة سنة خمس وخمسين ، عُقِدَ لابن محاسن مجلسٌ ؛ بسبب أولاد الحموي ، فاعترف ، بأنه وضع يده على تركة أبيهم ، وأنها قريب عشرين ألف دينار ، وادّعى ، أنه أورد أكثرها إلى أبي الخير ، فطلبه السلطانُ ، يوم السبت تاسع ذي القعدة سنة ٨٥٥ ، وسأله عنها ، فأجاب ، بأنها وصلت إلى أبي الخير ، فضربه نحو أربعمائة عصى ، ورده إلى المقشرة في زنْجيره ورتَّب لأولاد الحموي علي الذَّخيرة[١] ، في كل يوم دينارًا ، وعجّل لهم بثلثمائة دينار ، وستين دينارًا عن سنة ، وكان القاضي صلاح الدين خليل بن السابق[٢] الحموي الشافعي[٣] كاتِب السّرّ بدمشق ، قد وصل إلى القاهرة يوم الجمعة ثامنه[٤] ، ليطلب من السلطان رِزْقًا يصرفه إلى مُوَقِّعي الإنشا بدمشق ؛ لأنَّه كان لهم مرتب على مكس[٥] المصبغه ، فأُبطل بواسطة ناظر الخاص

---

(١) الذّخيرة : يبدو أنها بمثابة مالية الدولة لها ديوان يعرف بديوان الذّخيرة ، « مِن أجل الدواوين ، يجمع به أموال الذخيرة مِن جهات مُتعدِّدة ، وله ناظِر ومباشرون » . « زبدة كشف الممالك » (١١٠) .

(٢) في الأصل (سابق) والتصحيح مما جاء في مصادر (هامش ٣) .

(٣) هو : خليل بن محمد بن محمد بن محمود ، صلاح الدين بن ناصر الدين بن شمس الدين بن نور الدين الحموي الشافعي المعروف بابن السابق ، ولد بَحَمَاة بُعَيد سنة ٧٨٠ هـ ، ونشأ بها ، وقيل بالمعرَّة ؛ لكون أبيه مباشرًا بها وتولى عِدّة وظائف سنية ، وكان مشكور السيرة ، مات بطَّالًا بعد مرض طويل في يوم الأحد ٢٨ جمادى الآخِرة سنة ٨٥٩ هـ ، عن ٨٤ سنة .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٧٨/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٠٤/٣ رقم ٧٦٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٢٨) .

(٤) في « حوادِث الدهور » (١١٧) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٣) « في يوم الجمعة تاسعه » .

(٥) المكس : جاء في « المصباح المنير » (٢٤٣/٢) المكس الجباية ، وقد غلب استعماله فيما يأخذه أعوان السلطان ظلمًا عند البيع والشراء .

اطلق على المكس (الهلالِي) ، وهو عدة أبواب أحدثها ولاة السوء وقد عُرف الهلالي في القرن =

بالقاهرة ؛ لإنتماء القاضي صلاح الدين إلى القاضي كمال الدين بن البارزي ، صاحب ديوان الإنشا بالقاهرة ، وغَض ناظِر الخاص ممن ينتمي إليه ، فيقال [أَنَّ][1] القاضي صلاح الدين ، كان يقترض على ذمته ، ويُعطي الموقعين فكان من المناقلات الابتدائية ، أَنْ أخرج السلطانُ في هذا اليوم بلدًا يُقال لها سبرباي[2] تحت نظر القاضي كاتب السّر الكمال بن البارزي يرصده لموقّعي الإنشاء وبَعْض الأطباء ، أخرجها عن نظره ، ودفعها إلى قواليح بن العفيف[3] ، رئيس الأطباء بالمَرَسْتان[4] المنصوري[5] بالقاهرة .

قصة قواليح

= الثالث باسم (المرافِق والمعاوِن) « الخطط » (١/١٣٠) . ويذكر النويري ، أنَّ الهلالي : « عِبارة عمّا تُستأدّى أجورُه مشاهرة ، كأجرة الأملاك المسقَّفة مِن الآدُر والحوانيت والحمّامات والأفران وأرحية الطواحين الدائرة بالعوامل ، والراكبة على المياه المستمر بالجريان .. » .

« نهاية الأرب » (٨/٢٢٨) راجع أيضًا : « نظم دولة المماليك » (١/٧٢ - ٧٣) .

(١) ما بين الحاصرتين إضافة اقتضاها السياق .

(٢) سبرباي : قرية من مديرية الغربية بقسم أبيار في شمال طنطا بنحو ساعة ونصف ، وفي شرقي ترعة الجعفرية ، بها جامع بمنارة . « الخطط التوفيقية » (١٢/٥) .

(٣) هو : عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن عفيف بن وهيبة بن يوحنا تقي الدين المكي الأسلمي ابن أخي الشمس أبي البركات بن عفيف ، الذي وسّطه الأشرف بَرْسِباي قبيل موته، وأحد رؤساء الطب والكحل ، ويُلقّب قوالح . « الضوء اللامع » (٤/٣٣٠) .

(٤) بَيمارَسْتان : كلمة فارسية ، مركبة مِن لفظين (بيمار) بمعنى مريض ، أو عليل ، أو مصاب ، و (ستان) بمعنى دار ، أو مكان ، فهي دار أو مكان المرضى، ثم اختصرت فصارت (ستان) . « تاريخ البيمارستانات في الإسلام » (٤) .

(٥) هو : الملك المنصور قلاوون الألفي العلائيّ الصالحي ، أحد المماليك الأتراك البحرية ، اشتراه الأمير علاء الدين آق سنقر الساقي العادِلي بألف دينار تسلطن يوم الأحد ٢٠ رجب ، سنة ٦٧٨ هـ ، مات خارج القاهرة ليلة السبت ٦ ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ ، بعد أن حكم مدة إحدى وعشرين سنة وشهرين وأربعة وعشرين يومًا . « الخطط » (٢/٢٣٨) . ويقع المرستان المنصوري بخط بين القصرين مِن القاهرة كان مكانه قاعة ست الملك بنت العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمي ، شرع المنصور قلاوون في بنائه أول ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ . راجع « الخطط » (٢/٤٠٦) .

وفي هذه الجمعة نُسب بنو حرميّ إلى قَتْل قتيل ؛ وذلك أنه لما وقع لهم مع الشريف الفاضل عبد الوهّاب بن أبي بكر السّلْطي الشافعي ما تقدّم[1] . من إخراجه من الحجازيّة ، ظُلمًا ، وعدوانًا ، وكانوا سلّطوا عليه عَبْدًا لهم ليقتله ، وتكلّم بذلك ورشوا الوالي ، فانقلب عليه ، فلما ظفروا به ، ساءَ ظفرهم ، واشتد بطرهم [وحدثت][2] منهم أمورٌ ، يطول شرحها ، فقوبلت بالصبر الجميل ، والاعتماد على الحق الوكيل ، فانتصر لنا ، إذ خذلنا كلُّ أَحد ، حتى أعز الأَصحاب ، انتصارًا ما كُنّا نَقْدر على شيء منه ؛ وذلك أنه حملهم إعجابُهم ، على أن سَكَنوا على البحر لِلْفُرْجَةِ ، فانْتَهَزَتْ خادِمٌ أَحَدِهم فرصة غيبته عن البيت ، فكانت كلما أرسلوها إليه ، لتأتيهم بحاجةٍ فتحت صندوق المال ، وأخذت ما شاءت ، ودفعته إلى مَنْ تريد ، إلى أن اكتفت ، ثم ذهبت بنفسها ، فلم يَقِفوا لها على خبر ، ويقال : إن القَدْر ، الذي أخذته ، ألف دينار ، وانكسر مَدِين للآخر ، في نحو ألف دينار ، فكانوا في مصيبتين ؛ أحدهما ذهاب المال ، والثانية ، كتمانه ؛ خوف الشماتة بهم ، وأن يُسأل عن سبب هذا المال الكثير ، وكان قد نُقل ، عن عبد لهم ، أنه قال : أَصْل هذا المال الذي مع سيّدي منّي ؛ وذلك أنه لما نهبَ الْعَوَامُّ قُصّاد شارُوخّ[3] بن تَمَرْلَنَك في سنة ثمان وأربعين وثمانمائة[4] ، كنت أول داخل عليهم ، وكانوا في القصر

---

(١) راجع : « ص ١٣٥ » .

(٢) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح بمقتضى السياق .

(٣) ويكتب أيضًا (شَاه رُخّ) وهو القان معين الدين بن تَيْمُورْلَنْك ، ملك المشرق ، وسلطان ما وراء النهر وخراسان وخوارزم وعراق العجم ومازندران ومملكة دلّي مِن الهند وكرمان وأذربيجان ، خَلَف والده على عرش السلطة بعد وفاته سنة ٨٠٧ هـ واستطاع أن يبسط سلطته على جميع مملكة والده ، ما عدا الشام والعراق العربي . وبقي في السلطة إلى أن مات في سنة ٨٥١ هـ ، فاختلف أبناؤه وأحفاده مِن بعده مما سارع في إنهاء حكم التيموريين . راجع : « عجائب المقدور » (٤٦٦) ، و « الدليل الشافي » (٣٤٠/١ رقم ١١٧١) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٢/٣ رقم ١١٩) ، و « تاريخ بخارى » (٢٦٥) .

(٤) راجع تفصيل ذلك في : « النجوم الزاهرة » (٣٦٤/١٥ - ٣٦٦) ، و « التبر المسبوك » (٩٦ - ٩٨) .

الذي إلى جانب الحجازية ، فأخذت صندوقًا ، وأتيت به إلى سيدي ، فإذا هو مملوء ذهبًا ، وفيه ثماني جواهر حمر ، كل واحدة منها قدر البندقة ، كأنها حُمْرة نار في مَوْقِدها وإشْرَاقها ، ثم طال عليهم الأمرُ ، فأظهروا ذلك في شوال هذه السنة ، فلم يحصل الذي كَسَر صاحبُه ماله على غير التعب ، وأما رب الجارية ، فإنه وقع في خطته عبد لبعض بني ظهيرة بإفساد جاريته ، وأخذ مال منها ، وحُبِسَ لأجل ذلك ، فحملهم البخل ، وقلة الدين على إتهامه بجاريتهم ، ورشوا الوالي على ضربه ، فضربه ، فأنكر ذلك ، فكرروا عليه الضّرب حتى ضربوه على رُكبه ، فمات في هذه الجمعة ، فَسُقِط في أَيْديهم ، وطارت أفئدتُهم ، واتُّفق أن كان ميعادي فى تلك الجمعة في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ﴾[1] وذلك اتفاق غريب ، مع الاتّفاق في وقت إخراج الشريف ، أن يكون الميعاد في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ كما تقدم[2] ، وذلك أنّي أُفسّر القرآن متواليًا ، فسبحان الله ، ما أعظم شأنه ، وأعز سلطانه ، وأعلمه بالعواقِب ، وله الحمد على ما بشّر به ، فإنا لنرجوا فوق ذلك مظهرا .

وفي يوم الاثنين حادي[3] عشر ذي القعدة المذكور ، وصل جندي من حلب يسعى في إقطاع ناصر الدين بن التَّفَا الحلبي ، الذي تقدم[4] موتُه بالقاهرة ، في رمضان ، ومع هذا الجندي مكاتبات ، من نائب حلب[5] ، بالوصيَّة عليه ، فغضب السلطانُ على نائب حلب ، لمكاتبته في

---

(١) النور / ٥٥ .

(٢) راجع « ص ١٣٦ » .

(٣) في « حوادث الدهور » (١١٧) « ثاني عشره » .

(٤) راجع « ص ١٥٠ » .

(٥) وهو في هذه الفترة (قانباى الحمزاوي) ، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية وقد خلع عليه السلطان الظاهِر جَقْمَق بنيابة حلب للمرة الثانية في يوم الاثنين ٢٧ جمادي الأولى سنة ٨٥٢ هـ =

إقطاع من مات بالقاهرة ، ومن المعلوم أن السلطان لا يترك النظر في ذلك ساعة موت من خلَّف الإقطاع ، فعيَّن دُوْلات باي الدويدار الكبير ، لنيابة حلب ، فبالغ دُولات باي في الاسْتعفاء مِن ذلك ، والتَّرقّق ، بادِّعاءِ الْعَجْز ، والضَّعْف ، وأصرّ السلطانُ على ما أمر به ، ثم رجع[1] .

قصة دولات باى

وفي هذا اليوم غضب السلطانُ على شخص من الجند ، يُقال له : رُزمك ، كان من المقربين عنده ، وكان ممن يُضحكه ، فأمر بنفيه إلى طَرَسوس ، ثم شفع فيه قانِبَاي الشَّـرْكَسِي ، أمير آخُور ، فتُرِك ، فَشَفع في نائب حلب فأُبْقِي ، واستقرّ دولات باي على حاله .

قصة رزمك

وفي هذا الحد ، وردت كتبُ نائب الشام ، أنّ ابن الباعوني ، قاضي دمشق حُوسِب كما برزت به المراسيمُ الشريفةُ[2] ، فلم يظهر في جهته درهمٌ واحِدٌ ، وأنّ جميع مباشري الأوقاف التي تحت يده بَرَّأُوْه غاية التَّبرِئة ، وأخبروا : أنه لم يتناول معاليمه ، فضلًا عن غيرِها ، وكُتبت بذلك محاضر ، وجاء كتابُ الحمصي ، بأنَّ الشّاميين تعصّبوا عليه ، خَوْفًا من عَوْد الباعوني ؛ لِتَمَكُّنِه بأنواع التَمَكُّنِ ، فأمر السلطانُ أن يؤتى بالباعوني ، وجميع مباشري الأوقاف إلى القاهرة .

ابن الباعوني

= بعد عزل الأمير تَنَم المؤيدي عنها ، وكانت نيابته في المرة الأولى في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٨٤٣ هـ ، واستمر إلى أنْ عُزل في يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ٨٤٩ هـ . راجع « النجوم الزاهِرة » (٣٣٥/١٥ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢) .

(١) يسوق (ابن تغري بردي) قصة مختلفة عن سبب عزل (قانِباي الحمزاوي) إذْ يقول : « في يوم الاثنين ثاني عشره ، عزل السلطانُ قانِبَايَ الحمزاوي عنَ نيابة حلب ؛ بسبب أنه أرسل يعلم السلطان أنه بلغه مِن النّواب بالبلاد الشامِيَّة أن جهان شاه بن قرا يوسف يريد يمشي بنواحِي مَلَطْية ، ويمشي على سليمان بن ناصِر الدين بك بن دلغادر ، نائب أُبْلُستين ، وأنه يسأل هل إذا طلبه سليمان المذكور يوافقه على قتال جهان شاه أم لا ؟ ، فبمجرد أن سمع السلطان ذلك ، اشتاط غضبًا ، ورسم بعزله .. » . « حوادِث الدهور » (١١٧) .

(٢) راجع « ص ١٤٥ » .

موت ابن إينال

وفي يوم[1] الثلاثاء سابع عشري ذي القعدة ، مات الأمير شهاب الدين أحمد بن إينال[2] ، أحد الأمراء الكبار بالقاهرة ، وابن أستاذ[3] السلطان ، وكان مُعَظَّمًا عنده جدًّا ، وأعطى السلطانُ إقطاعَه وإمْرَتَه لتَنِبَك[4] ، الذي كان حاجب[5] الحجاب .

وفي هذا اليوم[6] سَجَن السلطانُ بيبرسَ بنَ بقر[7] ، الذي كان أمير عرب الشرقية من غير سبب يُعْلم ، غير بُغْضِه له قديمًا ، في المقْشَرة ثم نقله إلى برجٍ مِن أبراج القلعة ، وضيَّق عليه أشدَّ التضيِق ، ومُنِع مِن أن يجتمع به أحد .

---

(١) فى : « النجوم الزاهرة » (٧/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٥/٢): « في ليلة الثلاثاء سابع عشري ذي القعدة » .

(٢) هو : أحمد بن أمير علي بن إينَال اليوسفي الأتابكي شهاب الدين ، كان مِن مقدمي الألوف بالديار المصرية .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٧/١٦) ، و « الضوء اللامِع » (١٥/٢) .

(٣) أستاذ : يقول القلقشندي ، في « صبح الأعشى » (٧٧/٣) : « الأستاذون ، وهم المعروفون الآن بالخدَّام وبالطواشيّة ، وكان لهم في دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصَّة بالخليفة ، وأجلُّهم المحنَّكون ، وهم الذين يدوِّرون عمائمهم على أحناكهم ، كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه ، وأخصهم به » .

(٤) هو تَنِبَك بن عبد الله البَرْدبَكي ، الأمير الكبير الظاهِري برقوق أتابك العساكِر بالديار المصرية . مات في يوم الاثنين ٢٤ ذي القعدة سنة ٨٦٢ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٣١٨) ، و « النجوم الزاهرة » (١٩٥/١٦ - ١٩٦) ، و « الضوء اللامِع » (٤٢/٣) .

(٥) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٤٣٨/١٦)، و « التبر المسبوك » (٣٥٣) .

(٦) في « حوادِث الدهور » (١١٩) . « وفي يوم الخميس ثاني عشريه [ذى القعدة] أمر السلطان بحبس بيبرس بن بقر شيخ العربان وأميرها بالشرقية بحبس المقْشَرة ، وحُبس معه أيضًا ابن شعبان شيخ العربان وأميرها بالشرقية أيضًا مدّة ثم نُقِلا إلى البرج بعد أيّام » .

(٧) هو : الأمير سيفُ الدين بيبرس بن أحمد بن بقر ، شيخ العربان بالشرقية مِن أعمال القاهرة مِن الوجه البحري ، كان مشكور السيرة ، مات في يوم الأربعاء مستهل صفر سنة ٨٦٦ هـ ، وقيل مات في سلخ المحرم ، عن قريب سبعين سنة من العمر . « النجوم الزاهرة » (٣١٥/١٦) ، و « الضوء اللامِع » (٢٠/٣ رقم ٩٩) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٨) .

رسول ابن عثمان

[١٥] وفي يوم الأربعاء [ثامِن][1] عشري ذي القعدة سنة ٨٥٥ هـ ، قَدِم رسولٌ مِن عِند الملك محمد بن الملك[2] بايزيد بن مراد ابن أُورجان بن عثمان[3] ، ملك بلادِ الرّوم بهدايا للسلطان ، وعلى يده مكاتبات فيها الإعْلامُ بموت أبيه وولايته ، وطلعوا إلى السلطان يوم الخميس تاسع[4] عشريه ، فَقُبلت هداياهم ، وهي مماليك وسمّور وغير ذلك ، وأُجْريت عليهم المرتّبات ، لِأكلهم وشربهم وَعَلِيق دوابّهم وما يُصْلِحهم ، وكان السلطان الظاهر أرسل إلى ابن عثمان رسولًا يُسَمّى [أُسِنْباي][5] يُعَزّيه ، فوجده رسولُ ابن عثمان في الطريق .

وفي هذا العام[6] ، عمّ الظلم وتزايد ، وزاد تضرّع النّاس إلى ربهم في أن يكشف مابهم ، لاسِيَّما والأقوات غالِية ، والأسعار عالية ، والأرزاق

---

(١) في الأصل (سابع) والتصحيح مِن سياق عرض الأحداث عند المؤلف ، حيث أشار في (ص ١٦٢) إلى أن يوم الثلاثاء هو سابع عشري ذي القعدة ، وقد وافق ذلك ما جاء في « النجوم الزاهرة » (٤٣٨/١٥) حيث جاء أن يوم الثلاثاء هو سابع عشري ذي القعدة ، وكذلك « الضوء اللامع » (١٥/٢)، ولكن صاحب « النجوم الزاهرة » خالف هذا التحديد في كتابه الآخر « حوادِث الدهور » (١٢٠) ، حيث حَدّد يوم الخميس بثمانية وعشرين ذي القعدة ، مما يُفهم منه أنّ يوم الأربعاء يوافق سبعًا وعشرين ، والثلاثاء ستًّا وعشرين منه .

(٢) يُلاحظ أن المؤلف سمّاه مِن قبل (يزيد) راجع (ص ٩٥) .

(٣) يبدو أن البِقاعي كرر وهمه الذي وقع فيه في (ص ٩٥)في سلسلة نسب ملك الروم . فقد جاء في « الضوء اللامع » (٤٧/١٠ رقم ١٦٣) ، و « شذرات الذهب » (٣٤٤/٧) ، أنه محمد ابن مراد بك بن محمد بك بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان ، سابع ملوك بني عثمان ، وُلد سنة ٨٣٥ هـ ، وولي السلطة بعد أبيه سنة ٨٥٥ هـ ، وقيل سنة ٨٥٦ هـ ، ومات في أوائل سنة ٨٨٦ هـ . راجعْ أيضًا « هامش ١ » من (ص ٩٥) .

(٤) في « حوادث الدهور » (١٢٠) يوم الخميس ثامِن عشري ذي القعدة .

(٥) بياضٌ في الأصل ، والتصحيح بمقتضى ما جاء في (ص ١٦٨) .

(٦) جاء في « التبر المسبوك » (٣٥٣) : « إن الناس وقفوا للسلطان في سابع عشري ذي القعدة ، حين نزوله للصلاة على ابن إينال ، وشكوا إليه طول الغلاء ، فقال لهم : توجّهوا إلى الله في رفعه عنكم .

قليلة ، والناس في جهد كبير ، فانتقل مِن جبل نابُلُس أهل قرية كامِلة مسلمون إلى قُبْرُس ، ثم كتبوا كتابًا إلى ناس ممن يعرفهم : إننا آمنون لا نُظْلَم ، ونُظْهِر ديننا لا نخاف ، وما كنا في نابلس إلا في بلد الفرنج ، وأمّا الآن فنحن في بلاد المسلمين ، فكانت مِن أعاجيب الأقاصيص .

وفي يوم السبت مستهل ذي الحجة ، من السَّنَة ، شَفَع في بيبرس بن بَقَر ، الشيخُ كمال الدين بن الهمام الحنفي ، فأُطلق .

قتل تمراز

ووردت مكاتبات ، من[1] بركات بن حسن بن عجلان ، صاحب مكة ، بأنّ تِمْرَاز الأَحْوَل ، قُتِل[2] ببلاد الحُدَيِّدة[3] (بالمهلمة مصغرًا مثقلاً) وأسفرت العاقبةُ عن أن كِتَابَه السابق[4]، كان عمّا أَمَّلَه ، لا عمّا وقع له ؛ وذلك أنه أَرْسَى فى البحر بنواحي الحُدَيِّدة ، فاجتمع به شيخها ، واستعان به على أعدائِهِ ، وهم سكّان أبيات حسين ، ففعل ، ثم إن سكان أبيات حسين قصدوهم ، فقتلوه وشيخ الحُدَيِّدَة ، وجماعة معه ، وكان المال الذي هرب به إلى الآن في البحر، فأُعْلم بركاتُ بذلك ، وجَهَّز من يأتي به ، فكان ذلك من أغرب ما سُمع به[5] .

---

(١) هو : بركات بن حسن بن عَجْلاَن بن رُمَيْثة ، واسم رمَيْثَة : منجد بن أبي نُمي محمد بن أبي سعيد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مُطاعن ، زين الدين أبو زهير بن البدر أبي المعالِي الحسني المكّي . وُلد في مكة ، وقيل بالخُشَّافة بالقرب مِن جُدَّة سنة ٨٠١ هـ ، استقل بحكم مكة بعد موت أبيه سنة ٨٢٩ هـ ، ومات بوادِي مَرّ خارج مكة وحمل في سرير على أَعْناق الرِّجال إلى مكة ودُفِن فيها في تاسِع شعبان سنة ٨٥٩ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٣٦٨ - ٣٦٩) ، و « المنهل الصافي » (٣٤٢/٣ رقم ٦٥٨) ، و « الدليل الشافي » (١٨٨/١ رقم ٦٥٧) ، و « النجوم الزاهِرة » (٩٢/١٦ ، ٩٣) ، و « الضوء اللامع » (١٤/٣ رقم ٥٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٣٢) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (٩٢/١٦) أن الخبر بموت بركات وصل يوم الأحد عاشر رمضان ، وفي « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٣٢) ، كان وصول الخبر في شعبان .

(٣) الحديِّدة : مدينة في اليمن على ساحل البحر الأحمر .

(٤) راجع « ص ١٥١ » .

(٥) ورد خبر موت تمراز في « حوادِث الدهور » (١٢٠) .

رجوع جهنشاه

وفي هذا الحد ، وردت مكاتبات نائب مَلَطْيَة[1] وغيره ، أَن جهنشاه رجع عن بلاد جهنكير ؛ وذلك أن السلطان جَقْمَق ، لما رَدّ[2] أمَّ جهنكير عن الإتيان إليه انكسَرَت شوكةُ جهنكير ، وتَقَّطعت حبالُه ، وطال على جهنشاه المُقَامُ ، وكأنه حَدَث له شيء في أطراف بلاده ، من نواحي الشرق ، فأرسل إلى مقدَّم عساكره رستم ، أن يحتال على صلح جهنكير ، ويرجع ، ففعل ، فإذا جهنكير راغب في ذلك ، فأرسل إليه أُمَّه ، وبعضَ حريمه ، ووقَع الصلحُ ، على أن يخطب في بلاد جهنكير باسم جهنشاه ، ويضرب الدرهم والدينار باسمه .

موت العيني

وفي ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة ، سنة خمس وخمسين مات قاضي القضاة بدر الدين محمود[3] العيني الحنفي بالقاهرة ، عن نَيِّف وتسعين سنة ، وصلَّى عليه قاضي الشافعية الشرف يحيي المناوي بجامع الأزهر ، ودُفن بمدرسته[4] ، بجوار بيته ، أمام الجامع ، وخلَّف ولدًا جاهلًا ، فأخذ

---

(١) مَلَطْيَة : يقول ياقوت : « والعامة تقول بتشديد الياء وكسر الطا » (مَلَطِيَّة) « معجم البلدان » (١٩٢/٥) . وهي مدينة شمالي حلب بِمَيْلة إلى الشرق على نحو سبع مراحِل ، وهي قاعدِة بلاد الثغور ، قيل : إنها مِن بلاد الروم ، وقيل : إنها مِن جملة بلاد الشام ، وعدَّها البعض مِن الثُّغور الجزرية . خَرَّبتها الرُّوم وبناها أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ثاني الخلفاء العباسيين سنة ١٣٩ هـ . راجِع « كتاب صورة الأرض » (١٦٦) ، و « الروض المعطار » (٥٤٥) ، و « صبح الأعشى » (٣٣١/٤) .

(٢) راجع « ص ١٢١ » .

(٣) هو : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود ، البدر أبو محمد وأبو الثناء بن الشهاب ، الحلبي الأصل ، العِنْتابي المولد ، ثم القاهري الحنفي ، ويعرف بالعَيْني ، وُلِد في ٢٦ رمضان سنة ٧٦٢ هـ .

له ترجمة في « الدليل الشافي » (٧٢١/٢ رقم ٢٤٦٥) ، و « حوادث الدهور » (١٢٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦ / ٨) و « حسن المحاضرة » (٤٧٣/١ - ٤٧٤) ، و « التبر المسبوك » (٣٧٥) ، و « الضوء اللامع » (١٣١/١٠ رقم ٥٤٥) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٤٢٨) ، و « شذرات الذهب » (٢٨٦/٧) .

(٤) يقول السخاوي : « وعمَّر مدرسة مجاورة لسكنه بالقرب مِن جامع الأزهر ، وعمل بها خطبته ،=

تدريسه للحديث بالمؤيَّدية[1] ، التقيُّ عبدُ الرحمن[2] بن القطب القرقشندي ، بواسطة أُزْبُك صهر السلطان ، وجوهر[3] السّاقي رأس نَوْبة[4] الطواشية[5] ، وكان له في الجوالي عشرة دراهم فضّة ونَيِّف ، بمائتي درهم وخمسين درهما فلوسًا ، فأعطى ابنه منها مائة ، وسأل السلطان في أن يُعطي الشيخ قاسم الحنفي فقيه ولده خمسين ، والشيخ أبا الفضل

= لكونه بلغني كان يُصرِّح بكراهة الصلاة في الأزهر ؛ لكون واقفه رافضيًا يسب الصَّحَابة » « التبر المسبوك » (٣٧٨) ، و « الضوء اللامِع » (١٣٣/١٠) .

(١) المؤيديّة : جاء في « حسن المحاضرة » (٢٧٢/٢) : « انتهت عمارتها في سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار » .

(٢) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي ، التقي أبو الفضل بن القطب القَلْقَشندي (القَرقَشندي) الأصل القاهري الشافعي، ولد قبل سنة ٨١٦ هـ ، كما جاء في « عنوان الزمان » (٢٢٥ – ٢٢٧) والذي جاء فيه أيضًا أنه ادّعى نسبته إلى قريش ، وهو ما لم يقل به أبوه ولا أخوه ولا أحد من أسرته . وقيل أنه وُلد في ليلة ٦ رجب سنة ٨١٧ هـ بالقاهرة . « النجوم الزاهرة » (٣٥٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٤٦/٤ رقم ١٤٨) وقد أشار صاحِب الضوء إلى أن البقاعي هجاه بعد موته .

كما أن له ترجمة في « حوادِث الدهور » (٥٩٩ – ٦٠١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٧٤) .

(٣) هو : صَفَيّ الدين جَوْهَر بن عبد الله الأَرْغون شاوي الظاهري الساقي الحيسي الجنس رأس نوبة الجمدارية . كان مِن حسنات الدهر . مات ليلة الخميس عاشر شعبان سنة ٨٧٠ هـ ، وهو في عشر الستين مِن عمره .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٥٨٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٤٧/١٦ – ٣٤٨) ، و « الضوء اللامِع » (٨١/٣ رقم ٣١٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦٢) .

(٤) رأس نَوْبة : وظيفة عظيمة عند التتار ، ويفخّمون فيها السين ، ولما أحدثها الظاهر بمصر ، سمّى صاحبها رأس نوبة الأمراء ، أيّ أكبر طائفة الأمراء ، وهي أكبر مِن أمير مجلس وأمير سِلاح ، وهي توازي رتبة الأمير الكبير ، وموضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وجرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء واحدٌ مقدم ألف وثلاثة طبلخانات . « صبح الأعشى » (١٨/٤) ، و « حسن المحاضرة » (١٣٣/٢) .

(٥) راجع الخبر في « التبر المسبوك » (٣٥٤) ، وجاء فيه أن السلطان توهّم حين السَّعْي لعبد الرحمن بن القطب هذا أنه الشيخ علاء الدين أخوه فبادر إلى تقريره ، لما يعرفه عنه مِن العلم ، فلما علم أنه ليس هو ، رام تحويلها عنه ، فقيل له : إنه مِن أهل العلم أيضًا .

المغربي خمسين ، فأبى ، وقال : هذه تُوفَّر ؛ فإن ناظر الجوالي الشرف التتائي[1] ، يشكو من قلة الجوالي ، بالنسبة إلى المُرَتّب عليها .

وفي يوم عرفة طلع أعوانُ الوالي ، وهم الجَبَلِيّة ، إلى السلطان ، فطلبوا منه ضحيَّةً ، فأعطاهم ستين دينارًا . وطلع إليه في هذا اليوم شخصٌ بمصحف ربْعة بِبَيْت وجلود حسنة ، فأخذها منه ، واستدناه حتى ألصقه إليه ، ثم ضمّه إليه ، وقال له : أنت أخونا ، وصاحبنا ، وأنت رجل جيد ، ولم يُعْطِه شيئًا .

قصة الشرف الأنصاري

وكان القاضي الشافعي شرف الدين يحيى المناوي ، يغض من ناظر الخاص ، الجمال يوسف بن كاتب جَكَم ، ويصرّح باستنقاصه في المجالس ، وكان يُمالئه على ذلك الشرف الأنصاري ، وكان الجمال المذكور أعقل القِبط ، بل وجميع المباشرين ، فاستمر ساكتًا ، يترقّب الفُرَصَ ، حتى ظفر للأنصاري بعَوْرةٍ فظيعة ، تضع منه ؛ وذلك أنّ السلطانَ كان خطب خَوَنْد بنت الملك الظاهر طَطَر ، فامتنعت من زواجه ، ولم يَجْسر بعد ذلك أحدٌ على خطبتها ، وكان الأنصاري ، يُنسب إلى معاشرتها ، ثم إنه تورّع في رمضان هذه السنة ، فتزوجها سِرًّا ، فلم يَخْفَ ذلك ، فلم يزل ناظرُ الخاص يحتالُ بأعوانِه ، حتى أُعْلِم السلطان ذلك ، فسأل الأنصاري عنه ، فأنكر ، وقال : كل إمرأة لي سوى فلانة – لامرأة غيرها – طالق فَطلقت بنت طَطَر ، وكأنَّها كانت تحبه ، فلما بلغها ذلك عزمت على شكواه إلى السلطان ، وسمع هو ذلك ، وسلَّط عليه ناظر الخاص من سعى في وظائفه ، فسعى يوسف شاه[2] ، معلِّم البنائين في نظر جامع عَمْرو ، وقواليح بن

---

(١) هو : عمر بن علي بن شعبان بن محمد بن يوسف الشرف التتائي الأزهري المالكي الفقيه ، وُلد سنة ٨٢٦ هـ تقريبًا بقرية تتا ، إحدى قري المنوفية .

له ترجمة في « الضوء اللامع » (١٠٦/٦ رقم ٣٣٣) ولم يحدد فيه تاريخ وفاته .

(٢) جاء في « حوادِث الدهور » مرة (يوسف شاه العلمي) (٢٧٢ ، ٤٩٠) ، ومرة (يوسف شاه العلمي ، معلّم المعمارية) (١٦٦) ، ومرة (يوسف شاه اليشبكي معلم السلطان وكبير المعمارية) (١٦١) .

أوقاف دمياط

العفيف ، رئيس الأطباء في نظر المرستان ، وغيره في غير ذلك ، فاشتغل بهمة ، وكان هو الذي يتعصّب للشافعي ، وحسّن للسلطان أن يعطى نظر الأوقاف بدمياط لنائبها بَيْغوت في أواخر العشر الأوسط ، من ذي الحجة ، فلم يزل الشافعيُّ يحتال إلى [أن][1] نزل السلطانُ عن مراده درجة ، وذلك أنه بادر إلى عزل قاضي دِمْياط ، أبي البقاء بن كُمَيِّل[2] ، وسأل أن يُرسَمَ ، بأنْ لا يكْشِف النائبُ عن الأوقاف ، ولا يتكلم في شيء منها ، إلى أن يحضر إلى دِمْياط ، القاضي الذي سيولِّيه ، فأجيب وكُتب له مرسوم بذلك ، وَجُهّز مع ساع [١٦] في يوم السبت ثاني عشري ذي الحجة ، وهو استنزال لطيف .

وفي هذا اليوم وصل الجمال الباعوني قاضي الشافعية بدمشق[3] .

وفي هذا الحدّ[4] وصل أَسِنْباي[5]، رسول السلطان إلى ابن عثمان .

وفي هذا الحدّ[6] وصل المبشر ، من عند الحجاج وذكر أنّ الأسعار بالحجاز مرتفعة .

---

(١) (أن) غير موجودة في الأصل وأثبتت هنا حسب مقتضى السياق .

(٢) هو : محمد بن محمد بن خلف بن كُمَيِّل بن عوض بن رَشِيد بن علي ، الجلال أبو البقاء المنصوري الكمال الشافعي ، ولد قبل سنة ٨٠٠ بيسير ، ومات بالجُذَام سنة ٨٦٨ هـ . « الضوء اللامع » (٨٠/٩ رقم ٢٢٠) .

(٣) جاء في « حوادِث الدهور » (١٢٠) أنه عِندما قدم كان معزولًا عن قضاء دمشق ، وكان سبب قدومِه لكونه مطلوبًا لشكوى بعض الدمشقيين عليه بسبب وقف البيمارستان الدمشقي وغيره ، وسبق أن أشار البقاعي إلى تعصب الشاميين عليه بعد تبرئته ، وكتابة نائب الشام بذلك . راجع « ص ١٦١ » .

(٤) في « النجوم الزاهِرة » (٤٣٨/١٥) في يوم الخميس سادس ذي الحجة .

(٥) هو : أَسِنْباي بن عبد الله الجمالي الظاهِري الساقي الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الظاهر جَقْمَق وخواصّه ، مات بَطَّالًا بمدينة القدس في شعبان سنة ٨٦٠ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٤٣٥/٢ رقم ٤٦٠) ، و « الدليل الشافي » (١٣١/١ رقم ٤٥٨) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨١/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣١١/٢ رقم ٩٨١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٣٩) .

(٦) في « حوادِث الدهور » (١٢٠) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٤) وفي يوم الأحد ثالث عشرية =

وفي يوم الاثنين رابع عشري ذي الحجة ، لَبس الشرفُ الأنصارى خِلْعةً باستمراره على وظائفه ، فيُقال : أنه بذل للسلطان عشرة آلاف دينار[1] .

سفر قاصد ابن عثمان

وفي هذا اليوم سافر رسول ابن[2] عثمان ، ويقال : إنّ راتِبَه كان على السلطان في كل يومٍ مدّة إقامته ، مائة دينار ، وأنه أعطاه حين ساعة تَجَهُّزَ للسَّفر ثلاثة آلاف دينار ، وَسَيْفًا ، من سيوف قدماء آل البيت ، فَسَرق منهم اللصوصُ في نواحي الصَّالحية[3] أمتعةً ، منها هذا السَّيف ، فزاد غضبُ السلطان من ذلك ، وألزم محمد بن عجلان[4] أمير عرب جُذام[5] بتحصيل اللصوص .

موت عبد الكريم القرقشندي

وفي ثامن ذي الحجة ، مات الشيخ زين الدين[6] عبد الكريم بن عبد الرحمن القَرْقَشَنْدِي بالقدس الشريف ، وكان محدِّثًا ، فقيهًا ، مشاركًا في الفنون ، لم يكن في بني القرقشندي وفي زمانه مثله .

= وصل مبشر الحاج الشهابي أحمد بن أمير حاج المحمل سونجبغا اليونسي الناصري وأخبر بالأمن والسلامة وغلو الأسعار بمكة ، حتى أنه أخبر أن حمل الدقيـق بيع بمكة بثمانية وعشرين دينارًا مع قلة الحاج المصري .

(١) في « حوادِث الدهور » (١٢١) ، و « التبر المسبوك » (٣٥٤) أنه دفع دنانير مكلفة دون تحديد العدد .

(٢) راجع « ص ١٦٣ » .

(٣) راجع « هامش ٢ » من (ص ١٣٧) .

(٤) وهو المعين لتَمُرْبُغَا في خروجه مِن دمياط ، مات ظنًّا في أول سنة ٨٨٨ هـ أو أواخر سنة ٨٨٧ هـ . أخباره في « حوادث الدهور » (٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٧٢) .

وله ترجمة مُقْتَضَبَة في « الضوء اللامِع » (١٥١/٨ رقم ٣٥٦) .

(٥) يذكر العُمَرِيُّ أنهم أوّل من سكن بمصر ، جاءوا مع عمرو بن العاص ، وكان أكبر تجمع لهم في القرن التاسع في أعمال الشرقِيَّة مِن الوجه البحري « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – قبائل العرب » (١٥٧) ، و « صبح الأعشى » (٦٩/٤) .

(٦) هو : عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل بن علي بن الحسن ، الشيخ كريم الدين ابن الشيخ شمس الدين بن الشيخ زين الدين ، أبو هريرة أبو القاسم القَلْقَشندي الأصل ، المقدسي المولد والدار ، الشافِعِي . وُلد في جمادى الأولى سنة ٨٠٨ هـ ببيت المقدس . « التبر المسبوك » (٣٦٠ – ٣٦١) ، و « الضوء اللامِع » (٣١١/٤ رقم ٨٤٥) .

الشريف عفيف الدين

وفي أول أيام التشريق ، مات الإمامُ ، العالمُ ، الزاهد ، العارف ، الشريف الحسيني الإيجي[1] الشيرازي الشافعي[2] ، صِهْر الخطيب أبي الفضل[3] ، بمنى ، وكان مريضًا قبل ذلك ، لكنه تَجَشَّم مَشَقَّةَ السَّيْر ، والوقوف ، ولم يكن في عصره مثله ، إلا أخوه الإمام صفي الدين[4] .

وفي يوم الخميس سابع عشريه ، وصل السّراج الحمصي قاضي الشافعية بدمشق[5] ، ومباشر الأوقاف بها البدر بن المغربي ، والشمس العدوي[6] ، والبرهان بن قاضي عجلون[7] ، وولده[8] ، وولد أخيه النجم[9] ،

---

(١) نسبة لإيج بالقرب من شيراز « الضوء اللامع » (١٨٧/١١) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هادي بن محمد بن محمد بن أبي الحسن ، الحسيني ، الحسني مِن جهة الأم المكراني الأصْل النيريزي المولد الإيجي الشيرازي الشافِعي ، مِن بيت كبير معروف بالسِّيادة ، وُلِد بإيج يوم الثلاثاء ٨ صفر سنة ٧٩٠ هـ ، تزوج أخت الخطيب أبي الفضل النويري ، ومات بمنى في ١١ ذي الحجة ، بعد أن أتم المناسِك سنة ٨٥٥ هـ .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٣٦٩ - ٣٧١) ، و « الضوء اللامِع » (١٢٦/٩ رقم ٣١٤) .

(٣) ترجمته في « هامِش ١ » (ص ١٣٥) .

(٤) وُلِد في ربيع الأول سنة ٧٨٢ هـ بإيج من بلاد العجم ، ومات ظهر يوم الجمعة قبل صلاتها ١٣ جمادي الأولى سنة ٨٦٤ هـ بمكة « الضوء اللامع » (١٣٥/٤ رقم ٣٥٥) .

(٥) في « حوادِث الدهور » (١٢١) « لمحاققة الباعوني » .

(٦) هو : محمد بن أحمد بن محمود بن عبد السلام بن محمود بن عبادَة ، الشمس بن الشهاب العدوي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٨٠٦ هـ ، أو ٨٠٧ هـ ، وكان من وجوه الناس وأعيان الشاميين ، ولي نظر قلعة دِمشق مدة ، مات سنة ٨٧٤ هـ . « الضوء اللامِع » (١٠٦/٧ رقم ٢٣٠) .

(٧) هو : إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن شرف بن منصور بن محمود بن توفيق ابن محمد بن عبد الله ، برهان الدين أبو إسحاق بن الزين بن الشمس الزرعي الأصل الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٧٩١ هـ ، ومات يوم الأحد ٢٢ محرم سنة ٨٧٢ هـ . « الضوء اللامع » (٦٤/١) .

(٨) محمد المحب أبو الفضل ، مات في ١٢ ربيع الأول سنة ٨٩١ هـ بدمشق . « الضوء اللامع » (٢٥٤/٦ رقم ٨٨١) .

(٩) هو : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، نجم الدين بن الولوي أبي محمد بن الزين يعرف أيضًا بابن قاضي عجلون ، لكون جد أبيه كان نائبًا في قضائها ، وهي مِن أعمال دمشق ، وُلد =

والشريف عز الدين حمزة[1] ، والرضي الغزي[2] ، وابن قاضي أذرعات[3] .

قصة الباعوني

وفي يوم السبت تاسع عشريه ، عُقِد مجلسٌ لذلك في القلعة ، بحضرة السلطان بالقضاة ، ما عدا الحنبلي ؛ فإنه كان يشتكي ، قبل قدوم الباعوني ، أنّه زَلَق بالقبقاب[4] ، فوقع ، فانصدعت رجْلُه صَدْعًا لا يقدر معه على القيام ، وقال غيرُ واحدٍ من العقلاء الخبيرين بأحواله ، أنه مُتَصَنِّعٌ في ذلك ؛ لئلا يحضر هذا المجلس ، فإنَّ أمره متجاذَب بين أخصّاء السلطان ، فناظر الخاص وجماعة في جهة الباعوني ، وتَمُرْبُغا الدويدار الثاني وغيره في جهة الحمْصي ، وقد أثخن جراحَ الباعوني عند السلطان ، حتى يوم قدوم الحمصي ، فإنَّه نزل في محفَّته عند القلعة ، ودخل إلى السلطان ، ومعه

= يوم السبت ٢٢ ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ بدمشق ، ومات يوم الاثنين ١٣ شوال سنة ٨٧٦ هـ بالقاهرة . « الضوء اللامع » (٩٦/٨ رقم ١٩٧) ، و « بدائع الزهور » (١٣٣/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٢٢/٧) .

(١) هو : حمزة بن أحمد بن علي بن محمد بن علي ، السيد عز الدين بن الشهاب ، أبي العباس ابن أبي هاشم بن الحافظ الشمس أبي المحاسن ، الحسيني الدمشقي الشافعي ، وُلد بدمشق في شوال سنة ٨١٨ هـ ، ومات في ربيع الآخر سنة ٨٧٤ هـ . « الضوء اللامع » (١٦٣/٣ رقم ٦٢٤) ، و « بدائع الزهور » (١١٤/٢) .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر ، رضي الدين أبو البركات ، العامري الغزي ثم الدمشقي الشافِعي ، يعرف بالرضي الغزي ، وُلد في رمضان سنة ٨١١ هـ بدمشق ، ومات يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ٨٦٤ هـ . « الضوء اللامع » (٣٢٤/٦ رقم ١٠٦٠) .

(٣) ابن قاضي أذرعات هو : أحمد بن حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الشهاب الأذرعي الدمشقي ثم المصري الشافعي ، وُلد بأذرعات ثم تحول إلى دمشق ، ولكن ذُكر أنه توفي في العشر الأول من جمادي الأولى سنة ٨٥١ هـ مما يتناقض مع التاريخ الذي حدّده البقاعي لقدوم المذكور مع السراج الحمصي قاضي الشافعية بدمشق إلى القاهرة سنة ٨٥٥ هـ . راجع ترجمته في : « المنهل الصافي » (٢٨٣/١ رقم ١٤٩) ، و « الدليل الشافي » (٤٤/١ رقم ١٤٧) ، و « التبر المسبوك » (١٨٨) ، و « الضوء اللامِع » (٢٧٦/١ ، و ١٨٣/١١) ونَصَّ السخاوي هنا على أنه المعروف بابن قاضي أذرعات .

(٤) القبقاب : نعال مِن الخشب . « صبح الأعشى » (٤٢٨/١) .

مالٌ ، فدفعه إلى السلطان ، وقال : هذا حصلته في عشرين يومًا ، فما الذي حصّل الباعوني في بضع عشرة سنة ، فأراد الله ، وهو لا يُرَدّ أَمْرُه ، أَنْ جعل الدائرةَ على الحمصي ، وذلك أنه استأذن السلطان في الكلام ، فأَذِنَ له ، فابتدأ بقراءة الفاتحة ، ثم دعا الله تعالى ، أن يُلْهم السلطانَ العدلَ في هذه النازلة فكان المستفتح على نفسه . ثم قال : إنَّ مولانا السلطان ولّانِي وظيفةَ القضاءِ بدمشق ، وأمرني بالكشف عن قاضيها ، و لم أسأل السلطان في ذلك ، ولا كان بإرادتي ، ولا تكلمت عند السلطان في هذا القاضي قط ، فَكَرِه السلطانُ ذلك منه ؛ لِأَنَّ مبنى أمره على إظْهار أنه لا يريد إلَّا الخير والإصلاح ، فأمره بقطع هذا الكلام ، وَذِكْر المقصود من المجلس ، فقال : ولما قدمت إلى دمشق ، ورد عليَّ مرسومُ السلطان بذلك ، فأمره أيضًا بالانتقال عن مثل ذلك إلى المقصود ، فكرر نحو ذلك ، فكذلك ، فقال : إنَّ السِّتْر مطلوب ، وقد اطّلعت على أمور لا أريد ذكرها إلا في خلوة . فقال السلطان : الحق يُقال في الخلوة والجلوة ، ثم نظر إلى خاتمين في إصبع يده اليمنى ، فقال : كيف يليق بك أن تلبس خاتمين ؟ ! عزلتك ، ووليت هذا ، يشير إلى الباعوني ، فسأل الباعوني الأعفاءَ من ذلك ، فكرّر عليه السلطانُ التَّوْلِية ، وكرر الامتناعَ ، إلى أَنْ أَلَحَّ عليه السلطانُ ، فقبل ، ونزل هو وبقية الشاميين في جَبْر عظيم ، بعد أن حجبهم تَمُرْبُغا عند السلام عليه ، ثم لما أُذِن لهم ، وقربوا من التخت الذي هو جالس عليه ، التفت إلى مماليكه يُكَلِّمهم ، فوقفوا بين يدي تحته ساعة (وهم أعزاء دمشق) ، ثم التفت إليهم ، فقال : مرحبًا بالشاميين . ثم أمرهم بالانصراف ، لم يزدهم على ذلك شيئًا ، فاستطابوا الموتَ على ذلك ، ثم لما انفصل أمرُهم على ذلك رجعوا أفذاذًا ، ورجع القاضي صلاح الدين بن السابق بعدهم بقليل ، أظنه في أواخر محرّم سنة ست وخمسين[1] .

---

(١) راجع « حوادث الدهور » (١٢١) ، وقد جاء فيه أن المجلس عُقِد بحضرة السلطان بالدُّهيشَة من القلعة .

وفي هذا اليوم أُصْلح بابُ النصر ، من خَلَلٍ كان أصابَه ، فَعُمِل لِعُقْبه سِكرجة حديد ، نحو أربعين رطلًا مصرية .

سنة ست وخمسين وثمانمائة ؛ يوم الإثنين مستهلها ، لبس الجمال الباعوني[1] خلعة قضاء الشافعية بدمشق[2] .

موت القرقشندي

ومات الشيخ علاء الدين علي بن القطب أحمد القرقشندَي الشافعي ، بعد عصره ، بعد اعتلاله شهورًا بِوَرَم يتنقل في سائر جسده ، وصُلِّي عليه من الغد في جامع الأزهر ، وأَمَّ بالناس عليه قاضي الشافعية الشرف يحيى المناوي ، وَدُفِن خارج الباب الجديد[3] ، وكانت جنازته حافلةً بالأعيان ؛ من القضاة ، والمشائخ ، والطلبة ، وَعَظُمَ ثناءُ الناس عليه ، واشتدّ تأسُّفهم لِفَقْده ، فإنّه لم يُخَلِّف بعده في القاهرة شافعيًّا مثله ، في عِلم ، ولا دين ؛ فإنه ضرب في فنون كثيرة بحظ وافر ؛ القراءات ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والأصلين ، والمنطق ، وجميع أنواع العربية ، وغير ذلك من الفنون رحمه الله ، وأُشرك بين ابنه إبراهيم[4] ، وأخيه التّقي عبد الرحمن ، في تدريس الفقه بالشّيّخونية[5] ، والحديث بجامع ابن طولون[6] ، فأُمْضِي

---

(١) راجع (ص ١٧٢) .

(٢) ورد الخبرُ في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٣٩) .

(٣) الباب الجديد : أحد أبواب القاهرة ، عُرِف فيما بعد باسم (باب القنطرة) نسبة إلى القنطرة التي أمامه ، وهي فوق الخليج بظاهر القاهرة يُمْشى عليها إلى المَقْس ، وقد بناها القائد جوهر الصّقلّي في شوال سنة ٣٦٠ هـ . « صبح الأعشى » (٣/٣٥٠) ، و « الخطط » (١/٣٨٢ - ٣٨٣) .

(٤) وُلد في ١١ جمادى الثانية سنة ٨٣١ هـ بالصيرمية من القاهرة ، ومات فقيرًا بحصر البول يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الآخِرة سنة ٩٢٢ هـ عن ٩١ سنة . « الضوء اللامع » (١/٧٧) ، و « بدائع الزهور » (٣/٦٣) ، و « شذرات الذهب » (٨/١٠٤) .

(٥) الشيخونية : خانقاه تقع في خط الصليبة خارج القاهرة ، تجاه جامع شيخو بناها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمري ، وابتدأ في عمارتها في المحرّم سنة ٧٥٦ هـ ، وانتهى منها سنة ٧٥٧ هـ ، ورتّب فيها أربعة دروس على المذاهب الأربعة ، ودَرْس حديث ، ودَرْس قراءات ، ومشيخة إسماع الصحيحين والشفاء . « صبح الأعشى » (٣/٥١٢) ، و « خطط المقريزي » (٢/٤٢١) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٢٦٦) .

(٦) جامع ابن طولون : بناه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع ، وابتدأ في بنائه =

له [١٧] ذلك في الجامع الطولوني ، وأما الشيخونية فتوقّف في إمضائها شَيْخُها شيخ العصر الكمال بن الهمام ، فلما مات قُرِّرَ بها الشيخ سراج الدين عمر الوَرْوَري[1] ، فنازعه فيها القاضي علاء الدين بن أقْبَرْس[2] ، صاحب السلطان ؛ بأن الأمير أَسَنْبُغَا الطَّيَّارِي ، رأس نَوْبَة النُّوب[3] ، أحد أنظار الشيخونية ، قَرَّره بها ، فَصَمَّمَ الشيخ كمال الدين على ولاية الوَرْوَري ، وأرسل إلى السلطان ورقة بسببه ، فأكّدَ ولايَتَه إعْظَامًا للشيخ ، وأرسل إليه بعشرة آلاف درهم ثمن خمسة وثلاثين دينارًا ، للوَرْوَري ، وَوَهَى أَمْرُ ابن آقْبَرْس[4] .

= سنة ٢٦٣ هـ في موضع يُقال له : جبل يَشْكُر ، وفرغ منه في رمضان سنة ٢٦٥ هـ ، وقيل سنة ٢٦٦ . راجع « صبح الأعشى » (٣/٣٤٠) وجاء فيه أَنَّ بناءه كان سنة ٢٥٩ هـ ، و « خطط المقريزي » (٢/٢٦٥) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٢٤٦) .

(١) هو : عمر بن عيسى بن أبي بكر بن عيسى السراج الوَرْوَري ثم القاهري الأزهري الشافِعي ، مات في ذي الحجة سنة ٨٦١ هـ . « الضوء اللامِع » (٦/١١٢ رقم ٣٥٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤٩) .

(٢) هو : على بن محمد بن آقْبَرْس العلاء القاهري الشافعي . وُلد في القاهِرة سنة ٨٠١ هـ ، ومات يوم الأحد ١٥ صفر سنة ٨٦٢ هـ بطالًا .

له ترجمة في « عنوان الزَّمان » (٣٣١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٩٠) ، و « الضوء اللامِع » (٥/٢٩٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥١) ، و « شذرات الذهب » (٧/٣٠١) .

(٣) رأس نَوْبَةَ النُّوب : « لقبٌ على الذي يتحدث على مماليك السلطان ، أو الأمير ، وتنفيذ أمْرِه فيهم ، ويجمع على رُؤُوس نُوَب ، والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذًا مِن رأس الإنسان لِأنه أعلاه .. والعامّة تقول لِأعْلاهم في خدمة السلطان : رأسُ نَوْبة النُّوَب ، وهو خطأ لِأن المقصود عُلُوُّ صاحِب النَّوْبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : رأس رؤوس النُّوَب » . « صبح الأعشى » (٥/٤٥٥) .

(٤) راجع ما جاء حول هذا الموضوع في « التبر المسبوك » (٣٨٢) .

قدوم ابن الشحنة ومعه منجك

وفي العشر الأُوَل[1] من هذا الشهر ، قدم ابنُ الشحنة ، قاضي الحنفية بحلب[2] ، وقدم إبراهيم[3] بن منجك مطلوبًا ؛ لِمَا قيل مِن أنَّ المُتَحَصَّل من الجهات الموقوفة ، من جهة جَدِّه منجك يفيض عن مصارفها ، وعمارتها في كل سنة خمسة عشر ألف دينار ، وأنَّ السلطانَ أحقُّ بها منه ، وفي خامس عشر الشهر ، عُقِد له مجلسٌ بالقضاة ؛ لِيُحَاسَب في بيت القاضي كاتب[4] السر ، وكان قد نَقَه من مرض لزمه نحو شهر ، فاستمروا عِنْده من أول النهار ، إلى العصر ، فحُمّ ، وانكشف الغطاء عن أنه لم يؤمر بفعل ذلك عنده في هذه الحالة ، إلا لإرادة قتله ، فاستعمل لذلك دواء زاد به انحطاط قُوَّتِه عن أن يجلس في بعض الأحيان ويتحدّث مع أصحابه في غالب النهار ، فأرسل السلطانُ إليه بعد أيّام يُعَنِّفه على الانقطاع وينسبه إلى الكذب في المرض ، فلم يبق شك في التهالك على الإسراع بهلاكِه ، رَدَّ الله كيدَ من يكيده في نحره ، فتزايد به المرضُ ، حتى قطع الأطباءُ يوم الخميس خامس عشري محرّم هذا باليأس منه ، وسعى في كتابة السّرّ ساعون ، ثم وقف مرضُه يوم السبت والأحد ، ثم ترجَّحَت قُوَّتُه ، وانحطّ المرضُ يوم الاثنين تاسع عشريّه ، فَرُجِيت حياتُه ، وكان أوّل مرضه حُمّى بَلْغَمِيّة ، أضعفت شهوتَه للغِذاء ، وكانت معدته في صحته ضعيفة ، ولم يزل في انحطاط إلى أن أفضى به ذلك إلى مرض السُّلّ ، فَذَبُلت أَعْضَاؤُه الباطِنة الشريفة .

---

(١) في « حوادِث الدهور » (١٢١) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٢) (في يوم الاثنين ثامِن محرم) .

(٢) في « حوادِث الدهور » (١٢١) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٢) أنه قابل السلطان مِن الغد ، فخلع عليه كامِليّة بسمّور .

(٣) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن منجك اليوسفي الدمشقي ، أمه حبشية ، وكان هو أسمر ، كما كان حشمًا ، مِن الأعيان ، مات في دِمشق سنة ٨٨٨ هـ ، أيام الأشرف قايتباي (٨٧٢ – ٩٠١ هـ) .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١/١٢٥) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٢١٧) .

(٤) وهو : كمال الدين أبو المعالِي محمد البارِزي . « النجوم الزاهرة » (١٦/١٣) .

العز البساطي

وفي يوم الاثنين ثامنه ، سَجَن السلطانُ القاضِي عز الدين بن قاضي القضاة جمال الدين البِساطي[1] المالكي[2] في المَقْشرة ؛ وذلك لأنه رابع أربعة أنفس من المالكية هم مُدَرِّسو المدرسة القَمْحِيَّة[3] ، التي وقَفَها الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهم نُظَّارها ، والثاني يحيى[4] بن وفاء ، المشهور بابن أبي الوفاء ، والثالث ابن تقي[5] ، والرابع ابن الشمس البساطي[6] ، فكَشف عن جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه ، بأمر

---

(١) البِساطي : نسبة إلى قرية مِن قرى الغربية بمصر . « الضوء اللامع » (١١/١٩٠) .

(٢) هو : محمد بن يوسف بن خالد بن نُعَيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن علي ، العز أبو الطاهر بن الجمال البساطي ثم القاهري المالكي ، ولد في مستهل شوال سنة ٧٩٢ هـ بالقاهرة ، ومات في أوائل جمادى الأولى سنة ٨٦٤ هـ . « الضوء اللامِع » (١٠/٩٢ - ٩٣) .

(٣) المدرسة القمحيَّة : تقع بجوار الجامِع العتيق بمصر ، بناها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان الشروع في بنائها في نصف المحرَّم سنة ٥٦٦ هـ ، تُصْرف رواتب المدرسين والطلبة مِن قمح ضيعة أُوْقفت عليها بالفيوم ، وسُمِّيت لذلك بالقمحية ، وكانت أجلّ مدرسة للفقهاء المالِكيَّة . « صبح الأعشى » (٣/٣٤٣) ، و « الخطط » (٢/٣٦٤) .

(٤) هو : يحيى بن أحمد بن محمد ، المدعو بالفاضل المعتقد أبو السيادات بن الشهاب السكندري الأصل المصري المولد المالكِي الشاذلي المعروف بابن وفاء ، وُلد سنة ٧٩٨ هـ ، ومات يوم الأربعاء ٨ ربيع الآخر سنة ٨٥٧ هـ .

هكذا جاء في « الضوء اللامِع » (١٠/٢٢١ رقم ٩٤٨) ، بينما جاء في « النجوم الزاهرة » (١٦/١٦٤) أن الذي مات في ذلك التاريخ الشيخ الإمام المعتقد الواعظ شهاب الدين أحمد بن محمد بن وفا الشاذلي المالكي المعروف بابن أبي الوفاء ، أي والد المذكور .

(٥) هو : عبد القادِر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي المحيوي بن الشهاب الدميري الأصل المصري المالكي المعروف بابن تقي ، وُلد في جمادى الثانية سنة ٨٢٤ هـ بالقاهرة ، استقر في تدريس المالكية بالشيخونية بعد موت الحُسام بن حُرَيز . ومات بالإسهال في ١٨ ذي الحجَّة سنة ٨٩٥ هـ .

له ترجمة في « الضوء اللامِع » (٤/٢٦٣ رقم ٦٨٧) ، و « بدائع الزهور » (٢/٢٦٦) .

(٦) هو : عبد الغني بن محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم بن محمد الزين أبو محمد بن الشمس البِساطي الأصل القاهري المالكي ، وُلِد سنة ٨٠٦ هـ بالقاهرة ، ومات في سنة ٨٩٧ هـ بمرض الطاعون .

له ترجمة في « الضوء اللامِع » (٤/٢٥٥ رقم ٦٦١) .

السلطان الملك الظاهر جقمق ، وهذه المدرسة إلى جانبه ، فنُظِرَتْ ، فإذا هي على صِفَةٍ غير حَسَنة ، فأُعْلِمَ السلطانُ بذلك ، وعُقِدَت لمدرسيها مجالسُ آل الأمرُ فيها إلى أن اعتُذِر عن بعضهم ، وهرب البعض فلم يُفَتّش عليه ، وغُولِط بالبعض ، ووضع هذا من بينهم في المَقْشَرة ، فذنبه في الظاهر للعوام التهاون بهذه المدرسة ، وفي الباطن الشهادة على أبي الخير بما تقدم ، وإلا لما أُفْرِد من بين رفقته ، واستمر مسجونًا إلى أن عُمل مولد السلطان في حادي عشر شهر ربيع الأول ، فشفع فيه القاضي الشافِعِي [وبعض][1] القضاة ، فأطلق[2] .

ابن الدَّيْرِي

وفي يوم الجمعة ثاني عشره ، قدم الأمين عبد الرحمن بن الشمس الدَّيْري الحنفي ، ناظر القدس والخليل ، وقَدّم للسلطان ، من الخيل ، والذهب ، وغير ذلك شيئًا كثيرًا .

قصة المحتسب

وفي هذا الحد نزل ثمنُ الإردب من القمح إلى خمسمائة درهم فلوسًا ، ثمنها عشرون درهمًا وَزْنا وشيء[3] ، فقدم الزَّيْن يحيى الإِسْتَدَّار من سَفْرة كان سافرها إلى نحو الصعيد ، فارتفع السّعر وعزَّ القمحُ ، وما تفرَّع منه ، فتشاءم الناسُ به ، ثم في نحو العشرين من الشهر سَعَّر المحتسبُ القمحَ بأَزْيَد من السعر ، الذي وضعه الله إليه رحمةً منه لعباده ، ونادى مناديه بذلك ، ويُقال : إنه سَفَّر المراكبَ التي في البحر . ويقال : إنه فعل ذلك بأمر ناظر الخاص ؛ ليحتاج الناسُ إلى ما عنده ، فيبيعه بما أراد ، فاختبط أمرُ البلد

---

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٢) يذكر السخاوي أن عز الدين هـذا عُيّن لقضاء المالكية في دمشق سنة ٨٤٧ هـ ، إلاّ أنه عُزل بعد يومين مِن لِبْسِه الخِلْعة بذلك ؛ « لكونه لم يكن محمود السّيرة ، ولذا جرّحه المناوي في كائنة أبي الخير النحاس ، وامْتُحِن بإدخال سجن أولي الجرائم ولزم ذلك توقُّف الولوي السنباطي في عَوْده إلى النيابة إلّا بعد ثبوت عدالته وتنفيذها على شافِعي وأذن السلطان فيها وضمان دركه في المستقبل ففعل ذلك ، وكان الضامِن له البدر بن الرومي النقيب » . « الضوء اللامع » (٩٣/١٠) .

(٣) راجع ما ذَكر ابن تغري بردي في « حوادث الدهور » (١٢٢) عن انحطاط الأسعار في هذا الشهر وهو شهر محرم .

وعلا السّعْرُ ، وعزّ القُوتُ ، فعظم الكلامُ فيه فخشى عاقبة ذلك ، فضرب المنادي ، وأنكر أن يكون أمْرَه بذلك ، وأطلق للناس أمرهم ، فتراجع الأمرُ .

وصول الحجّاج

وفي يوم الثلاثاء ، ثالث عشريه وصل الرّكب الحجازي[1] ، وكانت قد شاعت الأخبار عنهم بموت الجِمال ، وغلو الأسعار ، فأخبروا بكذب ذلك ، وأنه حصل لهم من اللطف أمرٌ عظيم ، ولاسيما في العقبة ، فإن الجَلَب[2] كثر فيها من كل صنف ، حتى كان أرخص مما في مصر ، وأخبروا أن أبا الفضل النويري خطيب مكّة ، لما مُنع من السفر أظهر أنه قاصد العراق ، فتجهّز مع الركب العراقي إلى المدينة الشريفة ، ثم سار مع المصريين إلى العقبة[3] ، فسار مع المقادِسة .

وبلغنا أنَّ صهره السيد الإمام العالم الصالح ، عفيف الدين الحسيني الإيجي ، الشيرازي ، مات في أوائل أيام التشريق بمكة المشرفة[4] .

قصة أمراء العرب

وفيه أُخْبَر ابن عجلان[5] ، أمير جذام ، بأنه عجز عن تحصيل اللصوص ، الذين بيتوا قصاد بن عثمان ، فضربه ووضعه في زنجير ، وأمر به إلى المَقشْرة ، وأحضر بيبرس بن بَقَر ، فأمره بأنْ يلي إمْرَة العرب ، فامتنع أن يليها على ما صارت إليه مِن البهذلة ، واشترط شروطًا ، فغضب السلطان من ذلك ، فأمر به أيضًا إلى المقشرة ، وَوَلّى ابنَ أخيه بَقَرا[6] .

---

(١) وكان أميره (سُو نجْبُغا صهر السلطان) . راجع خبر وصول ركب المحْمل في « النجوم الزاهرة » (٤٣٩/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٣) ، وكان قد سبقه وصول الركب الأوّل ، وأمِيره (عبد العزيز بن محمد الصُغَيِّر) في يوم الاثنين ١٢ محرم . راجع « حوادِث الدهور » (١٢٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٣) .

(٢) الجَلَب : هو ما يُجْلب من بلد إلى آخر ، كالمواشي ونحوها . راجع « المصباح المنير » (١١٣/١) ، و « محيط المحيط » (١١٥) .

(٣) العقبة : ميناء أردني يقع على البحر الأحمر في طرفه الشمالي الشرقي .

(٤) راجع « هامش ٢ » مِن (ص ١٧٠) .

(٥) راجع خبره في « ص ١٦٩ » .

(٦) هو : بقر بن راشد بن أحمد ، شيخ عرب الشرقيَّة ، مات في ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ . « الضوء اللامِع » (١٧/٣ رقم ٧٥) .

موت الخطيب المالكي

وفيه ، مات الفاضل محب[1] الدين بن المحب الخطيب المالكي إمام إيوان المالكية ، بالصالحية ، ودفن من الغد ، وكانت جنازته حافلة بمشائخ العلم ، والطلبة ، وأهل الخير ، وصلى عليه الشيخ طاهر[2] النُّوَيْرِي المالكِي ، بباب النصر ، وَعَظُمَ ثناءُ النَّاسِ عليه ، وَكَثُرَ تَأَسُّفُهم عليه .

وفي يوم الأربعاء رابع عشريه ، لَبِس المحتسبُ خِلعَةً باستمراره على وظيفته ليسكن قَالَةَ الناسُ فيه ، ويُكْسر من شوكتهم عنه[3] .

موت [محمد] ابن صالح البلقيني

وفي ليلة الأحد ثامن عشري محرَّم هذا ، مات القاضي أبو البقا بهاء الدين [محمد][4] ابن قاضي القضاة ، علم الدين صالح بن شيخ الإسلام السّراج البُلْقِينِي[5] ، وصَلّى عليه أبوه يوم الاثنين تاسع عشريه ، في جامع الحاكم ، ودُفن في مدرستهم ، ولم يحضر جنازَته أحدٌ من قضاة القضاة ؛ أما الشافِعِيُّ فَلِمَا بَيْنَه وبينَهْم مِن أمر قضاء الشافعية ، وأما الحنفي فكان برجله وَجَعٌ منعه الحضور ، وأَمَّا المالكي فكان أَرْمَد ، وأما الحنبلي فإنه اسْتَصْحَب الانقطاع ، لما ادّعى مِن صَدْع رجله ، والله أعلم بحقيقة الحال .

---

(١) هو : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي المحب بن العباس بن فتح الدين القاهري المالكي الخطيب ، ويعرف بابن المحب ، ولد ليلة الثلاثاء ٨ ربيع الأول سنة ٨١٢ هـ بالقاهِرة .

له ترجمة في « التبر المسبوك » (٣٩٥) ، و « الضوء اللامِع » (٢/٨٨ رقم ٢٦٠) .

(٢) هو : طاهِر بن محمد بن علي بن محمد بن محمد ، مَكين الدين أبو الحسن بن الشمس بن النور النُّوَيْرِي ، ثم القاهري الأزهري المالكي ، أحد فقهاء المالكية بالقاهِرة ، وُلد بعد سنة ٧٩٠ هـ بقرية دنديل بالقرب مِن النُّوَيرة ، ومات في يوم الإثنين ٥ ربيع الأول سنة ٨٥٦ هـ ، وقد نَيّف على ستين سنة .

له ترجمة في « النجوم الزاهرة » (١٦/١٨) ، و « التبر المسبوك » (٤٠٠) ، و « الضوء اللامِع » (٤/٥ رقم ١٢) .

(٣) راجع « ص ١٧٧ » .

(٤) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، والتصحيح مِن « التبر المسبوك » (٤١٣) .

(٥) هو : محمد بن صالح بن عمر بن رسلان ، القاضِي بهاء الدين أبو البقاء بن قاضِي القضاة علم الدين البُلْقِيني القاهِري الشافِعي ، وُلِد في القاهِرة سنة ٨١٩ هـ .

له ترجمة في « التبر المسبوك » (٤١٣) وجاء فيه أنه توفي في سابع عشر محرَّم .

قاصد جهنشاه

[١٨] وفي أواخر محرم[١] سنة ست وخمسين ، ورد رسولٌ من عِند جهنشاه ، بأنه جَهّز وَلَده محمدًا لقتال جهنكير ، وأَخْذِ ديار بكر ، وطلب من السلطان ، أن يكون نظره عليه ، وتبين أنّه لم يقع بينه وبين جهنكير صلْحٌ[٢] ، وأنَّ رُسْتمًا مازال عن ديار بكر ، وحصار بعض مدنها[٣] ، وَرَسم السلطانُ بأنْ يطلع هذا الرسول يوم الخميس ثاني صفر ، فعمل الموكب بجند مصر ، وطلع فَقُرِئ كتابُه ، وقدَّم هديتَه ، وهي بغلة عظيمة ، وثلاثة جَواشِن[٤] ، فأعطى السلطانُ البغلةَ للوزير[٥] .

حساب أهل دِمْياط

وفي هذا اليوم طلع القاضي الشافعي ، الشرف المناوي ، إلى السلطان ، فسأل أن يكون قاضي دِمْيَاط ، ومباشروا أوقافها عِنْده يُحَاسِبَهم هو ، ويُعْلِم السلطان بما يتحرر من ذلكِ ، فأجابه إلى ذلك[٦] ، وكان مبغضوه قد سعوا به من جهتهم ، وَطُلبوا إلى القاهرة ، وجُعل حسابُهم إلى الدويدار ، الثاني تَمُرْبُغا ، ثم استمروا عند تَمُرْبُغا ، ولم يتم للشافعي ما أراد ، ثم انفصلوا من بيت تَمُرْبُغا ، ولم يَطَّلع لهم على عورة .

قصة ابن الفاوي

وفي هذا اليوم أيضًا رسم الشرف الأنصاري ، وكيل بيت المال ، عَلَى عَلِيٍّ بن الفاوي الجوهري ، من أجل خمسة آلاف مثقال وسبعمائة مثقال وخمسة وسبعين مثقالًا ، من لؤلؤ دفعها إليه وكيلٌ للملك[٧] المؤيد

---

(١) جاء في « حوادِث الدهور » (١٢٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٤) : « في يوم الاثنين ١٩ محرم وصل قصّاد پيربُضَع بن جهان شاه بن قرا يوسف بن قرا محمد القاهري » .

(٢) راجع « ص ١٦٥ » .

(٣) أشار لها (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٤١٣) بأنها آمد ، وماردين .

(٤) جواشن : جمع جَوْشن ، وهو الصَّدْر أو الدرع . « محيط المحيط » (١٣٧) .

(٥) وهو : الوزير الأمير بن الهيصم في : « حوادِث الدهور » (١٢٣) ، وفي « التبر المسبوك » (٣٨٤) ابن الهيثم .

(٦) راجع « ص ١٦٦ » .

(٧) هو : شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري بَرْقُوق السلطان الملك المؤيد ، وُلد سنة ٧٧٠ هـ تقريبًا ، وكان قدومه للقاهرة سنة ٧٨٣ هـ أو آخر سنة ٧٨٢ هـ ، تسلطن في يوم الاثنين مستهل شعبان سنة ٨١٥ هـ ، واستمر في السلطنة إلى أن مات في تاسع محرم سنة ٨٢٤ هـ . =

ولِطَطَر[١] في عقبة أَيْلة ، ليوصلها إلى مَنْ له قَبْضُها ، وأشْهَد عليه بِتَسَلُّمِ ذلك شاهدان ، وَعُيِّنت زِنَةُ جُمْلَتِها ، وَزِنَة كُلّ لؤلؤة ، وذلك في سنة نيِّف وعشرين ، فانقضت الدولة ، ومات الدّافعُ إليه ، ولم يُرَدَّ مِنها شيئًا .

وفي يوم السبت رابع صفر ، أُطْلِق الأمير بيبرس بن بَقر ، من المقشرة[٢] .

موت المنصوري

وفي ليلة الأربعاء من الشهر ، مات شمس الدين [محمد][٣] المنصوري[٤] ، موقِّع الدويدار الثاني تَمُرْبُغا ، وكان شابًا جميلًا ، حلو الشّكل ، فصيح القول ، عذب الكلام ، خفيف الروح ، طَلْق الْمُحيًّا ، فَعَظُم تأسّف الناس عليه رحمه الله آمين .

موت العلاء الحلبي

وفي ليلة الأحد ثاني عشر الشهر ، مات علاء الدين ، علي الحلبي المُكْتِب ، وصُلِّي عليه من الغد ، في مُصَلَّى باب النصر ، وَدُفِن في تربة[٥]

= له ترجمة في : « إنباء الغمر » (٤٣٥/٧) ، و « الدليل الشافي » (٣٤٦/١ رقم ١١٩١) ، و « النجوم الزاهِرة » (١/١٤) ، و « حسن المحاضرة » (١٢١/٢) ، و « الضوء اللامِع » (٣٠٨/٣ رقم ١١٩٠) ، و « شذرات الذهب » (١٦٤/٧) ، و « بدائع الزهور » (١٠/٢) .

(١) هو : طَطَر بن عبد الله الظاهِري بَرْقُوق ، الملك الظاهر أبو الفتح طَطَر ، تسلطن بعد خلع الملك المظفر أحمد بن شيخ المحمودي في يوم الجمعة ١٩ شعبان سنة ٨٢٤ هـ ، لم تطل مدَّته وتوفي في ضحى يوم الأحد ١٤ ذي الحجة من سنة ٨٢٤ هـ .

له ترجمة في : « إنباء الغمر » (٤٣٨/٧) ، و « الدليل الشافي » (٣٦٣/١ رقم ١٢٤٥) ، و « النجوم الزاهِرة » (١٩٨/١٤) ، و « حسن المحاضرة » (١٢١/٢) ، و « الضوء اللامِع » (٧/٤) ، و « بدائع الزهور » (١٣/٢) ، و « شذرات الذهب » (١٦٥/٧) .

(٢) راجع (ص ١٧٨) .

(٣) بياض في الأصل ، والتصحيح مِن « التبر المسبوك » (٤٢١) .

(٤) أشار له (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٤٢١) بإيجاز ، وقال : « محمد شمس الدين المنصوري ثم القاهِري ، موقِّع الدوادار الثاني تَمُرْبُغا » .

(٥) تقع هذه التربة في الصحراء خارج القاهِرة . « حوادِث الدهور » (٣٦٢) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٧/١٠) .

جمال الدين[1] الإسْتدار ، وكان قد فاق مشائخه في الكتابة ، حتى صار أكتب أهل الزمان ، مع صغرِ السِّن ، فإنه مات عن نحو ثلاثين سنة ، وكان مع ذلك حَسَنَ العِشْرة ، لَيِّن العريكة ، كريمًا ، مُحَبَّبًا، مُحْسِنًا إلى عباد الله ، بالمال والنَّفْس ، كثير البشاشة ، يطلب العلم ، ويفهم ما يُقال له ، فَعَظُم تأسّفُ الناسِ عليه ، ولاسِيّما أصحابُه الذين كانوا يُعَاشِرونه ، لقد خلعوا العَذَار[2] في البكاء والأسف ، حتى كادت مرايرهم تَنْفطر ، وهم من رؤساء الناس ووجوههم ، فأسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة .

وفي هذه الليلة ، انتقل القاضي كاتبُ السِّرِّ ، الكمال بن البارزي إلى بيته في بُولاق[3] ؛ يطلب بذلك الرّاحةَ برؤية البحر والفضاء ، وكان قد كُرِّر نهيه عن ذلك ؛ لأنّ قُوَّته وصلت في الضَّعْف إلى حدٍّ لا يُظَنّ بها

---

(١) هو : يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم ، الأمير ، الجمال أبو المحاسن العثماني البيري ثم الحلبي ثم القاهريَ الإستدار ، كان يعرف بالحريري ، ثم في القاُهرة باستدار بجاس ، ولد سنة ٧٥٢ هـ تَزَيّا بزي الفقهاء ، ثم تزيا بزي الجند ، وخدم بلاصيا عند الشيخ علي ، كاشف بِّردمشق، وقدم القاهرة سنة ٧٧٠ هـ ، فخدم استدًارًا عِند الأمير بجاس ، وتزوج ابنته ، وعرف به ، كما باشر الاستدارية عند جماعة من الأمراء ، ومازال يترقى حتى قال عنه (ابن حجر) : « وفي الجملة كان قد نفذ حكمه في الإقليمين ، مصر والشام ، ولم يفته مِن المملكة سوى اسم السلطنة ، مع أنه كان ربما مدح باسم الملك » ، مات مقتولًا ليلة الثلاثاء ١١ جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ .

له ترجمة في : « إنباء الغمر » (١٩٨/٦ - ٢٠٢) ، و « الدليل الشافي » (٧٩٦/٢ رقم ٢٦٨٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧٥/١٣) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٤/١٠ رقم ١١٥٧) .

(٢) خلعوا العَذَرا : جاء في « محيط المحيط » (٥٨٤) : « خُلِعَ عذارُه أيّ الحياء ، وقولهم فلان خليع العِذار ، يفعل ويقول ما يشاء ولا يبالي ولا يخاف مِن الله ومِن ملامة الناس كالدابة ،لارسن لها على رأسها » .

(٣) بولاق : على شاطئ النيل الشرقي ، ظهرت نتيجة للطرح السابع للنيل سنة ٦٨٠ هـ تقريبًا ، وظلت بولاق منذ سنة ٧١٣ هـ ثغرًا مهمًّا لمدينة القاهرة ، حتى أيام الوالي سعيد الذي أنشأ أوّل خط سكة حديد بين الإسكندرية والقاهرة سنة ١٨٥٦ م ، حيث أخذت في الأفول ، ولكنها بدأت تستعيد مكانتها حينما رُبطت بطريق مع الأزبكية في أواخر القرن الثامن عشر ، ومازالت تتسع في عمارتها حتّى اتّصلت بمدينة القاهرة في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر . « القاهرة تاريخها وآثارها » (١٣٤) .

أنَّها تحتمل المشقّة اللاحقة بالحركة في طول الطريق ، وكان لا يَزْداد إلا تَوْقًا إلى ذلك إلى [أنْ][1] غلب على أصحابه في هذه الليلة ، وذهب بعد العشاء راكبًا على فرسه ، وأصحابه حوله مُشَاة يُعَضِّدونه ، فوصل من بيته ، من الخَرَّاطين ، إلى بيت أخته[2] التي كانت زوجة السلطان ، وهو بين السّورين ، فنزل هناك ، وقد زادت مَشَقَّتُه ، فوطئ له على بغل بمخادٍّ ونحوها مما يلائم ركوبَه ، ثم نزل في المَقسِ[3] ، فاستراح ، ثم أصبح يجد الراحة برؤيته للفضاء ، ويجد في نفسه خِفّة .

موت ابن كزل

وفي ليلة الأحد تاسع عشر صفر هذا ، مات الإمامُ المقرئ ناصر الدين محمد[4] بن كُزُل بُغا الحنفي ، إمام المدرسة الأشرفية[5] ، وكان رجلًا

---

(١) (أن) غير موجودة في الأصل ، وأُضِيْفَتْ بمقتضى السياق .

(٢) راجع « ص ١٤١ » .

(٣) المَقْس : ضيعة مِن ضياعِ القاهرة ، كانت تُعرف بأمِّ دُنَيْن ، وكان موظف المكس يقعد بها لاستخراج المال . فقيل لها مَكْس ، ثم استُبْدِلت الكاف قافًا ، كما وُجد من يطلق عليه المَقْسي ، لِأن قِسْمة الغنائم في الفتوح كانت فيه ، وفيها تقع منظرة المَقْس بحري جامع المقسي مطلة على النيل الذي كانت المقس تقع على ساحِله . راجع « صبح الأعشى » (٣٥٧/٣) ، و « الخطط » (٤٦٥/١ ، ٤٨٠) .

(٤) هو : محمد بن كُزُل بُغا ناصر الدين أبو عبد الله الجوباني القاهري الحنفي ، ويعرف بابن الجندي ، وبابن كُزُل بُغا .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (١٢٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٢/١٦ – ١٣) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٤/٨ رقم ٨٢٠) .

(٥) المدرسة الأشرفية : يفهم مما جاء في « صبح الأعشى » (٣٦٣/٣ ، ٤٣١) ، و « الخطط » (٣٩٤/٢ ، ٤٠١) أن هناك مدرستان عرفتا بهذا الاسم ؛ المدرسة الأشرفيَّة التي بناها الملك الأشرف خليل (ذي القعدة ٦٨٩ هـ – محرم ٦٩٣ هـ) بالقرب مِن المشهد النفيسي ، والمدرسة الأشرفية التي بناها الملك شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، الأشرف زين الدين (شعبان ٧٦٤ هـ – ذي القعدة ٧٧٨ هـ) في الصُّوَّه ، تحت القلعة ، ومات ولم يكملها ، ثم هدمها الناصر فرج بن برقوق (شوال ٨٠١ هـ – محرم ٨١٥ هـ) لتسلطها على القلعة في سنة ٨١٤ هـ ، واستخدمت حجارتها في عمارة القاعات التي أنشأها في الحوش ، وعندما بني جمال الدين الإسْتدار مدرسته اشترى ما بقي فيها من شبابيك وأبواب ومصاحف وكتب ، بمبلغ ستمائة دينار .

خيِّرًا ، ديِّنًا ، عارفًا بالقراءات ، حسن الأداء لكتاب الله ، عَذْب الصوت ، مُطْرِبَ النَّغْمة رحمه الله ، فلقد عظم تأسُّف النَّاسِ عليه .

موت الشيخ قاسم الزبيري

وفي يوم الاثنين العشرين منه ، مات الشيخ زين الدين قاسم[1] الزّبيري الشافعي ، وكان فاضلًا ، صالحًا .

[موت] الحاج تقي

وفي هذه الحدود مات الحاج تقي ، وكان تاجرًا كبيرًا ، من أهل مصر القديمة ثم تحامل عليه الزمانُ حتى افْتَقَر ، وطالت حياتُه حتى ملَّ العيشَ رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشريه ، بعد العصر ، حصل للقاضي كاتب السّرّ[2] صَرَعٌ ، بحيث قُطِع بموته ، ثم أفاق ، ومكث مدّة ، ثم عاوده الصّرع ، ثم أفاق ، فعُرِض عليه الرجوعُ إلى بيته في المدينة ، فأجاب ، فنُقِل بعد العشاء في مِحَفَّة[3] على بغلين[4] ، فوصل بعد هَدْأةٍ من الليل ، وأصحابه وأقاربه حوله مشاة ، وبعض أخصِّ نِسائه وراءه على حمر المكارية . وشرب في الطريق وتقيّأ قَيْئًا أخضر ، ولما وصل إلى بيته جلس على التّخت ، الذي كان يجلس عليه بعد العصر ، لمنادمة أحبابه ، فقال : هل وصلت إلى البيت ؟ . فقيل له : نعم أنت على الدَّكَّة ، بالحوش ، ثم

---

(١) هو : قاسم بن محمد بن يوسف بن البرهان إبراهيم الزَّين بن الشمس الزبيري النويري ، ثم القاهري الشافعي ، ويُعْرف بقاسم الزبيري ، وُلِد سنة ٧٩٣ هـ بالقاهرة .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٨٤) ، و « التبر المسبوك » (٤٠٩) ، و « الضوء اللامع » (٦/١٩٢ رقم ٦٤٤) .

(٢) وهو أبو المعالي محمد بن القاضي كمال الدين محمد البارِزي .

(٣) مِحَفَّة : المِحَفَّة ، « محملٌ على أعلاه قبّة ، وله أربعة سواعِد : ساعدان أمامها ، وساعِدان خلفها ، تكون مُغطَّاة بالجوخ تارَة ، وبالحرير تارَة أخرى ، تحمل على بغلين ، أو بعيرين ، يكون أحدهما في مقدّمتها ، والآخر في مؤخرتها ، إذا رَكِب فيها الراكب صار كأنّه قاعِد على سرير ، لا يلحقه انزعاج ، وقد جرت عادَة الملوك والأكابر باستصحابها في السفر خشية ما يَعْرِض مِن المرض » . « صبح الأعشى » (٢/١٣٧) .

(٤) بَغْلين : البَغْل ، حيوانٌ أهلي ، للركوب والحمل ، أبوه حمار ، وأمه فرس ، أو بالعكس ، ويُطْلق البَغْل مجازًا على كل حيوان أبوه وأمه مختلفين . « محيط المحيط » (٤٧) .

حُمل ، وأُدخل إلى بيته ، أسأل الله أنْ يَلْطف به ، فاستيقظ عند السَّحَر ، وقال : لم أصلِّ المغرب ، والعشاء ، فأتُوني بوضوءٍ ، فتوضّأ ، وَصَلّى المغرب ، ثم العشاء ، فلما أصبح صلى الصبح ثم أصبح مفيقًا ، صحيح العقل ، سليم الحواس .

موت الشريف الأسيوطي

وفي هذه الليلة مات الشريف صلاح الدين محمد[1] بن أبي بكر الأسْيوطي الشافعي ، وكان أديبًا ، ماهرًا في الأدب ، مشاركًا في غير فنٍّ ، ذا كِتابة حسنة ، وكان خطيب مدرسة[2] قراقجا الحسني ، بقرب جامع[3] بَشْتُك رحمه الله .

وفي هذا العشر ، وَشَى ابنُ العفيف رئيس الأطباء القِبطي الأسلمي ، الملقب بقواليح ، بالقاضي ولي الدين[4] بن تقي الدين بن البدر البُلْقِيني في [١٩] أنَّ تحت نظره جامع المغربي[5] في نواحي المَقْس من القاهرة ،

---

(١) هو : محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر بن عيسى بن جلال الدولة ابن أبي الحسن الصلاح الحسني السيوطي ثم القاهِري الشافعي ، ولد في شوال سنة ٧٨٣ هـ بأسيوط مِن الصعيد . « الضوء اللامِع » (١٧٨/٧ رقم ٤٢٧) .

(٢) مدرسة قراقجا : عَمّرها قراقجا الحسني الظاهري برقوق المتوفى سنة ٨٥٣ هـ بالقرب من قنطرة طقز دمر الحموي ، المعروفة اليوم بقنطرة درب الجماميز ، وعمل فيها تصوفًا ، وشيخًا ، وأرباب وظائف . « الضوء اللامع » (٢١٦/٦) ، و « الخطط التوفيقية » (٧٦/٥) .

(٣) جامع بشتك : يقع هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة الفيل عمَّره بشتك ، أو بشتاك العمري ، وقيل الناصري ، فكمل في شعبان سنة ٧٣٦ هـ ولا يزال قائمًا بشارع درب الجماميز بالقاهرة ، ويعرف بجامع مصطفى باشا فاضل . « خطط المقريزي » (٣٠٩/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٠٨/٩ هامش ١) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٦٦/١) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن عمر بن رسلان بن نُصير ولي الدين (الولولي) أبو الفضل وأبو الرضا بن التّقي بن البدر بن السراج البلْقيني الأصل القاهِري الشافعِي ، ولد في ربيع الأول سنة ٨١٢ هـ بالقاهرة ، وقيل سنة ٨١٤ هـ ، كان عالمًا فاضلًا واعظًا خطيبًا ، ولي عدة تداريس ، وناب في الحكم ، وولي قضاء دمشق ، ومات بها معزولًا يوم الاثنين ١٢ ذي القعدة سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٦٤ – ٥٦٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٣/١٦ – ٣١٤) ، و « الضوء اللامع » (١٨٨/٢ رقم ٥١٩) ، و « نظم العقيان » (٩٠ رقم ٤٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٤) .

(٥) جاء في « الخطط » (٣٢٨/٢) : « جامِع ابن المغربي بالقرب من بركة قرموط ، مطلّ على الخليج =

وأنهى أنّ تصرفه فيه غير سديد ، فَرسم السلطانُ بإحضاره مُرَسَّمًا عليه ، حتى يخرج من حِسابه ، فَرَسم عليه ، وأمر بأن يُعْمل الحسابُ في نفس الجامع ، ثم إنه خُلِّص بمال غَرِمه ، وشفاعات من بعض الأكابر .

موت كاتب السر

وفي يوم السبت خامس عشري صفر المذكور ، طلب القاضي كاتب السّرّ الشهودَ ليوصِي ، فلم يَتَهيَّأ إحضارهم إلى بعد العصر ، فَعَاوَدَه الصَّرْعُ ، وجاءت مُقَدِّمات الموت العِظَام الكبار ، فشغل ..[1] أهله ، أن ..[1] وكان لمابه ، ثم أفاق ، وصرع في ليلة الأحد سادس عشريه مرتين ، لم يفق من الثانية ، إلّا بعد الصبح ، فطلب الوضوءَ ، فقيل له : صَلّيت . فقال : لم أُصلِّ ، ولم يزل بهم حتى أحضروا له الماء ، فعجز عن التَّوَضِّي فَوَضَّأَتْه ابنتُه[2] أمّ القاضي نجم الدين يحيى[3] بن القاضي بهاء الدين محمد ابن قاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجي الحُسْبَاني[4] ، وكأنّها لم تُسْبغ ، فقال : أهكذا وُضُوئي ؟! ثم تَجَشَّم المَشَقَّة ، وتوضَّأ كما يَجِب ، ثم أراد الصلاة فلم يتهيَّأ له بعضُ أطرافه ، فأمرهم أنْ يثنوا رجليه فإذا هما قد ماتتا ، فلم يقدر على ثَنْيهما ، فأُحضرت له مُدَوَّرة[5] ، فصلى ، وهو يسجد عليها ، فلما فرغ [من][6] الصلاة ، أخذ في الذّكر المشروع بعدها : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلى آخرها ، وكان شديد المواظبة على ذلك ، بعد الصبح والمغرب ، ثم أخذه أمر الله ، وهو على ذلك ، إلى أن مات في ضحى ذلك

= الناصيري ، أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربي ، رئيس الأطباء بديار مصر » .

(١) كلمة بالأصل لم نجزم بتصحيحها .

(٢) هي : زينب ، ماتت قبل الصلاة مِن يوم الجمعة ٢١ محرم سنة ٨٧٥ هـ . لها ترجمة في « الضوء اللامِع » (٤٩/١٢) .

(٣) وُلد في يوم الجمعة ٧ شوال سنة ٨٣٨ هـ ، ومات يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول سنة ٨٨٨ هـ . له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٥٢/١٠ رقم ١٠٣٠) .

(٤) نسبة إلى حُسْبَان ، بلدة صغيرة من بلاد البلقاء في الشام . راجع « التعريف » (٢٢٧) ، و « صبح الأعشى » (١٠٦/٤) ، و « الضوء اللامِع » (١٩٨/١١) .

(٥) مُدَوَّرة : جاء في « صبح الأعشى » (٢٠٩/٥) ، أنها قُبَّةَ كبيرة مرتفعة مِن كتّان تسمى قبة الساقة لجلوس الناس فيها وحضورهم عنده بها ، وهي التي تسمى بمصر المدوَّرة .

(٦) أُضيفت إلى الأصل ، بمقتضى السياق .

اليوم ، ثم شُرِع في تجهيزه ، وجاء الناس باكين من كل صوب ، إلى أن اجتمع له ما قــلَّ أن اجتمع لغيره ، وَعَظُم التّأسُّف عليه ، وكثر العويلُ ، وزاد الثناءُ ، وأجمعوا على أن الأرضَ لم تشتمل على من يحب موته ، بل على من لم يتأسف عليه ، ومشى الناس قاطبة ؛ من القضاة ، والأمراء ، والمباشرين ، والطلبة ، وغيرهم ، قدَّام جنازته ، من بيته ، من خط الخرَّاطين[1] ، إلى سبيل المؤمِنِي[2] بالرُّمَيْلة[3] ، ولاقـاهم السلطانُ هناك ، فصلَّى عليه أميرُ المؤمنين ، القائم بأمر الله ، أبو البقاء حمزة ، ثم مشى أكثرهم أيضًا ، وركب أكثر الأكابر إلى تربته ، وهي تحت شبّاك قبة الشافعي ، فدفن هناك ، على والده ، وبعض أقاربه رحمهم الله ، فلقد كان فَرْدَ زمانه ، وعَيْن أعْيانه ، كان فاضلًا في الفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، مشاركًا في المنطق ، والأصول ، شـاعِرًا مفلقًا ، لكنّ شعره قليل ، راوية للأشعار ، لاسيـما أشعـار المتأخرين ، حافظًا لكثير من التاريخ ، ومن شعره ما كتبه على كتاب شخص يقال له : ابن ناهض ، وكان قليل العلم ، فجاء كتابُه على مقدار علمه ، ودار به على الأكابر ؛ ليقرضوه له ، فكتبوا له عليه كتابات موجّهه ، وممن كتب عليه القاضي ناصر الدين[4] البارزي ، فكتب للقاضي كمال الدين تحت خط والده رحمهما الله .

---

(١) راجع « هامش ٣ » (ص ١٤٢) .

(٢) سبيل المؤمِني : سبيل بناه الأمير بكتمر بن عبد الله المؤمني ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ بميدان الرميلة . « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢١١/١) .

(٣) الرُّمَيْلة : يُطلق على المنطقة التي تشمل اليوم ميدان محمد علي ، وميدان صلاح الدين ، وميدان السيدة عائشة ، وكانت أرضًا فضاء يقع بها الميدان السلطاني ، أو ميدان القلعة ، وكان يسمى قره ميدان (أي الميدان الأسود) وتعرف الرميلة في الوقت الحاضر بالمنشية تحت القلعة . « النجوم الزاهرة » (١١١/٩ هامش ١) .

(٤) هو : محمد بن محمود بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله ناصر الدين أبو عبد الله الكمال الجهني الحموي الشافعي ، ولد يوم الاثنين ٤ شوال سنة ٧٦٩ هـ ، ومات بعلّة الصّرَع يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ٨٢٣ هـ .

له ترجمة في : « إنباء الغمر » (٤٠١/٧) ، و « الدليل الشافي » (٦٧٧/٢ رقم ٢٣٢٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦١/١٤) ، و « الضوء اللامع » (١٣٧/٩ رقم ٣٥٠) ، و « بدائع الزهور » (٨/٢) ، و « شذرات الذهب » (١٦١/٧) .

مرّت على سمعي وحُلْو لفظها مكرر فما عسى أَنْ أصنعا .
ووالدي دام عُلا سُؤدده لم يُبْق فيها للكمال مَوْضِعَا[1] .

وأما الوظائف الكبار ، فكان يباشر منها ما يُتعِب غَيْره ، وهو مستريح فيه ، غير مُكْترث ، وكان كبير الهمّة ، شريف النَّفْس عل الخلائق ، ليس عنده عظم إلا ما كان لله ، لقد كان يأتي إليه بعضُ الأمراء الأكابر ، من نوّاب البلاد ، فلا يتحرّك له ، ويأتي إليه من ليس له وظيفة مِن أهل العلم ، فيقوم له ، وكان أمرُ الدنيا عنده صغيرًا على شدّة مخالطتها ، أتى إليه بعض أُجَراء ، صاحب من أصحابه التجّار ، فشكى إليه حاجة ، فأعطاه ثلاثين دينارًا ، وكان ذلك التاجر بمكة ، فلما ذهب إليه أجيره، أرسل الثلاثين دينارًا ، فوصلت إليه في مرضه ، فقال للسفير بها : إني لم أُعْطِها لِآخُذَ لها بدلًا ، فانْتَفِع بها أنت ، ولم يلتفت إليها . وكانت له صدقات ، لم تكن لأحد في عصره ، الشَّهْرِيَّة منها أَيّ المُرَتَّبَة لأناسٍ بأعيانهم في كل شهر في مِصر خاصة – على ما قيل لي – يزيد على مائة ألف بمعاملة مصر ، يكون قريبًا من ثلثمائة دينارٍ ، هذا سوى ما كان للطارئين ، وللسَّنَوِيِّين ، ومن في بلاد الشام وغيرها . وكان من الحلم ، وسعة الصدر ، والعفو عند القدرة ، وكثرة المحبَّة لأهل العلم ، وتعظيم أصحابه ، وعدم الملل لهم ، والصبر على جفواتهم ، وغلطاتهم ، وعدم السّماع فيهم ، على جانب لم يَبْلُغه أحدٌ من أهلِ الزمان ، سجيّة تلك منه غير مُحْدَثةٍ (إنَّ الخلائق فاعلم شرها البِدَع) وكان قد تشبَّه به ناسٌ من أهل الزمان في تعظيم الفقهاء ، وتزيين مجالسهم بهم ، فلم يبلغوا المعشار من عشيرة ، لم يسابقه أحدٌ منهم في مَكْرُمة إلا حاز قصبَ السَّبْق ، وغيره يُجْهِد نَفْسَه سعيًا ، وهو يمشي الْهُوَيْنا ، أُرْسَلْتُ إليه ، وإلى بعض من يتشبه به في المكارم ، وقد حَدَثت بي نازلة في عمارة مسجدي ، احتجت فيها حاجةً شديدة ورقةً نصّها : « العبد إبراهيـم ، يُنهي إلى واحدِ العصر ، الذي خضعت له رقابُ الورى

---

(١) هكذا وردت في الأصل ، وهما بيتان مهلهلان .

إذْ أثقلتها فواضله ، أنه كان في يوم كذا جالسًا في مسجده ، فلم يُرْعِبه إلا جسران من جسوره قد صاحا ، وزالا عن مكانهما وزاحا ، وتكسّرت من جانب آخر منه أعوادٌ ذوات أعداد ، فشمّر في رمّ ذلك عن ساق ، وسهرت منه الأحداق ، فهو في ذلك اليوم في إرخاءٍ وشدٍّ ونقب وسد ، ووضع ورفع ، وتحصيلٍ ودفع ، وبناءٍ ونجر ، ولف ونشر ، إلى أن صار المسجد ما بين تراب وخشب ، وحديد وحطب ، واتّسع الخِرْقُ ، وزاد في الكبد الحَرْق ، حتى جلّ الفَتْقُ عن الرَّتْقِ ، وقد عَجزَت من العبد الفقير القوى ، وعزّ عليه الدواء لهذه البلية السّمَاوية، وعِيْلَ صبره ، ووهن ظهره ، وضاق صدره ، وأنت لهذا الأمر كفوءٌ وغيره وإن عظمت أعضادُه وكواهلُه » . فأما هو فأرسل عشرة دنانير على أنه والله كان محتاجًا إلى [كل][1] دِينار منها ، بل إلى [كل][1] درهم ، فقد تقدَّمت أشياءٌ من أحواله مع هذا السلطان الذي تحامل عليه ، حتى أنهك دنياه ، وأما ذلك المتشبّه فإنه لم يُعِد جوابًا ، ثم قال لي عند اجتماعي به ، بعد أيام ، لم أدْرِ مُرادَكم بالورقة ، التي أرسلتموها إليَّ ، ثم خاف ، أن أستخبره ، فقال : شُغلت عنها ، فما فتحتها ، إلا ليلًا ، فلم أتمكن من إمعان التأمّل فيها ، فقلت له المراد ، فكان ذلك آخر العهد به مع أنه كان تحت يده في ذلك الوقت صدقات لبعض الرّؤساء ، ليفرِّقها في وجوه البِرِّ ، وما أحسن ما قال بعضُ أهل الزّمان ، وقد أرسل رسالة إلى بعض أحبابه ، يعرِّض فيها ببعض من كان يتشبَّه به ، من القبط ، فقال فيها : ما كان بعد الكمال رئيس ، ولا من تشد إليه العيس ، وينثر في مجلسه جواهرَ كلِّ علم نفيس ، وتتأنّق جلساؤه منه بأفخر الملابيس ، ولا ينسب إلى راهب ، ولا قسيس .

وكان القاضي كاتب السرّ كثير الصيام في أيام الحرّ الطوال على ضعف بدنه ، وكان رحيمًا بعباد الله ، ليِّن الجانب ، ومع ذلك فما رَفَعْتُ إليه

---

(١) (كل) ، إضافة إلى الأصل اقتضاها السياق .

قضية أمر بمعروف إلا اشتدّ معي فيها اشتداد الأسد ، وكان مع حلمه ودماثة أخلاقه مؤَتّى له يُعمل له من أموره على أشد حال ، وهو في غاية السّكون ، ما يعجز [٢٠] غيره عن عمله ، بغاية الفَرْعنة ، مأكوله أحسن من مأكولهم ، ومشروبه أعذب من مشروبهم ، وملبسه أبهج من ملبسهم ، وأصحابه رؤوس الناس وأعيانهم وغررهم ، ومن وسم في بيته بميسم ، وسم به عند غيره ، وكان عنده من الكتب ، ما لم يفرح به أحد من أهل عصره ، جَوْدَةً ، وكثرةً ، وحسن خطوط ، حتى إنها بيعت في تركته بستة آلاف دينار ونيّف وخمسين ، منها نسخة من القاموس[١] ، بنحو مائة وخمسين دينارًا ، ونسخة من الكشاف[٢] بأكثر من ذلك ، ونسخة من شرح[٣] قاضي القضاة ابن حَجَر للبخاري ، بزيادة على مائتين وخمسين دينارًا ، وكان لا يَردّ أحدًا استعار منها شيئًا ، ومن استعار شيئًا لم يطالبه به ما لم يطلبه غيره ، أو تدعوه إليه ضرورة أكيدة ، فكان لذلك كثير الحسَّاد ، فلم يزالوا يُصَوِّبون إليه سهام مَكْرهم حتى قتلوه غمًّا قتلهم الله ، على أنه ليس منهم أحدٌ سُرّ بموته ، لمعرفته أنه أَمِنَ مِن شرّه ، وأنه لو قدر على أن يقتله ما شاكه بشوكة ، فضلًا عن أكبر منها ، رحمه الله وأكرم نزله ومثواه . [رثاه][٤] ابن زَغْدان[٥] التونسي بقوله :

---

(١) لعله : (القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط) ، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي ، المتوفى في شوال سنة ٨١٧ هـ . راجع « كشف الظنون » (٢/١٣٦١ – ١٣١٠) .

(٢) لعله ، كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل) للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . راجع « كشف الظنون » (٢/١٤٧٥ – ١٤٨٤) .

(٣) هو كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) . راجع « الضوء اللامع » (٢/٣٨) .

(٤) (رثاه) إضافة إلى الأصل اقتضاها السّياق .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن داود بن سلامة أبو عبد الله وأبو المواهِب ابن الحاج اليزلتيني – نسبة لقبيلة – التونسي المغربي ثم القاهري المالكي ، وُلِد سنة ٨٢٠ هـ تقريبًا بتونس ، يصفه البِقاعي بالكذب ، مات ظهر يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ٨٨٢ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٤٤٢ – ٤٤٤) ، و « الضوء اللامع » (٧/٦٦ رقم ١٢٨) .

لعمرك إن الدَّهر كان بزينة محاسنه يَبْدُو ..
وكان جوادًا ما الذي عاق جوده كأنّ بني الإحسان جادوا لحاله .
أم الجود أمسى .. زماننا ، فأصبح فى نقص لفقد كماله[1] .

موت الشيخ عمر الطوخي

وفي ليلة الخميس ، مستهلّ شهر ربيع الأول ، سنة ست وخمسين ، مات الشيخ عمر بن الشيخ خلف[2] الطوخي ، وكان على طريق السَّلف ، خيِّرًا ديِّنًا ، يحضر مجالسَ الحديث كثيرًا ، ويُكثر النفع للفقراء ، والمنقطعين ، من الأرامل ، ومَنْ ليس له ملجأ ، ولاسيّما في سِنِي الغلاء، وكانت له فضيلة في علم الوقت ، وكان يباشر في جامع الحاكم ، ثم ترك وأقبل على ما ذُكر من نفع المنقطعين ، وكان يكاد يحفظ جامع الأصول ، لابن الأثير[3] ، وَلِمَا عُرِف بما هو فيه ، من الإنفاق على المحاويج ، كان يقصده بعضُ الموفقين بالصَّدَقة ، فيفرّقها ، ولا يلتمس منها شيئًا ، إنما لباسه صيفًا وشتاءً قميصٌ واحد ثخينٌ ، وملوطة[4] وطيئه ، وعمامة من

---

(١) واضح أن الأبيات مهلهلة ، وذلك بسبب عدم وضوح رسم بعض كلماتها وقد أُشير إلى ذلك بـ (..) .

(٢) هو : عمر بن خلف بن حسن بن علي أو عبد الله ، السراج بن الزّين الأبشيطي الأصل القاهري الشافعي ، الشهير بالطّوخي ، ولد سنة ٧٩٠ هـ تقريبًا بالقاهرة .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٤٠٧) ، و « الضوء اللامع » (٨٤/٦ رقم ٢٨٢) .

(٣) هو : مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات مجد الدين بن الأثير المَوْصِلي الجَزَرِي الكاتِب ، ولد سنة ٥٤٠ هـ وقيل : ٥٤٤ هـ بجزيرة ابن عمر ، ومات بالموصل يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ٦٠٦ هـ .

له ترجمة في : « وفيات الأعيان » (١٤١/٤ رقم ٥٥٢) ، و « الذيل على الروضتين » (٦٨ – ٦٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (٤٨٨/٢١ رقم ٢٥٢) ، و « البداية والنهاية » (٥٤/١٣) .

أما كتابه (جامع الأصول في أحاديث الرسول) ، فقد جمع فيه بين الصحاح الستة ، يقول ابن خلكان : « وهو على وضع كتاب رُزَين ، إلّا أنّ فيه زيادات كثيرة عليه » « وفيات الأعيان » (١٤١/٤) . وراجع أيضًا « كشف الظنون » (٥٣٥/١ – ٥٣٧) .

(٤) ملوطة : تجمع على ملاليط ، وهو قِباء واسِع الكُمَّيْن طويلهما ، يلبس فوق الجبَّة ، يصنع مِن الحرير الخالِص أو الكتّان الرقيق ، وكانت لباسًا قوميًّا في عصر المماليك . « العصر المماليكي » (٤٥٤) .

نسبتهما ، وينام بغير وسادة . وحضر جنازته جمع صالحٌ ، وصَلَّى عليه قاضي الشافعية الشرف المناوي في باب النصر ، ودُفن في تربة الصوفية ، وعَظُم عليه التّأسف ، والترحم ، والبكاء ، نفعنا الله به آمين .

موت الشيخ طاهر

وفي يوم الاثنين خامس الشهر ، مات الشيخ الإمام العلّامة المفنن ، الصالح القدوة ، زين الدين ، طاهر بن محمد بن علي النُّوَيْري المالكي ، وصلى عليه القاضي الشافعي[1] ، عند جامع طستمر بالصحراء ، ودُفن هناك من يومه في تربة الشيخ سليم ، وعظم التأسف عليه ، وكثر البكاء ، وحضر جنازته ودَفْنَه من القضاة والمشائخ والطلبة والصلحاء جمع يتعسر حصرهم ، وعُدّ موتُه من أعظم المصائب ، ولم يخلف من المالكية من هو على مجموع علومه وخلائقه ؛ فإنه كان عالمًا بالعربية ، ماهرًا في المعقولات ، رأسًا في الفقه ، إمامًا في القراءات ، كثير الحج والعبادة ، شديد التواضع ، منعزلًا عن الناس ، حافظًا للسانه ومجلسه ، لَيِّن الجانب ، مُهَاب الذَّات ، حسن الكلام ، رحمه الله ، وكُتبت جميع وظائفه باسم ابن له صغير ، إلّا تدريس فقه المالكية ، بمدرسة بَرْقوق[2] ، فإن ناظرها أمير أخور قانِبَاي الشركسي ، كان يعتقد علم الشيخ أبي الجود[3] ، وورعه ، فقرَّره ، وألبسه خلعَة بذلك في أواخر هذا الشهر .

---

(١) راجع « هامش ٢ » (ص ١٧٩) .

(٢) مدرسة بَرْقُوق : يقال لها الظاهرية ، نسبة إلى السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين بَرقوق بن آنص (١٩ رمضان ٧٨٤ هـ – ١٥ شوال ٨٠١ هـ ، ما عدا ٨ أشهر و ٧ أيام من سنة ٧٩٢ هـ تسلطن فيها المنصور حاجي بن الأشرف شعبان) ، وقد أنشأ برقوق هذه المدرسة بين القصرين وشرع في بنائها في رجب سنة ٧٨٦ هـ وانتهى في رجب سنة ٧٨٨ هـ . راجع « إنباء الغمر » (١٦١/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٢١/١١ و ١١٣/١٢ و ٩/١٦) ، و « حسن المحاضرة » (٢٧١/٢) .

(٣) هو : داود بن سليمان بن حسن بن عبيد الله أبي زيادَة أبو الجود بن أبي الربيع البنبي ثم القاهري المالكي البرهاني ، ولد في سنة ٧٩٢ هـ أو قبلها بقليل ومات في ربيع الأول سنة ٨٦٣ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢١١/٣ رقم ٧٩٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦١) .

موت النور البوشي

وفي هذا اليوم ، مات الشيخ الإمام العلامة المفنن ، نور الدين علي[1] ابن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد الأنصاري البُوشي (بضم الموحّدَة وبالمعجمة - قرية من أداني الصعيد) الشافعي بالخانكة ، ولم يخلف بعده بها مثله ؛ فقد كان فاضلًا في الفقه ، والعربية ، والأصلين ، والمنطق ، وشَرَح أكثر كتاب الأنوار[2] للأردبيلي ، شرحًا حسنًا ، رحمه الله .

ولاية كاتب السر وناظر الجيش

ولمّا مات القاضي كمال الدين بن البارزي ، سَعَى قاضي الحنفية بحلب ، محب الدينْ محمد[3] بن الشحنة في كتابة السّر ، بعشرة آلاف دينار ، خمسة آلاف قبل اللبس ، وخمسة بعده ، وكان الجمال يوسف بن كاتب شكم ناظر الخاص ، وتمُرْبُغا الدويدار الثاني ، يُساعدانه ، فَرَاج أمرُه ، وأورد الخمسة المعجّلة [وحكم] بلبسه الخلعة بذلك ، يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، وكان ابن الشحنة هذا رجلًا مقدامًا عاقلًا ماكِرًا ، ذا حِيل ، ودَهاء ، وجُرْأة على ما يريده ، مع حسن الشكالة ، وغزارة العلم ، والسّمَاح بالبذل ، وانضم إليه ، لما راح أمره أشرارٌ من سكان القاهرة ،

---

(١) هو : علي بن أحمد بن عمر بن محمد بن أحمد النور أبو الحسن بن الخطيب عز الدين أبو العباس البوشي (نسبة لقرية بوش مِن الوجه القبلي من أداني الصعيد) المصري ثم الخانكي الشافعي ، يعرف قديمًا بالخطيب ، وأخيرًا بالبوشي ، وُلد سنة ٧٩٠ هـ تقريبًا بمصر القديمة .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٠٥) ، و « التبر المسبوك » (٤٠٦) ، و « الضوء اللامع » (١٧٨/٥ رقم ٦١٨) .

(٢) هو كتاب : (الأنوار لعمل الأبرار) في فقه الشافعي ، للشيخ جمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٩ هـ . راجع « كشف الظنون » (١٩٥/١ - ١٩٦) .

(٣) هو : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب غازي بن أيوب بن حسام الدين محمود شحنة حلب بن الختلو بن عبد الله ، المحب أبو الفضل بن المحب أبي الوليد ، وُلد في رجب سنة ٨٠٤ هـ ، ومات يوم الأربعاء ١٦ محرم سنة ٨٩٠ هـ .

له ترجمة مطولة في : « الضوء اللامع » (٢٩٥/٩ - ٣٠٥ رقم ٧٥٥) ، كما أن له ترجمة مطولة في « الذيل على رفع الإصر » (٣٥٧ - ٤٠٦) وله ترجمة أيضا في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢٢٦/٢) وجاء فيه (محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي) .

فخاف غائِلَتَه جميُع الناس خَوْفًا عظيمًا ، حتى وجَبَت[1] القلوب لذلك ، وقلعت له النفوس ، وضاقت الصدور ، [وسهرت له][2] العيون ، وصار الناس في أمر مريج ، ولم يختلف منهم في ذلك اثنان ، وأخفى هذا من أمره على ناظر الخاص من حبِّه له ؛ لكون ابن الشحنة كان تحت رِقِّه وعِنْد بابه ، فلم يحسب ما حسب الناسُ من أمره (وحُبُّكَ للشيء يعمي ويصم) فقام بعضُ العقلاء في ذلك ، فَخَيَّل[3] منه ناظر الخاص وحمل الأكابر على تخييله ، فلما توارد على سَمْعه ذلك أَشِر[4] ، ولم يقدر في الحالة الراهنة على أكثر من أن تلطف حتى أَخَّر لِبْسه الخِلْعَة إلى يوم الاثنين ، فلما تأخّر اجترأ من له غَرَضٌ في الوظيفة ، فسعى السِّراج الحمصي الشافعي باثني عشر ألف دينار ، وسعى الأمين عبد الرحمن بن قاضي القضاء شمس الدين محمد بن الدَّيْرِي العبْسي الحنفي بعشرين ألف دينار ، عشرة معجلة ، وعشرة مؤجَّلة ، فمال السلطانُ إليه ، فاشترط بقاء نظر القدس والخليل معه ، فتوقَّف في ذلك ، فزاد في البَذْل ، إلى أنْ وصل إلى خمسة وثلاثين ألف دينار ، وأقبض العشرة المُعَجَّلة ، وكان رجلاً خفيفًا ؛ فَخِيف مِنْ أمره أيضًا ، وكان الخوف من الحِمْصي أشد ؛ لِمَا اشتمل عليه من قِلَّة الدّين والجرأة ، فلم يزل الأكابر يتلطَّفون في التأخير من يوم إلى يوم ، وهم ينقضون عُرَى السَّاعِين شيئًا فشيئًا ، إلى أن ردهم السلطانُ ، ورد إلى ابن الدَّيري ما عجَّله ، فرد منه إلى السلطان ألف دينار ، وقال : إنه لولا أنَّه قرض لَردَّه أَجْمع ، فَسُرّ السلطانُ ووعده بخير ، وأما ابن الشحنة فَحُسِب ما دفعه من جهات تحت يده ، وتعصبوا عليه ، وآذاه ناظرُ الخاصِّ أذًى كثيرًا ، بعد مبالغته في خِدْمته . ثم وُلِّي المحب محمد بن الشّهاب أحمد بن

---

(1) وجَبَت : خفقت ورجفت . « محيط المحيط » (٩٥٧) .

(2) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح حسب ما فهم من السياق .

(3) أيّ شكَّلَه وغير صُوْرَته عنده . راجع « محيط المحيط » (٢٦٤) .

(4) الأشِر : يطلق على مَن بَطَرَ وَكَفر بالنعمة . « المصباح المنير » (١٩/١).

الأشقـر العجمي ناظر الجيش[1] ، كتابَةَ السّرّ بغير شيء[2] ، وضُمَّ نظرُ الجيش إلى ناظر الخاص ، ولُبِّسا خِلْعَتين بذلك يوم الخميس ثامن شهر ربيع[3] هذا ، واطمأنَّت خواطرُ الناس ، و لم يستفد ابنُ الشحنة بذلك إلا شيوع الأمر برُجْلته ، واشتهار ما تقدم من أُوْصَافه عند الخاص والعام ، وتقرر بغضُه في خواطر بعض الأكابِر .

ثم بعد أيام لُبِّس ابن الأشقر خِلْعَة بما تحت نظره من أوقاف المدارس ، ونحوها ، إلا أنَّه استُثنيَ نظرُ الجامعِ الجديد بمصر ؛ فإنه كان قد أُبْلغ السلطانُ أنَّه خرابٌ ، فأمر ناظر الخاص بعمارته من مال السلطان ، فسأل كاتبُ السّرّ السلطانَ أن يبقى نظره مع من تولى نائبه .

وفي ليلة الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول هذا ، قبيل العشاء ، مات الرئيس شهاب الدين أحمد بن الشيخ شرف الدين يعقوب الأزهري الشافعي[4] ، وكان جوادًا ، ممدَّحًا ، لين الجانب ، حسن [٢١] الخُلُق ، جميل الشّكل ، والقول ، والفعل ، محبَّبًا إلى الناس ، باشر نقابة

موت ابن يعقوب

---

(١) جاء في « حوادِث الدهور » (١٢٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٤) أنه ألبس خلعة الاستمرار في وظيفة ناظر الجيش ، يوم الخميس أوّل ربيع الأول . وأضاف صاحب « التبر المسبوك » أنه لم يلبث سوى أسبوعًا وانفصل عنها بالجمالي ناظِر الخاص مضافًا لها .

(٢) جاء في « التبر المسبوك » (٣٨٤) « واستقر المحبُّ المذكور في كتابَة السر ، بعد إخراج الحمايات والمستأجرات ، ونحو ذلك مما كان مضافًا مع الكمالي إليها الذخيرة ، وصارت الوظيفة مجرَّدة » .

(٣) راجع : « النجوم الزاهرة » (٤٣٩/١٥ – ٤٤٠) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٤) .

(٤) هو : أحمد بن يعقوب بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد ، الشهاب أبو العباس بن الشرف الأطفيحي ثم القاهِري الأزهري الشافعي ، ويعرف بابن يعقوب . وُلد في سنة ٧٩٠ هـ بالقاهِرة .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٢٣) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (١١٠) ، و « التبر المسبوك » (٣٩٦) .

القضاة الشّافعية : الولي العراقي ، والشهاب بن حَجَر ، والشرف المناوي ، وذلك دهرٌ مديدٌ ، فما ذَمَّه أحدٌ ، وَوَلِيَ أُمانَة الحكم أيضًا ، وغير ذلك فَخَالق الناس في الكل بخلق حسن ، وكان له ورْد مِن صلاة لا يخلِ به ، وصَدَقَة على المحاويج ، وإيثار ، وكان صديقًا للشيخ عمر الطُّوخي المتقدم[1] ، كثير الإحسان إليه ، وكان الشيخ عمر كثير التردد إليه ، وكان يعرف أحوال القضاء والمكاتيب معرفة تامة ، وكان مسندًا كبيرًا ، سمع على الزَّين العراقي[2] ، وعلى غيره بواسطته شيئًا كثيرًا ، وكان منقطعًا إليه ، وتزوَّج إحدى بناته[3] ، وَصَلّى عليه من الغد في باب النصر قاضي الشافعية ، الشّرف المناوي ، وحضر جنازته خلقٌ كثير من العلماء والطلبة وغيرهم ، وكان على جنازته أنس كثير ، وَعَظُم تأسُّفُ الناس عليه ، ودُفن في أقصى الصحراء ، بجوار سيدي عبد الله المنوفي ، وَخَلَّف ثلاثةَ رجال : المحب محمد[4] ، والزين عبد الرحيم[5] ، وعبد القادر[6] ، والثلاثة عقلاء ، مَرْضِيّوا السيرة .

---

(١) راجع « ص ١٩١ » .

(٢) هو : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الزين أبو الفضل الكردي الرازناني الأصل المهراني المصري الشافِعي ، وُلد في جمادي الأولى سنة ٧٢٥ هـ ، ومات يوم الأربعاء ٨ شعبان سنة ٨٠٦ هـ .

له ترجمة في : « إنباء الغمر » (١٧٠/٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٤/١٣) ، و « الضوء اللامع » (١٧١/٤ رقم ٤٥٢) ، و « شذرات الذهب » (٥٥/٧) .

(٣) وهي زينب ، ولدت في ١٢ ذي الحجة سنة ٧٩١ هـ ، تزوجها الشهاب يعقوب ، فأنجب منها : المحب محمد ، ثم عبد الرحيم ، ثم عبد القادر ، وماتت يوم الأحد ٢٨ ربيع الأول سنة ٨٦٥ هـ . « الضوء اللامِع » (٤٢/١٢) .

(٤) وُلد قبل سنة ٨٢٠ هـ ، ومات ليلة الخميس ١٣ جمادي الأولى سنة ٨٨٨ هـ . « الضوء اللامِع » (١١٧/٧ رقم ٢٥٤) .

(٥) وُلد في ذي الحجة سنة ٨٢٩ هـ بالقاهرة ، ومات مطعونًا في يوم الخميس ٢٣ شوال سنة ٨٧٣ هـ . « الضوء اللامِع » (١٦٩/٤ رقم ٤٤٦) .

(٦) ترجم له (السخاوي) في « الضوء اللامِع » (٢٦٤/٤ رقم ٢٩٤) إلاّ أنه لم يحدد تاريخ ولادِته أو وفاته .

وفي يوم الأحد هذا عُمل مَوْلِدُ السلطان ، وكانت عادتهم في أكثر السنين أن يعملوه في يوم اثْنَين ، أو خميس ، فكان من الخذلان العظيم تركهم للاثنين في هذا العام ، وكان ينبغي اختياره فيه ، ولو لم يكن له به عادة ، لأنه اليوم الذي وُلِد فيه من يُعمل المولدُ لِأَجْله عليه الصلاة والسلام ، من غير ريب ، ولِأنّه وافق في هذا العام أن كان ثاني عشر ربيع الأول ، وهو يوم الميلاد في القول الشهير ، ولما حضر القضاة شفعوا في القاضي شمس الدين بن البساطي ، فأُخرج من المَقْشَرة ، ولما انصرفوا ، وجلس الأمراءُ جاء الأميرُ عثمان بن السلطان ، ليجلس في رأس المَيْسَرة على عادَتِه ، فقال الأمير الكبير إِيْنَال[1] العلائيّ : يا مولانا السلطان ، ولدك عندنا في مقامك ، فموضعه الأليق ، أن يكون رأس الميمنة (يعني بينه ، وبين السلطان) . فقال السلطان : لَمْ تجر بهذا عادة ، ونحن لا نغيِّر العوائد ، ثم لما انصرف الأمير الكبير عَظُم ثناءُ السلطان عليه ، وعلى عقله وحشمته وتواضعه وحسن معاملته ، ودعا له ، أن يَمُنَّ الله على المسلمين بسياسته لهم ، وحكمه فيهم ، والمرجو مِن الله تعالى تَقَبُّل ذلك قريبًا ، وأن يجعل للمسلمين فيه خَيْرًا كثيرًا ، كما رُجِيَ ببركة موافقة يوم المولد للثاني عشر ، أن يحصل من السعود في هذا العام ، وبعده ما حصل في عام المولد وبعده .

موت قانصوه

وفي يوم الاثنين ثاني عشره مات قانصوه[2] البهلوان ، وكان من أعيان مماليك الأشرف ، وكان فَرْد زمانه ، في حسن الشَّكْل ، واعتدال القامة إلى الطول ، وقُوَّة البدن ، ومعرفة الصراع ، ما وَضَع أحدٌ جَنبه إلى أرض قط ، وكان من الشجاعة على جانب تهاب دُنُوَّه الأبطالُ ، وله يدٌ في الرَّمي

---

(١) راجع « هامش ٤ » من (ص ٧٠) .

(٢) هو : قانصوه الأشرفي برسباي ، ويعرف بالمصارع ، كان أحد الخاصكية الأفراد في القوة ، وفن الصراع .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٦٠) ، و « التبر المسبوك » (٤٠٩) ، و « الضوء اللامع » (٦/١٩٨ رقم ٦٧٨) .

والرمح وغيره من آلات الحرب ، مع العِفَّة ، والصِّيانة ، وحسن السيرة ، رحمه الله .

موت المحرقي

وفي ليلة الخميس خامس عَشَر ربيع هذا مات بدر الدين بن المَحَرَّقِي[1] وكان رجلًا عاقلًا ديِّنًا ، وولي نظر خانقاه سعيد السعداء ، ونظر الجوالي بعد أبيه مدّةً ، وكان أبوه صديق السلطان .

تسعير الذهب

وفي يوم السبت سابع عشره اطلب كثير من المماليك الكتابية ، أن يخرجوا من الكتاب ، وأن يزيد الإسْتدار جامِكِيَّتهم[2] ، وطلب الكلُّ ، أن يُنْفَق عليهم ذهبًا وامتنعوا من أخذ الفضة ؛ لأنها كانت قد رخصت جدًّا ، وكثر فيها الزَّيْف ، وكان يعطونهم عن الدينار مائتا درهم وخمسة وثمانون درهما ، وكان الدينار إذْ ذاك يساوي أكثر من ذلك ، فبعض الناس يأخذه بثلاثمائة ، وبعضهم بثلاثمائة وعشرة ، وإذا صُرف بالفلوس ، فربما صُرف بثلاثمائة وعشرين ، فخافهم ، وخاف أن يتوقف السلطان في ذلك ، فأمر الكتَّابَ أن يُثْبِتوا لهم ما أرادوا ، وأن يُصْرف عليهم ، فأبوا ، وقالوا : نخشى غائلة السلطان ، فلا نفعل إلا بإذنه ، ثم عرضوا ذلك عليه ، فاشتدَّ غضبُه على المماليك ، وأبى أن يجيبهم ، فخاف الإسْتَدَّار على نفسه واختفى ونوِّدي الأمر السلطاني بزيادة سعر الدِّينار مائتا درهم وخمسة وثمانون درهما ، فزادهم ذلك تكالبًا على طلب الذّهب لمعرفتهم بعزة الذهب ، وأنَّ الناس لا يعلمون بمضمون هذا النداء ، وكان الدرهم إذ ذاك بأربعة

---

(١) جاء في « حوادث الدهور » (١٢٣) : « البدر محمد بن فتح الدين صدقة المحرّقي » ، وجاء في « الضوء اللامِع » (٥٦/٩ رقم ١٥٧) : « محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب البدر أبو عبد الله بن فتح الدين بن الزين المحرّقي ثم القاهري .. ومن سمّى والِده صدقة كالعيني فهو غلط ، سيّما وقد عرض البدر العمدة في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على شيخنا والبيجوري والبرماوي ومحمد ابن عبد الماجد سبط ابن هشام وابن المجدي ، واتفقوا على أنه فتح الدين محمد » .

(٢) جامكيتهم : جاء في « تكملة المعاجم العربية » (١٢٧/٢) : « بالفارسية جامكي من جامه : ثوب ، لباس ، ومعناها الأصلي المال المخصص للملابس ، جمعها جوامك وجماكي : عطاء ، راتب ، أجرة وظيفة .. وجوامك المدارس ، أي رواتب المدرسين ، ويقال بمعنى أجرى له راتبًا أو وظيفة : أعطاه جامكية » .

وعشرين درهمًا فلوسًا ، وكان على أيام الأشرف بعشرين ، فَعَزَّت الفضَّةُ ، فَجُعل بأربعة وعشرين ، فَجُلِبت فكثرت ، فَعَزَّ الذهب ، فكان الصواب أن تُرَدّ الفضةُ إلى عشرين ، فلا تُجْلب الفضةُ بعد ذلك ، ويُجْلبُ الذهبُ ، أو يُنَادى على الدِّينار بأنه بثلاثمائة ، والله الموفق[1] .

موت أبي بكر المصارع

وفي يوم الأحد ثامن عشره ، مات أبو بكر المصارع[2] ، ناظر مقام[3] الإمام الشافعي[4] والليث[5] وجميع القَرَافة ، كان السلطانُ أعطاه النظَرَ على تُرَب القرافة وَوَلِيَ عنه نظرَ[6] القرافة يوسف شاه معلم البنّائين .

وفي أوائل هذا العشر ، قدم أبو العباس الوفائيّ ، الذي كان نُفي إلى طَرَسُوس ، إلى عند أبي الخير – وهو الذي كان ابتدأ رِفْعَة أبي الخير –

---

(١) قارن مع ما ورد في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٠) .

(٢) ويعرف بالشاطر ، وبابن الإمام ، لأن والده إمام الأمير جركس ، حفظ القرآن وبرع في فن الصّراع . راجع « حوادث الدهور » (١٢٤) ، و « الضوء اللامع » (١١/١٠٠ رقم ٢٩١) .

(٣) في « الضوء اللامع » (١١/ ١٠٠) : « ثم رقّاه السلطان حتى تولّى التحدث في مشهد الشافعي والليث وعدة زوايا بالقرافتين الكبرى والصغرى وأثرى مِن ذلك » .

(٤) هو : الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ، وُلد سنة ١٥٠ هـ ، ومات يوم الجمعة آخر يوم مِن رجب سنة ٢٠٤ هـ بفسطاط مصر ، ودفن بعد العصر من يومه في مقبرة بني زهرة أولاد عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ويقال لها تربة ابن عبد الحكم ، أو القرافة الصغرى ، وهي تقع بالقرب مِن المقطّم ، واتخذ الناس قبره مزارًا لهم .

مصادر ترجمته كثيرة منها : « تاريخ بغداد » (٢/٥٦) ، و « معجم الأدباء » (١٧/٢٨١) ، و « وفيات الأعيان » (٤/١٦٣ رقم ٥٥٨) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٠/٥) ، و « تذكرة الحفاظ » (٣٦١) ، و « الوافي بالوفيات » (٢/١٧١) ، و « الخطط » (٢/٤٦١) .

(٥) هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر ولد بقَرْقَشَنْدة من مصر سنة ٩٤ هـ وقيل سنة ٩٣ هـ ، ومات ليلة الجمعة النصف مِن شعبان سنة ١٧٥ هـ ، عن ٨١ سنة .

مصادر ترجمته كثيرة منها : « الطبقات الكبرى » (٧/٥١٧) ، و « تاريخ خليفة بن خياط » (٤٤٩) ، و « التاريخ الكبير » (٧/٤٦ رقم ١٠٥٣) ، و « تاريخ بغداد » (١٣/٣ رقم ٦٩٦٦) ، و « وفيات الأعيان » (٤/١٢٩ رقم ٥٤٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (٨/١٢٢ رقم ١٢) ، و « تذكرة الحفاظ » (٢٢٤ رقم ٢١٠) ، و « الخطط » (٢/٤٦٣) .

(٦) قارن بما ورَد في « التبر المسبوك » (٣٨٥) .

بسبب منازعة جرت بينه ، وبين أبي الخير ، مرض وهو في بلاد الشام ، فروجع السلطانُ فيه فأطلقه[1] .

سعر الحبوب

وفي هذا العشر كان القمح يُباع كل إردب منه بسبعمائة ، وزيادة ، فنزل نزلة واحدة في يوم الخميس ثاني عشري هذا الشهر إلى ثلاثمائة درهم ونيِّف ، وتناقصت أسعار جميع بقية الحبوب ، وبعض الأَدْهان ، نسأل الله المزيد ، هذا مع أن أكثر الزَّرْع ضربه سمومٌ كان في غالب البلاد في أيامٍ متوالية ، قبل اشتداده ، فَضَمُرَ حتى صار القمحُ كأنه الكَمُّون ، ولم يصل الخارجُ من كثير من الأراضي ، إلى ما زُرع فيها ، ورسم السلطانُ أن يؤخذ من الفلاّحين ، من الخراج قدر ما كان يؤخذ أيام الرّخاءِ مرة ونصفًا ، فكان الحاصلُ من زرع سنة خمس أكثر من الحاصل من سنة ست ، فلم يكن الرّخص مستندًا إلى كثرة الشيء ، ولا حُسن تدبير أحد من الناس ، ولكنه مَحْض لُطْفٍ من الله بإسكان الغنى ، وحسْن الرجا في قلوب الناس ، فله الحمد على ذلك .

أخذ العهد على الذمة في الرقيق

وفيه كَلَّم القاضي الشافِعي السلطانَ ، في أنَّ عِنْد أهل الذِّمة رقيقًا كثيرًا ، وأن ذلك لا يحل ؛ لكونهم مسلمين لتبعهم للسَّابي ، وأنَّ سُبَاتهم مسلمون ، فأخذ منهم نحو مائة رأس ، وجمع العلماءَ من المذاهب لذلك ، فقال الشيخ أمين الدين يحيى بن الأقصرائي : الأمر أعظم من ذلك فإنَّ أولاد مسلمة القبط فيما تواتر لنا نصارى ، فبعزم على تفتيش بيوت القبط ، ثم كتب على النصارى قسائم بمنعهم من شراء الرقيق ، ومتى اشترى أحدٌ منهم شيئًا من ذلك انتقض عهدهم ، وكان السلطان بالخيار في دمائهم ، واسترقاقهم ، وأَسْرِهم ، وفداهم والله الموفق[2] .

---

(١) راجع « ص ٩٣ » .

(٢) (ابن تغري بردي) في : « حوادث الدهور » (١٢٤) ، و (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٣٨٥) يسوقان حدَثًا مشابها لما ذكرها البِقاعي ، فقد ذكرا أنه في يوم الثلاثاء ٢٠ مِن ربيع الأول ، طلب ناظِرُ الجوالي الشرفُ الأنصاري ، نصارى الديار المصرية أو القاهِرة (على =

سفر الدَّيْري

قصة قشتيل

وفيه سافر القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الدَّيْرِي الحنفي ، ناظر القدس والخليل ، وكان قد ورد الخبر أن الفرنج عمروا القَشْتِيل[1] ، الذي هدمه المسلمون سنة سبع وأربعين[2] [٢٢] على ظهور أسرى المسلمين في سنة أربع أو خمس ، فورد أول شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين كتاب نائب إسكندرية ، بأنه نزلت عليه صاعقة عظيمة هدمت بعضه .

وفي هذا الشهر ولَّى السلطان ياقوت[3] عبد السخاوي أمر الخشابية[4] ؛ وذلك أن قاضي القضاة ، علم الدين صالح بن شيخ الإسلام السِّراج البُلْقِينِي ، مرض مرضًا شديدًا ، فسعى ابنُ ابنِ أخيه ، أبو السَّعَادات محمد بن تاج الدين محمد بن قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام البُلْقِينِي في وظيفتي تدريس الخشابية ، ونظرها

= اختلاف بينهما) لأنه بلغه : أنهم يشترون الجوار المسلمات ، وأضاف ابن تغري بردي ويُنَصِّرونَهُنَّ ، فأمر بإحضار من عندهم منهنَّ ، فمن وجدها مسلمة في الأصل ، أو سابيها مسلم ردها إلى الإسلام وأمر صاحِبها ببيعها .

(١) القَشْتِيل : ضبطه (السخاوي) وقال : « بفتح القاف وسكون المعجمة وكسر المثناة الفوقانية وسكون التحتانية بعدها لام ، حصن منيع على جبل رفيع في وسط البحر » . « التبر المسبوك » (٦٣ - ٦٥) ، وجاء في (ج ١٥ ص ٣٥٢) من « النجوم الزاهرة » « قشتيل الروج ، أو الحصن الأشهب ، جزيرة صغيرة بجوار ساحل آسيا الصغري الجنوبي ، وهي تابعة للفرسان الإسبتارية المتسلطين على رودس » .

(٢) أشار (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (٣٥١/١٥ - ٣٥٢) أن غزو المسلمين لجزيرة رودس التي أخربوا فيها (القشتيل) كان في سنة ٨٤٦ هـ .

أما (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٦٣ - ٦٤) فقد عرض معلومات هامة حول هذه الغزوة ، وحول تخريب القَشْتِيل ضمن استعراضه لأحداث ربيع الأول من سنة ٨٤٧ هـ .

(٣) ترجم له (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢١٤/١٠) وقال : « ياقوت السخاوي نسبة لمولاه الغرس خليل ، صار بعد سيِّده مِن ذوي الوجاهات ، عمّر دارًا برأس حارة برجوان ، وتكلّم في بلد الخشّابية مِن الظاهِر جَقْمَق ، ثم تقهقهر ومات في سنة ٨٦١ هـ .

(٤) راجع : ص ٢٠٢ حيث عرَّف (الخشابية) بما يختلف مع تعريف (السخاوي) لها في الهامش السابق ، وقد جاء في « الذيل على رفع الإصر » (١٨٢ هامش ١) ، أن الخشابية زاوية من زوايا الجامع العمري بمصر ، كان الإمام الأعظم الشافعي يجلس فيها ، وإنما عرفت بذلك لطول مكث المجد عيسى بن الخشاب في تدريسها .

والخشابية مكان في جامع عمرو[1] ، محوط بدرابزين من خشب على هيئة المقصورة ، مشهور بين الناس أنه المكان الذي كان يدرّس به إمامنا الشافعي ، فهو بهذا الاعتبار أعظم تداريس مصر ، فسعى فيه أبو السعادات بمال ، يقال : إنه ألفا دينار ، وكان المتكلم له مع السلطان عبد السخاوي ، فسأل السلطانُ عنه ، فقال : هو قريب القاضي عَلَم الدين ، وهو فاضلٌ ، وكان السلطان يُبْغِض البلاقِنة . فقال : لا ، خُذْ أنت هذا المكان . فقال له ياقوت : يا مولانا السلطان ، هذا أجَلّ تداريس هذه البلده يحضر به ابن البُلْقِيني ، ويحضر عنده العلماءُ ، يُدرِّس هو ، ويبحث معه العلماء ، فأنا لا أصلح لذلك . فقال وليتك النظر ، فسعى القاضي الشافِعي في التدريس ، فعُيِّن له ، ثم شُفي القاضي عَلَم الدين ، واستمر ياقوت ناظرًا ، فزاد ارتفاعه بواسطته مائة ألف ، فأوردها للسلطان ، وطلب السلطانُ من القاضي عَلَم الدين الألْفَين اللَّذَيْن سعى بهما أبو السعادات وإلاَّ زُحْزِح عنه التدريس للقاضي الشافعي ، فتكلَّم السُّفراء بينهما حتى رضي بألف فدفعها إليه .

وفي يوم الاثنين رابعه[2] سافر القاضي عز الدين أحمد[3] بن قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر الله الكِناني الحنبلي بعياله إلى القدس ، وغيره من بلاد الشام .

موت ابن عويد السراج

وفي يوم الثلاثاء خامسه[4] ، مات الرئيس الفاضل ، سعد الدين بن

---

(١) في الأصل (عمر) ، وهو المُسَمَّى أيضًا بالجامِع العتيق المشهور بتاج الجوامِع ، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في المِلّة الإسلامية بعد الفتح ، راجع أخبار هذا الجامع مفصلة في « الخطط » (٢٤٦/٢ - ٢٥٦) ، وراجع أيضًا « حسن المحاضرة » (٢٣٩/٢ - ٢٤٥) .

(٢) إذا كان أول شهر ربيع الثاني هذا يوم السبت ، كما جاء في « حوادِث الدهور » (١٢٤) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٥) ، فإن يوم الاثنين هذا يعتبر ثالثه .

(٣) وُلد في ٢٦ ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ بالصالحية مِن القاهرة ، ومات ليلة السبت ١١ جمادي الأولى سنة ٨٧٦ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٠٥/١) ، و « شذرات الذهب » (٣٢١/٧) .

(٤) في « حوادث الدهور » (١٢٤) ، و « التبر المسبوك » (٤٠٩) (الثلاثاء رابعه) .

عويد[1] السرّاج القبطي الحنفي[2] ، كان من أولاد القبط ، ونشأ يطلب العلم ففضل في فقه الحنفية ، وشارك في العربية ، والمعقولات ، وباشر لدُولات باي المؤيدي ، التوقيع ، وضبط الإقطاع ، فأعجبه وتقدم [بتقدمه][3] ، وارتفع بارتفاعه فباشر إسْتدارِيّة سيِّدي عثمان بن السلطان ، وكان عاقِلًا فَطِنًا ، عارفًا بالمباشرة ، فقرَّبه السلطان ، وكان ربما أخبره بِعَوَار ناظر الخاص[4] ، والإسْتدار[5] ، فيقال : إن الإسْتدار دس عليه من سقاه السُّمَّ ؛ فإنه مرض مرضًا طويلًا ، ثم شفي ، ثم صرع في القلعة ، فحمل إلى بيته ، ثم عُوفِي ، ثم صرع في بيت دُولات باي ، فحُمل إلى بيته ، واستمرّ إلى أن مات ، وكان فيه كياسة ، وقضاء للحوائج ، وتَحبَّب إلى الناس ، وكان خلف ولدًا فمات بعده بقليل ، وورثة بيت المال ، وكان قد رُسم بسفر ابن الشحنة ، لمَّا تقرَّر أمر كتابة السِّرّ ، ونظر الجيش ، لمن تَقَدَّم[6] ، وحُسِبَ حِسَابُه ، وخيفت غوائله ، وكان قد تقدّم له أنه يتأخر ، بعد أن يؤمر بالسَّفَر ، ويسْعى في الإقامة مدَّةً إلى أنْ يقضي ما يريد من الأمور ، ولكن لم يكن المباشرون إذْ ذاك عليه ، فَسُلِّط عليه شخص فشكاه إلى السلطان في مستهل هذا الشهر على نظر وَقْف نزعه منه بغير حق ، فاستدناه السلطانُ ، وأحسن الاستماع منه ، وقال له : غريمك ذئب ، ثم أمر نقيب الجيش بإحضاره بالنقباء ، وتخليص حق هذا الشاكِي ، فأُحْضر ، وادّعى عليه عند القاضي الشافِعي[7] ، فقام في القضية وقعد على نحو ما كان يفعل قبل ذلك ، من الأجوبة المُسْكِتة ،

قصة ابن الشحنة

---

(١) جاء في « حوادِث الدهور » (١٢٤) (ابن عويض) .

(٢) له ترجمة مختصرة في : « التبر المسبوك » (٤٠٨ - ٤٠٩) ، و « الضوء اللامِع » (١١/١٢٠ رقم ٣٧٥) .

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل ، والتصحيح بمقتضى السياق .

(٤) وهو : المقر الجمالي يوسف . « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٦١ ، ٤٦٢) .

(٥) وهو : زين الدين يحيى بن الأشقر المعروف بقريب بن أبي الفرج . « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٦٢) .

(٦) راجع « ص ١٩٥ » مِن هذا الكتاب .

(٧) وهو شرف الدين يحيى المناوي . « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٥٩) .

والأقوال السّديدة ، فلم يطعه الوقت لذلك ، فعُزِل من نظر الجيش بابن وجيه الطرابلسي[١] ، ولبِس ابنُ وجيه خِلعَة ذلك يومَ الخميس سابع[٢] هذا الشهر ، وعُيِّنت كتابة السّرّ بحلب لابن السَّفّاح[٣] ، وقضاء الحنفية لابن الحاضري ، ورُسم بأن يُعقد مجلسٌ عند السلطان بقضاة القضاة في أمره ، فَفُعل ذلك يوم السبت تاسعه[٤] ، فلما احتبك المجلس ، قال ابنُ الشحنة ، للقاضي الشافعي : مَنْ المدَّعي عليَّ . فقال السلطان : أنا ادّعي أنَّ تحت يده ثلاثين ألف دينار لبيت المال ، أَوْدعها عنده تغري[٥] ورمش ، نائب حلب بمقتضى هذا المحضر ، فأخذ الشافعي المحضر ، فقرأه ، فإذا هو ثابت عند ابن النُّوَيْرِي ، الذي كان ولي قضاء الشافعية بحلب ، ونفذ على ناصر الدين بن المخلِّطة[٦] في أيام أبي الخير ، فسأله القاضي

---

(١) هو علي بن أبي بكر بن أحمد بن وجيه . راجع « الضوء اللامع » (٢٦/١١ ، ٩٧ ، ٢٧٥) .

(٢) في « حوادِث الدهور » (١٢٥) (يوم الخميس سادِسه) وجاء فيه أن أهل حلب سُرُّوا بذلك ؛ لبغضهم لابن الشحنة حسدًا له .

(٣) هو : عمر بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عمر بن يوسف ، أو أحمد ، الزين بن الشهاب ابن الصلاح أبي النسك الحلبي الشافعي ، المعروف بابن السفّاح ، ولد في ذي الحجة سنة ٧٩٥ هـ بحلب ، ومات في رمضان سنة ٨٦٦ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٣٦٦) ، و « الضوء اللامِع » (٦٨/٦ رقم ٢٣٠) ، وراجع أخباره في « حوادِث الدهور » (٦ ، ١٢٩ ، ٢٤٣ ، ٤١٦) .

(٤) في « حوادِث الدهور » (١٢٥) (يوم السبت ثامنه) .

(٥) هو : تَغْري بَرْمَش ، واسمه الأصلي (حسين بن أحمد التركُماني) وُلد ببَهَنسا قبل ٨٠٠ هـ . وقتله الملك الظاهر جَقْمَق بحلب بعد خروجه عن طاعته يوم الجمعة ١٤ ، أو يوم الأحد ١٧ ذي الحجة سنة ٨٤٢ هـ تحت قاعة حلب .

له ترجمة في : « إنباء الغمر » (٥٥/٩ – ٥٩) ، و « المنهل الصافي » (٥٨/٤ رقم ٧٦٧) ، و « الدليل الشافي » (٢١٨/١ رقم ٧٦٥) ، « النجوم الزاهرة » (٤٧١/١٥) ، و « الضوء اللامع » (٣٥/٣ رقم ١٤٧) .

(٦) هو : محمد بن محمد بن يحيى بن محمد ، ناصر الدين بن العز بن المحيوي أبي زكريا السكندري ثم القاهري المالكي ، وُلد قريبًا مِن سنة ٧٩٠ هـ ، ومات يوم الأحد ٢٩ ربيع الآخر سنة ٨٥٨ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٣٥٩) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧٠/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٧/١٠ رقم ٨٠) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٩) .

الشافعي عن ذلك ، فقال : هذا الذي ثبت عليه المحضر ، ثبت فُسْقُه عند مولانا السلطان وبعثه في الحدَيد إلى حلب ، واستمر في سِجنه إلى أنْ مات ، ومع ذلك ، فليس فيه دعوى على أحد ، ولا مدّع ، ولا أنه ثبت بمقتضى شهادة أحد . فقال الشافعي : الحاكم إذا حكم لا يُسْتَفْسر عن مستنده في الحكم ، ويُحمل حالُه على السداد ، ثم طلب التَّأنِّي في القضية أيامًا ، فانْفَضَّ المجلسُ على ذلك ، ثم صالح ابن الشحنة عن ذلك بعشرة آلاف دينار لمَّا عَلِم من أنه لا يسمع له كلام ، وأن غالب من له الكلام نافذ عليه[1] .

موت الحلبي رأس نَوْبَة

وفي هذا اليوم ، مات شهاب الدين الحلبي ، الذي كان رأس نَوْبَة أَرْكَمَاس[2] الظاهري ، الذي كان دويدار الأشرف الكبير .

ولاية معزي

وفي هذا الشهر قدم الأمير مَعْزى[3] الحَسَني[4] ، وولي اليَنْبُع ، وسافر في العشرين ، من هذا الشهر[5] .

---

(١) قارن ذلك مع ما ورد في « حوادث الدهور » (١٢٥) وقد جاء فيه أن ابن الشحنة اعترف بأربعة آلاف دينار ، كما جاء أن أمره آل إلى أن يحمل للخزانة مبلغًا مِن الذهب ، اختلف في قدره مِن عشرة آلاف دينار فما دونها .

(٢) هو : أَرْكَمَاس بن عبد الله الظاهري الدوادار الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الظاهرية برقوق ، مات يوم الجمعة ٢٨ شوال سنة ٨٥٤ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٣٢٩/٢ رقم ٣٧٩) ، و « الدليل الشافي » (١٠٩/١ رقم ٣٧٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٥٤/١٥) ، و « الضوء اللامِع » (٢٦٩/٢) .

(٣) هو : معزى ، أو معز بن هجان بن وبير بن نخبار ، مات في أواخر جمادي الآخرة سنة ٨٥٨ هـ . راجع « حوادِث الدهور » (١٢٥ ، ٢٠٩) ، وانظر ترجمته في « النجوم الزاهرة » (١٧٢/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٦٢/١٠ رقم ٦٦١) .

(٤) في « الضوم اللامع » (١٦٢/١٠) (الحسيني) .

(٥) في « حوادث الدهور » (١٢٥) : « في يوم الأحد ١٦ أُلبس معز خلعة السفر وهي كامِلِيَّة خضراء بسمور » . أما في « النجوم الزاهرة » (٤٤٠/١٥) : « استَقَرّ معز في إمرة يَنْبُع في ٣ ربيع الثاني » ، وكذلك في « التبر المسبوك » (٣٨٥) .

وفي يوم الاثنين حادي عشر[1] شهر ربيع [الثاني][2] هذا ولي الشيخ علي المحتسب نظر تربة[3] الظاهر بَرْقُوق[4] ، عن كاتب السرّ ، المحب ابن الأشقر ، وهو ناظرها ، بشرط الواقف[5] .

موت الشيخ علي

وفي هذا اليوم ، مات الفاضل شمس الدين محمد[6] ابن الشيخ الصالح علي بن عبيد بن محمد المصري الشافعي ، بَوَّاب الخانقاه الصلاحية ، المشهورة بسعيد السعداء ، وصَلَّى عليه من الغد ، في مُصَلَّى باب النصر ، الشيخ زين الدين عبد الرحمن الأبوتيجي[7] ، في جَمْعٍ صالحٍ من الطلبة ، وأهل الخير ، ودفن في تربة الخانقاه ، المشهورة بتربة الصوفية [٢٣] ، وكان فهْمه متوسطًا ، وله شعر مقبول ، وكانت له مشاركة خفيفة في الفقه ، والنحو ، وكان يقرأ الحديث قراءة حسنة .

قصة العبد الذي قتل على قتائه

وفي هذا اليوم ، أوْ في اليوم الذي قبله سُجن شخصٌ من العبيد في المَقْشَرَة ، وتحدَّث الناسُ ، أنَّه قَتل قتيلًا على جروٍ من القِثَّاء ، وحدثني بعض المُوَقِّعين ، أنّ السلطان حكم في قضيته بشيءٍ عجيب . قال : وذلك

---

(١) في « حوادِث الدهور » (١٢٥) (عاشره) .

(٢) في الأصل (الأول) والتصحيح من « حوادِث الدهور » (١٢٥) ، وكذلك من سياق التسلسل التاريخي للأحداث في الكتاب نفسه .

(٣) في « حوادث الدهور » (١٢٥) « التربة الناصرية ، حيث دفن الظاهر برقوق » .

(٤) راجع « هامش ٢ » من (ص ١٩٢) .

(٥) قارن بما ورَد في « حوادِث الدهور » (١٢٥) .

(٦) وُلد سنة ٨٠٩ هـ بالقاهرة .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٤١٤) ، و « الضوء اللامع » (١٩٥/٨) .

(٧) (الأبوتيجي) أو (البوتيجي) ، نسبة لأبوتيج من الصعيد في بر أسيوط . « الضوء اللامع » (١٨٢/١١) ، وهو : عبد الرحمن بن عنبر بن علي بن أحمد بن يعقوب بن عبد الرحمن الزين العثماني البوتيجي ثم القاهري الشافعي الفرضي ، ولد في سنة ٧٧٩ هـ بأبوتيج من الصعيد ، ومات صبيحة يوم الاثنين ٢٣ شوال سنة ٨٨٤ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٢١٧/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١١٥/٤ رقم ٣٠٩) ، و « بدائع الزهور » (٧٧ – ٧٨) .

أن المقتول كان غلامًا لجندي من أولاد الناس ، فمرَّ على أرض جزيرة[1] الذَّهب التي بقرب مدينة الجِيْزَة[2] . فأخذ الغلامُ مِن مَقْثَأة[3] هناك قِثَّاءةً ، فخرج إليه العبد الموكَل بها ، فضربه بمجلَبَتِه[4] ، فصادفت مقتلًا ، فمات ، وكانت تلك الأرض لأُزْبُك صهر السلطان على ابنته ، فأتاه الجندي ، فحدَّثه بذلك ، فأحضر العبد موثقًا ، ثم طلع به إلى السلطان ، وطلع أهل القتيل ، فلما قُصّت على السلطان القصة ، سأل العبد ، فقال : ضربته ليذهب ، ولم أقصد قتله . فقال السلطان : أطلقوه ، وضعوا الحديد في عنق هذا الجندي ، فَفُعِل ذلك ، فلما انفضَّ الرَّكْبُ ، أمر مملوكه تَمُرْبُغَا ، وهو الدويدار الثاني بجعل الحديد في عنق العبد ، وأطلق الجندي ، وأرسل العبد إلى قاضي القضاء الحنفي ، فأرسله إلى المَقْشَرة .

موت البترك

وفي يوم الخميس[5] رابع عشر ربيع الآخر هذا ، هلك مُؤنَس[6] بن القس يوحنا بن داود بَترك النصارى اليعقوبية بالقاهرة ، وكان وليها في خامس شهر رجب سنة ثلاثين ، وامتنع كل من يصلح من النصارى ، لِأن يكون بَترَكًا ، من الدخول في ذلك ؛ لما أحدث عليه من المظالم ، وحصل له من السلطان من الحَبْس ، والشّدائد .

موت أبي السعود

وفي يوم الاثنين ثامن عشره ، مات الفاضل الصالح العابد الزاهد الورع

---

(١) في « صبح الأعشى » (٤٠٣/٣) تقع غربي النيل مقابل مدينة (الفُوَّة) ، وهي ذات بساتين وأشجار ومَنْظَر رائق .

(٢) الجِيْزَة : أقرب مدن الوجه القبلي (الصعيد) إلى القاهرة غربي النيل ، وهي مدينة إسلامية شرع في بنائها عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما عاد من الإسكندرية سنة ٢١ هـ ، وانتهى منه سنة ٢٢ هـ . راجع « معجم البلدان » (٢٠٠/٢) ، و « التعريف » (٢١٩) ، و « صبح الأعشى » (٣٩٢/٣) ، و « الانتصار » (ق ١٢٥/١ – ١٢٦) .

(٣) المَقْثَأة : موضع القثاء أو الخيار . « القاموس المحيط » (٢٥/١) .

(٤) بمجلَبَته : ربما يقصد قِراب سلاحه . راجع « لسان العرب » (٢٦٢/١ ، ٢٦٣) ، و « القاموس المحيط » (٤٩/١) ، و « محيط المحيط » (١١٥) .

(٥) في « حوادث الدهور » (١٢٥) « في يوم الجمعة رابع عشرة » .

(٦) في « حوادث الدهور » (١٢٥) « أبو الفرج النصراني اليعقوبي » .

شمس الدين محمد[1] ابن الشيخ أبي السعود إسماعيل بن إبراهيم المنوفي المصري الشافعي ، عن نحو أربعين سنة ، وكان نادرة أقرانه في العزلة والتوحش من الناس ، وكثرة العبادة ، وكان فاضلًا في الفقه . وغيره من الفنون ، وغَسَّله أخوه القاضي شهاب الدين أحمد[2] الأديب – وكان موسوسًا – ، من بعد الشمس بنحو عشر درج ، إلى قرب الظهر ، وكان يومًا شديد الحرّ ، فأزعج طول الانتظار الناس ، وكانوا قد بكَّروا من حين قيل : إنه شرع في غسله ، ولم يتغد أحدٌ منهم ، فزادهم ذلك شدَّة ، وانصرف بعضهم ، منهم قاضي القضاة ولي الدين الأموي المالكي ، وصلى عليه مع ذلك جمعٌ كثير من الأعيان ، والطلبة ، والصلحاء ، ومنهم شيخ التصوف بهذا العصر ، الشيخ مَدْيَن[3] المالكي ، وأَمَّ بهم قاضي الشافعية الشرف يحيى المناوي ، في باب النصر ، ودفن بتربة الصوفية رحمه الله ، ونفعنا به .

وليمة خَوَنْد

وفي هذا اليوم كانت وليمة عافية زوجة السلطان خَوَنْد[4] بنت شَرِباس

---

(١) وُلِد في سنة ٨١٠ هـ ، بمنوف .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٤١٠) ، و « الضوء اللامع » (١٣٤/٧ رقم ٣٢٤) .

(٢) يعرف بابن أبي السعود ، وُلِد في سنة ٨١٤ هـ بمنوف العليا ، مات مبطونا في المدينة في ١٣ شوال سنة ٨٦٨ هـ . وقيل : في ١٥ رمضان سنة ٨٧٠ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٥٨٦) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٤٨/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٣١/١ – ٢٣٤) .

(٣) هو : مَدْيَن بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن يونس الحميري المغربي ثم الأشموني القاهري المالكي ، ولد سنة ٧٨١ هـ تقريبًا في أشموم جريس بالغربية . ومات في زاويته بخط المَقْس بظاهر القاهرة . يوم الأربعاء ٩ ربيع الأول سنة ٨٦٢ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٣٧٩ – ٣٨٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٩١/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٥٠/١٠ رقم ٦٠٣) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٦٢/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥٢) .

(٤) هي : زينب بنت شَرِبَاش (جرباش) الكريمي خاشوق أو (قاشق) وُلِدت سنة ٨٣٠ هـ ، تزوجها الملك الظاهر جقمق في أوائل سلطنته في حدود سنة ٨٤٢ هـ أو ٨٤٣ هـ ، ومات عنها فتزوجها الشرف الأنصاري موسى ناظِر الجيش فماتت معه في يوم السبت ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٦٤ هـ عن بضع وثلاثين سنة ، وكانت مليحة عصرها . =

خاشوق ، أمير السلاح ، فطلع نساء الأكابر ، وعَمَلت وليمةً عظيمة ، وسقتهن سوبية ، فما شرب منها امرأة ، إلا أصيبت ، فمنهن من تحامل ، ونزل على حمار مكاري ، ومنهن من نزل في محفّة .

موت الصابوني

وفي يوم الثلاثاء تاسع[1] عشره ، مات شمس[2] الدين بن الصابوني العدل بالدكان التي عند حوض مدرسة جمال[3] الدين ، وكان عارفًا بالوراقة ، حسن الخط ، جيد العبارة ، مُشَارًا إليه في ذلك ، وجيهًا عند الأعيان ، موثوقًا به رحمه الله ، ومن الغرائب ، أنه كان قد تزوج قُبيل موته بشهور يسيرة ، وكان يقول : إنه لم ينم ليلة مِن الليالي خارجًا عن زوجته ، فَوَفت له هي بذلك بتقدير العزيز العليم ، فمات هو صبح هذا اليوم ، وماتت هي قُبَيْل ظهره ، فلم يدخل الليل ، إلا وقد ساوته في البرزخ .

موت ابن جبريل

وفي هذا اليوم[4] ، مات محمد[5] بن جبريل الحنفي ، أحد طلبة شيخ الزّمان ، الكمال بن الهمام ، وكان فاضلًا في فنون مِن العلم : الفقه ، والأصول ، وغيرهما .

ولاية معزي

وفي هذا الشهر[6] ولي الأمير مَعْزي الحَسَني إمرة ينبع ، وأعمالها ، وسافر في يوم الأربعاء العشرين منه .

= لها ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٢١٥/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٤٠/١٢ رقم ٢٣٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٢) .

(١) في « التبر المسبوك » (٤١٤) : « يوم الثلاثاء ثامِن عشر شهر ربيع الأول » .

(٢) هو : محمد بن علي بن عمر ، شمس الدين الصابوني القاهري ، أحد الموقّعين وربما لُقب بابن كشكة .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٤١٤) ، و « الضوء اللامع » (٢٠١/٨ رقم ٥٢٤) .

(٣) جاء في « الخطط » (٤٠١/٢) : « مدرسة الأمير جمال الدين الإسْتدار ابتدأ في بنائها برحبة باب العيد مِن القاهرة يوم السبت ٥ جمادي الأولى سنة ٨١٠ هـ ، وانتهت عمارتها يوم الخميس ٣ رجب سنة ٨١١ هـ » .

(٤) في « التبر المسبوك » (٤١٣) « في يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الآخر » .

(٥) له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٤١٣) ، و « الضوء اللامع » (٢٠٩/٧ رقم ٥١٠) .

(٦) راجع « هامش ٥ » (ص ٢٠٥) .

غلو البطيخ

وفي هذا العام كثرت الأمراض الحادة ؛ فغلى البطّيخ الصّيفي ، وكان قليلًا ، حتى وصلت البطيخة الواحدة إلى أكثر من دينارين ، وكان مرضًا صعبًا ، لا يمرض به غالبًا إلا أكابِر الناس ، وأبناء ما بين الستين والأربعين ، وقلّ أن مرض به أحدٌ ، إلا مات ، ولاسيّما إن كان من أهل الخير ، أو مشار إليه في فن من الفنون ، ومن شُفِيَ منه ، يمكث زَمَنًا طويلًا ، حتى يتراجع ، وكان يكون غالبًا في الرأس والظهر .

يشبك الصوفي

وفي هذا الشهر ، قال [للسلطان][1] بعضُ من له حنو على يَشْبُك[2] الصوفي – وكان في دِمْيَاط بطّالًا – : إنه مريض لا حركة به . فقال : ائت به ، فقد أفرجت عنه ، فبادر إلى إحضاره ، وكان من الأَدَب ، أن لا يخرج من البحر ، من شاطئ بولاق ، إلّا بإذنه ، فلم يوفّق لذلك ، فأتى إليه بفرس ، فركبه ومضى إلى بيته ، واضطجع على فراش ، وأظهر أنه شديد المرض[3] ، فكان أصحابه ، يأتونه ، فيسلّمون عليه ، فلا يتحرك لِأحد منهم ، وشكى ذلك الرجل حاله إلى السلطان ، فظن أنه متمرض ، لا مريض ، فقال : أرصدت له إِمْرَة ألف بدمشق ، فلم يملك نفسه أن طلع إلى القلعة ، فلما رآه السلطان لا قَلَبَة[4] به ، تحقق ما كان ظَنَّه ، فأمر بأن يُعطى مائة دينار ، ويسافر إلى [٢٤] القدس ، بَطّالًا ، ووعد أن يعطيه ما انحل من الإقطاعات بدمشق[5] .

---

(١) ما بين الحاصرتين ، إضافة اقتضاها السياق .

(٢) هو : يَشْبُك بن عبد الله مِن جانِبَك المؤيدي شيخ الصوفي ، مات يوم الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ٨٦٣ هـ بدمشق .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٧٨٨/٢ رقم ٢٦٥٨) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٠٠/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٧٠/١٠ رقم ١٠٧٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦١) .

(٣) في الأصل (المريض) .

(٤) قَلَبة : القَلَبَة ، الداء الذي يتقلَّب منه صاحِبُه على فراشه . « محيط المحيط » (٧٥١) .

(٥) قارن ذلك مع ما ورد في : « حوادِث الدهور » (١٢٥ – ١٢٦) ، و « التبر المسبوك » (٢٨٥) .

وفي هذا الشهر وَلَّى السلطانُ ياقوتَ عبد السَّخاوي نظر الزّاوية الخشَّابية[1] .

وفي أواخر هذا الشهر ، عُزل قاضي الحنفيَّة بدمشق ، حميد الدين بن أبي حنيفة .

عزل كاتب السّرّ

شهر جمادي الأولى سنة ست وخمسين وثمانمائة[2] ، وفي يوم الخميس خامسه ، شكى بعضُ الغرباء[3] أنه أُخرج عن إقطاعه ، فغضب السلطانُ على كاتب السرّ[4] ؛ لكون هذا الأمر كان في أيَّامِه ، فقال : لم أفعل شيئًا ، إلا بخط السلطان ، فأمر بسجنه في المَقْشَرة (سجن المجرمين) فخرج على ذلك ، فسأل الدويدار الكبير دُولات باي المؤيدي ، أن يكون في بيته مُرَسَّمًا عليه ، إلى أنْ يرضى السلطانُ ، فأجابه إلى ذلك ، وطلع الشرفُ الأنصاري ، قريب الظُّهر ، فشفع فيه ، فأُجيب ، وأُطْلِق ، فذهب إلى بيته ، وتأسف الناسُ له كثيرًا ؛ لحسن عشرته ، ولين جانبه ، وشرف نفسه ، وعدم شَرِّه ، وحلاوة لسانه[5] .

قصة ابن الكويز

وَرُسِمِ في هذا الحد[6] على عبد الرحمن[7] بن العَلَم بن الكُوَيْز ، الشوبكي الأصل ؛ بسبب أنه كان نزل لشخص[8] عن

---

(١) راجع « هامش ٣ ، ٤ » من (ص ٢٠١) .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٢٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٦) « أوله الأحد » .

(٣) في « حوادث الدهور » (١٢٦) « شخصًا مِن العرب » .

(٤) وهو في هذا الوقت (المحب بن الأشقر) . راجع « حوادِث الدهور » (١٢٦) .

(٥) قارن بما ورد في « حوادِث الدهور » (١٢٦) .

(٦) في « حوادث الدهور » (١٢٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٦) ، (في ٥ جمادي الأولى) .

(٧) هو : عبد الرحمن بن داود بن عبد الرحمن بن داود ، الزين بن العلم ، الكركي الشوبكي الأصل القاهِري ، يعرف كأقاربه بابن الكُوَيْز ، وُلد سنة ٨٠٥ هـ ، ومات قُبيل عصر السبت ٧ شوال سنة ٨٧٧ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامِع » (٧٦/٤ رقم ٢٢٤) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٤٣/٢) .

(٨) هو قَرْقماش الأشرفي ، مقابل أربعة آلاف دينار . « حوادث الدهور » (١٢٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٦) .

أرض[1] ، ثم استأجرها منه بِأُجْرَةٍ معلومةٍ[2] فلما فرغت مدةُ إجارته أراد المنزول [له] إيجارها ، فلم يستأجرها أحدٌ بتلك الأجرة ، فشكاه إلى السلطان ، فَرَسَم بأن يُعيد إلى المنزول له ما دفعه إليه ؛ بسبب النزول ، قال : لِأَنَّ النزول لم يصح ، ويُسَلِّم الشاكِي ما أَخَذَ مِن ابن الكُوَيْز مِن الأجرة ، وتضاف[3] الأرض إلى ذخيرة السلطان ، ويؤخذ من ابن الكويز[4] .. مال ..[5] .

موت أُسْطا حمزة

وفي يوم الجمعة سادسه ، مات أُسْطا حمزة الرُّومي ، وكان رجلًا ماهِرًا في فنون شَتَّى ، مُقَدَّمًا في الخياطة ، وأنواع التفصيل ، محسنًا لعمل الدّروع المصفحة مذكورًا بالرمي في علمه وعمله ، يُحَبذ القِسِيّ الثقيلة الشديدة ، حسن العشرة ، لَيِّن العريكة ، قَوَّامًا في الحَقِّ رحمه الله .

وفي أوائل هذا الشهر ، أخذ البحر في الزيادة جعلها الله متواصلة ، وبارك فيها .

موت خزندار الأمير الكبير

وفي يوم الأحد ثامنه ، مات مقبل خَزَنْدار الأمير الكبير إِيْنَال العلائيّ ، وكان شابًّا عـاقلًا حسن المعاملة ، كثير الأدب ، قلّ في مماليك الأمير مثله رحمه الله .

استمرار كاتب السر

وفي يوم الاثنين تاسعه ، لبس كاتبُ السّرّ ، ابن الأشقر خِلْعَة استمرار على كتابة السّرّ ، بعد أن[6] غُرِّم أربعة آلاف دينار ، وطلب الإعفاء ،

---

(1) هي منية العرايا مِن الدقهلية مِن أعمال القاهرة . « حوادث الدهور » (١٢٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٦) .

(2) في « حوادث الدهور » (١٢٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٦) : « مدة سنين بمبلغ هائل ؛ ليوهمه أنها تفي بالمبلغ من الخراج كل سنة » .

(3) هذا ما جاء أيضًا في « حوادث الدهور » (١٢٧) أما في « التبر المسبوك » (٣٨٦) فهو : « ولولا أنه خدمه لأضاف القرية إلى الذخيرة » .

(4) بياض في الأصل بمقدار كلمتين .

(5) بياض في الأصل بمقدار كلمتين تقريبًا .

(6) راجع « ص ٢١١ » .

وضمَّمَ عليه ، ولو بذل جميع أمواله ، فلم يُجَب ، والله تعالى يعامله بلطفه ، ويدافع عنه ؛ فإنه قلَّ أن يكون في الأكابر مثله في الاحتمال ، واللّين ، وتنزيل الناس منازلهم ، مع الأصالة في الإسلام ، والنَّشْأة في الخير ، والقراءة على الشيوخ ، وصيانة النَّفْس عن المدنِّسات ، فَعُلم من ذلك أنه يُراد به ، ما أُريد[1] بابن البارزي ، من أنَّه لا يُخَلّى معزولًا ، ولا يُكَفّ عن أذاه متوليًا ، إلى أن تذهب نَفْسُه حَسَرات[2] .

موت الشيخ عبد الرحمن ابن داود

وفي هذا الحدِّ بلغنا ، أن الشيخ عبد[3] الرحمن بن داود الدِّمشقي الحنبلي ، صاحب الزَّاوية بأعلى الصّالحية ، مات ليلة[4] الجمعة تاسع عشري شهر ربيع الآخر ، وصُلِّي عليه صبيحة يوم الجمعة ، وكانت جنازته مشهودة ، بحيث لم يتخلف في دمشق كبير أحد ، وكان واسع العقل ، حَسَن الدُّرْبَة في معاشرة النّاس ، واستجلاب خواطرهم ، وإقامَة النَّاموس على الأكابر ، والأصاغر ، عاش عمرًا طويلًا ، والأكابر خاضعة له ، سامعة لقوله ، وله الحُرْمَة الوافرة ، والكرم الزائد ، وكان مع ذلك فاضلًا له أذكار ، رتَّبها مِن السُّنَّةِ ، تدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب آخر عَزَى فيه كُلَّ ذكر إلى مَنْ خرَّجه من علماء الحديث ، وله غير ذلك من المصنَّفات ، وكان إنشاء الخطب ، ونحوها من الأسجاع هيّن عليه ، وله مصنّف سَمَّاه « الكنز الأكْبَر في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر » ، أخبرني الكمال[5] ابن

---

(١) راجع « ص ١٧٥ » .

(٢) قارن بما ورد في « حوادث الدهور » (١٢٧) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود ، الشيخ زين الدين أبو الفرج بن التقي أبي الصفا الدمشقي الصالحي الحنبلي ، المعروف بابن داود ، وُلِد في جبل قاسيون بدمشق سنة ٧٨٢ هـ ، وقيل سنة ٧٨٣ هـ .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٤٠١) ، و « الضوء اللامع » (٦٢/٤ رقم ١٩٥) ، و « شذرات الذهب » (٢٨٨/٧) .

(٤) في « التبر المسبوك » (٤٠١) ، و « الضوء اللامِع » (٦٢) : « ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر » .

(٥) هو : محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان ، الكمال أبو الهنا بن ناصر =

أبي شريف ، أنه رآه ، وأنه واسعٌ جدًّا ، مُكَوّن في مجلدين ، وأنه عديم النظير في بابه ، وبالجملة فلم يكن في زمانه في دمشق في أصحاب الزَّوايا من يدانيه ، فأخذ عنه الشيخ قاسم المغربي صاحب دُولات باي .

عسكر البحيرة

وفي هذا الشهر بُلِّغ السلطان ، أنْ ناسًا من عرب البحيرة اختلفوا ، فَسُيِّر إليهم حاجب الحجَّاب خُشْ قَدَم في أتباعه ، ومائتي مملوك من مماليك السلطان ، فخرجوا يوم الاثنين سادس عشر هذا الشهر[1] .

قصة بيوت الروضة

وفي يوم الجمعة العشرين من هذا الشهر ، نودي في الرَّوْضةِ[2] عن لسان السلطان ، أن يحضر كل من له بها ملْكٌ ؛ من بيت أو غيره ، مكتوب انتقاله إليه ، إلى عند يوسف شاه معلم البنّائين ، ومن لم يحضر ذلك ، هُدِم بيتُه بعد ثلاثة أيام من المناداة ؛ وذلك بسبب أنّ يوسف شاه ولي النظر على مدرسةٍ ، يُقال لها : السكرية ، فوجد في كتاب وقفها ، أنّ من جملة الموقوف عليها مكان اسمه الرّوضة ، وذكر حدودها الأربع إلى البحر ، فَحَمل ذلك على هذه الروضة ، ومِن العجائب أن بعض حدودها ، إنما هو إلى المقياس[3] ،

= الدين المري القدسي الشافِعي ، المعروف بابن أبي شريف ، وُلد ليلة السبت ٥ ذي الحجة سنة ٨٢٢ هـ ببيت المقدس .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٩/٦٤ رقم ١٦٩) .

(١) قارن بما جاء في « حوادِث الدهور » (١٢٧ – ١٢٨) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٦) .

(٢) الروضة : تطلق على الجزيرة التي بين مدينة مصر ، ومدينة الجيزة ، عرفت في أول الإسلام بالجزيرة ، وجزيرة مصر ، ثم جزيرة الحصن ، ثم عرفت بالروضة منذ زمن الأفضل بن أمير الجيوش . اتُّخِذ فيها مقياسُ النيل ، وبَنَى فيها الناس مساكنهم واتخذوها متنزهًا ، وعندما تسلْطَنَ الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن محمد ، اتخذها سريرًا لملكه وأنشأ فيها قلعة مُسَوَّرة سميت بقلعة المقياس ، وبقلعة الروضة ، وقلعة الجزيرة ، وقلعة الصالحيه . راجع « خطط المقريزي » (٢/١٨٣) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٣٧٧) ، و « الخطط التوفيقية » (١٨/٧ – ١١) .

(٣) المقياس : هو الذي يقاس به ماء النيل زيادة ونقصًا . يقال : إن أوّل من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ، عندما وضع مقياسًا بمَنْف ، ثم وضعت عجوز يقال لها دَلُوكة ابنة زبّاء مقياسًا =

وجامعه[1] ، فإنها أقدم من هذه المدرسة ، فلم يزد الناس حين سمعوا ذلك على التعجب ممن أمر بهذه المناداة ، وممن باشرها .

ابن أبي عذيبة

وفي هذا الشهر بلغنا موت شهاب[2] الدين ابن أبي عُذيبة المقدسي الشافعي ، كان ابن شخص من الجَمَّالين (بالجيم) ثم تزوَّجت أمه شخصا بالقدس يقال له : أبو عُذَيبة ، فأقْرَأه القرآن ، ثم لمَّا كان عمره نحو العشرين حَبّب إليه التاريخ فعاناه ، فمهر فيه ، وكتب هو لنفسه تاريخًا على السِّنين ، وعلى التراجم ، وفاض في ذلك كثيرًا ، وكان قبيح السِّيرة في أيام صباه ، فكان يُحب ثَلْبَ الأعراض ، لعل ذلك يسترضي قبائِحَه ، ويكف عن ذكر فضائحه[3] ، فلما بيعت تركته ، إذا الذي كتبه من أمور النّاس ، نحو مائة

= بأنِصْنا ومقياسًا بأخميم ، ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسًا بحُلوان ، وفي خلافة الوليد بن عبد الملك وضع أسامه بن زيد التنوخي مقياسًا بالجزيرة (الروضة) .

وقيل : إنه عندما فُتحت مصر كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه ، يطلب منه شرح حال نقصان نيل مصر ، وما يسببه ذلك من غلاء في الأسعار . فكتب له : « إني وجدت ما تُروَى به مصر حتى لا يقحط أهلُها أربعة عشر ذراعا ، والحد الذي يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا ، والنهايتين المخوفتين في الزيادة والنقصان (الضمأ والاستبحار) اثنا عشر ذراعًا في النقصان وثماني عشر ذراعًا في الزيادة .. » . فأمره بعد أن استشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبني مقياسًا وأن ينقص ذراعين على اثني عشر ذراعًا ، وأن يقرّ ما بعدها على الأصل ، وأن ينقص من ذراع بعد الستة عشر ذراعا إصبعين ، ففعل ذلك وبناه في حلوان » .

ثم كتب الخليفة جعفر المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) ببناء المقياس الجديد الهاشمي في الجزيرة سنة ٢٤٧ هـ . راجع تفصيل ذلك في : « خطط المقريزي » (١/٥٧ - ٦١ ، ٢/١٨٥) ، و « حسن المحاضرة » (٢/٣٧٤ - ٣٧٦) ، و « الخطط التوفيقية » (١٨/٢ - ٧ ، ١٥ - ١١١) .

(١) جامع المقياس : يقع في قلعة الروضة في الزاوية الغربية ، تجاه الجيزة ، بناه أبو النجم بدر الجمالي بامر المستنصر الفاطمي سنة ٤٨٠ هـ تقريبًا . راجع « خطط المقريزي » (٢/٢٩٠) ، و « الخطط التوفيقية » (٥/١٢٢) .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن عمر الفاضل شهاب الدين المقدسي الشافعي ، وُلد ببيت المقدس سنة ٨١٩ هـ ، مات في غروب ليلة الجمعة ١٤ ربيع الآخر .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٣٩٦) ، و « الضوء اللامع » (٢/١٦١ رقم ٤٦١) .

(٣) قال (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٣٩٦) عن هذا التاريخ : « .. لكنه كان يسلك =

كُرَّاس[1] ، فاشتراها بعضُ أهل القدس بمال كثير أظنه نحو أربعمائة درهم ، فإذا أكثرها في عورات الناس ، وأكثرها كذب ، وافْتِراء ولم يَسْلم منه في هذا عدو ، ولا صديق ، بل كان أصدق الناس له ، أبو العباس[2] المِجْدَلي الواعظ ، فقال عنه : إن الذي تحرَّرَ له منه بعد الممارسة والاختبار الطويل ، أنه ليس له دِينٌ ، بل دِينه دين من يعاشره ، ويجد له منه فائدة كائِنًا ما كان ، فأخفى ذلك المشتري ما يتعلق به ، وبمن يُحبُّه ، أو يرجوه ، أو يَخْشاه ، وأذاع ما عدا ذلك ، فَتَفَكّه بعضُ الناس في أعراض بعضٍ ، ولم يبق للناس حديثٌ إلا في ذلك ، فأثار في القدس شَرًّا كبيرًا ، وأوْرَث أضغانًا ، وأَحْيا أحقادًا ، وأطبق الكل على لعنه ، وَسَبِّه ، ولم يوجد بخطه شيء سوى ذلك ، قبَّحه الله ، ومات عن نحو خمس وثلاثين سنة ؛ فإني أظن مولده بعد سنة عشرين[3] .

أمر الغلاء

وفي هذا الشهر بيع الرّطل الخبز المصري بدرهمين فلوسًا ، يكون قيمة نحو قيراطين من درهم ، وحسنت أحوال الناس ، وتَصَرّم البأسُ ، وليس للسلطان فيه أثَرٌ محمود ، ما ضُبط أنه تصدَّق فيه برغيف خبز ، ولا رتَّب

= ذكر مساوئ الناس ، فتفرق لذلك بعده ، ولم يظفر مما كتبه بطائل ، مع ما فيه مِن فوائد » . راجع أيضًا ما قاله حول هذا المعنى في « الضوء اللامع » (٢/١٦٢ - ١٦٣) .

(١) الكُرَّاس : الجزء مِن الكتاب يحتوي في الغالب على ثمان ورقات ، كم يطلق الكُرّاس على الجزء مِن الصحيفة . راجع « القاموس المحيط » (٢/٢٥٥) ، و « محيط المحيط » (٧٧٦) .

(٢) هو : أحمد بن عبد الله بن محمد بن داود بن عمرو بن علي بن عبد الدائم ، الشهاب أبو العباس الكناني الأصل المجدلي المقدسي الشافعي الواعظ ، يعرف بأبي العباس ، المقدسي ، وُلد سنة ٨٠٩ هـ ، وقيل سنة ٨١٣ هـ ، وقيل سنة ٨١٥ هـ ، ونشأ بها ، وانتقل إلى غزة ، ثم الرَّملة ، ثم بيت المقدس ، ثم إلى الشام ، ثم إلى القاهرة ، ومكة ، وجاور بها في سنة ٨٤٤ هـ ، ولزم الاشتغال في كل منها بالفقه ، والأصلين ، والعربية ، والفرائض ، والحساب ، والعروض ، مات ليلة الأربعاء ٢٦ جمادي الثانية سنة ٨٧٠ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٤٧) ، و « الضوء اللامع » (١/٣٦٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦١) .

(٣) راجع « هامش ٢ » ، من (ص ٢١٥) .

شيئًا من القمح لفقير ، ولا أمر أحدًا من الأكابر ببيع شيء من الحبوب ليتّسع الناس به ، وبلغني : أنه شُكِي إليه الأمر في أول الغلاء ، حين ما بلغ الإردب دينارين ، فقال : إذا بلغ أربعة دنانير أعلموني ، ثم بلغ ستة دنانير ، ولم يَرِقّ لأحدٍ ، ولا نزل إلى الاستسقاء .

وكان السلطان ، قد طَلّق زوجته خَوَنْد[1] بنت السلطان ابن عثمان ، وأنزلها من القلعة ، فقطع أرزاقها في هذا الشهر ، فلم يُسْمع بأردى من هذه الفِعْلَة ، ولا أَلْأم من مرتكبها ؛ فإنها مسلمة ، وبنت ملك ، وزوجة ملك ، ولو لم يكن شيء من ذلك ، إلا خوف أن تُجْبِرَها الحاجَةُ إلى الفساد ، لكان وازعًا عن التضييق عليها ، [٢٥] شهر جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وثمانمائة ، يوم الثلاثاء ثانيه ، وهو الموافق لسادس عشري بؤُنة ، مِن أشهر القبط ، بُشِّر بزيادة النيل ، وكانت قاعدة المقياس في ذلك اليوم على خمسة أذرع وعشرين[2] إصبعًا . وفي يوم الأربعاء ثالثه ، وسابع عشري بؤُنة ، نودي بأن البحر زاد خمسة أصابع[3] ، فصار على ستة أذرع وإصبع[4] .

زيادة البحر

وفي هذا الحد ، وصلت كتب جانِبَك الوالي[5] ، أنه وصل بما صنع

وصول الوالي

---

(١) هي : زاده خَوَنْد شاه ابنة الأمير أرخن (أردخان) بك بن الأمير محمد كرشجي بن يلدرم بايزيد بن عثمان جق الرومية ثم القاهرية ، طلقها السلطان سنة ٨٥٣ هـ وقيل ٨٥٤ هـ ، وماتت بعد مرض طويل في أواخر رجب سنة ٨٥٩ هـ ، وقد زادت على ثلاثين عامًا .

لها ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٣٦٧ – ٣٦٨) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٦٤ ، ١٦/١٧٨) ، و « الضوء اللامع » (١٢/٣٧ رقم ٢١٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٣٢) .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٢٨) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٧) ، « وأربعة وعشرين إصبعًا » .

(٣) استمر البحر في زيادة كل يوم ، حتى توقف عن الزيادة يوم الاثنين ثامِن الشهر وفي اليوم التالي ، وقيل إنه نقص إصبعًا واحِدًا فجزع الناس لذلك ، ثم زاد يوم الأربعاء ، واستمرت الزيادة في كل يوم . راجع « حوادث الدهور » (١٢٨ – ١٢٩) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٧) .

(٤) وعلى هذا يكون الذّراع أربعة وعشرين إصبعا .

(٥) راجع « ص ١٤٧ – ١٤٨ » .

من المراكب وهي ...[1] وما حمل فيها من الخشب إلى الطِّينة ، وعجز من معاكسة الهواءِ الغربي ، عن إيصالها إلى فم دِمْيَاط ، واستمر مقيمًا هنالك إلى أن جَهَّز لها سَرِيَّةً تحفظها ، ثم قَدِم إلى القاهرة ، يوم الثلاثاء ، سلخ جمادي الآخرة ، فَزُيِّنَت له البلد[2] .

خروج أملاك بني البارزي

وفي أواخر هذا الشهر أُخرجت بعضُ الأملاك المُخَلَّفةِ عن القاضي كاتب السِّرّ ، كمال الدين بن البارِزي ، وأُضيفت إلى الذَّخِيْرة ؛ وكان الساعي في ذلك ناظر الخاص[3] ، فلم يُرَ أَقْبَح من ذلك ، ولا أدلّ على سقوط المروءة منه ، ومن السلطان ، أمَّا منه ؛ فإن زوجته من الورثة هي بنت[4] القاضي كمال الدين ، فلم يذّب عن حريمه ، ولا أسلمهم لغيره ، بل كان هو المنتهك لحرمتهم ؛ وما ذاك إلاّ لِمَا تمكّن في قلبه من حسد أبيها على عُلُوِّ الرئاسة ، وجميل الأُحْدُوثَة ، وضخامة الأمر ، فصار لا يُرْضيه إلاّ أن يُطْفِئ ذكرَه ، وذكر أهل بيته ، من الوجود ، وأرجو أن الله تعالى يُخَيِّبه في ذلك قريبًا ، ويردَّ بَغْيَه عليه ؛ وأما من السلطان ، فإنَّ مطلَّقته[5] إحدى الوُرَّاث ، ففي ذلك ظلمها ، ولا يخفى ما في ذلك من العار .

رجب سنة ٨٥٦ هـ

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر رجب الفرد[6] سنة ٥٦ هـ ، طلب السلطانُ القاضي وليّ الدين السُّنباطي قاضي المالكية بالقاهرة ، فأَغلظ له

---

(١) بياض في الأصل بمقدار أربع كلمات تقريبًا .

(٢) قارن بما وَرَد في « حوادِث الدهور » (١٢٩) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٨) ، وقد جاء فيهما أن السلطان ألبسه فوقاني بطرز ذهب .

(٣) وهو في هذا الوقت جمال الدين يوسف بن كاتب جكم « النجوم الزاهرة » (٤٦١/١٥ ، ٤٦٢) .

(٤) وهي : فاطمة ، وُلِدت سنة ٨٣٨ هـ أو قبلها ، استمرت مع الجمالي ناظر الخاص حتى ماتت . « الضوء اللامع » (١٠٥/١٢ رقم ٦٦٣) .

(٥) هي : خَوَنْد مُغل . راجع « هامش ٤ » من « ص ١٤١ » .

(٦) الأشهر الحرم أربعة ، أجمع العلماء على أنها : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرَّم ، منها ثلاث متواليات (ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرَّم) وواحدٌ منفردٌ هو (رجب) لذا سُمّى (رجِب الفرد) . راجع « صبح الأعشى » (٣٧٦/٢ ، ٣٧٨) .

عزل المالكي والأمر به إلى المقشرة

القول ، وَرَسَم به إلى المَقْشَرَة ؛ وسبب ذلك أَنَّه ادّعى عنده مسلمٌ على يهودي شركسي أنه يؤذيه بالطّلب من عند غير القضاة ، في حق له عليه ، وسأله الحكم عليه ، بأَنْ لا يعارضه إلَّا من الشَّرْع الشّريف ، فأجابه إلى ذلك ، فظهر من اليَهودي من العِناد ما أَوْجَب أن أَمَـرَ به إلى السجن ، ثم أَطلقه ، فتوصل إلى السلطان بتَمُرْبُغا الدويدار الثاني ، وكان سأل المالكي في تولية بعض من لا يصلح فَلَـمْ يجبـه إليه فأَوْقَف اليهودي للسلطان ، وحرَّفوا له القضية بما أوجب إيقاعه به ، وعدم سماع كلامه على عادَته ، فطلبه ، فسأله عن القضيَّة ، فشرحها له ، فقال : هل تعرف بلسان الشَّركسي ؟ فقال : أحضرت من ترجم عنه وله . فقال : تحققت أنه فَهِمَ المراد ؟ فقال : أخبر المترجمُ عنـه أنّـه فَهِمَ . فلم يُفِدْ ذلك فيه ، على عادته في أمور الفقهاء ، وأمر به إلى المَقْشَرَة ، فتلَبَّثَ في الطريق حتى طلع القضاة الثلاثة[1] ، فشفعوا فيه ، فلم يدخل إلى المَقْشَرَة ، وذهب إلى بيته ، وضَرَب المسلمَ المُدَّعِي عَلَى اليهودي ، بالمقارع ، وسجنه في المَقْشَرَةِ ، وكانت هذه القضية مُصَحِّحَـة لما كان يُقال : من أن هذا السلطان ، كان يهوديًا في بلاد الشَّركس ، وأنه باقٍ على دِينهم[2] ؛ لأنه كان يؤذي النصارى كثيرًا ، ولا يَعْرِض إلى اليهود ، ومن أَجَلّ ما سمعت في ذلك ، أنّ العلّامة الصّالح ، أمينُ الدِّين يحيى الأقصرائي ، شيخ الأشرفية ، حدَّث : أنه أُتَي إليه وهو جَالسٌ عنده يهود قد وقعوا في جريمة ، فقال السلطان : عَزِّروهم . قال : فقلت : يا مولانا ، لو كان هؤلاء فقهاء ، كانوا قد عُوجلوا بالضرب ، والسِّجن في المَقْشَرَة ، أول ما وقع البصر عليهم . قال :

---

(١) وهم : قاضي الحنفية ، شيخ الإسلام سعد الدين الدَّيْري ، وقاضي الشافعية شرف الدين يحيى المناوي ، وقاضي الحنابلة ، بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادي . راجع « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٥٩ – ٤٦٠) . و « ص ٦٨ – ٦٩ » من هذا الكتاب .

(٢) يذكر السخاوي ، في معرض ترجمته للمؤلِّف (إبراهيم بن عمر البقاعي) في « الضوء اللامع » (١/١٠١) أن الملك الظاهر جَقْمَق منع البقاعي مِن قراءة الحديث بالقلعة ، بل وأدخله حبس أولي الجرائم . مما يدعو إلى التوقف في قبول ما قاله عن الظاهر جقمق ، ويؤكد ما ذكره السخاوي حدّة وقسوة البقاعي في اتهاماته للسلطان .

فَبُهت ، ووقاني الله شرَّه ، وهذه من كرامات الشيـخ أميـن الدين ، وأكبر الأدلَّة على شهامته ، وإقدامه ، ووثوقه بالله تعالى .

وبالجملة ، فلقد طال تخفيض هذا الجبَّار لِأكابر الفقهاء ، بالإذلال حتى غلب على الظَّن ، ما حَدَّثني بعض عقلاء الجند ، ودَيِّنيهم : أنَّ غالِبهم على أدْيَانِهم ، التي كانوا عليها . قال : وإذا أردت تحقيق أمر الرَّجل منهم ، فانظر حالَه مع الفقهاء ، فإنْ كان يُعَظِّمُهم فهو مسلم ، وإلَّا فَلاَ ، فإنَّ أهل كل قطر لابد لهم من أكابر ، يُرْجع إليهم في شريعتهم ، التي يتمَسَّكون بها ، ولو لم يكونوا أهل كتاب ، فإن عَظَّم الفقهاء عُرِف أنه انتقل إلى الإسلام ، فصار يُعَظِّم حَمَلَته والقائمين به ، وإن كان بخلاف ذلك ، فإنه باقٍ على تعظيم أكابر أهل دينه الأوَّل ، فلا أحد أبغض إليه من أكابر أهل دينٍ آخر .

قلت : وهذا لعمري كلامُ حكيمٍ مجرِّب ، فهو مِن الحِكَمِ البالغة ، فتمسك به ، ولا تَعْجَل ، فإنّ ذلك لا يعرف إلا مع القدرة ، والمنافق يكون مع العجز أشدّ الناس تعظيمًا للفقهاء ، وإظهارًا لما يُظَنّ به أنَّ الإسلام راسِخٌ في قَلْبه ، فلقد كان هذا السلطان ، قبل السلطة من تعظيم الفقهاء ، وإظهار التّنسك ، والشرع ، ومحبة أهل الدين بمكان لم يكن لغيره ، حتى كان يظن ولايته ، ويدعى برفعته ، واستمر بعد سلطته على ذلك سِنِين ، حتى تمكن [٢٦] ، ثم إن هذه القضية لم تُؤَثِّر في عز طاعة المالكي شيئًا ، ولم تزده إلا شرفًا ؛ فإن النّاس أطبقوا على الثناء عليه ، وذَمٍّ من تَعَرّض إليه بأذى ، وأنَّه لا يؤذيه إلا منافق ، فَسُقِط في يد السلطان ، وخشى أنْ يُخْرَق سياج زوكرته خرقًا ، لا يَقْدِر على رَقْعِه ، فألْبَس المالكي يوم الخميس ، تاسع الشهر ، خِلْعَةً ، وأعطاه بغلة ، وبالغ في الاعتذار إليه ، والثناء عليه ، وشيَّعه الأكابرُ إلى بيته[1] .

وفاء البحر واستمر البحر ، بحمد الله تعالى في زيادة ، لم يمض له يوم بلا زيادة ،

---

(١) قارن ذلك بما ورد في « التبر المسبوك » (٣٨٨ – ٣٨٩) .

سوى يومين[١] ، لكن كانت زيادته ، ما بين الإصبع ، والثمانية ، لم يقلّ عن ذلك ، غير يوم واحد زاد فيه خمسة عشر إصبعًا ، فكان النّاس متخوّفين قليلًا ، إلى أن كان يوم الجمعة عاشر شهر رجب الموافق لرابع شهر مسرى[٢] ، فكان الباقي له من ستة عشر ذراعًا مائة واثنتين وثلاثين إصبعًا ، فزاد عليها إصبعين ، إلى يوم الثلاثاء رابع عشره ولله الحمد ، وفُتحت خلجانُه[٣] ، يوم الأربعاء خامِس عَشْره ، الموافق لتاسع مسرى ، من شهور القبط ، ونودي عليه في هذا اليوم ستة عشر وإصبعان من سبعة عشر[٤] ، فاطمأنت خواطِرُ النَّاس ، وزاد سرورُهم ، وشتموا المحتكرين ، وانْحَطَّت أسعار الحبوب كلها ، فكان القمح بمائتي درهم وخمسين درهما ، بمعاملة مصر ، وذلك نحو عشر دراهم ، دون قيمة الدّينار ، وبقية الحبوب بأقل من ذلك ، كان الشّعير بمائة وعشرين درهمًا كل إردب ، والفول وغيره بين ذلك ، وأبيع الرَّغيفُ الذي زنته ثماني أواق بدرهم ، وكان في الشهر الذي قبل ذلك بدرهم ونصف ، وكان قبل ذلك ، في أوائل السَّنة بثلاثة ، وكان وَصَل في أوائل الغلاء إلى نحو عشرة دراهم .

وفي أوائل هذا الشهر ، وهو رجب ، وصل القاضي الشافعي بحماة ، صدر الدين بن محمد[٥] بن هبة الله بن البارِزي ، وكاتب السّرّ بها ،

---

(١) هما يوم الاثنين والثلاثاء (ثامِن وتاسع جمادي الثانية) « حوادِث الدهور » (١٢٨) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٧) .

(٢) مسرى : مِن أشهر القِبط ، وهو الشهر الثاني عشر ، ودخوله في ٢٤ تموز (مِن أشهر السريان) ، وآخره ٢٧ مِن آب . « صبح الأعشى » ٣٨٩/٢ ، و « خطط المقريزي » (٢٧٣/١) .

(٣) في « حوادِث الدهور » (١٣٠) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٧) : « ونزل الفخري عثمان بن السلطان في وجوه الناس حتى خلّق المقياس ، ثم فُتِح السدُّ بحضرته ، ثم رجع فلبس الخلعة على العادة في ذلك كله .

(٤) قارن ذلك بما ورد في « حوادِث الدهور » (١٣٠) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٧) .

(٥) هو : محمد بن محمد بن هبة الله بن عمر بن إبراهيم بن الشرف هبة الله بن النجم ، الصدر =

زين الدين فرج[1] بن السابق ، مُرَسَّمًا عليهما من جهة ما كانا يتكلمان عليه من نظر المدارس : المظفَّريه ، والخطيبية ، والطُّوَاشِيّة بمدينة حماة ؛ وذلك أن ناظر الخاص ، الكمال يوسف ابن كاتب جكم ، كان لمَّا صاهر القاضي كاتب السرّ ، الكمال بن البارزي ، شَرُف بمصاهرته له ، ومازال يَرْقَى به ، إلى أن داخله الحسَدُ له ، فيما أتاه الله مما أَثَّله[2] له الأسْلافُ ، من المجد ، وكَبَّره هو بما أتاه الله من جميل الأخلاق ، وغزر المكارم ، فشرع يتشبه به في ضم طلبة العلم إليه ، وعِشْرة العريقين في الإسلام ، والإقلال من أبناء جنسه ، من القِبط ، وسعى في التَّقَرُّبِ إلى حاظر السلطان ، وأكابر جنده ، بكل ما أَوْصلت قدرتُه إليه ، من استجلاب الأموال ، وَسوْق المنافع ، إلى أن امتدَّ صيتُهُ ، وقصَدَته أصحابُ الحوائجِ ، من البلاد الشاسعة ، من القضاة ، والحكّام ، وغيرهم ، من آحاد الناس ، بحيث لم يبق أحدٌ إلاَّ انْتمى إليه ظاهرًا أو باطنًا ، إلّا ما كان من القاضي الشافعي بحماة ؛ فإنَّه ابن عمّ القاضي كمال الدين ، وبني السَّابق فإن بينهم وبينه من القرابة من جهة النّساء ، والمناسبة من جهة البلد ، والعِشْرَةِ من الصِّغر ، ما يقبح معه انتماؤهم إلى سواه ، فكان قلّ أن يمرّ شهرٌ إلاّ رماهم ناظر الخاص بنوع أذى ، إلى أنْ مات الكمال ، فخلا له الجوُّ ، فأرسل مرسومًا يتضمّنُ طلب الصَّدْر ، والزَّين المذكورَيْن ، إلى حضرة نائب[3] حماة ، ومحاسبتهما على أوقاف الأماكن المذكورة ، مُتَحصَّلًا ، ومصروفًا ، وأن لا يُمْضي لهما مصروف إلا على حكم شروط الواقفين ، وأن لا يقبل في شيء

= ابن ناصر الدين بن الشرف الجهني الحموي الشافعي ، يعرف بابن البارزي ، وبابن هبة الله ، ولد في ١٣ رجب سنة ٨٠٧ هـ بحماة ، ومات في يوم الجمعة ٩ أو ١٢ ربيع الثاني سنة ٨٧٥ هـ .
له ترجمة في « الضوء اللامع » (١٠/٢٤ رقم ٧٥) .

(١) هو : فرج بن محمد بن محمد بن محمد ، الزين بن الأمير ناصر الدين الحموي الشافعي ، ويعرف بابن السابق . وُلد في شوال سنة ٨١٣ هـ بحماة ، ومات في مستهل ربيع الثاني سنة ٨٩٦ هـ .
له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٦/١٦٩ رقم ٥٧١) .

(٢) أَثَّلَه : من ثَلَّ الدراهم (صَبَّها) ، وأَثَّل الرجلُ الشيءَ(أمر بإصلاح ما ثُلّ منه) وثُلَّة من الدراهمِ (أي كثيرة منها) . راجع ذلك في « محيط المحيط » (٨٣) .

(٣) هو : سودُون الأبو بكري المؤيدي ، تولى نيابة حلب ، بعد عزل بَيْغوت مِن صفر خُجا المؤيدي في ربيع الآخر سنة ٨٥٤ هـ ، واستمر إلى أن عُزل في يوم الخميس ١٥ شعبان سنة ٨٥٦ هـ .
راجع « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٠٩ ، ٤٤٣) .

من ذلك شهادة شاهدي الوقف الصفي بن نجيب ، والعلاء[1] بن الدُّنَيْف ، وأن يكون المتولِّي لحسابهما القاضيين ، الحنفي البدر[2] بن الصوَّاف ، والشهاب[3] العبّاسي الحنبلي ؛ والحال أن أنظار الأماكن المذكورة وصلت إلى المذكورَين من جهات لا مَطْعَن فيها ، ولا مَدْخل لِأحدٍ عليها ، أما الصدر فمن أسلافه ، وأما الزّين فهو نائب أخيه الجمال محمد ابن السَّابق ، والجمال تلقّاها عن الكمال بن البارزي ، والكمال تلقاها عن أجداده ، خَلَفًا عن سلف ، إلى المتولي من الواقفين ، وأن شروط الواقفين عدمت ، ولم يبق للاعتماد في أمورها إلَّا على الشهرة ، وأن الشاهِدَين المذكورَين أجلّ شهود حَمَاة ، قَلّ أنْ يُعْمل مكتوبٌ على قاضٍ ، أو غيره ، إلا بهما ، وأنّ الحَنَفى والحَنْبَلي عَدُّوا الشَّافعي وكاتب السِّرِّ ، وهما المُنَبِّهان لناظر الخاص على أبواب الأذى للمذكورَين ، فَفُعِل ما ورد به المرسوم ، فأُحضر المستحقون ، والمباشرون لوظائف الأماكن المذكورة ، وقرىء عليهم الحسأب ، فنطقوا كلهم عن لسان واحد ، أنَّ ذلك صحيح ، وأنَّهم

---

(١) هو : علي بن عمر العلائي الحموي الشافعي ، ويعرف بابن الدُّنَيْف (بمهملة مضمومة ثم نون مفتوحة وآخره فاء) ،وُلِد في سنة ٨٢٤هـ بحَمَاة، ومات بعد التسعين عن بضع وسبعين سنة. «الضوء اللامع » (٢٧٢/٥ رقم ٩١١) .

(٢) هو : الحسن بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ، وقيل هو : حسن بن محمد بن أحمد ، البدر أبو عبد الله بن العلاء بن الشمس الحصني ثم الحموي القاهري الحنفي ، ويعرف بابن الصوّاف ، قاضي قضاة حماة ، ثم الديار المصرية ، وُلد سنة ٨٠٣ هـ ، وولي قضاء مصر عِوضًا عن ابن الشحنة بعد أن بذل سبعة آلاف دينار ، فكان سيىء السيرة في قضائه ، ومازال في منصبه إلى أن مات يوم الأحد رابع محرَّم سنة ٨٦٨ هـ عن نحو ٦٠ سنة تقريبًا .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٧٠) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٢٦/١٦) ، و « الضوء اللامِع » (١١٣/٣ رقم ٤٤٣) ، و « الذيل على رفع الإصر » (١٢٣ - ١٢٧) ، و « نظم العقيان » (١٠٤ رقم ٦٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣٣) .

(٣) هو : أحمد بن الحسين ، شهاب الدين العباسي الحنبلي ، ولد سنة ٧٩٥ هـ ، وولي قضاء حماة فوق ثلاثين سنة بعفّة وديانة ، وكان يروم الخلافة وربما تُكلّم له فيها ، لِأنه من ذرية العباس رضي الله عنه ، وكان مِن أهل العلم والفضل ، مات بحماة أوائل سنة ٨٦٩ هـ . « شذرات الذهب » (٣٠٩/٧) .

قبضوا جميع استحقاقهم ، وأن المذكورَيْن يسيران فيهم أحسن سيرة ، فقيل : احلفوا أَنَّ الأمر كذلك . فقال بعض طلبة العلم منهم للذي خاطبه بهذا ، وهو خُشْكَلْدي[1] الكُويزي ، السّفير في القضية : هَبْ أننا حاللنا هذين الرَّجلين ، بما لنا من الاستحقاق ، وسوَّغناه لهما أَيُحْجَر علينا في ذلك ؟ ومع ذلك كله ضُيِّق عليهما ، وهُدِّدا إلى أن جَعَلا للسلطان أَلفًا وخمسمائة دينار ، ثم استصحبهما خُشْكَلْدي معه إلى القاهرة ، فوصلوا في أوائل هذا الشهر ، فقال لهما ناظر الخاص : قد قلت للسلطان أنكما تخدمانه بأربعة آلاف دينار ، فعالجاه ، وترقَّقَا له ، وكلّمه فيهما مملوك السلطان ، تَمُرْبُغا الدويدار الثاني ، فلم يُفِد ، فبذلا للسلطان ما قال ، وتكلفا لناظر الخاص ، ولبقية المباشرين ، والأكابر ، من التُّرك وغيرهم نحو ألفين ؛ والحال أنهما لم يتصل إليهما نظر هذه الجهات ، إلا من دون ست سنين ، وأنهما لم ينتفعا منها ، إلا بدون الخمسمائة دينار ، وهو معلوم النظر ، وكان ناظر الخاص قد أحبّ الانفراد بالكلمة ، فَقَلّ مباشر للسلطان إلا أوقع به ، أوهَمَّ فلم يقدر ، حتى تحاماه الكلُّ في أكثر الأشياء ، فلم يبق أحدٌ منهم يروم مناظرته ، إلا الدويدار تَمُرْبُغا ؛ لكونه مملوك السلطان ، ومع ذلك ، فكان يُغْلب معه في غالب الأمور ، وكان قبل الدويدارية أحدَ أصدقاء ناظر الخاص ، ومن يذب عنه ، ويقربه إلى خاطر السلطان ، وينفعه كثيرًا لاسيما في قضايا أبي الخير النّحاس إلى أن كان من أعظم ما تعاكسا فيه ابن عز الدين القاضي الشافعي بطرابُلُس ؛ كان قريب ناظر الخاص ، موسى ناظر جيش طرابُلُس ، قد عادى ابنَ عز الدين ، فعزله ناظرُ الخاص ، فانتمى إلى تَمُرْبُغا ، فكان لا يفتر عن أذاه ، وتَمُرْبُغا لا يفتر عن الذّبّ عنه ، إلى

---

(1) هو : خُشْكَلْدي الزَّيني عبد الرحمن بن الكُوَيْز ، أحد أمراء الطبلخاناة بدمشق ، مات بها في ذي الحجة سنة ٨٦١ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣/١٧٧ رقم ٦٨٦) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٨٩) .

أن اقتضى رأي تَمُرْبُغا أن يُحسِّن للسلطان إحضار أبي الخير النحّاس[1] ، وكان ميل السلطان إليه باقيًا ، بل لا يزداد على طول الزَّمان ، إلا كثرة ، وكان السلطان ساعيًا في [ذلك][2] حين ذهاب أبي الخير بضروبٍ من الحيل منها : أنه لما رأى ميلَ مماليكه مع ناظر الخاص ، شرع كلما طلب منه شخصٌ من أكابرهم شيئًا[3] ، أجابه ولَانَ له ، وأظهر السرور بطلبه منه ، ثـم إذا حضر ناظرُ الخاص استدناه ، وسارَّه ، ثم يلتفت إلى ذلك المملوك في غاية الانحراف فيهدده ، ويطرده ، وربما أوقع ببعضهم ؛ يقصد بذلك أنه إذا تكرر منه هذا الفعل ، يظنُّ الأجلابُ أنَّ الآفَة إنما هي من ناظر الخاص ، ومنها أنه قطع عنهم ما كان يوصلهم من البِرِّ في غالب الأوقات ، ويعتذر لهم ، بأنه ليس في الخِزانة شيء ، إلى أن قال لهم في أواخر ذلك : أنتم قطعتـم بأنفسكم ؛ كان أبو الخير يأتينا بما يُنفق عليكم منه ، فذهب وأنتم ترون غيره لا يَأتِينا بشيء ، فَلَانَ كثيرٌ منهم لإحضاره ، ولما علم ذلك منهم ، وكرّر عليه تَمُرْبُغا الكلامَ في ذَمِّ ناظر الخاص ، وبيان أنه غاشٌّ للسلطان ؛ يأكل أموالَه ، ولا يُطْلِعُه منها إلا على القليل ، طلب من ناظر الخاص يومًا خمسة آلاف دينار ، فأرسل ألفًا ، وقال للرسول : غدًا أُحضِر الباقي ، فلما كان الغد أَحضَر إلى السلطان ألفًا ، فاشتاط السلطانُ غضبًا ، ولم يظهر له على ذلك ، ثم أَمر تَمُرْبُغا فأحضَرَ له موقِّعًا ، فأمره بكتابة مرسوم إلى نائب قلعة طَرَسُوس ، بتجهيز أبي الخير بسرعة ، ولم يَعْلَم بذلك على ما يُقال إلا تَمُرْبُغَا ، والموقِّع ، واستحلف الموقِّع على كتمان ذلك بالطلاق ، وأمر الهجَّان[4] بالإسراع ، ثم إنَّ السلطان نَدِم بعد

---

(١) أخبار مفصلة عن أبي الخير هذا في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤١٠ – ٤٢٣) .

(٢) كلمة (ذلك) غير واضحة في الأصل وصححت بمقتضى السياق .

(٣) في الأصل (شيءً) .

(٤) الهجَّان : الهِجَان مِن الأشياء ، أجودها وأكرمها أصلًا ، والهِجان مِن الإبل البيض الكرام ، والهجَّان راكب الهجين . راجع « لسان العرب » (١٧/٣٢٢ – ٣٢٣) ، و « المعجم الوسيط » (٢/٩٧٥) .

ذلك ، وخاف من الفتنة ، وأن [لا][1] يصل إلى مراده ، فأرسل مرسومًا على يد هجّانٍ بنسخ ذلك ، فأرسل بعض من علم ذلك مِمّن أراد حضوره رسولًا ، أمره بالإسراع ، وطَيّ الأراضي ، وسَهَرِ الليل والنَّهار ، ومسابقة الرِّياح ، يأمر أبا الخير أن لا يُقِيم في طَرَسُوس ، بعد الخلاص بِخِطَّة ، فإن الأمر نُسِخَ ، ففعل ووصل قبل ورود الناسخ ، فأسرع [في][2] الخروج من البلد ، وعرّج عن الطرق ، وطار في الآفاق ، إلى أن وَصَل إلى القاهرة ، ليلة الجمعة ، رابع عشري شهر رجب ، من سنة ست وخمسين هذه ، ثم عَلِم به يوم الاثنين سابع عشريه بعضُ الأكابر ، وشاع خبرُه يوم الثلاثاء ، ثامِن عشريه ، واستمر النّاس في خبط شديد ، لا تجد أحدًا ، إلا يذكره ويَسْتَثْبِتَه والناس من بين مكذِّبٍ حالف على العدم ، ومن بين محرّر وصل إليه ذلك بالطرق الصحيحة ، فهو عالم بصحته ، غير أنه متعجب ، لا يخلو من نوع استبعاد[3] ، وكان طَرَقَ السَّمْع من بعض النَّقلة ، أنَّ السلطان أمره أنْ ينزل عند الخليفة[4] ، فَظَنّ

---

(١) كلمة (لا) غير واضحة في الأصل ، وصححت بمقتضى السياق .

(٢) كلمة (في) غير موجودة في الأصل ، وأضيفت بمقتضى السياق .

(٣) (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤١) ذكر معلومات مهمة عن قدوم النحاس هذا إلى القاهرة إذ يقول : « وفي هذه الأيام أشيع بالقاهرة بمجيء النحاس إلى الديار المصريَّة ، وأنه وصل على النُّجُب ، وأنه نزل بتربة الأمير طَيْبُغا الطويل بالصحراء خارج القاهرة ، ثم انتقل منها إلى القاهرة ، وتحدَّث الناس برؤيته ، وتعجب الناس مِن ذلك ، واستغربت أنا وغيري مجيئه ... ولم يدر بذلك أحدٌ مِن أعيان الدولة ، ولا يعرف أحدٌ كيفية الإفراج عنه ، وأخذ أعيانُ الدولة مِن الأكابر في تكذيب هذا الخبر ، وصار الناس في أمره على قسمين : ما بين مصدِّق ومكذّب .

وأيضًا (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٣٨٩ = ٣٩٠) لا تقل أهمية معلوماته عن (ابن تغري بردي) وربما تميز عنه في أنَّ معلوماته استقاها مِن أبي الخير نفسه عندما حدَّثه عن ملابسات قدومه إلى القاهرة .

وكثيرًا ما تتفق معلومات السخاوي مع ما أشار إليه البقاعي حول هذه القضية .

(٤) وهو في ذلك الوقت ، حمزة القائم بأمر الله ابن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد (محرَّم ٨٥٥ = رجب ٨٥٩ هـ) .

أنه يُراد أنْ يطلع به أميرُ المؤمنين ، ويشفع فيه ، ويُظهر أنه نزيله ، فلا يَسَع السلطانَ ، ولا غيره التعرض له بأذى ، فَعُلِمَ أن ذلك تدبير ضخم ، ومكرٌ مُتقن ، إن لم يَحُلِ الله بينهم وبينه حصل به تعب كبير .

موت الإخنائي والزنكلوني

[٢٧] شهر[١] شعبان سنة ست وخمسين وثمانمائة ، يوم الأحد رابعه ، مات القاضي بهاء الدين [محمد بن محمد][٢] الإخنائي المالكي[٣] ، وكان فاضلًا في الفقه ، مشاركًا في النحو وغيره ، وينقل كثيرًا من التاريخ ، وخلَّف ولدَه بدر[٤] الدين ، موقِّع الكمال بن البارزي ، وهو كأبيه في الفضيلة ، عارف بالوثائق ، والتوقيع السلطاني ، والقاضي محب الدين محمد[٥] بن أحمد بن محمد بن الشيخ مجد الدين الزَّنكلوني الشافعي ، وكان مقدَّمًا عند حافظ العصر ابن حَجَر ، استنابه في نظر المدرسة الصّالحية ، وغيرها .

من قصة أبي الخير

وفي يوم الثلاثاء سادس شعبان هذا طلع القاضي شمس[٦] الدين التُّرْيكِي المغربي التونسي – وكان من أجلِّ أخصَّاء أبي الخير ، وأقربهم إلى خاطره – إلى السلطان ، فأعلن أنَّ أبا الخير عنده في بيته ، فأظهر السلطانُ ما يُفْهم منه أنه لم يجئ بأمره ، وسأله عن موجب حضوره ، فقال : قَصَد

= راجع : « النجوم الزاهرة » (١٦/١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٢٩ – ٣١) .

(١) في « التبر المسبوك » (٣٨٩) أوّله الخميس .

(٢) ما بين الحاصرتين ، بياض في الأصل ، والتصحيح من مصادر (الهامش ٣) .

(٣) هو : محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران ، القاضي بهاء الدين بن علم الدين ابن كمال الدين ، السعدي الإخنائي (نسبة لإخنا بلدة بقرب الإسكندرية من الغربية) المالكي .

له ترجمة في : « التبر المسبوك » (٤١٥ = ٤١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٨/٩) رقم ٩٨) .

(٤) وهو : بدر الدين محمد ، وُلد في جمادى الأولى سنة ٨١٧ هـ . ترجم له « السخاوي » في « الضوء اللامع » (١٩٦/٩ رقم ٤٨١) ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

(٥) وُلد في ربيع الأوّل سنة ٧٨٤ هـ بالقاهرة . راجع ترجمته في « الضوء اللامع » (٥٩/٧ رقم ١١٨) .

(٦) راجع « هامش ٥ » من (ص ٨٦) .

نَفْع السلطان . فقال : إن الناس يبغضونه ، ولا يَرْضون به ، ولكن يذهب إلى الحجاز . فقال المسؤول : من فضل مولانا السلطان أن يرى وجْهَه ، ثم يذهب . فقال : دعْه يطلع يوم الجمعة .. فقال : ترسمون له أن يطلع مع أمير المؤمنين . فقال : لا ، بل يرسله أميرُ المؤمنين مع أخيه[1] ، ولا يُكلِّف ذلك بنفسه ، وكان قد شاع أن بعض من له غرض في أذى ناظر الخاص من الأكابر أرسلوا إليه من النَّقد ما اجتمع له منه خمسة عشر ألف دينار ، وأنه يريد أن يكملها عشرين ، ويدفعها للسلطان عند سلامه عليه .

وصول ناظر جدة

وفي يوم الأربعاء سابع عشريه[2] ، وصل[3] جانِبَك ، ناظر جُدّة ، وكان أشدَّ الناس عداوة لأبي الخير ، وكان من أكابر الأجلاب ، ذا طَيْش وجرْأة وإقدام وطلاقة في اللسان ، فلاقاه ناظرُ الخاص إلى البِرْكة ، أو أعلى منها ، وأعْلَمَه بالأمر ، وشدّ عَزْمه في الكلام في نقضه ، ففعل ذلك يوم الخميس ثامنه ، وأعلم السلطان ، أن الناس على قلب رجل واحد في بغضه ، والإنكار لإتيانه ، وأنهم تحرَّكوا لفتنة لا يُدْرى ما عاقبتها ، وكثَّر له في ذلك ، فقال السلطان : غدًا أَضْربه، وأَنْفِيهِ ، فلما أصبح يوم الجمعة تاسعه ، طلع أبو الخير[4] ، فرسم السلطان به إلى البرج[5] .

---

(١) وهو : أبو المحاسِن يوسف المستنجد بالله ، تولى الخلافة بعد خلع أخيه أبي البقاء حمزة القائم بـأمر الله لنفسـه ؛ بعد فشل ثورة شارك فيها مع الجند ضد السلطان الأشرف إينال ، وذلك في جمادي الآخرة سنة ٨٥٩ هـ . « حسن المحاضرة » (٩١/٢) .

(٢) هكذا ورد في الأصل ، ويبدو أن البقاعي وهم في ذلك ، لِأن الأربعاء يوافق سابع الشهر ، وليس سابع عشريه ، وهو ما يتَّفق مع سياق الأحداث وتسلسلها التأريخي ، كما أثبته البقاعي نفسه ، حيث أَرّخ ليوم الثلاثاءِ بسادس الشهر ، ويوم الخميس بثامنه ، ثم إن أيام الأربعاء في هذا الشهر توافق التواريخ التالية : ١٤ ، ٢١ ، ٢٨ .

(٣) أَرَّخ (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (٤٤١/١٥) ، وصوله بيوم الخميس ثامِن شعبان ، وأضاف أنه وصل وصحبته قُصَّاد الحبشة مِن المسلمين .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (٤٤١/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٩) ، أنه طلع إلى السلطان بصحبة عبد العزيز بن يعقوب بن أخي أمير المؤمنين ؛ يشفع فيه على لسان عمّه .

(٥) في « النجوم الزاهرة » (٤٤١/١٥) : « ثم أمر بحبسه بالبرج مِن القلعة » . راجع أيضًا « التبر المسبوك » (٣٨٩) .

وكان يوم الأربعاء هذا سَلْخ مسرى ، آخر السنة القبطيّة ، وفيه وصل البحرُ إلى عشر أصابع من ثمانية عشر ذراعًا[1] .

ضرب أبي الخير النحاس

وفي يوم السبت عاشره ، ضرب السلطانُ أبا الخير النَحَّاس أكثر من خمسمائة عصىً[2] ، ورسم[3] على الشّمْس التُرَيْكي من عند والي[4] الشرطة ، واختفى القاضي محي[5] الدين الطُّوخي ، والشهاب أحمد[6] ابن القاضي شمس الدين التَّنَسي ، وأُحضر التُّرَيْكي إلى القاضي المالكي ، فادَّعى عليه الشّرَفُ الأنصاري ، الذي تولَّى وظائف أبي الخير ، بأنَّه التزم عن أبي الخير بمائة ألف دينار ، وَرُدَّ إلى بيت الوالي ، ثم إن السلطان كفَّهم عن هذه الدّعوى ، فادُّعِي عليه ، بأنَّه خاضَ في عِرْض قاضي الشافعية ، الشّرَف يحيى المناوي .

القبض على التريكي

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره ، طلبه السلطان ، فأُطْلع إلى القلعة من

---

(١) أشار (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (١٣١) أن المناداة على النيل بزيادة إصبع لتتمة ثمانية عشر إصبعًا مِن الذراع الثامِن عشر كان يوم ١٣ شعبان ، الموافق لِأوّل توت يوم النيروز ، وهو أول السنة القبطية .

(٢) للمزيد مِن المعلوماتِ راجع « النجوم الزاهرة » (٤٤١/١٥ - ٤٤٢) ، و « التبر المسبوك » (٣٨٩ - ٣٩٠) .

(٣) راجع « النجوم الزاهرة » (٤٤٢/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٩٠) .

(٤) كان في ذلك الوقت (جانِبَك الأشْرَفي اليَشْبُكي) . « النجوم الزاهرة » (١٦٣/١٦) ، و « ص ٢٤٥ » مِن هذا الكتاب .

(٥) هو : عبد القادر بن محمد بن محمد بن علي بن شرف بن سالم ، محي الدين أبو البقاء الطوخي القاهري الشافعي الطوخي ، وُلِد يوم الجمعة ١٢ ربيع الآخر سنة ٨١٢ هـ بالقاهرة ، ومات يوم الأحد ٢٠ رجب سنة ٨٨٠ هـ بالقاهرة .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٩٢/٤ رقم ٧٨٢) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٦١/٢) .

(٦) هو : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله ، الشهاب بن الشمس ابن ناصر الدين السكندري الأصل المصري القاهري المالكي ، ويعرف بابن التنسي ، ولد سنة ٨٢٠ هـ تقريبًا ، يقول السخاوي : « وخالط الأكابر سيما عظيم الدولة الجمالي ناظر الخاص ، وبعده أخذ في الانهباط إلى أن صار كآحاد الناس مقيمًا بالبرقوقية » . مات في المحرم سنة ٨٩٧ هـ . « الضوء اللامع » (٨٩/٢ رقم ٢٦٥) .

سكن الوالي ، من قصر[1] بَشتك ، إلى القلعة في زنْجير ، مرسَّمًا عليه أربعة[2] جبلية ، وشُقَّت به قصبةُ القاهرة ، فلم يُقَدَّر اجتماعه بالسلطان ، فَرُدَّ إلى بيت الوالي ، في التَّرسِيمِ من غير زنجير ، فأرسل إلى الأمير تَمُرْبُغا ، وكان من أصحابه ، يسأله أن يتكلّم له مع السلطان في أن يأخذ منه مهما أراد ، ويفك عنه الترسيم وكان قد عَرَف منه كلُّ أحد الشَّرّ ، والخُبْثَ والمَكْر ، واللّدد[3] ، فخشي تَمُرْبُغا عاقِبَةَ الدّخول معه في أمر المال ، فأبى أن يفعل ما سأله فيه ، فأرسل إلى الشيخ كمال الدين بن الهمام الحنفي ، يَمُتّ[4] إليه بقراءته عليه ، وتردّده إليه ، وكان قد فعل ذلك ، فلما انضم إلى أبي الخير ، أنكر قراءته عليه ، وسأله في هذه الضائقة ، أن يشفع فيه ، فقال : هذا رجلٌ شرِّير ، لا أدخل في أمره . فقيل له : هب أنه كفر ، فهو يُسْلم على يدك . فقال : إنه يقول ما ليس في قلبه ، كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[5] ، قد جاءنا من الغرب خائفًا يترقب من قضيّة نُسِبَ فيها إلى الكفر ، والوقوع في حق الملائكة ، وسأل إرسَاله إلى بعض القضاة ، يحكم بإسلامه ، وقبول توبته ، ففُعِل ذلك ، ثم ما نفعه ذلك ، ولا كان صادًّا له ، ولا زاجرًا عن الخوض في المفاسد ، والتعرّض للمتالف .

---

(١) قصر بشتك : أطلق عليه (المقريزي) في « خططه » (٧٠/٢) قصر بشتاك وذكر أنه كان في عصره أمام الدار البيسيرية ، وهو مِن جملة القصر الكبير الشرقي ، الذي كان مسكنًا للخلفاء الفاطميين ، اشتراه الأمير بدر الدين بكتاش الفخري المعروف بأمير سلاح وأنشأ فيه دورًا واصطبلات ومساكن له ولحواشيه ، فلما مات اشتراه الأمير بشتاك مِن ورثته فجدَّد بناءه وزاد مِن مساحته ، حتى أصبح معلمًا بارزًا مِن معالم القاهرة ، « ارتفاعه في الهواء أربعون ذراعًا ، ونزول أساسه في الأرض مثل ذلك ، والماء يجري بأعلاه ، وله شبابيك مِن حديد تشرف على شارع القاهرة ، وينظر مِن أعلاه عامَّة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين » .

(٢) في الأصل (أربع) .

(٣) اللّدد : أي شديد الخصومة . « لسان العرب » (٣٩٦/٥) .

(٤) يَمُتّ : أي يتقرب إليه . « لسان العرب » (٣٩٣/٢) .

(٥) الحجرات / ١٤ .

وفي هذا الحدّ ، سأل التقي بن عز الدين الشافعي ، الذي كان قاضي طرابُلس ، وكان قد نُسِب إلى قضايا فاحشة ، أن يذهب معه أحدُ أعيان الأتراك ؛ للكشف عليه ، على وجه الحق ، وكان قد نُسب إلى سوء السيرة ، وقضايا شنيعة ، منها : محضر أثبته عَلَى الزَّرْعي قاضي الحنفية بطرابُلس ، وكان نائِبه في حصن الأَكْراد[1] ، أثبت عليه في ذلك المحضر ، أنه ارتكب حال نيابته له بها أمورًا فاحشة اقتضت أنه عزله ، واتصل ذلك بمسامعِ السلطان ، فغضب على كاتِب السّرّ ابن البارزي ؛ لأخذ ولاية الزَّرعي بطرابُلس ، وكان من أتباع ناظر الجيش موسى[2] ، فغضب له ، وكاتب ، بأن ابن عز الدين زوَّر ذلك المحضر عليه ، ومما أعان على ثلب ابن عز الدين ؛ أنه مِنْ طائفة الإسماعيلية[3] ، وأن أقاربه منهم الفداوية[4] ،

---

(١) حصن الأكراد : ذكره (ياقوت) في « معجم البلدان » (٢٦٤/٢) ويقول : « هو حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص مِن جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بلبنان ، وهو بين بَعْلَبَك وحمص ، وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجًا وجعل فيه قومًا مِن الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج ، وأجرى لهم أرزاقًا فتديروها بأهاليهم ، ثم خافوا على أنفسهم في غارة ، فجعلوا يحصنونه إلى أن صار قلعة حصينة منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم » .

(٢) هو : موسى بن علي الشرف الأنصاري . سبقت ترجمته ، راجع « هامش ٥ » مِن (ص ٩٩) .

(٣) الإسماعيلية : طائفة شيعية تنتمي إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السّبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، مِن فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وتعتقد هذه الطائفة أنّ الإمامة بعد رسول الله ﷺ انتقلت بالنص إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم إلى ابنه الحسن ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم تنقَّلَت في بني الحسين إلى جعفر الصادق ثم ابنه إسماعيل ، ثم في بنيه مِن بعده .

للمزيد مِن المعلومات راجع : « الفرق بين الفرق » (٤٦ ، ٢٦٥ – ٢٦٧) ، و « فضائح الباطنية » (١٦) ، و « الملل والنحل » (١٦٢/١ – ١٦٥ ، ١٩١ – ١٩٨) ، و « التعريف » (١٩٨ – ٢٠٢) ، و « صبح الأعشى » (١١٩/١ – ١٢٢ ، و ٢٣٥/١٣ – ٢٤٨) .

(٤) الفداوية : اسم عُرفت به طائفة الإسماعيلية ؛ لِأنهم يُفادُون بالمال على من يقتلونه ، ذكر « العمري » في « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (١٣٨ – ١٤٠) أنهم مِن شيعة سلطان الممالك في عصره (مات سنة ٧٤٩ هـ) وأنَّ مساكنهم في مِصْياف ، وما معها مِن قِلاع على مسامتة ما بين حِمْص وحَمَاة متَّصلة بالبحر الرومي إلى جانب طرابُلس الشام ، كما ذكر أنهم =

أي الذين إذا كان للسلطان غرضٌ في الفتك بأحد ، أرسل أحدًا منهم ، فاغتاله جَهْرًا ، ولهم على ذلك مرتبات ، وإقطاعات يأكلونها هم ، وأعقابهم ، ولهم أنواع من الفسق ، هم بها متجاهرون ، فلما سأل ابن عز الدين الكشف عليه ، ندب السلطانُ لذلك دويداره الثالث ماميه[1] المؤيدي ، وكان شهيرًا بين الأتراك وغيرهم بالخير ، منسوبًا إلى عقل ودين ، وحسن سياسة ، وسافر في هذا الحدّ .

نفي أبي الخير

وفي يوم الأربعاء رابع عشره نُزِل بأبي الخير من القلعة فأُركب بغلة قصيرة ، ووضع في عنقه زنجير طرفه الآخر في جبليٍّ ماشٍ إلى جانب بغلته وقُدّامه ناس من الجند ، ووراءه الوالي معه مماليكُه ، وجبليته محيطون بأبي الخير ، وأحدهم ينادي عليه : هذا جزاء من أكل أوقاف المَرَسْتان ، وأموال اليتامى ، وحلف الأَيْمانَ الباطلة ، وكذب على السلطان ، وهو مع ذلك يُسَلِّم على النّاس ، يمينًا وشمالًا ، كأنَّه غير مكترث ، ولا منزعج ، وإخوته وراءه ، رؤوسهم مُكَشَّفَة وهم يبكون ، وذهب معه دُوَيْدار الوالي لِيسَلِّمه إلى نائب غَزَّة ، يوصله إلى مَنْ يليه ، إلى أن يصل إلى دمشق ، فيُحْبَس في قلعتها ، ورُسم بأن يُنادى عليه تلك المناداة في كلِّ بَلَدٍ يدخله ، واتفق أنَّ صاحبنا الإمام العلّامَة ، كمال الدين بن أبي شريف القدسي ، وصل إلى

= يُسَمُّون في بلاد العَجَم تارة بالباطنية وتارة بالملاحِدة .

كما ذكر أنهم يُسَمُّون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ، كما أنهم يعتقدون أنَّ كلَّ مَن ملك مصر كان مُطهَّرًا لهم ، فلذا كانت تتولّاه وترى إتلاف نفوسها في طاعته ؛ لما تنتقل إليه مِن النَّعِيم الأكبر . فكانت ميزة لصاحب مِصر يخافه بها أعداؤه يقول العمري : « لأنه يُرسل مِن هؤلاء إليه من يَقْتله ، ولا يُبالي أنْ يُقْتل معه ، ومَن بعثه صاحِبُ مصرَ إلى عدوٍّ له ليقتله فَجَبُن ، قتله أهله إذا عاد ، وإن هرب اتَّبعُوه وقتلوه » . راجع تفصيلات أخرى عن هذه الطائفة في « صبح الأعشى » (١/١١٩ - ١٢٢) .

(١) ذكره (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (١٧) في حوادث سنة ٨٤٩ هـ ، كما ذكره في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٠٤ ، ٤٤٧) في حوادِث سنة ٨٥٣ هـ ، وسنة ٨٥٦ هـ ، أما (السخاوي) في « الضوء اللامِع » (٦/٢٣٦ رقم ٨١٦) ، فقد ترجم له دون أن يذكر تاريخ وفاته وقال : « ماميه السيفي بيبغا المظفري ، كان دوادارًا ثالثًا في أيام الظاهِر جقمق ... » .

القاهرة في هذا الوقت ، فدخل من باب الفتوح ، وخرج أبو الخير من باب النصر ، فلم يره ، فحدّث بذلك شيخَنا إمامَ الوقت قاضي القضاة سعد الدين بن الدَّيْرِي الحنفي ، فقال له : فأل والله صالحٌ ؛ دخلت من باب الفتوح ، وخرج من باب النصر[1] .

فتح سد بني منجا

وفي يوم الخميس ، النصف من شعبان المذكور ، وهو الموافق لثالث توت[2] ، وهو يوم الْمَهْرَجان[3] عند القبط فُتح سدُّ بني مَنْجَا[4] ؛ لينبسط الماءُ على ما وراءه من الأراضي ، وكان الماء قد بلغ في المقياس إلى اثنين وعشرين إصبعًا من ثمانية عشر ذراعًا ، وانقطع السدُّ بمن كان يفتحه قبل فراغهم[5] ؛ فمات منهم ناسٌ ، المُكْثِرُ يقول : مائة ، والمُقِلُّ يقول : عشرة ، فالله أعلم بعِدَّتهم ، فنقص البحر [٢٨] إلى يوم الأحد ثامن عشره ، عَشْـرَ أصابع ، وزاد في يوم الأحد أربعًا ، نُودِي بها في يوم الاثنين تاسع عشره ، وكذا في يوم الثلاثاء . ونُودي في يوم الأربعاء بزيادة خمس أصابع ، فَأَوْفَى الله ثمانية عشر ذراعًا وإصْبعًا ، من التاسع عشر ، ونودي في يوم الخميس بزيادة أربع أصابع ، وفي يوم الجمعة بثلاث ، فذلك ثمانية

---

(١) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٣) ، و « التبر المسبوك » (٣٩٠) .

(٢) توت : أول السنة القبطية ، فيه يكون تمام ماء النيل وافتراشه سائر أرض مصر ، لذا يتم فيه استخراج خراج مصر ، وجباية أموالها ، وفي أول تـوت هذا يكون يوم النوروز ، وسابع عشره عيد الصليب . « صبح الأعشى » (٢/٣٨٣) ، و « خطط المقريزي » (١/٢٧٠) .

(٣) يوم المَهْرَجَان : هو العيد الثاني من أعياد الفرس أول مَنْ عمله مِن ملوكهم (أفريدون) عندما قتل الضحاك (بيوراست) فجعل يوم قتله عيدًا أسماه المهرجان ، وكان ذلك بعد حدوث عيد (النيروز) بألفي سنة وعشرين سنة . « صبح الأعشى » (٢/٤٢٠ – ٤٢٢) ، و « خطط المقريزي » (١/٢٦٨) .

(٤) راجع : « هامش ٤ » (ص ١٣٦)

(٥) يذكر (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (١٣١) أنَّ الذي توجه لفتح السّد هو الزَّيْني الإسْتَدَّار ، ويقول : « واتفق أمرٌ مزعج ، وهو أنه لمّا وقف الوالي على الجسر ، وفُتِح السدّ مِن عِدَّة أماكِن ، والناس وقوف للتفرج ، وطائفة مِن العوام على الجسر المذكور ، وقد عمل الماءُ مِن تحته فانهار بهم الجسر ، ونزلوا البحر فأرادوا النهوض ، فانهار عليهم جرْفٌ آخر ، فطمّ الجميع فماتوا عن آخرهم ، ولم يوقف لهم على خبر ، وكانوا زيادة على العشرين » .

أصابع من الذراع التاسع عشر ، وهو ما انتهت إليه الزيادة في العام الماضي .

خشكلدي الدويدار

وفي هذا الحد ، وهو نصف شعبان سنة ست وخمسين ، سافر خُشْكَلدي مملوك ابن الكُوَيْز ، وأحد دُوَيْداريَّة السلطان [الصغار إلى][1] دمشق على وظيفة دويدارية السلطان بها ، ونقل الدويدار الذي أخذ عنه وهو [طُوغان[2] مملوك آقبردي المِنْقار][3] إلى نيابة الكَرَك[4] ، وكان مشكور السيرة ، محبًّا للفقهاء والفقراء شديد القيام معهم في القضايا المعضلة ، ونُقل نائب الكَرَك الحاج إينال[5] إلى دمشق أميرًا ، وكان أيضًا مشكور السيرة بالكَرَك[6] .

الحكم على التركي

وفي هذه الحدود أُعيد الإمام محب الدين بن الأقصرائي إلى الإمامة ولمّا طال أمر التُّركي[7] عند المالكي[8] ، ولم يَبُتَّ فيه أمرًا ، وكان رجلاً ليِّنًا ،

---

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح مِن « الضوء اللامع » (١٧٧/٣) .

(٢) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح مِن « النجوم الزاهرة » (٤٤٠/١٥) .

(٣) هو : طوغان السيفي آقْبَرْدِي المنقار ، يصفه (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (١٦٢) ، ويقول : « كان مهملًا وضيعًا أهوجًا ظالمًا سيئ الخلق ، إلّا أنه كان مشهورًا بالشجاعة مع طيش وخفة » ، مات قتيلًا بيد العربان سنة ٨٥٦ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٦٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢١/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٠١) ، و « الضوء اللامع » (١٢/٤ رقم ٤٣) .

(٤) الكَرَك : قلعة حصينة جدًّا في طرف الشام مِن نواحِي البلقاء على سنّ جبل عال تحيط بها أودية إلّا مِن جهة الربض ، تقع بين أَيْلة ، وبحر القُلزُم ، وبيت المقدس . « معجم البلدان » (٤٥٣/٤) .

(٥) هو : إينال اليشبكي ، يَشْبُك الجَكَمي ، ويقال له : حاج إينال ، ونسبه بعضهم مؤيّديًّا ، مات ليلة الخميس ٢٧ شعبان سنة ٨٦٦ هـ بحلب ، وقد قارب الستين مِن العمر .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٧٩١) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٧/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٣٠/٢ رقم ١٠٨٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١١٣ - ١١٤) .

(٦) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٤٤٠/١٥) .

(٧) هو التُّرَيْكي ، المتقدم ذكره ، راجع « هامش ٥ » من (ص ٨٦) .

(٨) أي القاضي المالكي ، وهو في هذه الفترة ، ولي الدين محمد بن محمد السنباطي ، راجع « النجوم الزاهرة » (١٥/ ٤٦٠) و « هامش ١ » من (ص ٦٩) .

خَوَّافًا ، عُلِم أنه لا يَشْفي فيه غليلًا ، ولا يُغني كثيرًا ولا قليلًا ، نُقِل إلى الشافعي[1] ، فادُّعى عليه عند نائبه القاضي نجم الدين[2] بن النَّبيه ، أنَّ أبا الخير ودَّع عنده لـمَّا جرت له تلك الكائنة سبعة آلاف دينار ؛ وضمّ إليها في قدمته هذه ثلاثة آلاف ، وأمره أن يوصل ذلك إلى السلطان ، فقال : إذا طلعت إليه ، فَسَلَّمت عليه ، طلعت بها ، فأنكر ذلك ، وحلف على عدمه في جامع الأزهر ، ثم أُقيمت عليه البيِّنة بذلك ، وأعذر إليه فيها ، فقال عن بعضهم أنه لا يعرفه ، واستمهل في إبداء الدافع في البقيَّة ، فأُمْهِل ثلاثة أيام ، ثم سُئل في الرابع ، وهو يوم الخميس ثاني عشري شعبان هذا ، فلم يُجِب ، فاستمر يُكَرّر عليه السؤال إلى العصر ، وهو ساكت فهدَّده القاضي فأجاب بأن بَيْنَه وبينهم عداوة . فقال : كلهم ، أو بعضهم . فقال : كلهم . فقال : قد قلت في فلان أنك لا تعرفه ، فكيف تعادي من لا تعرفه ؟ هذه مناقضة ولَدَدٌ ! ! ، ثم أمر نائبه ببت الحكم ، فحكم بإلزامه المال ، لبيت المال .

وفي ليلة السبت ثالث عشري شعبان ، تُوفِّي الشيخ الإمام ، العالم ، القُدْوَة المسنَد ، محب الدين محمد[3] قاضي القضاة رضي الدين محمد المطري الأنصاري الخزرجي المدني الشافعي ، بالمدينة الشريفة ، كما رأيته في

---

(١) أي القاضي الشافعي ، وهو في هذه الفترة ، شرف الدين يحيى بن محمد المناوي ، راجع « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٥٩) ، و « هامش ٢ » من (ص ٦٤) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، نجم الدين القرشي الشاذلي الشافعي ، المعروف بابن النبيه ، وُلِد في ليلة ٢٧ رمضان سنة ٧٨٧ هـ بالقاهرة ، وكان مِن أعيان نوَّاب الشافعية ، وولي أمانة الحكم ، مات في رجب سنة ٨٦٢ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٩/٢٦٩ رقم ٧٠٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥٦) .

(٣) هو : محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ، محب الدين أبو المعالي بن قاضي القضاة الرضي بن حامِد الأنصاري الخزرجي المطري الأصل المدني الشافعي المعروف بابن المطري .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٦٥٨) ، و « التبر المسبوك » (٤١٦ – ٤١٧) ، و « الضوء اللامع » (٩/١٠١ رقم ٢٦٢) .

كتاب بعض المدنيين إلى بعض إخوانه بالقاهرة ، وكان قد صلى الجمعة مع النّاس ، ولم يكن به بأس ، بل رقد بعد العشاء رقدةً واستيقظ ، فطلب عشاءً فتعشى ، ثم نام ، فلمّا طلع الفجر نُبِّه لصلاة الصبح ، فإذا هو ميت رحمه الله ، هكذا أُرِّخ ، السبت الثالث والعشرين ، فكان أول شعبان عندهم الجمعة ، ولم يخلف بعده مثله بالمدينة الشريفة ، علمًا ، وديانةً ، وشيخوخةً ، وإسنادًا ، وكان مولده في رمضان سنة ثمانين وسبعمائة ، فكان عمره ستًّا وسبعين سنة ، إلا أيامًا .

قصة للبحر

ثم فُتح مِن الأسداد ما اقتضى نقص البحر أربع أصابع في يوم السبت والأحد ، وفي يوم الاثنين زادها ، ونودي بها يوم الثلاثاء سابع عشري شعبان المذكور .

الحكم بنفي التركي وضربه

وفي هذا اليوم ، طلع القضاة وبعض العلماء إلى السلطان ، بطلب منه لهم ؛ لأجل ابن التُّرْكي المغربي ، فسئل القاضي الشافعي عما ثبت عليه ، فقال : ثبت عند نائبي عليه عشرة آلاف دينار لبيت المال . فقال السلطان : فهل ثبت غيره ؟ فقال : ثبت أنه فاسق ، شاع في الأرض بالفساد ، مجترئ على الأَيْمان الحانثِة الغموس بالله ، وبالطلاق . فقال : فما يجب عليه ؟ ، فقال : التعزير بما يراه السلطان أهلًا له ، من الضرب والنَّفْي . فأمر السلطان بضربه ؛ فَبُطِح على الأرض ، وضُرب نحو ثلثمائة عصًى ، ثم أُقيم ، ثم قال السلطان : أين المحضر الذي جاء من الشَّام ؟ فأُعطي للقاضي الشافعي ، فناوله لنائبه النجم بن النّبِيه ، فقرأه ، فإذا فيه : إنه ثبت عليه بشهادة شاهِدَيْن ، من أهل الفَضْل ، أنه ذكر الحديث الذي أخرجه الشّيْخان[1] ، وغيرهما عن عمر[2] بن أبي سلمة المخزومي ،

---

(١) الشيخان : البخاري ، ومسلم .

(٢) هو : عمر بن عبد الله ، ابن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي المديني ، وُلِد بأرض الحبشة ، ومات سنة ٧١ هـ ، أو ٨٦ هـ . =

ربيب[1] النبي صلى الله علم[2] ، أنه أكل مع النبي صلى الله علم ، فكان يأكل من غير موضع واحد . فقال النبي صلى الله علم : يا غلام ، سَمِّ الله وكل مما يليك[3] . فقال التُّرْكي هذا : لا إله إلا الله ، إنّ بُغْضَ الرَّبيبِ لَقَدِيمٌ ، أَوْ نَحْو هذا ، مما لا يخفى ما فيه ، من انتهاك الحرمة ، فقيل له : لا يُظن برسول الله صلى الله علم في هذا غير قصد التأديب ، فحمله حُبُّ نَفْسه على أن قال للذاب عن رسول الله صلى الله علم : أسكت ، فكان ذلك منه كالتصريح بذلك ، فَسَأل السلطانُ المالكيَّ ، ماذا يجب عليه ، فَتَلَكَّأَ ، فقال الشّافعيُّ : يا مولانا ، أحسن الأشياء في حقّنا ، وحَقِّهِ ، أن يُنْفَي إلى بلاده ، ونستريح من قضاياه ، فأمر السلطانُ بوضعه ثانيًا ، ثم ضُرب حتى كان مع الأول نحو خمسمائة عصًى ، ثم أمر به إلى السِّجْنِ فَوُضِع في سجن الرَّحْبَة ، وأُعْلِم السلطانُ بما هُرِّب لأجله إلى هذه البلاد مما وقع فيه ، في بلاد المغرب ، فَرَسَم بنفيه[4] ، وأنْ يُكتب إلى صاحِب تونس ، أبي عمر وعثمان[5] بن المنصور بن أبي فارس : « إنّا لم نكن نعلم ما وقع لهذا

= له ترجمة في : « التاريخ الكبير » (١٣٩/٦ رقم ١٩٥٣) ، و « الكامل في التاريخ » (٥٢٥/٥) ، و « البداية والنهاية » (٣٢٣/٨) .

(١) ربيب : يقال لابن أو بنت امرأة الرجل مِن غيره ، أو لزوج الأم لها ولد من غيره ، أو لإمرأة الرجل إذا كان له ولد مِن غيرها .

وعمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ ؛ لِأنه ابن أمّ سَلَمة زوج النبي ﷺ ، وعاصم ابن عمر بن الخطاب ، وأبوه أبو سَلَمة . راجع : « لسان العرب » (٣٩٠/١) ، و « محيط المحيط » (٣١٩) .

(٢) درج البقاعي في كتابه هذا ، على اختصار جملة (عليه وسلم) بكلمة (علم) .

(٣) نص الحديث في « صحيح البخاري » (باب الأكل مما يليه) (١٩٦/٦) : « حدّثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك عن وهب بن كَيْسان أبي نُعَيْم قال : أُتِي رسول الله ﷺ بطعامٍ ومعه ربيبُه عُمَرُ بنُ أبي سَلَمة ، فقال : سَمِّ الله وكُلْ مما يليك » .

(٤) راجع المزيد مِن المعلومات في « النجوم الزاهرة » (٤٤٣/١٥ - ٤٤٤) ، و « التبر المسبوك » (٣٩٠ - ٣٩١) .

(٥) هو : عثمان بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر المتوكل على الله أبو عمر ، أو أبو سعيد بن أبي عبد الله بن =

الرجل معكم ، فأقام في بلادنا ، فسعى فيها فسادًا ، وأوقد نارَ الفِتَن بين أكابر العباد ؛ فَادُّعي عليه عند قاضي الشّرع ، فثبت فسقه ، وعُزِّر بما يليق به ، من ضرْب وسجْن ، ولما تواتر لدينا ما اتُّفق له في بلادكم ، من مِثل ما اتُّفق في بلادنا ، من ارتكاب الجرائم ، والاقتحام في العظائم [٢٩] جهّزناه ؛ بحكم حاكم الشّرع إليكم ، وأقْدَمناه عليكم ، لِتُقِيموا عليه ما أقمناه مِن أحكام الله ، مما يكون رادِعًا لِأمْثاله ، وصادًّا لِأشْكَاله ، عن انتهاك المحارم[1] ، والاعتماد على المراحم » . ثم قدم في آخر شعبان هذا ، رسولٌ ، يُقال له : الخولاني . من عند أبي عمرو المذكور ، بكتب يخبر فيها أنه جَهّز مالًا يُشْترى به سلاحٌ ، يوقَف في ثغور[2] بلاد السلطان ؛ لتكون له به ذكر جميل ، وقرْبة إلى العظيم الجليل ، فقصّ هذا الرسولُ قِصّةَ التركي في بلاده ، من أنّه زوَّر على قاضي[3] الجماعة بمدادٍ لا يَكْتب به إلا هو ، أنه ولّاه أنظار أحباس[4] ابن عرفة ، وأوقفَ السلطانَ أبا عمرو المذكور

= أبي فارس بن أبي العباس الهنتاتي (قبيلة مِن البربر) . وُلِد سنة ٨٢٠ هـ تقريبًا بتونس ، وتولى ملك تونس سنة ٨٣٩ هـ ، واستمر ملكًا ٥٤ سنة حتى مات في شعبان مِن سنة ٨٩٣ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٣٨/٥ رقم ٤٧٩) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢٥٣/٢ - ٢٥٤) ، و « شذرات الذهب » (٣٥٤/٧) .

(١) المحارم : في « محيط المحيط » (١٦٤) « المحارم ما يُحْمَى مِن كل شيء ، وما حرَّم الله تعالى ، يُقال : اتّقوا محارم الله » .

(٢) ثغور : الثّغر ، ما يلي دار الحرب ، أو البلاد القريبة مِن الكفّار ، أو موضع المخافة مِن فروج البلدان ، فهو الحد الفاصل بين بلاد الإسلام ، وبلاد الكفر .

والثغور ثلاثة أقسام : برية وهي التي تلقى وتقارب بلاد العدو مِن البر ، وبحرية وهي التي تلقاه مِن جهة البحر ، وبحرية برية وهي التي تلقاه مِن جهة البر والبحر . راجع « الأنساب » (١٣٦/٣ = ١٣٧) ، و « لسان العرب » (١٧١/٥) ، و « التعريف » (٨١) ، و « صبح الأعشى » (١٣٠/٤ = ١٣١) .

(٣) قاضي الجماعة : يذكر القَلْقَشَنْدي في « صبح الأعشى » (١٤٠/٥ ، ١٤٦) ، أنَّ قاضي الجماعة بمملكة تونس مثل قاضي القضاة بالديار المصرية .

(٤) أَحْبَاس : جمع حُبْس ، وقد جاء في « محيط المحيط » (١٤٣) حبَّس الفِراش ستره بالمِحْبَس ، الشيء أبق أصله وجعل ثمره في سبيل الله ، وأحْبَس فرسه وقفه في سبيل الله ، والحبْسُ ما وُقف في سبيل الله ، والحُبُس كل شيء وقفه صاحبُه لوجه الله ، حيوانًا كان أم أرضًا أم دارًا ، أم غيرها ، يُحْبَس أصلُه ، وتُسَبّل غلتُّه ، وهو جمع حبيس .

عليه ، فأمْضَى له السلطانُ ذلك ، فحضر في اليوم الثاني مجلس السلطان ، وجلس فوق كلٍ من فيه ، من قاضٍ وغيره ، فكان إلى جانب السلطان ، فلما وُضِع الأكل ، وُضِع بين يدي السلطان ما جرت عادتهم في المغرب أنه يختص به ، ولا يمد أحدٌ يَده إليه ، حتى يأخذ السلطانُ منه حاجتَه ، ثم يأمر بتفرقته على الحضور ، فلما مَدَّ السلطانُ يَدَه ، مَدَّ التركيُّ يدَه إلى حيث مدها السلطانُ ، فحصل له بذلك من العظمة في نفسه ما أطاش عَقْلَه ، وكان في البلد امرأة في غاية الجمال ، تحت نقيب[1] الأشراف ، فأرسل إليها ورقةً بخط يده يستدعيها ، ومن جملة ما في الورقة : « إنك ، ما أنت مِن البشر ، إنما أنتِ حورية من الجنان ، ولكن غفل عنك رضوان، حتى خرجت » . وفي اليوم الثاني عاد إلى مجلِسِه ومأكلِه ، فاجتمع قاضي الجماعة ابن عُقاب[2] بالسلطان بعد انفضاض المجلس ، وَشَكى إليه ما فعل هذا من قلَّة الأدب ، فقال له السلطان : أنت قَدَّمته ، فأنكر القاضي ذلك ، فأحضر له السلطان خَطَّه ، فأنكره ، وقال : هذا زور ، اطْلُبه ، فَطَلبه ، فاختفى ، وَأَرَتِ امرأةُ نقيبِ الأشراف زوجَها ما أرسل فأحضره إلى

---

(١) نقيب الأشراف : وهو المعروف قبل العصر التركي بـ(نقيب الطالبيين) ، وهو صاحب وظيفة كانت من وظائف أرباب السيوف يختص بها الأستاذون غير المحنَّكين ، لذا استُصحِب هذا المعنى في نقيب الأشراف في العصر التركي فكُتب في ألقابه (الأميري) رغم أنه أصبح من ذوي الأقلام ، وقد اعتبرت وظيفة نقيب الأشراف في هذا العصر من الوظائف الدينية المختصة بشخص واحد ممن لا مجلس له بالحضرة السلطانية .

وموضوعها : التحدث على ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، في النظر في أمورهم ، والفحص عن أنسابهم ، والتحدث في أقاربهم ، ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء ، وإذا ارتاب بأحد أخذه بإثبات نسبه ، وعليه أن يعود مرضاهم ، ويمشي في جنائزهم ، ويسعى في حوائجهم ، ويأخذ على يد المعتدي منهم ، ويمنعه من الاعتداء .

وهي وظيفة جليلة ، ومرتبة نفيسة لا يكون فيها إلَّا من هو أجلّهم قَدْرًا ، ولا يقطع أمرًا من الأمور المتعلقة بهم إلاَّ بموافقة مشائخهم . راجع « صبح الأعشى » (٣/٢٧٣ = ٢٧٤ ، ٤٨١ = ٤٨٢ و ٤/٣٧ = ٣٨) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد ، العلَّامة أبو عبد الله بن عُقَّاب ، قاضي الجماعة بتونس ، مات بها سنة ٨٥١ هـ . « الضوء اللامع » (١٠/١٦ رقم ٤٢) .

السلطان ؛ فاشتدَّ طلبه له ، فاستَمَرّ مختفيًا حتى قَدِم مع الحجاج . قال هذا الرسول : فأرسلني السلطانُ بكتاب أمَرَ فيه أن أردّه ، حيث وجدته موثَقًا ، فلم أجده إلا في هذه البلاد فما أمكنني ذلك . وحَدَّث أنّ أمَّهُ مُغَنِّية ، يُقال لها بنت ابن عَرَابة ، وأن اسم أباها ابن عَرَابة هذا ، (وهو بفتح المهملتين ، وآخره باء موحده مخففًا) كان مسخرة[1] في تونس ، ثم صار يُضْحك السلطانَ ، فعظم أولادُه بسبب ذلك ، العظمة التي تحصل لِأمثالهم ، ثم لما نَشأ هذا اشتغل بالعلم ، فصار في هذه الرَّقَاعة[2] ، وهذا الفجور اللَّذين لا يكونان إلا ممن هذا أصله ، فزاد عليه[3] الأمر شدَّة ؛ بسبب هذا الرسول ، واستمر في السجنِ حتى ضُبط موجوده ، وكان ادعى أنّ ذلك كله ملك ولده ، فقيل له : إن كان لك فقد ثبت في جهتك مالٌ عظيم لبيت المال ، وإن كان لولدك ، فولدك هاهنا مع أُمّه ، وأنت قد ثبت فسقك ، فَلاَ ولاية لك عليه ، فولِيه القاضي ، فالمال تحت يده ، لا تذهب منه بشيء ، فلما انتهى ذلك وُضِع يوم الأربعاء في زنجير طرفه في عنقه ، والطّرَف الآخر في عنق جَبَلِي ، وأُخْرِج من سجن الرَّحْبَة إلى بيت الوالي في قصر بشتك ، ثم شقت به القصبة[4] ، حتى خرج من باب زُوَيْلة ، فلما مرَّ تحت الرَّبْع[5] على دكان أبي الخير النَّحّاس ، قال له قائل : انزل هاهنا ، فَقَبِّلْ عتبة هذا الدكان التي أوصلتك إلى هذا الموصل ، وتذكّر ما لها عليك من الأيادي ؛ حيث أنزلتك هذا المنزل . وقال له : إن أمَّك المغنية ستلقاك بدفّها[6]

شهر رمضان سنة ست وخمسين

---

(١) مسخرة : عند العامّة كلّ ما يسخر منه . « محيط المحيط » (٤٠١) .

(٢) الرَّقَاعة : الحمق . « لسان العرب » (٩/٤٩١) ، و « محيط المحيط » (٣٤٦) .

(٣) أي على التُّرَيْكي .

(٤) القصبة : مِن أعظم أسواق مصر ، عامرة بالحوانيت ، غاصّة بأنواع المآكل والمشارب والأمتعة ، ومِن أهم أسواقها : سوق باب الفتوح ، وسوق المرحلين ، وسوق حارة برجوان وغيرها . « خطط المقريزي » (٢/٩٤ – ٩٥) .

(٥) الرَّبْع : جاء في « محيط المحيط » (٣٢٠) : « الرَّبْع مصدرٌ ، والدار بعينها حيث كانت ، جمعها رِبَاع ورُبُوع وأَربُع وأرباع ، والرَّبْع أيضًا المحلّة والمنزل ، وما حول الدار .

(٦) بدفها : الدُّفُّ « هو الذي يُضْرب به من آلات الطرب ، وهو نوعان : مربّع ومدوّر ، والمدوَّر منه صغير ويُعَرف بالدائرة ، ومنه كبير ، ويقال له : المزهرج . « محيط المحيط » (٢٨٥) .

من باب تونس تدفن[1] ، وتقول : ابني ذا الخنزير[2] جاني في زنجير ، ابني ذا الخنزير جاني في زنجير . وكان يُقال له : أنت تركي خارج الدَّار ، وقيل : لم يُر خامسٌ مثل هذا ، يشير قائل ذلك إلى ما شاع بين كثير مِمن لم يَقِر الإيمانُ في قلبه ، أن بعض أيام الشّهر مَشؤومة ، وهي الموافقة للأحرف المنقوطة من قول الشاعر :

محبك يرعى هـواك فهـل تعـود ليـال بظـل الأمـل

ومنها خامس الشهر ، كما ترى .

ومن طريف ما وقع ، أنه كان تحته على الحمار الذي ركبه نِطْع ، فقيل : هذا هَيَّأ النِّطْع[3] ؛ لأنه قادِمٌ على السَّيف ، فَتُضْرَبُ عنُقُه على نِطْعه ، وَرُسم أن يكون كذلك ، ومعه من يحفظه من الجند والجَبَلِيَّة إلى الإسكندرية ، ثم يجهّز معه من إسكندرية في أول مركب تتجهز من يحتفظ به ، وهو في زنْجيره إلى أن يُدْخله إلى تونس كذلك ، ويُعِيد جواب صاحب تونس بوصوله .

ولما وضعوه في المركب ، قال لهم رسول صاحب تونس إنه يخشى أن يرمي نفسه في البحر ، فيغرق هو والجَبَلِي المقارن له فَفُكَّ الزنجير من عنق الجبلي ، وَلُفَّ على الخشبة المسماة في المركب [٣٠] بالعروس ، وأقفل عليه ، نعوذ بالله من سخطه الموجب لسخط عباده ، وأخبر الذين وكلوا به ، أنه ما مَثَلَ لله تعالى ، من حين صحبوه إلى أن فارقوه صلاة واحدة .

---

(١) تدفن : من معاني الدَّفْن في « لسان العرب » (١٢/١٧) هو الإنسان الذاهب على وجهه في غير حاجة كالآبق .

(٢) الخنزير : حيوانٌ قذر ، سمج الشكل ، صعب المِراس ، حرم الله تعالى علي المسلمين أكله . راجع « محيط المحيط » (٢٥٧) .

(٣) نطع : النطع ، بساط متخّذ مِن الأديم ، وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها ، ومع كل واحدة فتح الطاء وسكونها . « المصباح المنير » (٢/٢٨٠) .

وفي أوائل شهر رمضان سنة ست وخمسين المذكورة ، سافر المحب ابن الشحنة ، بعد أن رأى من تنكر الناس [له واستثقالهم][1] به ، وإعراضهم عنه [ما آيسه][2] من تحصيل شيء مما ذهب منه ، وخاف من زيادة أذًى ، كما حل بالتركي ، وهو كان صديقه[3] .

سفر ابن الشحنة

وفي أوائل العشر الثاني من شهر رمضان ، رُفع إلى السلطان ما يَعْمل أبو الخير بن الكوم الريشي[4] ، نقيب القاضي الشافعي ، يحيى المناوي من البوائق[5] ، فأرسل إليه ، أن يعزله ، فأظهر أنه عزله من النقابة ، واستمر على عادته في بيته ، فأظهر أنه يكتب مع مباشري الحرمين ، فلم يحصل ما أراد السلطان ، فَظُن أحدُ أمرين ؛ إما أن يكون[6] راغبًا في إقامته لِمَا ذاق منه من المنافِع التي لا يقوم غيره فيها مقامه ، وإما أن يكون اطَّلع منه على ما يخشى مجافاته معه ، والله أعلم ، ثم شُدِّد النّكير عليه بما اقتضى منعه عن بابه أصلا .

قصة نقيب الشافعي

وفي أوائل هذا الشهر فيما أظن ، وردت مكاتباتٌ من دمشق ، بأنّ

---

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح مِن مفهوم السياق .

(٢) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح مِن مفهوم السياق .

(٣) في « حوادث الدهور » (١٣٢) ، إشارة إلى أنَّ ابن الشحنة حدَّثته نفسه أن يلي كتابة سرِّ القاهرة في حياة (الكمال البارزي) ، فلم يصل ، وعندما مات اجتهد في السعي في ذلك ، وبذل مالًا كثيرًا ، ووعد بأشياء كثيرة ، لكن السلطان ولّاها المحب بن الأشقر .

كما جاء في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٤) أن ابن الشحنة سافر من القاهرة ١٨ رمضان سنة ٨٥٦ هـ ، « بعدما أقام بها شهرًا ، وقاسى مِن الذّل والبهدلة أنواعًا ، ورُسم عليه غير مرة ، وأُخرجت عنه وظيفتا كتابة سر حلب ونظر جيشها » .

(٤) هو : محمد بن حسن بن علي بن أبي بكر خير الدين أبو الخير السبكي الريشي الأصل القاهري الطولوني الشافعي ، المعروف بالكوم الريشي ، مات في جمادي الأولى سنة ٨٧٣ هـ . « الضوء اللامِع » (٧/٢٢٦ رقم ٥٦١) .

(٥) البوائق : جاء في « محيط المحيط » (٦٠) : « باق الرجلُ يبُوق بَوْقًا وبُؤُوْقًا ، جاء بالشرّ والخصومات ، وتعدَّى على إنسان ، أو هجم على قوم بغير إذنهم » .

(٦) أي السلطان .

الحاجب ، وجماعة من جهة النائب كبسوا النّاس في الرُّبْوَة[1] لِيُنَقُّوا ما عندهم من الفساد ، فرجموهم ، فاشتاط السلطان غضبًا لذلك ، وأمر بأن يُغزى أهلُ دمشق ، وعيَّن جيشا لذلك ، ولم يزل من له الأمر في ترجيعه عن ذلك إلى أن رجع ، وأرسل إليهم من صادرهم في عشرين ألف درهم فضَّه .

قصة الحصني

وفي أواخر هذا العشر حصل بين التّقي[2] أبي بكر الحصني الشافعي ، شيخ إحدى مدارس الزّين يحيى الإسْتَدَّار ، وبين زوجته بنت الجمال[3] بن هشام الحنبلي شَرٌّ ، وكأنها كانت تكرهه ، فرفعت أمرها إلى قاضي الحنابلة ، البدر بن البغدادي ، وكان أراد أن يزوجها لشخص من جماعته ، فخطبها الحصني ، فمالت أمها إليه ، وأسمعت الحنبلي ما يكره ، فتزوجها الحصني برغم الحنبلي ، فلما رفعت شكواها إليه ، طلب الحصني فامتنع ، وطلع إلى السلطان ، فتكلَّم في الحنبلي ، فبلغ الحنبلي ، فطلع إلى السلطان ، وأنهى إليه أن زوجة الحصني شكت منه أمورًا قبيحة شديدة الشناعة مستهجن ذكرها ، وجمع المرأة وأمها بالسلطان ، فشافهتاه بذلك على ما قِيل ، فزاد

(١) الرُّبْوَة : جاء في « معجم البلدان » (٢٦/٣) بضم أوّله وفتحه وكسره ، والضمُّ أجود ، وأصله ما ارتفع مِن الأرض ، وهو موضع بدمشق في لحف جبل ، ليس في الدّنيا أنزه منه .

(٢) هو : أبو بكر بن محمد بن شاذي التقي الحصني الشافعي ، وُلد سنة ٨١٥ هـ بمدينة حصن كيفا ، وكان أبوه من مياسير تجارها ، تصدَّى بعد سنة ٨٤٥ هـ للإقراء بجامع الأزهر ، والمدرسة الملكية ، والبدرية ، ثم استقر به الزيني الإسْتَدَّار في تدريس مدرسته الأولى ، ثم عزله عنها ؛ بطعن أبي العباس المجدلي عنده في علمه ، وقرَّر المذكور عوضه ، ثم صرفه : حيث ذكر عنه ما يقدح في ديانته ، وأعاد صاحب الترجمة ، وكانت وفاته يوم الأحد ٨ ربيع الأول سنة ٨٨١ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٧٦/١١ رقم ٢١٢) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٦٦/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٣١/٧) .

(٣) هو : عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام ، الجمال أبو محمد بن المحب بن الجمال أبي محمد القاهري الحنبلي ، المعروف بابن هشام ، ولد بعد سنة ٧٩٠ هـ ، ومات في المحرم سنة ٨٥٥ هـ ، وقيل : في صفر منها .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٠٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٦١ - ٣٦٢) ، و « الضوء اللامع » (٥٦/٥ رقم ٢٠٩) ، و « نظم العقيان » (١٢١ رقم ٩٥) ، و « شذرات الذهب » (٢٨٥/٧) .

انحرافُ السلطان عليه ، على عادة بادرته ، لاسِيَّما في حقّ أَهْل العلم ، فرسم أنْ يُحْضَر إلى الحنبلي على حالةٍ فظيعة ، وأن يُنْفى ، فحضر ليلة الخميس العشرين من هذا الشهر ، ثم طلّق المرأة في يوم الخميس المذكور[1] ، وعلم الحنبلي أنه يُلام على ذلك ، فطلع إلى السلطان بعد ظهر هذا اليوم ، ليشفع فيه ، فلم يخرج إليه السلطان ، فجلس لانتظار خروجه العصر ، فبلغ السلطان ، فأرسل إليه : أَنْ انزل ، فنزل ، وأُمضى أمرُ نفي الحصني ، فتوجه به أعوانُ نقيب الجيش ، ثم طلع العلّامة ، أمين الدين الأقصرائي الحنفي يوم الجمعة قبل الصلاة ، فشفع فيه ، فقبله السلطان ، وقال له : أريد أن تنزل إلى الحنبلي ، تأمره أن يأتي فيكلمني فيه ، فإنه أتى لذلك ورددته ففعل ، ولحقه البشير في الخانكة[2] ، فردَّه ، واشتدّ تألم الزين يحيى الإسْتَدَّار لذلك .

وبلغنا أنَّ التُّرَيْكي دُفع إلى مركب في ميناء إسْكندرية ، وأُشهد على المتكلم به أَنْ تسلمه سالِمَ الجسد ، بزنْجير في عنقه ، وقَيْد في رجليه ، وعليه إِيْصَالِهِ لصاحبِ تونس ، وأنه لما كُتب الإشهاد بذلك بكى ، ثم خاف أن يَفْهم الحاضرون أنَّ تصبّره قبل ذلك إنَّما كان تَرَجِّيًا لِأَنْ يحصل له نوعٌ من أنواع الفرج ، يرجع بسببه إلى مصر ، وأن بكاءه الآن لِيَأسِه من ذلك ، فقال : لا تظنّوا أنَّ بكائِي جَزَعًا مما مسَّني ، أو مِن قدومي على تونس ، وليس لأمر كذلك ؛ فإنها بلدي ، وبها أصدقائي ، وأحبائي ، وإنما ذلك لِأَنِّي تذكَّرْتُ أولادي بمصر ؛ فَرَقَقْتُ لذلك ، وأنَّه أُقلع بذلك المركب ، يوم الاثنين رابع عشري شهر رمضان هذا .

وداع مناوي البحر

وفي يوم الخميس هذا ، وهو الموافق لثامن بانة ، ودَّع منادي البحر ، بأنَّ البحر انتهى إلى اثني عشر إصبعًا من عشرين ذراعًا ، وأخبرني أنه في هذا اليوم ، أنه ثابت على خمس من عشرين ، ولله الحمد ، نسأله أن

---

(١) راجع الخبر في : « التبر المسبوك » (٣٩١) .

(٢) الخانكة : هي خانقاه سر ياقوس أو سعيد السعداء ، راجع «هامش ٥» من (ص ٩٧) .

يجعل العاقبة بأتمّ بَرَكَةٍ ، وأزكى خِصْبٍ ونعمة .

قصة ابن الشهاب الكوم الريشي

وفي يوم الجمعة ثامن عشري رمضان هذا وضع جانِبَك والي الشرطة محمدَ ابن الشهاب أحمد بن عثمان الكوم الرِّيشي في زنْجير ، وأرسله إلى سجن الرَّحبة ، ثم ضربه في أواخر هذا اليوم ضَـرْبًا مبرحًا ، وَشَهَّرَه في الْقَصَبَة ، وأمر به إلى المَقْشَرَة ؛ وذلك أنه قصد أذى شخص ، فذهب إلى مسجد يتعلق به ليلًا ، ورفع فيه قدرة فيها حشيش مما يُسَطِّل[1] ، ثم أتى إلى الوالي ، وطلب منه أن يُرْسل معه من يكشف أمر ذلك المسجد ، ففعل ، فوجد ذلك الذي وضعه ، فأحضر الوالي المُسْكر ، فسأله ، فظهرت رِيَبٌ تكاد تنطق بأن ذلك مفتعل عليه ، فأحضر الوالي غَفِير الحارة التي المسجد فيها ، وسأله ، فأعلَمه : أنه أُتِيَ إليه ليلًا ثلاثة أنْفس، واستدلُّوا منه على مفتاح المسجد ، فدلَّهم عليه ، فدخلوا إليه لحظة وخرجوا ، فأعطوه شيئًا من الدِّيْنار ، وأمروه بإخفاء أمرهم ، فقال : أتعرفهم ؟ فقال : ربما . فقيل : انظر ، فنظر في النّاس ، فعرفهم ، فأُخِذ من بينهم ابنُ الكومي هذا ، وفُعل به ما ذُكر ، وسُرَّ به الناس ؛ لأنه شديد الفجور ، والانهماك في الشرور ، والاقتحام في العظائم ، وحضر معه إلى السجن ناسٌ كثير جدًّا يصيحون عليه ، ويُظْهِرون له الشَّمَاتَةَ ، ويشتمونَه ، وإنما خُصَّ مِن بين رِفْقَته بهذا ؛ لِأَنَّه كانَ قد أَفْحَشَ في أمر الشمس التُّرَيْكي ، وأكثر من شتمه ، واستمر معه إلى بولاق ، وكان المذكور صديق تَمُرْبُغا مملوك السلطان ، ودويداره الثاني ، وكان كل ما فعل معه [٣١] بالرَّغم منه ، ولكنه لم يجد للكلام مجالًا ، فسكت على أَسَفٍ ، وكان الوالي يعلم منه ذلك ، وهو صديق ناظِر الخاص[2] ، وكان ناظُر الخاص ، أكبر القائمين على التُّرَيْكي ، فكان الوالي يراعيه في أمره على خوف من تَمُرْبُغا ،

---

(١) يسطل : أي يسكر ، والمسطول السكران أو الأبلَه . « محيط المحيط » (٤١٠) .
(٢) هو يوسف بن كاتب جكم . راجع « هامش ٢ ، ٣) من (ص ٧٤) ..

ولكن لا يسعه إلا ذلك ؛ لأن السلطان رسم به ، فلمّا وقعت هذه القصة لهذا الرجل ، الذي أظهر الشَّمَاتَةَ للتُّرْكِيِّ ، وأكثر مِن سَبِّه ، أراد التَّقَرُّب به إلى خاطر تَمَرُّبُغا ، مع ما يعلم من استحقاقه لذلك ، وسرور الناس به ، والله أعلم ، ثم لم يلبث إلا نحو يومين ، وأُطلق بعد أن غرم للوالي جملة مال .

قصة رأس الفرس

وفي أوائل هذا الشهر أرسل سيدي[1] عثمان بن السلطان إلى قانِبَاي الشّركسي أمير آخور ، رأسَ فَرَسٍ ، وذلك أنّه طلب منه فرسًا من عِلْيَةِ خيلِ أبيه وجيادِها ، فقال له : لا أقدر أدفعه إليك إلّا بإذنٍ من السلطان ، فَكَرِه ذلك ، وشقّ عليه ، وراجعه في أمره ، وأراد أن يعطيه إياه بغير إذن ، فلم يُجب إلى ذلك ، فغضب منه سيدي عثمان ؛ فاستأذن السلطانَ في أمر الفرس ، فأذِن له في دفعه إليه ، فأرسله إليه ، فأمر من نظر هل كان إرساله له من غير إذن أبيه ، أم بعد إذنه ، فَعَلِم أنه عن إذنه ، فذبحه في الحال ، وفَرَّق لَحْمَه ، وأرسل الرَّأس تشخبُ دمًا إلى قانِبَاي ، وكان خفيفًا أهوج ، فلما كشف عنه راعه مكانه واضطرب أمره ، ثم ذكر ذلك للسلطان ، وقال : ما فهمت المراد من إرساله إليّ ! . فتبسَّم السلطان ، وقال : ليس له مراد ، إلا أنك رئيس لا يصلح لك إلّا الرَّأس ، فسكت قانِبَاي على ما بِقَلْبِهِ ، وزاد تمرّد سيدي عثمان ، وظهور جبروته ، وشفع عند المباشرين ، وأغلظ لمن توقف في قوله ، واشتدَّت شكمتُه ، وعلت همَّتُه ، فَخِيفَ ، وحُسب حسابه .

شوال سنة ٨٥٦ هـ

استعفاء الوزير

وفي يوم الاثنين ، ثاني شوال مِن السنة ، تعرَّض بعضُ الأجلاب للوزير أمين الدين بن الهَيْصَم ، فخاف على نفسه ، فاختفى ، ثم ظهر ، وأظهر العجز ، وطلب الإعفاء من الوظيفة ، فترفَّق السلطانُ به ، فأصرّ على طلب

---

(١) جاء في « صبح الأعشى » (٦/١٦) : « السيِّد مِن الألقاب السلطانية ، يقال : السلطان السيد الأجل ونحو ذلك ، ويقع في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما ، والسيِّدي نسبة إليه للمبالغة ، وهو مِن الألقاب الخاصَّة بالجناب الشريف فما فوقه .

الرَّاحة ، فأُجيب ، ولُبِّس تَغْرِي[1] بَرْدِي القلاوي ، كاشِف[2] الجيزة ، ثم الصعيد[3] يوم الخميس خامس شوال هذا خِلْعة الوزر ، وَقُـوِّي بالإقطاعات وغيرها[4] ، وفرج[5] كاتب المماليك ، خِلْعَةَ نظر الدولة[6] ،

---

(١) هو : سيف الدين تغري بردي القلاوي الظاهري ، مات قتيلًا في واقِعة كانت بينه وبين سَوِنْجبُغَا الناصري وذلك يوم السبت ١٦ جمادي الأولى سنة ٨٥٧ هـ .

له ترجمة في : « حوادِث الدهور » (٣٥٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٦٤) ، و « الضوء اللامع » (٣/٢٨ رقم ١٣٧) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٤٢) .

(٢) كاشف : في « محيط المحيط » (٧٨٢) : « الكاشِف اسم فاعل ، وأهل مصر يسمّون رئيس المقاطعة بالكاشف » ، و « قاضي الكَشْف عند أهل لبنان معتمد يرسله الحاكم ؛ لِأجل الفحص عند حادِثة أو خصومة » .

وذكر القَلْقَشَنْدي ، في « صبح الأعشى » (٤/٢٥ ، ٦٥ و ٧/١٥٧) أنه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلي والبحري ، كان بهما كاشفان يُعبّر عن كل منهما بوالِي الولاة ، وعندما استقرّا نيابتين ، جُعل للوجه البحري كاشف مقرّته مُنْية غَمْر مِن الشرقية ، وجُعِل للبهنسا والفَيّوم كاشف ، وللجيزة كاشف « يتحدث في جسورها وسائر متعلقاتها ، ولا يتعدّ أمره إلى غيرها مِن النواحي » .

(٣) الصَّعيد : جاء في « معجم البلدان » (٣/٤٠٨) : « بلاد واسعة في مصر ، فيها غدة مدن عظام ، منها : أُسوان ، وقوس ، وقفط ، وإخميم ، والبهنسا وغيرها ، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : الصعيد الأعلى وحدّه أُسوان وآخره قرب إخميم ، والثاني مِن إخميم إلى البهنسا ، والأدنى مِن البهنسا إلى قرب الفسطاط .

(٤) راجع « حوادث الدهور » (٣٦٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٥) ، و « التبر المسبوك » (٣٩٢) .

(٥) هو : فرج بن ماجد سعد الدين بن المجد القبطي المصري ، المعروف بابن النحّال يوصف بعدم التوفيق في ولاياته ، حيث كان حاد المزاج كثير الظلم ، وُلد في أوائل القرن الثامِن الهجري ، ولي نظر الإصطبل ، ثم كتابة المماليك ، ثم نظر الدولة ، ثم الوزارة غير مرة ، والإستدّارية ومات بطّالًا يوم الثلاثاء ١١ جمادي الآخرة سنة ٨٦٥ هـ ، وقد جاوز الستين مِن عمره .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٧٨٧) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣١٢) ، و « الضوء اللامع » (٦/١٦٩ رقم ٥٧٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٦٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٤) .

(٦) نظر الدولة : وظيفة يقال لصاحبها : ناظر الدولة أو ناظر الدواوين ، ويقال له أيضًا : الصحبة الشريفة ؛ لِأنه يشارك الوزير في التصرف ، يتحدث معه في كل ما يتحدَّث فيه ، ويشاركه في الكتابة وفي التوقيع . « صبح الأعشى » (٤/٢٩ ، ٥/٤٦٥) .

وكان مع ابن الهَيْصَم قبل الوزر ، فلما استوزر تُرِك معه[1] .

قصة نائب الكرك

وفي نحو النصف من شوال هذا ، ورد الخَبَرُ بأن طُوغان الأقباي ، الذي ولي نيابة الكَرَك عن الحاج إينال ، كَبَس بَعْضَ العُرْبان العصاة ببلاد الْكَرَك ، فهربوا منه ، فأخذ بَوشهم (أيّ جِمَالِهم) وأمْتِعَتَهم ، ثم مرّ ببعض الطائعين مِن العربان ، فلاقوه ، وأنزلوه ، وأضافوه ، فقبض على نحو عشرة من أكابرهم ، ووضعهم في زناجير ، فقالوا : يا مولانا ، نحن رعيّتك ، ومالنا أستاذ إلّا أنت ، قد لاقيناك ، وأضفناك ، وليس لنا ذنْب ، فَلِمَ فعلت هذا بنا ؟ ! ، فقال : فعلته ، فزادوا في التَّرقّقِ له ، وذِكْر ما يُعْطِفه عليهم ، فلم يُجْدِ ذلك ، ولم يذكر ذنبًا يستحقون ذلك به ، ثم سار بهم ، فركب العربُ ، وتَبِعوه مُتَسلِّحِين ، فغضب مِن اتِّباعِهِم له ، وضرب أَعْنَاقَ الذين وضعهم في الزَّنجير ، فَشَدَّ عليه العربُ ، فقتلوه ، وغالبَ من كان معه ، فلما بلغ السلطانَ الخَبَرُ ، قال : لا رَحِمَه الله ، ثم أمر بكتابة مرسومه إلى العرب ، يخبرهم : أنه بلغه بَغْي طُوغان عليهم ، وأنه كان يستحق ما فعلوه به ، وأنه لا تَبِعةَ عليهم بسببه ، وأمر بالإسراع في إيصاله إليهم ؛ خوفًا من أن يؤذوا الحجَّاج[2] وعيَّن يَشْبُك[3] طاز ، وكان صاحب نظر طرابُلُس لنيابة الكَرَك ونائب البيْرَة[4]، لحجابة طرابُلُسْ . ثم قَدِم كاتب سر الكرك ، القاضي علاء الدين علي بن القاضي

---

(١) ذكر خبره أيضًا (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٥) ، و (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٣٩٢) .

(٢) راجع : « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٦) .

(٣) هو : الأمير سيف الدين يَشْبُك بن عبد الله المؤيدي ، ويقال له : يشبك طاز المؤيدي ، كان مِن أمراء دمشق ، ثم نقل إلى حجوبيةطرابلس ثم إلى نيابة الكرك ، ثم إلى أتابكية دمشق ، حيث مات فيها في شعبان من سنة ٨٦٤ هـ .

له ترجمة في « حوادث الدهور » (٣٩٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٢١٧) ، و « الضوء اللامع » (١٠/٢٧٩ رقم ١٠٩١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٤) .

(٤) البيْره : « بلد قرب سُميساط ، بين حلب والثغور الرومية ، وهي قلعة حصينة ، ولها رستاق واسع » . « معجم البلدان » (١/٥٢٦) .

تقي الدين أبي بكر بن الرَّضي الكَرَكي الشافعي ، والحاجب بالكرك بسيف النائب ، فأخبرني ابن الرضي ؛ أن هذا الذي بلغ كذب ، يُظن أنه من ترتيب العرب ليتحصلوا به غيظ السلطان ، وأن الأمر الذي كان ، أنَّهم ساروا حتى بلغوا جرْبا[1] ، فشكى أهلُها إلى النائب ، أنَّ فخذًا من العرب يُقال لهم الصُّمَيْدات[2] (بضم المعجمة) الساقطة من بني عُقْبَة[3] آذوهم ، ورعوا مباقلهم[4] ، فقصد إليهم فنهاه من معه ، من ذوي الرأي ؛ لما يعلمون من شِدَّة المذكورين ، وكثرة أنصارهم ، وبعدهم عن محل الغوث للنائب ، فلم يرجع ، فلقي اثنين من أكابر بني عُقْبَة في طريقه ، فنزلوا إليه ، وسلموا عليه ، فقبض عليهم ، ووضعهم في زنجير ، ثم اثنين أيضًا كذلك ، ثم واحدًا ، فحذَّره القوم ، وركبوا وتفرّقوا جماعات ، على كل تَلْعة[5] جماعة ، ولم يزل سائرًا ، حتى اشتدّ عطش الخيل ، وكان قد

---

(١) جرْبا : موضع مِن أعمال عمّان بالبلقاء من أرض الشام ، قرب جبل السراة مِن ناحية الحجاز . « معجم البلدان » (١١٨/٢) .

(٢) الصميدات : جاء في « معجم قبائل العرب » (٦٥١/٢) : « عشيرة مِن الأحامدة تقيم في المنطقة الواقعة بين ينبع والمدينة ، وكانت لها مرتبات تدفع إليها كل عام مِن الدولتين العثمانية والمصرية ، لسلامة المحلمين ، المصري ، والشامي » .

(٣) بني عُقْبَة : بطن من جذام ، وهم بنو عقبة بن حرام بن جذام ، ديارهم مِن الشَّوْبك إلى حِسْمي إلى تبوك إلى تيماء ، عليهم درك الطريق ما بين المدينة النبوية إلى حدود غزة مِن بلاد الشام ، توجد منهم فرقة ببلاد الحجاز . راجع : « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار / قبائل العرب في القرنين السابع والثامِن الهجريين » (١١١ ، ١٧٣) ، و « قلائد الجمان » (٦٥) ، و « صبح الأعشى » (٢٤٢/٤ - ٢٤٣) .

(٤) مباقلهم : أي مواضع بقْلهم ، والبقْل ما يُنْبِت الربيع مِن العشب ، وقيل : هو من النبات ما ليس بشجر دِقٌ ولا جلّ ، وفي الكليّات كل ما يُنبت الربيع مما يأكله الناس ، وكلُّ نبات اخضرَّت به الأرض ، وكل ما لا ينبت أصله وفرعه في الشتاء . « محيط المحيط » (٤٨) .

(٥) تلعة : في « لسان العرب »(٣٨٥/٩): « التَّلْعَة أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ، ثم يدفع منها إلى تلْعَةٍ أسفل منها ، وهي مكرمة مِن المنابت ، والتَّلْعة مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض ، والتَّلْعة مسيل الماء ، ولا تكون التّلاع في الصحاري ، وربما جاءت مِن أبعد مِن خمسة فراسخ إلى الوادِي ، وإذا عظمت حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثُلُثَيه فهي ميثاء » .

مَرّ على أَذْرُح[1] ، فلم يَسْتَق من مائها ، وأراد أن يَسْقي من مَعَان[2] ، فلما طال الأمر ، وصار وراء كثير من العربان ، رجع إلى أَذْرُح ، فتبعه العرب من كل شَرَف[3] ، فنشب الحرب من بعد الظهر إلى قريب الغروب ، فَقُتل هو في رقاق[4] أَذْرُح ، بعد أن ولّى هاربًا ، وقُتل من جماعته أكثر من عشرين رجلًا ، منهم مهنّا بن خاشوق ، وكان أفرس القوم يومئذٍ وحاميتهم رحمه الله ، ونجا الباقون ، وما كادوا ، ولما وقف كاتب السّرّ ، والحاجب للسلطان بسيف النائب ، أمر بالحاجب إلى المَقْشَرة ، لجريرة كان اجترحها بالكَرَك ، تتعلّق بالقلعة ، وقرّب ابن الرَّضي ، وأنعم عليه ؛ لأنه كان جُرِح في الوَقْعة في يده ، فعرف له ذلك ، وزاد الثناء عليه ، والإحسان إليه .

سير الحاج

وفي يوم الخميس تاسع عشر شوال ، خرج المِحْمَل من القاهرة إلى بركة الحجاج ، ومعه دُولات باي ، دويدار السلطان الكبير ، أميرًا للركب ، وخرج بجهاز [٣٢] بهر العقول ، وأخبر الشيوخ ، أنه ما خرَج بمثله أميرُ ركب قط ، ولم يكن السلطان أعطاه إلا خمسة آلاف دينار ، مع أنَّ عادة مثله على السلطان عشرة آلاف دينار ، وفي سنة أربع وخمسين ، أعطى أمير الركب تَمُرْبُغا ، الدويدار الثاني عشرة آلاف نقدًا ، وأمتعة ، وجمالًا بعشرة آلاف ، وخرج المحمل في هذه السنة ، ولم يعيّن السلطان أمِيْرًا آخر ليسير بركب بين يدي المحمل ، كما جرت به العادة ، وكان الحاجّ كثيرًا ، فما شك دُولات باي ، أن المقصود أن يكونوا ركبًا واحدًا فاشتدّ ذلك عليه ، خوفًا من كثرة تزاحمهم على الموارد ، وتضييق بعضهم على

---

(١) أَذْرُح : بلد في أطراف الشام مِن أعمال الشّراة ، ثم مِن نواحي البلقاء وعَمّان ، مجاورة لأرض الحجاز بينها وبين (الجَرْباء) ميل واحد . « معجم البلدان » (١٢٩/١) .

(٢) مَعَان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحِي البلقاء . « معجم البلدان » (١٥٣/٥) .

(٣) شَرَف : هو المكان العالي . « محيط المحيط » (٤٦١) .

(٤) رقاق : أي الأرض اللينة . « لسان العرب » (٤١٢/١١ ، ٤١٥) .

بعض ، فلما كان يوم السبت حادي عشري الشهر ، أرسل السلطان إليه إلى البركة ، أن يُسَيِّر في ذلك اليوم بين يديه ركبًا أول ، ويرسل معهم دويداره فارس[1] أميرًا فتضاعف غَمُّه لذلك ؛ لما فيه من إمارات الغضب عليه ، وتكليفه ما لا يُطاق ، فإنه لم يتأهب لذلك ، ولم يسعه التأخر ، فسار دويداره ببعض الحاج في ظهر يوم السبت المذكور ، وسار هو ببقيّة الحاج صبح يوم الأحد ثاني عشريه ، وفيهم سيْدي خليل[2] بن الملك النّاصر فرج بن بَرْقوق ، وكان قبلُ بإسكندرية ، وفيهم من أكابر العلماء ، الشيخ كمال الدين بن الهمّام ، وقد جهّزَه السلطان بعياله ، وصرف عليهم نحو خمسة آلاف دينار ، وكان في هذا الركب العلماء ، والصلحاء ، والأعْيَان ، رعاهم الله بعين عنايته ، وكانَ قاضيهم الفخر عثمان[3] المقسي الشافعي[4] .

قضاة طرابلس

شهر ذي القعدة سنة ست وخمسين وثمانمائة ، قدم في أوَّله قضاة

---

(١) هو : فارس السيفي دُولات باي المؤيدي ، يقول (السخاوي) في « الضوء اللامِع » (١٦٣/٦ رقم ٥٤٦) : « ترقّى في حياة أستاذه ، بحيث كان أمير الأول حين كان أستاذه أمير المحمل آخر سني الظاهر جقمق ... مات في أثناء صفر سنة خمس وسبعين [وثمانمائة] ، ولم يكن بالمرضي سامحه الله » .

(٢) وُلد بالقاهرة في أواخر سنة ٨١٣ هـ ، وقيل سنة ٨١٤ هـ ، وحبسه الملك المؤيد شيخ مع أخيه محمد في سجن الإسكندرية ، وقد مات أخوه في السِّجن بمرض الطاعون ، وبقي هو في محبسه مدَّة ثم أُطلق ، ومات بثغر دِمياط في يوم الثلاثاء ١٢ جمادي الأولى سنة ٨٥٨ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢٩٢/١ رقم ١٠٠٤) ، و « حوادث الدهور » (٣٦٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧١/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٠١/٣ رقم ٧٦١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٩) .

(٣) هو : عثمان بن عبد الله بن عثمان بن عفان بن موسى بن عمران بن موسى ، الفخر ، أبو عمرو ابن الجمال الحسيني القاهري المقسي الشافِعي ، المعروف بابن المقسي ، وُلد في ٢٤ ذي القعدة سنة ٨١٨ هـ بمنية فضالة ، ومات في رجب سنة ٨٧٧ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامِع » (١٣١/٥ رقم ٤٦٤) ، و « الضوء اللامع » (طبعة بولاق) (١٤٢/٢) .

(٤) راجع : « النجوم الزاهرة » (٤٤٦/١٥) ، و « بدائع الزهور » (١٤٢/٢) .

طرابُلُس ، البرهان السُّوبِيني قاضي الشَّافعية ، وزين الدين عبد الرحمن الزَّرْعي قاضي الحنفية ، والتقي بن عز الدين الشافعي ، ومَامَيْه[1] الدويدار ، الذي ذهب معه للكشف عن سيرته ، ومعه محاضر بأنَّ سيرته حسنة ، لم يظلم في أيامه أحدًا ، ولا حاد عن الصراط السّوي ، وأنَّ المحضر الذي أثبته على الزَّرْعي حق ظاهر ، غير زور ، ومع السوبيني والزرعي محضر بأن محضر ابن عز الدين زور ، وقاصد مِن عند نائب[2] طرابلس معه كتاب نائب طرابُلُس ، بأنّ مَامَيْه أساء على القضاة ، وأكره الشهود الراقمين في محضر ابن عز الدين ، فغضب السلطان على مَامَيْه ، فأنكر ، وطلب الكشف عليه في ذلك . وأرسل ناظر جيش[3] طرابُلُس إلى تَمُرْبُغا الدويدار يعده بمبلغ كبير ، ويترقّق له ليسكت ، فلا يساعد خصمه .

قصة الشافعي مع تَمُرْبُغا

وفي يوم السبت سادس الشهر أتى إلى الشرف المناوي ، قاضي الشافعية نقيبٌ من بيت الدّويدار الثاني تَمُرْبُغا ، ليأخذ من بابه غريمًا ، فأمر به إلى السِّجن ، وطلع إلى السلطان ، فشكى إليه تَمُرْبُغا ، وقال له : إنْ أُهِينَ الشَّرع في أيامك ، فمن يُعِزُّه ، فتغيَّظ على تَمُرْبُغا ، وَصَوَّب فِعْلَ الشافعي ، وقال له : لو أنّ ولدي كان عندك في دعوى وأتيت أنا إليك لِآخذه ، فلا تُمَكّنّي منه .

قصة ابن عز الدين وقضاة طرابلس

فتعصَّب مع ابن عز الدين أسِنْبَاي ، أحد أكابر الأجلاب ، وتَنَم المؤيدي ، أمير المجلس ، وذهب أُسِنْبَاي إلى تَمُرْبُغا وغيره فاستنهضهم ، ولم يزل يفتل هذا الأمر في الذِّرْوَة والغارب إلى أن أرسل السلطان في بكرة هذا النهار وهو السبت نقيبَ الجيش إلى الشافعي ليرسم على السوبيني ،

---

(١) راجع « هامش ١ » من (ص ٢٣٢) .

(٢) وهو (الأمير يَشْبُك النّوروزي الحافظي) ، ذكر (ابن تغري بردي) خبر تولّيه نيابة طرابلس في يوم الخميس ٢٥ ذي الحجة سنة ٨٥٣ هـ . راجع « النجوم الزاهرة » (٤٠٤/١٥) ، و « الضوء اللامع » (٢٨٠/١٠ رقم ١١٠٠) .

(٣) كان في هذه الفترة (الشرف موسى بن الجمالي يوسف بن الصَّفي الكركي) يقال عنه : إنه كان مِن مساوئ الدهر ؛ دميم الخلْق ، مذموم الخُلق . أشار (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (٢٤) أنه تولّى نظر جيش طرابلس في ٨ صفر سنة ٨٥١ هـ للمرة الثانية ، راجع أيضًا « النجوم الزاهرة » (١٩٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٩٢/١٠ رقم ٨٠٩) .

وإلى الحنفي سعد الدين بن الدَّيْرِي ، ليرسم على الزَّرْعي ، ويطلعا بهما صبيحة الأَحد في بقية القضاة لينظرا في مسألتهما ومسألة ابن عز الدين ففعلا ، فَلَمَّا سمع ناظر الخاص[1] بذلك علم أنَّ السلطان عزم لهما على شَرٍّ ، وأَنَّ ذلك ينجرّ إليه ، وإلى قريبه ، فأرسل إلى كلٍّ من الشافعي والحنفي يسألهما في إرسال القاضيين ، وعليه إحضارهما ، ففعلا ، ثم كتب على لسان قريبه موسى كتابًا إلى تَمُرْبُغا ، يذكر له ، أنَّه جهَّز مع حاملها ألف دينار له ، وحُلَّة[2] كبيرة للسلطان ، وترقّق له ، وسأله المساعدة ليكون أحد صنائعه ، والمنتمين إلى بابه ، ودفع إلى شخص ألف دينار ، وجهَّزه بالكتاب ، فأوصله إلى تَمُرْبُغا ، ودفع إليه الألف ، فطلع العصُر إلى السلطان على عادته ، وكلَّمه في الكف عن عقد المجلس ؛ بسبب أنهم أصدقاء ، وأنّ ابن عز الدين تلميذ السوبيني ، وأنهم لا يحبّون تفاحش أمرهم بعقد المجلس ، وأنَّهم يصطلحون ، فأبى ذلك إباءً شديدًا ، فأَعْلَم ناظر الخاص بذلك ، فجزاه خيرًا ، وسأله البقاء على مثل ذلك ، ثم أرسل أُمّه إلى السلطان ، ومعها مما يليق به ، وبحظاياه من العروض والجواهر والنقود والتحف ، ما يجل عن الوصف ، قيل : إنه يساوي عشرة آلاف دينار ، فسأل الجميعُ السلطانَ ، في نصرة السَّوْبِيني والزَّرْعِي ، [٣٣] وعقوبة ابن عزَّ الدين ، وما الشَّفِيع الذي يأتيك مؤتَزِرًا ، مثل الشفيع الذي يأتيك عُرْيانًا ، فوعدَ بذلك ، ووصل الخبرُ إلى ناظر الخاص بذلك قبل أن ينام . وفي بكرة يوم الأحد سابع ذي القعدة المذكور ، طلع الثلاثة ؛ السوبيني ، والزَّرعي ، وابن عز الدين ، فقام لهم السلطانُ ، وأجلس السوبيني عن يمينه ، والزرعي عن يساره ، وابن عز الدين بين يديه ، ثم

سجن ابن عز الدين في المقشرة، وماميه في البرج

---

(١) راجع « هامش ٢ » مِن (ص ٢٤٥) .

(٢) حُلّة : في « محيط المحيط » (١٨٩) : « الحُلَّة ، السلاح وإزارٌ ورداءٌ بُرْدٌ أو غيره ، ولا تكون حُلَّة إلاّ مِن ثوبين ، أو ثوبٌ له بطانةٌ ، وفي (الكليّات) الحُلَّة هي الثوب الساتر لجميع البدن ، ولا يُقال للثوب حُلَّة إلَّا إذا كان مِن جنس واحد » .

سأل السوبيني عن المحضر الذي معه ، فأظهره له ، فقال لابن عز الدين : ما تقول في هذا ؟ فقال : لم يحرِّر ما فيه ، ولم تُسْتوعب فيه الشرائط ، على أن الآمر به خَصْمي (يُشير إلى السوبيني) ، فتوقف السلطان ، فقال مَامَيه : أشهد أنَّ الحقَّ مع ابن عز الدين ، وأن المحضر الذي معه صحيح ، وأن ما مع خَصْمه غير صحيح ، وقد اطَّلعتُ على ذلك وعِلْمته يقينًا . وقال ابن عز الدين : يا مولانا السلطان ، لا تأخذني في ذمتك ، وادفعنا إلى قضاة الشّرع لينظروا في أمرنا ، فوضع محضر السوبيني على صدره ، وقال : يكفيني هذا حُجَّةً فيما بيني وبين الله في أمرك ، اذهبوا به إلى المقْشَرة ، فأقيم ، فقال : بيني وبينك الله . فقال : نادوا عليه في الأسواق ، هذا جزاء من يجترىء على الزُّور ، وأمر بمَامَيْه إلى البرج[1] ، فَفُعِل ذلك ، وشَقّ على النّاس ، وثار له الأجلابُ فيما بينهم ، وقال بُرْدُبَك البشمقدار ، (أحد رؤوسهم) : إن كان الذي جُهِّزَ للكشف أمينًا ، فَلِمَ يُحْبَس ، وإن لا ، فَلِمَ أُرسل . ثم إنّ مَامَيْه أُخرج[2] ؛ بشفاعة بعض أكابر الأتراك ، وطُلب منه مالٌ ليقيم على حاله ، فلم يجب فَنُفي إلى بلاد الشَّام ، أظنه إلى حَمَاة في نصف ذي القعدة هذا ، ثُمّ خُلِع على السوبيني ، وسافر في نحو العشرين من ذي القعدة هذا ، وأُبْقِي ابنُ عز الدين في المقْشَرة[3] .

قتال العرب للغزاوي

وفي هذا الحد ، بلغنا أنَّ بعض العربان ، أغاروا على الرَّكْبِ الغَزَّاوي[4] ، من الحجاج ، فاقتطعوا غالبهم ، وبلغ الخبرُ أميرَ المحمل ، دُولات باي المؤيدّي ، فأرسل من العرب والترك ، من وقف لهم في المضائق ، وتَبِعهم هو من ورائهم ، وأسرع إلى أن لحقهم ، فهزمهم ،

---

(١) البرج : عندما تحدَّث (المقريزي) عن بناء قلعة الجبل وبيان صفتها ، قال : « وبها عدّة أبراج يحبس بها الأمراء والمماليك » (٢/٢٠٥) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٧) : « كان ذلك في يوم الاثنين ٧ ذى الحجة » .

(٣) راجع هذه الأحداث مختصرة في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٧) ، و « التبر المسبوك » (٣٩٣ - ٣٩٤) .

(٤) لعله يقصد الركب القادم مِن مدينة غزّة بفلسطين .

وخَلَّص ما كانوا أخذوا ، ولم يُفْقد منه شيء ، لا من الجمال ، ولا من الأَحْمال ، وصح به الخبر في بعض المكاتبات .

قصة الشيخ يحيى والديسطي

وفي يوم الجمعة سادس عشري ذي القعدة هذا جَمَعَت صلاةُ الجمعة الشيخ يحيى[1] العجيسي البجائي المغربي ، وشمس الدين محمد[2] بن أحمد الدِّيَسْطي المالِكِيَّان ، وكانت عادة الدِّيَسْطي الكلام وقت الخطبة ، ووقت الذِّكْر عقب الصلاة ، ما رأيته يحترم شيئًا من ذلك ، وكان مع ذلك على غايةٍ من الطَّيْش ، وسرعة البادرة ، فنهاه الشيخ يحيى عن الكلام ، فَشَتَمه الدِّيَسْطي شَتْمًا قبيحًا ، فحصل عند الشيخ يحيى من ذلك ، المقيمُ المُقْعِدُ ؛ إذْ كان من حين قَدِم إلى القاهرة ، إلى وقته هذا في غاية العَظَمة عند الخاص والعام ، ونُفُوذ الكلمة ، وكانت صنعته الاستخفاف بالأكابر والأصاغر ، والذي جَرَّأ الدِّيَسْطي عليه مع طَيْشه ؛ موت القاضي كمال الدين البارزي ، فإن الشيخ يحيى كان شيخه ، فظن الدِّيَسْطي أنه ذلَّ ، وعلم الشيخ يحيى أنه إن سكتَ له ظنَّ كلُّ أحدٍ مثل ما ظنّ ، وانفتح عليه بابٌ واسع ، فبادر إلى الاجتماع بالأكابر ، من المباشرين ، والقضاة ، وغيرهم ، فلبى الكل كلمته ، وشق عليهم ما ذكر ؛ لما يعلمون من تقدّم تعظيمه وعِزّه ،

---

(١) هو : يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن على بن عمر بن عَقيل بن زرمان بن عَجْنَق .. الشرف الكندي العقيلي العجيسي نسبة لعجيس بن امرئ القيس ، وقيل : لأن مولده بأرض عجيسة ، البجائي المالكي نزيل القاهرة ، ولد سنة ٧٧٧ هـ ، وقيل ٧٧٣ هـ ، مِن أعيان المالكية ، وولي تدريس الفقه للمالكية في الخانقاه الشيخونية ، ومات في يوم الأحد ٢٧ شعبان سنة ٨٦٢ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٦/١٩٣) ، و « عنوان الزمان » (مخطوط) (٧٤٤) ، و « الضوء اللامع » (١٠/٢٣١ رقم ٩٨١) ، و « نظم العقيان » (١٧٧ رقم ١٩٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥٧) .

كما أورد (ابن تغري بردي) بعض أخباره في « حوادث الدهور » (٣٨٠) .

(٢) ترجم له (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٧/٢٢ رقم ٤٣) ، وذكر أنه محمد بن أحمد ابن علي ، الشمس بن الفخر الديسطي القاهري الأزهري المالكي ، قدم القاهرة قريبًا مِن سنة ٨٣٣ هـ ثم توجَّه إلى الشام ، ثم عاد إلى القاهرة . « تنافر مع البِقاعي وقتا ومدّ كل منهما لسانه في الآخر كما هي سنَّة الله في الصحبة الفاسدة عفا الله عنهما » .

ولبغضهم في الدِّيَسْطي ؛ لما كانوا رأوا مِنْ تهوره حين قَرَّبه السلطان ، ومحبَّته لِلأذى ، ثم اجتمع الشيخ يحيى بالسلطان ، فأمر بالدَّعوى على الدِّيَسْطي ، عند القاضي المالكي ، وأنه لا يعزَّر بعد إقامة البيِّنة عليه إلا بحضرة السلطان ، وكان الدِّيَسْطي قد أَسْدى إلى أهل جامع الأزهر معروفًا أيّام قُرْبه من السلطان ، فقاموا معه ، وكذا من كان الشيخ يحيى يطلق لسانه فيه ويزدريه ، من أوساط النّاس فجمعوا بعض الألفاظ ، التي كان الشيخ يحيى يذكرها في انتقاص أكابر العلماء ، وذكروا أن عندهم بيِّنة ، بأن الشيخ يحيى ابتدأ [٣٤] الدِّيَسْطي بالسَّبّ ، وأَنَّه تناوله بكلمات يجب عليه فيها أشدّ التّعزير ، وسألوا أَنْ تُسْمع الدعوى من الدِّيَسْطي بذلك ، فأوهم ناظرُ الخاص[1] المالِكيَّ ، بأنّ السلطان منع من سماع دعوى على الشيخ يحيى فامتنع المالِكيُّ من سماع كلام الدِّيَسْطي ، فلم يزالوا يقومون في ذلك ، ويقعدون حتى انتدب معهم الأمير قراجا مملوك السلطان وخزِنْدَاره الثاني ، فاجتمع بتَمُرْبُغا مملوك السلطان ودويداره الثاني ، وكان شديد البغض للدِّيَسْطي ، غير أنه قد صار من بغض ناظر الخاص إلى حالة لم يبق له فيها مذهب معيّن في جهة من الجهات ، بل كان مذهبه ، معاكسة ناظر الخاص ، فأجاب الخِزْنَدار ، وأرسلا قاصدًا إلى المالكي ، وموقِّعين يضبطون عليه كلامه ، يسْألانه ما الذي أباح له أنْ لا يسمع دعوى الدِّيَسْطي ؟ فأرسل المالكيُّ نقيبَه إلى ناظر الخاص ، وحرَّر الأمر ، فلم يجد أن السلطان منع من سماع دعوى الدِّيَسْطي ، فأرسل إلى الشيخ يحيى يوم الاثنين ، فامتنع من الحضور ، فأرسل ثانيًا رسولًا ، وموقِّعين ؛ يشهدون عليه بالامتناع ، فلقنه بعض جيرانه ، من أهل المدرسة[2] الناصرية ، بأنه

---

(١) راجع « هامش ٤ » مِن (ص ٢٥٣) .

(٢) المدرسة الناصرية : تقع بشارع النحاسين ، بجوار المدرسة المنصورية ، المعروفة اليوم بجامع المرستان ، أنشأها الملك العادِل ، ثم أمر بإتمامها الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما عاد إلى مملكة مصر سنة ٦٩٨ هـ ، وهي عامرة إلى الآن ، وتعرف بجامِع الناصرية . راجع « صبح الأعشى » (٣٦٣/٣ ، ٤٣٢) ، و « خطط المقريزي » (٣٦٣/٢) ، و « الخطط التوفيقية » (١٣٢/٥ - ١٣٣ ، ١٦/٦) .

لم يمتنع ، وإنما أراد أنْ تتم دعواه ثم يذهب ليسمع دعوى الدِّيَسْطي ، واختلفت رسل قَراجَا إلى المالكي ، وشدَّدَ النَكير ، فلما كان يوم الثلاثاء ، قال المالكي لابن الشيخ يحيى : أَلْزَمْتُك بإحضار والدك ، وإن لم يحضر شاورت عليه السلطان في هذا الوقت ، فحضر ، فادّعى عليه الدِّيَسْطي ، بأنَّه شتَمه وذكر ألفاظًا قبيحة ، فلما تمت دعواه ، سُئِلَ في الصُّلح ، وعدم إحضار البَيِّنَة ، ففعل ، ولامه قَراجَا على الصلح .

شفاعة الأقصرائي في ابن عز الدين

وفي يوم الأربعاء ، مستهل ذي الحجة ، مِن سنة ست وخمسين هذه شفع الشيخ أمين الدين بن الأقصرائي في ابن عز الدين ، فلم يجبه السلطان ، فألَحّ عليه ، وقال له : إنه كان يُرْجَي منكم إعزاز طائفة الفقهاء ، وَسَتْر خِرْقَتهم[1] ما أمكن ، فقد دُنِّست الآن خِرْقتهم[2] ما لم تدنّس في أيام أحد ممن سبق . فقال : هذا ثبت عندي نَحْسه ، فإن أردت أخرجته في زنجير إلى دمشق تُحرر عليه هناك الدَّعاوى ، ويُفعل فيه الحق . فقال : لا أُريد هذا ومُكْثُه في المقشرة أسهل من ذلك . ثم جَهَّزه مع يَشْبُك الصوفي ، وكان قد غضب على الأمير الكبير بدمشق خَيرَبَك ، فسجنه بقلعة الصُّبَيْبة[3] وأحضر يَشْبُك هذا ، وكان بطّالًا بالقدس ، فجعله مكانه[4] ، ودفع إليه ابن عز الدّين ، وكانت بينهما عداوة ، إذْ كان بطرابُلُس نائبًا ، لِيدَّعي عليه بدمشق من كان عنده حَقٌّ ، فخرج به في زِنْجير ، قال من شاهده : إنه ما رأى أثقل منه .

سفر ابن عز الدين

قصة لناظر الخاص

وفي يوم السبت رابع ذي الحجة هذا أحاط الأجلابُ بناظر الخاص ، وهو خارج من عند السلطان ؛ ينقمون عليه في أمر الضّحايا ، فضربه

---

(١) خِرْقتهم : لعل المقصود بها هنا عيوبهم .

(٢) خِرْقتهم : في « محيط المحيط » (٢٢٧) ، الخرقة القطعة مِن الثوب .

(٣) قلعة الصُّبَيْبة : هي قلعة بانياس ، تقع جنوبي غربي دمشق ، على بعد ساعة مِن بانياس ، ترتفع عنها نحو ٢٠٠ قدم ، لازالت آثارها باقية ، وكانت موضع عناية المسلمين والصليبيين . « النجوم الزاهرة » (٢٩٨/١٢ هامش ١) .

(٤) جاء في « النجوم الزاهرة » (٤٤٧/١٥) « .. ثم يوم الاثنين ثامِن عشرينة [ذي القعدة] ، خلعَ السلطان على الأمير يَشْبُك الصوفي ، باستقراره أتابك عساكر دمشق ، وسافر في يوم الخميس ثاني ذي الحجة » .

شخصٌ منهم بخروف وقال له : مثلُ هذا يصلح للتضحية، وتقدموا إليه وضربه بعضهم ، ودافع عنه تَمُرْبُغا الدويدار ، فلم يفارقوه ، حتى كادوا يقتلونه ، فنزل من القلعة ممتقع اللون ، يشم رائحة الموت .

نزول ابن السلطان

وفي يوم السبت هذا ، نزل الأمير عثمان بن السلطان ؛ لصيد الطَّيْر ، ببِرْكة الحجاج ، وكان الاستعداد[1] يعمل لنزوله هذا في مدة يطمئن الطير ، ويضع لهم المأكول ، ثم أرصد هنالك من المأكل والمشارب لنزوله ، ما يَعْسر حَصْره ؛ لأنه كان أول صيده ، فأقام هنالك بقية ذلك اليوم ، وليلة الأحد خامسه ، ثم رجع ظهر يوم الأحد ، وقد أخفق القصد ، وخاب المسعى ، فلم يصطد شيئًا ، وأخبرني بعض الناس : أنه صاد حَدَأة[2] .

وفي يوم عرفة ، وصل ابن المزلق[3] ، ناظر جيش دمشق[4] .

وبلغنا في ليلة العيد الأكبر ، أنَّ القاضي أمين الدين عبد[5] الرحمن بن قاضي القضاة شمس الدين بن الدَّيْري ، مات بالقدس ليلة السبت ، رابع ذي الحجة هذا ، وكان في هذه السنة قد كثرت الأخبار السيئة عنه إلى أن ورد في رمضان منها أُناسٌ من الفقراء ، فرفعوا إلى السلطان ، أنَّ إبراهيم[6] بن الجمال عبد الله بن جماعة[7] ، شيخ الصلاحية ، تصرَّف في المسجد الأقصى بمالا يَحِلّ له ؛ احتكر بعض الأماكن منه وزرع بها ثومًا

---

(١) في الأصل (الاستداد) ، والتصحيح في مفهوم السياق .

(٢) حدأة : طائر يصطاد الجرذان ، ويعرف عند العامّة (بالشومة) جمعه حِداءٌ ، وحِدَآء ، وحِدْآن . « محيط المحيط » (١٥٢) .

(٣) راجع « هامش ٢ » مِن (ص ١٠٨) .

(٤) في « حوادث الدهور » (١٣٥)، و « التبر المسبوك » (٣٩٤) ذُكِر خبر قدومه إلى القاهرة في يوم السبت ١١ ذي الحجة ، كما ذُكر أنه ليس كاملية بفرو وسمّور .

(٥) راجع « هامش ١ » مِن (ص ١٣٠) .

(٦) في الأصل (إبرهيم) .

(٧) هو : إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد الدين بن جماعة ، البرهان المقدسي الشافعي ، سبط الشمس بن الديري الحنفي ، وُلد ٨٠٥ هـ ببيت المقدس ، ومات في أواخر صفر سنة ٨٧٢ هـ.
له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٧٢/١) .

وبصلاً ، وغير ذلك ، وهدم من بعض جدره ما بنى به في مسكنهم ببيت الخطابة مواقد طبخوا عليها أُطْعِمَة عُرْس عملوه إلى غير ذلك ، وأنَّهم أمروه بالمعروف ، فأهانهم ، وساعده الناظر[1] ، وأن الناظر أخرب كثيرًا من البلاد التي تحت نظره ، وأن حاصل الخليل[2] عليه الصلاة والسلام ليس به شيء ، إلى غير ذلك من أمور إن أُهملت حصل خلل كبير ، فأرسل السلطان محمد النشابي ، للكشف عن ذلك ، فادُّعي على ابن جماعة عند القاضي الشافعي ابن السائح بالقدس ، وأُقيمت البينة ببعض ذلك ، وأخبرني الشيخ الإمام القدوة زاهد زمانه بالقدس ، زين الدين عبد القادر[3] النووي ؛ أنهم اتخذوا هذا المسجد الشريف كالموات[4] ، وقام مع أولئك الفقراء ، الشيخ برهان الدين إبراهيم[5] العجلوني ، فأهين الجميع ، ولم يكتب لهم ما أقاموا به البيِّنة ، فقدموا إلى القاهرة في ذي القعدة ، واجتمعوا ببعض الأكابر ، وذكروا ما وقع لهم معهم ، فطلب الناظر ، فمرض بالبطن مرضًا عجيبًا ، كان تارة يكون الخارج منه كالماء ، وتارة دَمًا ، وتارة على

---

(١) وهو عبد الرَّحمن بن الدَّيْري الحنفي أمين الدين . راجع « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٤٨) .

(٢) الخليل : اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق ، قرب البيت المقدس ، بينهما مسيرة يوم ، فيه قبر الخليل عليه السلام ، في مغارة تحت الأرض . « معجم البلدان » (٢/٣٨٧) .

(٣) هو : عبد القادر بن محمد بن حسن الزين النووي الأصل المقدسي الشافعي المعروف بالنووي ، ولد في أول القرن التاسع الهجري ببيت المقدس ، « كان فاضلًا صالحًا متقشفًا زاهدًا ورعًا قانعًا كثير المراقبة والخوف منجمعًا عن الناس » مات في شعبان سنة ٨٧١ هـ ببيت المقدس .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٤/٢٨٨ رقم ٧٦٤).

(٤) الموات : في « محيط المحيط » (٨٦٨) : « المَوَات ، مصدر، وما لا روح فيه ، وأرضٌ لا مالك لها ، ولا ينتفع بها أحد ؛ لانقطاع الماء عنها ، أو لغلبته عليها أو لغيرها مِمَّا يمنع الانتفاع بها ، وخلافه العامر » .

(٥) هو : إبراهيم بن أحمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد ، برهان الدين العجلوني ، ثم المقدسي الشافِعي نزيل القاهرة ، قدم القاهرة ساعيًا في مشيخة المدرسة الصلاحية بالقدس بعد تنافسه مع ابن جماعة ، فلم يحصل له ما أراد ، وافتقر ، ومازال أمره في تقهقر حتَّى مات يوم الأربعاء ٩ ذي القعدة سنة ٨٨٥ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١/١١ - ١٢) .

موت الديري

غير ذلك ، وطلع في ابن جماعة خرَّاج ، فتحامل الناظر إلى الرَّمْلة[1] ، ثم عجز ، فَرُدَّ إلى القدس في محِفَّة ، فلما جاوز بيت نُوْبَا[2] ، رأى أن ركوبه على الفرس أسهل من لبثه في المحِفَّة ، فركب وهو في غايةٍ من المرض ، وانكب على قَرَبُوس[3] السَّرج ، وتحامل في ألم زائد إلى أن وصل إلى القدس ، فأيقن بالموت ، فأمر من حوله أن يمنعوا الناس من الدخول إليه ، وطلب ورقًا ، فكتب وصِيَّة ابتدأها بأشياء حسنة ، من ذكر سيئآته وذنوبه ، وافتقاره إلى الله تعالى ، وطلبه منه العفو ، وزاد في ذلك حتى أبكى مَنْ حوله ، وهو مع ذلك ثابتٌ غير متأسف على مفارقة مألوفه من العزّ والرِّئاسةِ ، حسن الرجاء لربه ، والظَّن به ، مقبل على ما يليق بالقدوم على الله ، وهم يمنّونه الحياة ، فلا يلتفت إليهم ، ولا يزعزع ذلك جزمه بالموت ، وذَكَر جميع ما عليه من الدِّيون والحقوق ، ودعا لِمَن يساعد في وفائها ، وترقَّق لِمَن بينه وبينه شحْناء بما يُلَيِّن الحجارة ، ثم أقبل على التلاوة والذكر والاستغفار ، والاعتراف بالتقصير ، والتوبة من الذُّنوب ، مع ما يُقاسي من شدائد المرض إلى أن مات في التاريخ المذكور[4] ، عن أربعين سنة وشهور ، وكان فاضِلًا في فنون ، ذكيا ، شاعرًا محسنًا ، له ذوق جيد في الأدب ، وكان شجاعًا كريمًا ، حسن العشرة رحمه الله ، وعفى عنه .

سجن ابن الشحنة

[٣٥] وفي يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين شكى شخص[5] على المحب بن الشحنة ، بأمور فظيعة ، مِن جملتها أنَّه

---

(١) الرَّمْلَة : يقول عنها (ياقوت) المتوفى سنة (٦٢٦ هـ) : « مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت الآن ، وكانت رباطًا للمسلمين » . « معجم البلدان » (٦٩/٣) .

(٢) بيت نُوْبَا : بليدة من نواحي فلسطين . « معجم البلدان » (٥٢٣/١) .

(٣) قَرَبُوس : القَرَبُوس ، هو حنو السرج ، والعامّة تسمي به الخشبة الصغيرة القائمة في مقدَّم السرج . « محيط المحيط » (٧٢٤) ، و « الآلة والأداة » (٢٦٣) .

(٤) وهو الرَّابع مِن ذي الحجة سنة ٨٥٦ هـ . راجع « هامش ١ » من (ص ١٣٠) .

(٥) ذكر (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (١٣٥) بأنه شخص مِن الحلبيين يسمّى أحمد بن العطّار .

اقتطع مسجدًا ، فأدخله في بيته ، وجعله مِرْحاضًا[1] ، فرسم السلطان أنْ يُرفع إلى قلعة حلب ، وأن تُسْمع عليه الدَّعاوى ، وتحرَّر البيِّنات ، ويُطالع بها ، وجُهِّز لذلك شخصٌ مِن الجند ، يُسَمَّى طوغان[2] ، فحدَّثني القاضي محب الدين : أنه سأل طوغان ، أن يَرْعى فيه وَجْهَ الله ، فحلف له أنه لا يفعل غير ذلك ، وأكّد الأَيْمان ، وقال : إنْ فعلت غير ذلك ، أو تَكَلَّمت فيه بالباطل ، فلا رَدَّني الله إلى أَهْلي سالمًا . قال : فقلت : آمين . ثم إنه بالغ في إظهار الغَرض الفاسد ، والظلم ، واعتذر لي بأنه لا يقدر أن يَكفّ عن ذلك خوفًا مِن الجمال يوسف ، ناظر الخاص ، وجرت أمور ، ادّعى فيها أنَّ في جهته أموالًا للسلطان ، أدَّت إلى سجن ابن الشحنة ، وأولاده ، وبعض أتباعه في سجن مظلم ضيِّق في قلعة حلب ، واستمر على ذلك إلى أَنْ مات الظاهر . قال : وكان بيني وبين ابنه عثمان صحبة أكيدة ، فرجوت أن يُطْلقني ، فأتى مرسومه بأن أبقى على حالي ، ثم استمر إلى أَنْ ولي الأشرف إِيْنال ، فأراد إخراجه ، فقال ناظر الخاص : إنه ثبت في جهته عشرة آلاف دينار . فقال السلطان ، لا يُطلب منه شيء . فقال كاتب السرّ المحب ابن الأشقر : هو أرسل يسأل في ذلك ، وهو من طيب نفسه . فقال : إن كان كذلك فنعم . فكتبوا بذلك مرسومًا ، ولم يزالوا يعملون الحِيَل حتى أغرموه إيَّاها هدايا وأما طوغان ، فإنه رجع ، فمات في الغُرَابي[3] بين الصالحية[4] وقَطْيا ، ولم يصل إلى أهله كما دعا به .

موت التعيس

وفي هذا اليوم هلك صاحب ديوان ناظر الخاص ، وكان نصرانيًّا ،

---

(١) أضاف صاحب « حوادث الدهور » (١٣٥) أنه اتّهم أيضًا بالاستيلاء على مائة ألف دينار تناولها مِن أوقاف حلب .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٣٥) ، السيفي ألطنبغا الطرباي .

(٣) الغُرَابي : في « معجم البلدان » (٤/١٩٠) : « رَمْل معروف بطريق مصر بين قَطْيَة والصالحة صعب المسلك » .

(٤) الصَّالِحيَّة : « قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون مِن غوطة دمشق وفيها قبور جماعة مِن الصالحين » . « معجم البلدان » (٣/٣٩٠) .

يُسميّ نَفْسَه الشّيخ السَّعيد ، ويسميه المسلمون الشيخ التَّعيْس ، وكان قد وصل ، بسبب ناظر الخاص إلى عِزٍّ لم يصل إليه نصراني في زمانه ، فاحتاط السلطان على تركته ، فحسَّن ناظر الخاص ، للشرف الأنصاري ، وكيل بيت المال ، أن يشتريها من السلطان بعشرة آلاف دينار ينقدها ، ويبيع الأصناف التي ضمتها التركة ، كل صنف في الوقت التي جرت العادة أن يُطلبَ فيه ، فذكر للسلطان ذلك ، وأنّ جمع أثمانها يحتاج إلى زمن طويل ، فقال ناظر الخاص : عشرة آلاف قليلة على مولانا السلطان . عندي فيها عشرون ألف دينار ، فرضى السلطان منه بذلك ، بل أعجبه ما رأى منه ، ووقع من خاطره ، وما درى الأبْلم[1] أنها لولاها مشتملة على أضعاف ذلك ما نافس فيها هذه المنافسة .

وصول النشابي

وفي يوم الجمعة سابع عشره ، وصل محمد النشابي صديق قَرَاجَا الخَزَنْدار ، فأخبر ناظِرَ الخاص بما رأى ، من اختلال أحوال بلاد القُدس ، وسأله أن لا يعارضه إذا رفع ذلك للسلطان ، فأجابه إلى ذلك ، فأَعْلَم السلطان : بأنَّ حاصل الخليل عليه الصلاة والسلام ليس به شيء ، وأنَّ وَقْف المسجد الأقصى كذلك ، وأنَّ مِن أسباب ذلك ضم بلاد السلطان إلى الناظر ، فالصواب أن تُفَرَّق البلاد على المتكلمين على بلاد السلطان بتلك النواحي ، فما كان قريبًا من نابُلُس ضُمّ إلى أولاد عبد القادر ، وما كان قريبًا من غَزَّة ضُمَّ إلى إسْتَدَّار السلطان بها ، وهو ناظر جيشها ، وكذا غير ذلك ، وأنَّ نائب القدس عنده من اللين والتهاون بحقوق الناس مالا يصلح معه لِلنِّيَـابة ، وأن أَرِيْحا[2] و ..[3] كانتا إقطاعًا للنائب ، فضُمّتا إلى ديوان السلطان ، فلم يبق للنائب ما يُقيم به حاله إلا الرِّشى ، فالصواب

---

(١) الأبْلم : غليظ الشفتين . « محيط المحيط » (٥٤) .

(٢) أريحا : « لغة عبرانية ، وهي مدينة الجبَّارين في الغور مِن أرض الأُرْدُن بالشام بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس ، في جبال صعبة المسالك » . « معجم البلدان » (١٦٥/١) .

(٣) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، وهو اسم المدينة الثانية ، ولم نجد في المصادر الأخرى ما يصحّحه .

إعادتهما إليه ليقل ظلمه ، ولا يبقى له فيه عذر ، وأن الصواب أن يكون النظر مع النائب ، وإلا تفرَّقت الكلمة ، وحصل الاختلاف ، ففَعل السلطان ذلك ، عزل النائب ، وهو فارس دويدار طَوغان ، الذي كان نائبًا قبل ذلك ، وولى أَسَنْبُغا[1] ، الذي كان نائب بَعْلَبَك[2] النيابة والنظر ، وعُيِّن لبَعْلَبَك ، وأرسل بأن ينقل إلى حاصل الخليل من بلاد السلطان ما يكفيه إلى مجيء الغلال بالسِّعْر الموجود ، وأن يصير بالثمن إلى المَيْسَرة .

سجن العز البساطي

وفي يوم الثلاثاء حادي عشريه ، أُعْلَم يوسفُ شاه ، معلم البنائين السلطانَ أنه عمر في المدرسة القَمْحيَّة شيئا ذكره ، فشكره على ذلك ، وطلب القاضي عز الدين بن البساطي ، وأراد ضربه ، فشفع فيه ناظر الخاص[3]،فَكفَّ عنِ ضربه ، ورسم به إلى المقشرة ، فَشُفع فيه ، فلم يجبه وسجنه بها ، فزاد اليقين بأن عقوبته إنما هي لأجل شهادته على أبي الخير ، وإلا فماله يُفْرد بالعقوبة مِن بين شركائه في النظر على المدرسة المذكورة والتدريس ، أحسن الله لنا وله العاقبة آمين آمين .

بشير الحاج

وفي يوم الخميس ثالث عشريه وصل بشير الحاج ، ومعه فارس دويدار أمير الرَّكب ، وهو الذي كان أمير الرَّكب الأول ، فأعلم أن الوقفة كانت الخميس ، وأن الأسعار كانت رَخِيَّة جدًّا ، الحمل الدقيق بعشرة دنانير ، وكل ما عداه بهذه المناسبة ، إلا أن اللحم والسمن بمكة غاليان[4] .

قصة الشافعي مع تمربغا

وفي هذا الحد أرسل تَمُرْبُغا إلى القاضي الشافعي ، بأن يرسل إليه شخصًا عنده في دعوى ، فدل ذلك – بعد تقدم[5] مثل ذلك منه وغلبه

---

(١) هو : أَسَنْبُغا مملوك ابن كَلْبَك شاد الشئون السلطانية ، ويقال له : الكلبكي ، أشار (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (٣٧١/١٥) إلى أنه استقر في نيابة بَعْلَبَك في يوم الاثنين مِن شهر ربيع الآخر مِن سنة ٨٥٠ هـ . كما أشار إلى خبر له في « حوادث الدهور » (٣٠) .

(٢) بَعْلَبَك : مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وهى مركبة مِن لفظين : (بَعْل) اسم صنم ، و (بك) من بكّ عنقه أيّ دقّها . « معجم البلدان » (٤٥٣/١) .

(٣) وهو : الجمالي يوسف ابن كاتب جكم ، راجع « النجوم الزاهرة » (٤٥١/١٥ ، ٤٦١) .

(٤) راجع « حوادث الدهور » (١٣٦) ، و « التبر المسبوك » (٣٩٤) .

(٥) راجع « ص ٢٥٢ » .

فيه كما مضى – على جُرْأة كثيرة عند المذكور ، وقلة مروءة ، وسوء باطن ، فلم يُجب الشافعي إلى ذلك ، وكان قد سأل السلطان في قضيته الأولى معه أنْ لا يمكن أحدًا من غريم هو عنده ، إلا بأمر السلطان ، فأجابه إلى ذلك ، فأمر تَمُرْبُغا الشاكي إليه، فوقف للسلطان ، وقال : أريد أنْ أنفصل من غريمي عند الأمير الدويدار . فقال السلطان إنْ لم يخلِّصك القاضي فاستعن بالدويدار . فسأل تَمُرْبُغا ، نقيبَ[1] الجيش ، أن يذهب إلى الشافعي ، فيقول له : إن السلطان رسم بدفع الغَريم إلى تَمُرْبُغا ، فتوقف الشافعي في ذلك ، وقال : حتى استخر الله . ثم فحص عن القضية ، فعلم أنَّ الكلام حُرِّف ، فطلع إلى السلطان ، وأَعْلمه بذلك فتغيَّظ على تَمُرْبُغا ، وصوَّب الشافعي في فعله ، وقال له : لا تمكِّن من غريم هو عندك ، ولو أرسلت أنا في أمره ، فحصل للشافعي بذلك عِزٌّ كبيرٌ وكان ذلك من أعاجيب سعده ، ودُعي له على قهره لهذا الظَّالم .

إشاعة موت السلطان

وفي يوم الجمعة رابع عشريِّه ، حصل للسلطان بعد الصلاة ، وهو داخل إلى الحريم إغماءٌ سقط منه إلى الأرض ، واضطرب ، وقيل : إنه صَرْعٌ ، ثم حصل له قيءٌ كثير ، واستمر به إلى أن أُغمي أيضًا عليه قبيل المغرب ، فأُشيع موتُه ، وبات من بلغه ذلك في وَجل ، ثم تَبَيَّن كذب ذلك ، وطلع الأكابر ، فَتَجَشَّم القيام لهم وخرج إلى شباك الدَّهِيْشَة[2] ، وعلَّم على المراسيم[3]، ثم رجع فأراد بعض الأتراك أنْ يعضّده ، فأبى

---

(١) وهو : الناصري محمد بن أبي الفرج ، راجع « النجوم الزاهرة » (٤٥١/١٥ ، ٤٦٢) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (٤٤٨/١٥) : « وحضر الخدمة في الدَّهِيشَة مِن القلعة » . والدَّهِيْشة قاعة كبيرة ، مِن جملة دور قلعة الجبل ، بناها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد قلاوون سنة ٧٤٥ هـ وأنفق على بنائها ما يقارب خمسمائة ألف درهم . « خطط المقريزي » (٢١٢/٢) .

(٣) المراسيم : مفردها (مَرْسُوم) وهو المكتوب ، والعامَّة تخصه بمكاتيب الولاة « محيط المحيط » (٣٣٥) ، وجاء في « صبح الأعشى » (١٠٧/١١) : « جمع مرسوم ، أخذًا مِن قولهم : أَرسَمْت له كذا فارْتَسَمه إذا امتثله ، أو مِن قولهم : رسم عليَّ كذا إذا كتَبَ ، ويحتمل أنْ يكون منهما جميعًا » .

وهي على نوعين : مراسيم مكبَّرة تختص بنوَّاب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية ، وأمراء =

ذلك ، ومشى بنفسه متجلِّدًا ، فسكن الناس[1] .

وفي يوم الأحد سادس عشريه ، ركب السلطان ، ونزل إلى بيت بنته[2] في سُوَيقة[3] العِزِّيّ زائـرًا لها مكذِّبًا لذلك الخبر، وكان قد بلغ به الْهَرَمُ مِنْ فساد البُنْيَةِ إلى حدٍّ عظيم ، بحيث أشرف على التلف مرارًا ، وعجز الأطباء في العلاج ، وغلب على الظَّنّ أنّ ما به دقّ الشيخوخة ، ولم ينقطع في شيء من ذلك ، بحيث يَلْزم الفراش لكن ضعف عن الخدمة في القصر ، فقطع الخدمة مدَّة ، ثم فعلها في الدَّهِيْشَةِ وجفَّت يده اليسرى ، وماتت منها أصبع ، فأمر بعض الجرائحية[4] فقطعها من غير جَمْع الأطباء ، ولا

الإشـارة إلى موت السلطان

= العُرْبان ، أو مَنْ بالشام وحلَب ، وشادِّي مراكز البريد وغيرهم ، وهذا النوع مِن المراسيم على طبقتين : ما يكتب في قَطْع النِّصْف بقلم خفيف الثلث وهي للنوَّاب بالقلاع ، من مقدّمي الألوف والطبلخانات ، وما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات وهي لنوَّاب القلاع مِن أمراء العَشَرات .

مراسيم مصغَّرة ، ويكتب بها لِأرباب السيوف بالولايات الصغيرة ، مثل نظر الأوقاف ونحوه ، وهي صنفان : ما يُترك فيه أوصالُ بياضٍ بين الطُّرَّة والبسملة ، وهي أعلاها ، ويكتب هذا الصنف في قَطْع العادة المنصوري إنْ رُوعِي صاحبه ، وإلَّا ففي قطع العادة الصغير ، ومن المراسيم المصغّرة ما يكتب في هيئة ورقة الطريق ، ويكون في ثلاثة أوصال . راجع تفصيل ذلك في : « التعريف » (١٢٠) ، و « صبح الأعشى » (١٠٧/١١ – ١١٢) ، و « خطط المقريزي » (٢١١/٢) .

(١) راجع ما جاء في « النجوم الزاهرة » (٤٤٨/١٥) عن ابتداء مرض موت السلطان .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (٤٤٩/١٥) « ونزل إلى بيت بنته زوجة الأمير أُزْبَك مِن طُطُخ الساقي ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة » .

وهي خديجة أمها خوند مغلي بنت الناصر بن البارزي ، ماتت قبل استكمال الثلاثين مِن عمرها في حياة أمّها وذلك في عصر يوم الاثنين ١٠ جمادي الأولى سنة ٨٦٧ هـ . « الضوء اللامع » (٢٧٠/٢ ، ٢٧/١٢ رقم ١٥١) .

(٣) سويقة العِزّي : تقع خارج باب زويلة قريبًا مِن قلعة الجبل ، كانت مِن جملة المقابر التي خارج القاهرة فيما بين الباب الجديد والحارات وبركة الفيل وبين الجبل ، وعندما اخْتُطَّت هذه الجهة عُرفت هذه السويقة بالأمير عز الدين أيبك العزي نقيب الجيوش ، الذي استشهد على عكا عندما فتحها الأشرف خليل بن قلاوون يوم الجمعة ١٧ جمادي الآخرة سنة ٦٩٠ هـ . « خطط المقريزي » (١٠٦/٢ – ١٠٧) .

(٤) الجرائحية : جمع (جرائحي) ، وهو الذي يُعالج الجِراح ، وصنعته الجراحه . « محيط المحيط » (١٠٠) .

إعلامٍ لأحدٍ غير ذلك الجرائحي ، وظهر علي يده اليمنى الضعفُ الزائد ، بحيث ظهر أثر ذلك في علاماته على المراسيم ، ولم يبق منه إلا رسْمه وجَلَدُه وعَزْمه [٣٦] فقال شيخنا الإمام أبو الفضل محمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن الإمام أبي القاسم المَشَدالِّي المغربي البجائي المالكي في ذلك ، مشيرًا إلى أنَّه قد ظهر عليه الهرم ، وإمارات الموت من مدة طويلة ، وهو متجلد :

أيا جَقْمَقٌ كم لي أراك مكابِرًا … وقد عَضَّك الموتُ الهجوم بنابِهِ
فإن تقتدر يومًا على زورة ابنَةٍ … فسوف تزور القبرَ رَهْنَ ترابِهِ
وسوف ترى في اللّحدِ حالك عندما … يَصُبُّ عليك اللهُ سَوْطَ عذابِهِ
أفِقْ أيها السَّكرانُ واصْح بتَوْبةٍ … لتدرك فيها الفوزَ قبل ذهابه

ضرب الأسرى

وفي يوم الاثنين سابع عشري ذي الحجة ، وهو سلخ سنة ست وخمسين وثمانمائة . طلع إلى السلطان ناسٌ ، أخبروه أنهم كانو أسْرى ، وأنهم افتدوا أنفسهم من الفرنج بمقدارٍ عَيَّنوه ، وسألوه أن يساعدهم في ذلك ، فأمر بهم فبُطِحوا ، وضُرِب كلُّ إنسان منهم ما قُدِّرَ له ؛ لكونهم ركبوا البحر ، وعَرَّضوا أنفسهم للأسْرِ ، والحال أنه هو الذي يستحق الضَّرب ، والخَلْع ؛ لتفريطه في أمور المسلمين ، فلو أنه أمر نُوَّاب الثّغُورِ أنْ لا يَدَعُوا مركبًا يسير إلَّا بكفايتة من الرِّجال والعُدَّة ، لهاب الكُفَّارُ المسلمين ، وكَفُّوا عنهم ، ولقد نبَّهت نائب دِمْياط[1] على ذلك سنة اثنتين وخمسين[2] ، وأعْلَمتُه أنَّ سفينة كانت في الفم[3] تريد السَّفر ، طلب أَهْلُها من أهل البرج سِكِّينًا

---

(١) دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح ، والنيل العذب ، فهي كلمة سريانية أصلها (دمطاي) القدرة إشارة إلى مجمع العذب والملح . « معجم البلدان » (٤٧٢/٢ - ٤٧٥) ، و « خطط المقريزي » (٢١٣/١ - ٢٢٦) ، و « الخطط التوفيقية » (٣٦/١١ - ٥٧) .

(٢) أي سنة ٨٥٢ هـ .

(٣) في سنة ٦٥٩ هـ عندما استبدّ الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي بمملكة مصر، بعد قتل الملك المظفر قطز أخرج مِن مصر عدَّة مِن الحجَّارين لردم فم بحر دمياط ، فمضوا ، وقطعوا كثيرًا مِن القرابيص وألقوها في بحر النيل الذي ينصب مِن شمال دمياط في البحر الملح حتى ضاق =

يذبحون بها دجاجة ، واستصوب ذلك ، وأراد فِعْله ، فلما لم يجد للسلطان مَيْلًا إلى ذلك تبعًا لغرض صاحب المكس ، لم يتمكن من فعله .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشريه ، رُفِعَ إلى السلطان امرأة ادَّعت على امرأة أخرى ، عند والي الشرطة ، بأنها قعيدة للصوص ، وأنها أخذت للمدَّعِيَة أمتعةً ، ثم رفعت المُدَّعى عليها أمرها إلى القاضي جلال[1] الدين بن القاضي بدر الدين محمد بن الأمانة الشافعي ، فطلب غريمتها المدّعية عليها عند الوالي[2] ، وحكم عليها بأن لا تعارضها إلا من الشرع الشريف ، فطلبه السلطان ، فبات مُرَسَّمًا عليه في بيت نقيب الجيش[3] ، ثم طلع به إلى السلطان يوم الأربعاء تاسع عشريه ، فقال له : لِمَ تحكم في قضيَّة تَقَدَّمك فيها حكمُ الوالي ، وأمير آخور ، عندي النقل بأنه ليس لك ذلك ، ثم أمر به فبُطح ، وضربه بيده ، فشفع فيه ناظر الخاص ، وصار يقول : يا مولانا السلطان ، بدنك متضعضع ، فارْفِق به ، فكلما قال له ذلك ، زاد في مَدِّ يَدِهِ ، وقُوَّة ضربه إظهارًا للصحة والقوة ، ثم ضرب الرّسول الذي كان سفيرًا في ذلك ، ثم أمر نقيب الجيش بِلَكْمِ القاضي ، وإطلاقه .

قصة ابن الأمانة

وفي يوم الأربعاء هذا ، مات الفاضل البارع المفنن ، أمين الدين ، [محمد ابن علي][4] بن موسى الشّافعي المُقْري شيخ القراءات بالمدرسة المؤيدية ،

موت الأمين ابن موسى

= وتعذر دخول المراكب الكبار منه وإنما تقف بآخر البحر قريبًا مِن ملتقى البحرين ، وينقل ما فيها مِن بضائع في مراكب نيلية تُعْرف عند أهل دِمْياط بـ (الجروم) . « خطط المقريزي » (٢٢٤/١) ، و « الخطط التوفيقية » (٤٦) .

(١) هو : عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان بن سند بن خالد ، الجلال أبو الفضل بن البدر الأبياري الأصل القاهري الشافعي المعروف بابن الأَمَانة وُلد في ٥ صفر سنة ٨٢٣ هـ بخزانة البنود مِن القاهرة ، (ولم تحدد الكتب التي ترجمت له تاريخ وفاته) .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٢٠/٤ رقم ٣٢١) ، و « نظم العقيان » (١٢٥ رقم ١٠٤) .

(٢) كان والي القاهرة في هذه الفترة هو (جانِبَك اليشبكي) . راجع « النجوم الزاهرة » (٤٢٣/١٥ ، ٤٥١) .

(٣) راجع : « هامش ١ » ، من (ص ٢٦٤) .

(٤) ما بين الحاصرتين ، بياض في الأصل والتصحيح من « الضوء اللامع » (٢٢٢/٨) .

والمدرسة الشيخونية ، عن غير ولد ذكر ، وكان حَظِيًّا عند الجند ، لاسيما الطواشية ، معتزلًا مَنْ عداهم ، وكان يركب الخيول الحِسَان ، ويلبس الثياب النَّفِيسة، وكان بارعًا في القراءات ، والعربية ، وأخذتُ عنه تدريس القراءات بالمؤيدية ، وهي أول وظيفة حصلت لي ، والقراءات أول علم اشتغلت به ، فكانت مناسبة عظيمة .

وفي هذا الحد ، وُلِّيَ الشهاب أحمد[1] بن الزهري قضاء الشافعية بحلب ، والأمين سالم[2] الحنبلي قضاء الحنابلة بها ، كلاهما بواسطة ابن السلطان .

سنة سبع وخمسين وثمانمائة . (أحسن الله عاقبَتها) اشتدّ بالسلطان المرضُ في أولها ، وتزايد ضعفُه ، وانحطاط قوته ، ثم مرض بحصر البول[3] ، وهو مع ذلك يُظهر الجَلَد ، إلى أن تعاظمه الأمر ليلة الأربعاء سادس محرَّم السَّنَةِ المذكورة ، فلما كان قريب نصف يوم الأربعاء المذكور ، وجد في نفسه خِفَّةً ، فأرسل يأمر الأكابر بالطلوع إلى الخدمة في الغد فَبَاتَ الناس على ذلك ، وطلع المباشرون والأمراء بكرة يوم الخميس سابعه ، فأُمروا بالانصراف قبل الوصول إلى القلعة ، وذلك أنه حصل للسلطان شبه الصَّرَّع ؛ إغماءٌ واضطرابٌ ، فهرب من كان عنده من النِّساء ، ثم دخل الخصيان[4] ، فلما رأوه كذلك هربوا أيضًا ، وتحدَّثوا بما رأوا ، فشاع بين

---

(١) راجع « هامش ٤ » من (ص ١١) .

(٢) سالم بن سلامه بن سلمان ، مجد الدين الحموي الحنبلي ، قاضي قضاة الحنابلة بحلب ، لم تحمد سيرته ، وقتل خنقًا بقلعة حلب ؛ لكونه قتل ابن قاضي عنتاب خنقًا لاتهامه بالزندقة ، وذلك سنة ٨٥٨ هـ .

له ذكر في : « حوادث الدهور » (٣٨ ، ١٠٢ ، ٢٠٣) ، وله ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٧٢/١٦)، و « الضوء اللامع » (٢٤٢/٣ رقم ٩٠٨) .

(٣) هذا ما أكده (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٤٢٣) .

(٤) الخصيان : جمع (خصي) ، وهي كلمة يونانية معناها أمين المضجع ، أو رجل مجبوب ، وكانت عادة استخدام الخصيان خدمًا في البيوت الثرية أو الملكية قديمة جدًا ، بلغت مداها عند الأباطرة البيزنطيين ، فأخذ عنهم هذه العادة سلاطين آل عثمان ، وترقى الخصيان في الدولة حتى =

درس بالمؤيدية

النَّاس أنه مات ، وارتاع النَّاس لهذا الخبر ، وماج بعضهم في بعض ، وكنت قد بيَّت على أنْ أعمل إجْلاسًا[1] في المؤيدية للتدريس في علم القراءات ، لأجل الوظيفة التي أخذتها ، فمنع هذا الخبر كثيرًا من الناس من الحضور ، ومع ذلك فحضر وجوه الناس ، وأعيانهم ؛ القضاة الأربعة إلَّا المالكي ، والشيخ أمين الدين يحيى بن الأقصرائي ، وقريبه[2] الشيخ محب الدين إمام السلطان ، والشيخ حميد الدين ابن قاضي بغداد قاضي الحنفية بدمشق ، وشيخنا محقق الزَّمان بن أبي عبد الله المَشَدالِّي البجائي ، ومن الطلبة [٣٧] ، والفضلاء ، ونُوَّاب القضاة وغيرهم خلق كثير ، لعلَّهم يزيدون على المائتين ، وكنت قد عزمت على أن أقول : الحمد[3] لله المؤيّد من توسّلَ إليه بلذيذ خِطابه ، المسدّد من توكّل عليه ، برشيد القول وصوابه ، وأشهد أن لا إله إلا الله المَيسِّر للذكر المفتِّح لما استغلق من أبوابه ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المجاب إلى تِلاوَة كتابه على حروف كثيرة ؛ تخفيفًا على أمَّتِه وصِحابه ، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريَّته وأحبابه ، وسلِّم وعظَّم وشرّف وكرّم ما تمسك مقرئ بأسبابه ، وتعلق رجاءُ تالٍ وخوفه بإرْغاب القرآن وإرْهابه ، وبعد ، فإن أشرف العلوم قَدْرًا ، وأوسعها وأعظمها بحرًا ، وأشرقها شمسًا وأضوأها بدرًا ، ما تعلَّق بالكلام المعجزة الباقي علي وجه الدّهر آية تُقيم دلائل النبوَّة ، وتُبْرزه ، وتحدَّث عن حقيقة الرِّسالة وَحَقيَّتها ، فتُوضِّح ما شاءت وتوجِزُه ، وأنَّ

= بلغوا مراتب عليا ، أما في العالم الإسلامي فقد كان انتشار الخصيان أقل بكثير مما يعتقد عادة ، وكان بيع الصبيان فيما مضى عنصرًا هامًّا في التجارة الإفريقية . « الموسوعة العربية الميسرة » (٧٥٧) .

(١) إجلاسًا : مفرده (جَلْس) ويطلق على درس الأستاذ . « تكملة المعاجم العربية » (٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢) .

(٢) وهو محمد بن أحمد بن أبي يزيد ، المحب بن الشهاب ، ابن أخت يحيى بن الأقصرائي . « الضوء اللامع » (١١/ ١٨٥) .

(٣) كتب المؤلف حاشية في الجهة اليمنى مِن أعلى الصفحة قال فيها : « كتاب الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات » .

أَوْلى ذلك بالتَّقديم ، وأَحَقَّه بالتعلّم والتعليم ، لتحرير آدائه ، وتحقيق قراءته وإقْرَائِه ، وإنه لأوَّل علم من الله تعالى ، فله الحمد بتعلّمه ، فالقلب له أقبل[1] ، والطَّبْع إليه أميْل ، والنَّفْس له أعشق ، وهو بالفؤاد أَلْصَق ، هو لعَمري الصديق القديم ، والنّديم الذي منادمته ألطف مِن مَرِّ النسيم .

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي فارِغًا فتمكنـا[2]

ولم يزل الله تعالى ، وله الحمد يندب في كل عصر أقوامًا بذلك يعتنون ، تصديقًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[3] حتى فاقوا بذلك كُلَّ أُمّة ، فأوضحوا محجَّته وَرَسْمه ، ودَوَّنوا فنونه وعلْمه ، وصنَّفوا فيـه كتبًا جَمَّة ، أجزل الله شكرمساعِيهم، وجعلنا من خير مُتَّبعيهم ، وسَمُّوا العلم المتكفلَ بذلك ، عِلمَ القراءات ، وهو علم يُعْرَف مِنْه اتّفَاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم في الحذف والإثْبات والتحريك والإسْكان والفَصْل والإيْصال ، وهيْئة النطق والإبْدال من حيث السَّمَاع ، أو يُقال : هو علمٌ يُعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة ، والإعراب والحذف والإثبات والفَصْل والوَصْل ، من حيث النَّقل ، وقال ابن الأكفاني[4] في كتابه « إرشاد القاصد » : « هو عِلمٌ ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت ، بالسَّمَاع ويرد على عكسه نحو يُخادعون في يخدعون ، ويعملون في تعملون ، وشهيَّة الأنفس في تشتهي ، والخلاف في الوقف على نحو وَيْكَأنَّه والخلف في الاستعاذه والبسملة بين السورتين ، والتكبير فليس بجامع » .

---

(١) كتب المؤلف في الجهة اليسرى من الصفحة (أفعل تفضيل) .

(٢) البيت لمجنون ليلي . راجع « ديوانه » (ص ٢٨٢) .

(٣) الحجر / ٩ .

(٤) هو : محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السّنجاري المصري ، المعروف بابن الأكفاني ، طبيب رياضي حكيم ناظم توفي سنة ٧٤٩ هـ ، من مؤلفاته : إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ، والدر النظيم في أحوال العلوم والتعليم ، ونخب الذخائر في أحوال الجواهر .

له ترجمة في : « كتاب الوافي بالوفيات » (٢/٢٥ رقم ٢٧٥) ، و « البدر الطالع » (٢/٧٩ رقم ٣٨٨) ، و « كشف الظنون » (٦٦ ، ١٤٩٠ ، ١٥٤٢ ، ١٩٣٥ ، ١٩٩٠) ، و « إيضاح المكنون » (٢/٦٩٢) ، و « هدية العارفين » (٢/١٥٥) و « الأعـلام » (٦/١٨٩) ، و « معجم المؤلفين » (٨/٢٠٠ - ٢٠١) .

وموضوعه كلمات الكتاب العزيز من هذه الجهة ، وفائدته ، صيانته عن التحريف والتغيير ، وينحصر الكلام فيه ، في وسائل ومقاصد ، تنحصر الوسائل في سبعة أجزاء : الأول الأسانيد ، والثاني علم العربية ، ومنه مخارج الحروف وصفاتها ، والثالث الوقف والابتداء ، والرابع الفواصل ، وهو فن عدد الآيات ، والخامس مرسوم الخط ، والسادس الاستعاذة، والسابع التكبير . وتنحصر المقاصد في جزئين : الأول الأصول ، والثاني الفرش ، تنحصر الأصول في نحو عشرين بابًا ، تأتي الإشارة إلى أسمائها في التقسيم

وينحصر الفرش في السّور ، وَجْه الضبط بطريق يقلل من الانتشار ، ويربط بعض الأجزاء ببعض .

إنّ الكلام في القراءة امَّا أن يكون بالنظر إلى الاتفاق والاختلاف في أمر يرجع إلى النطق أوْ لا ، الأوّل المقاصد ، والثاني الوسائل ، والكلام في الوسائل إمَّا أن يكون راجعًا إلى نفس النطق أوْ لا ، وما كان راجعًا إلى نفس النطق ، فإمّا أن يكون بحسب تصحيحه أوْ لا ، وما كان بحسب تصحيحه[1] فإمّا أن يكون بالنظر إلى ذات الحرف من حيث الذَّات ، أو من حيث الوصف ، الأول فن المخارج ، والثاني فن الصفات ، وأما ما لا يكون النظر فيه راجعًا[2] إلى نفس النطق ، فإمّا أن يكون راجعًا إلى معنى الكلام ، أوْ لا ، وما رجع إلى معنى الكلام فإمَّا أن يكون باعتبار ما يتمشى على لسان العرب ، أو باعتبار ما يحسْن من قَطْع الكلام ووصْلِه ، الأول العربية ، والثاني الوقف والابتداء ، والوقْف هو السكوت بعد الشروع في القراءة عن تنفس ، وهو اختياري ، واختباري ، واضطراري ؛ لِأَنه إما أن يكون بانقطاع النَّفَس عن غلبه أوْ لا ، الأول الاضطراري ، والثاني إمّا أن

---

(١) جاء في حاشية الصفحة اليسرى : « أي يكون بحسب تزيينه بالنغم ونحوه » .

(٢) جاء في حاشية الجهة اليمنى : « لا يقال : إن الراجع إلى نفس النطق هو المقاصد ؛ لأنّ ذاك في أمر يرجع إليه مثل تغيير الإعراب والإدغام وجميع الهيئات ، وهذا راجع إليه بنفسه لا بواسطة أمر ، مثل المخارج والصفات ، فإنها تصحيح النطق بالحروف (ذاتًا وهيئةً) لا بالنظر إلى قارئ معين بل إلى كل قارئ ، فليس بالنظر إلى الاتفاق والاختلاف ، فهو حيثية أخرى يقع بها الفرق .

يكون النظر فيه إلى ارتباط بعض الجُمَل ببعض وانفصاله من حيث المعنى ، أو إلى اتصال بعض الحروف ببعض في الخط ، وانفصاله الأول الاختياري (بالمثنّاة التحتانية) ، والثاني الاختباري (بالموحّدَة) ، وهو إمّا أن يكون عن إعراض عن القراءة في ذلك الوقت ، أوْ لا ، فإن كان عن الإعراض خُصَّ باسم القطع ، وعلى التقديرين فإمّا أنْ يتم المعنى بالمْسكوت عليه أوْ لا ، الثاني القبيح ، والأول إمّا أنْ يتعلق ما بعد المسكوت عليه به أوْ لا ، الثاني التَّام ، والأول إمّا أن يكون تعلقه به في المعنى دُون اللفظ أوْ لا ، الأول الكافي ، والثاني الحسن ، ولا يكون القطع إلا في رؤوس الآي ، ولا يكون القبيح إلّا في أثنائِها .

والابتداء إنْ كان عن تامّ أو كاف حسن مطلقًا ، أو عن غيرهما ، فإن كان أول آية فكذا ، وإلا فلا .

وأما ما لم يكن النظر فيه راجعًا إلى معنى الكلام من الحَيْثِيَّةِ المذكورة ولا إلى النطق به ، واندرج فيه ما لم يكن النظر فيه بَحَسب تصحيح النطق ، لأنَّ نفي المطلق يستلزم نفي المقيّد ، فإمّا أن يكون النظر فيه إلى الخط أوْلا ، الأول المرسوم والثاني إمّا أن يكون الفحص فيه عن كونه فاصلة أوْلا ، الأول العدد ، والثاني إما أن يبحث فيه عن مشروعيته عند الأداء أوْلا ، الأوّل كالاستعاذة والتكبير ، والثاني الإسناد ، وهو أعظم مَدَارَات هذا الفن [٣٨] والمعوّل عليه فيه ، هذا تمام الكلام على أُمهات أقسام القسم الثاني من أصل القسمة ، وهو الوسائل .

القسم الأول ، من أصل القسمة ، وهو المقاصد ، وهو ما يكون البحث فيه بالنظر إلى اتّفاق القُرَّاء واختلافهم في أمر يرجع إلى النطق ، إمَّا أن يقع البحث فيه عن الكلمة بالنَّظر إلى ما يغير معناها غالبًا[١] أوْلا ، الأول فرش

---

(١) جاء في الحاشية اليمنى مِن الصفحة : « احترز بقوله : غالبًا ، عن نحو السّراط ، ونحو يأمركم =

الحروف ، وهو القسم الثاني من مقاصد علم القراءة ، وهو إمّا أن تتكرر فيه الكلمة ، ويقع الخلاف فيها في كل موضع وقعت فيه ، أو في أكثر المواضع، أو لا تتكرر ، الأول يُضْبط الخلافُ فيه في أول موضع وقعت فيه تلك الكلمة ويضم إليها ما يشبهها ، والثاني يورد منثورًا في السور على حسب التَّرتيب ، وأما ما لا يكون البحث فيه عن الكلمة بالنظر إلى ما يغيِّر معناها ، بل بالنظر إلى ما يغيِّر هيئتها والمعنى بحاله ، وهو القسم الأول من مقاصد علم القراءات ، وهو المسمَّى عندهم بالأصول ، فإمّا أن يقع البحث فيه عن التحريك والإسكان أوْلا ، وما يقع البحث فيه عن التحريك والإسكان ، فإما أن يصحبه تَشْدِيْدٌ أوْلا ، الأول الإدغام الكبير[1] ، والثاني إمّا أن يكون البحث فيه عن الحركة جميعها أوْلا وما كان البحث فيه عن الحركة جميعها فإما أنْ يصحبه توليد حرف من الحركة أوْ لا ، الأول باب هاء الكناية[2] ، والثاني إما أن يلزم فيه حذف أوْ لا ، الأول باب نقل حركة الهمزة إلى السَّاكن قبلها ، والثاني باب ياءات الإضافة ، وما لم يكن البحث فيه عن جميع الحركة بل عن بعضها أو عن هيئة الشَّفَة عند النطق بها باب الوقف على أواخر الكلم ، وحرف واحدٌ من باب الإدغام الكبير ، وأما ما لم يكن البحث فيه عن تحريك ولا إسْكان فإما أنْ يبحث فيه عن الإبدال أوْ لا ، وما تعلَّق بالإبدال فإما أن يكون بإبدال حَرْف بحرف أوْ لا ، وما كان بإبدال حرف بحرف فإما أن يُشَابَ بنوع تشديد وشبهه أوْ لا ، الأول وهو ما يُشاب باب الإدغام الصغير، والثاني وهو ما يبدل ولا يشاب برائحة تشديد أبوابُ الهمز وبعض باب الوقف على مرسوم الخط ، وما لا يبحث فيه عن إبْدال الحَرْفِ إمَّا أن يكون البحث فيه عن إبدال صفة النطق بالحرف أوْ لا[3] ، وما يبحث فيه عن إبدال صفة النطق بالحرف ، إما أن يكون مع الإضجاع أوْ لا ، الأول باب الإمالة مطلقة ومقيَّدة ، أما مطلقة

سؤال : لِـمَ سمى الإدغام كبيرًا وصغيرًا ولِمَ لَمْ يخلط البابان ؟

= ويشْعر كم مما يتغير لفظه دون معناه ، وأماما يتغير المعنى .. وغالب الفرش ..

(١) الإدغام : هو اللفظ بحرفين ، حرفاً كالثاني مشدَّدًا ، وينقسم إلى كبير وصغير ، فالكبير ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا ، والصغير هو الذي يكون الأول منهما ساكنًا . « النشر » (٣٧٤/١) .

(٢) هاء الكناية : هي هاء الضمير التي يكنى بها عن المفرد المذكر الغائب ، وهي على قسمين : قبل متحرك ، وقبل ساكن . « النشر » (٤١٠/١) .

(٣) جاء في الحاشية اليسرى للصفحة (نحو رحمة ونعمة) .

سؤال : لِـمَ قالـوا إمالـة هـاء التأنيث ومـا حقيقـة الإمالة ؟

فواضح ، وأما مقيدة فباب إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف ، والثاني وهو ما ينظر إلى إبدال صفة النطق بالحرف من غير إضجاع بابا اللامات والراءات ، وأما ما لا يبحث فيه عن الإبدال واندرج فيه ما لا يبحث فيه عن إبدال صفة النطق بالحرف اندراج انتِفاء الأخص تحت انتفاء الأعم ، فإما أن يبحث فيه عن الزِّيادة أوْ لا ، وما يبحث فيه عن الزِّيادة ، فإمَّا أن يتعلق بحرف أوْ لا، الأول باب الزوائد ، وبعض باب الوقف على مرسوم الخط ، والثاني وهو ما يبحث فيه عن الزيادة من غير نظر إلى الحرف باب المد والقصر يبحث فيه عن زيادة المطّ بالصوت ، وأما ما لا يُبْحَثُ فيه عن الزيادة[1] فإما أن يقع البحث فيه عن أحوال الحروف من جهة الوقف أو لا ، الأول بعض باب الوقف على مرسوم الخط[2] ، والثاني باب السَّكْت على السَّاكِن قبل الهمز وغيره .

هذا تقسيمٌ حاصِرٌ لِأَشْتات هذا الفنِ ، محيطٌ بجميع أجزائه على وجه كلِّيٍّ بديعٍ مَنّ الله تعالى وله الحمد به عليّ ، وما علمتُ أحدًا سبقني إليه ، وقد عُرِفَ به رسم كل باب من أبواب علم القراءات على حياله .

الكلام في الوسائل ينحصر في أمرين ، الأول بيان توقف العلم عليها ، والثاني إيراد ما تشتد الحاجة في العلم منها إليه .

الأول ، بيان توقف العلم عليها ، أمَّا على الإسناد فلأنَّ القراءة سُنَّة متَّبعة ، ونَقْلٌ مَحْضٌ ، فلابد في إثباتها من صحتها ، ولا طريق إلى ذلك إلا بإسْناد ، وستأتي [٣٩] الإشارة إليه من كلام شيخنا عَلَّامة زمانه شمس الدين أبي الخير محمد[3] بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن

---

(١) جاء في الحاشية اليسرى للصفحة (نحو قيمة ولمه وعمه) .

(٢) جاء في الحاشية اليسر للصفحة (نحو أَيًّامًا وَوَيْكَأَنَّهُ وَمَالِ هؤُلاء) .

(٣) وُلد ليلة السبت ٢٥ رمضان سنة ٧٥١ هـ داخل خط القصَّاعين بين السورين بدمشق ، ومات ظهر يوم الجمعة ٥ ربيع الأول سنة ٨٣٣ هـ بمنزله من سوق الإسكافيين في شيراز . من مؤلفاته : « النشر في القراءات العشر » ، و « تحبير التيسير في القراءات العشر » ، و « التمهيد في التجويد » ، و « طيبة النشر في القراءات العشر » . =

الجزري الدِّمشقي الشافعي رحمه الله نظمًا ونثرًا ، ولاريب أنَّ ذلك يتوقف على علم الحديث .

وأما على العربية ؛ فلأنّ إنزال القرآن العظيم وقع بلسان العرب فتوقَّف الأمر في إقامة أدائه على بصيرة ، على معرفة ما يجوز عندهم النطق به ، وما لا يجوز ، لاسيَّما معرفة كيفية نطقهم بكل حرف ذاتًا وصِفةً ، قال[1] شيخنا رحمه الله :

ويُقْرَأ القُرْآنُ بالتَّحْقِيقِ[2] مَعْ ... حَدْرٍ[2] وتَدْويرٍ[2] وكُلٌّ مُتَّبَعْ

مع حُسْنِ صوتٍ بلحُون العَرَبِ ... مُرَتَّلًا مُجَوَّدًا بالعَرَبِي

والأخْذُ بالتجويدِ حَتْمٌ لازِمٌ ... مَنْ لم يُصَحِّحِ[3] القرآنَ آثِمٌ

لِأَنَّهُ بِهِ الإلٰهُ أنْزَلا ... وهكذا عنه[4] إلينا وصَلا

فَرَقِّقَنْ مُسْتَفِلًا من أحرفِ ... وحَاذِرَنْ تفخيمَ لفظ الألِفِ

إلى آخر ما قال ، فقد عُلم بذلك ، أنّ هذا العلم شديد المؤاخاةِ لعلْمَي الحديث والعربية ، مَنْ عرفه دونهما ، أو دون أحدهما لم يكن منه على بصيرة في جميع أمره ، وقد كنت قلت هذا بحثًا ، ثم ظهر النَّقل به عن أعظم التابعين لهؤلاء الأئمة ، أول من جمع قراءاتهم في كتاب ، وهو الإمام الكبير مقرئ الآفاق ، أبو بكر أحمد[5] ابن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، قال الإمام الحافظ الكبير ،

= له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢/٦٩٧ رقم ٢٣٨٣) ، و « الضوء اللامع » (٩/٢٥٥ رقم ٦٠٨) ، و « شذرات الذهب » (٧/٢٠٤) ، و « البدر الطالع » (٢/٢٥٧ رقم ٥١٣) .

(١) وذلك في « طيبة النشر » (١٧٢ — ١٧٣) .

(٢) التحقيق : « إعطاء كل حرف حقَّه من إشباع المد ، وتحقيق الهمزة ، وإتمام الحركات ، وإعتماد الإظهار والتشديدات ، وتوفية الغنات وتفكيك الحروف .. » و(الحدر) « إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمز ونحو ذلك » و (التدوير) « التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر » . « النشر » (١/٢٩٣ — ٢٩٦) .

(٣) في « طيبة النشر » (١٧٢) (يُجَوِّدِ) .

(٤) في « طيبة النشر » (١٧٢) (منه) .

(٥) وُلد سنة ٢٤٥ هـ ، ومات في شعبان سنة ٣٢٤ هـ ، يعتبر كبير العلماء بالقراءات في عصره ، من مؤلفاته : «كتاب القراءات الكبير» ، و«قراءة ابن كثير» ، و«قراءة أبي عمرو» ، و«قراءة عاصم» ، و«قراءة نافع» ، و«قراءة حمزة» ، و«قراءة الكسائي» ، و«قراءة ابن عامر» ، و«قراءة النبي ﷺ» ، و«كتاب الياءات» ، و«كتاب الهاءات» .

له ترجمة في : « كتاب الفهرست » (٣٤) ، و « معجم الأدباء » (٥/٦٥ رقم ١٢١) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٥/٢٧٢ رقم ١٢١) ، و « الأعلام » (١/٢٤٦) ، و « معجم المؤلفين » (٢/١٨٨) .

أبو القاسم[1] عبد الرحمن بن إسماعيل الدِّمَشْقِي ، المعروف بأبي شامة في كتابه المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز[2] ، قال الإمام أبو بكر بن مجاهد : « وحَمَلة القرآنِ متفاضلون في حَمْلِه ، ونَقَلَةِ الحروف منازل في نقل حروفِه ، فمن حَمَلة القرآن ، المُعْرِب العالم بوجوه الإعراب في القراءات ، العارف باللغات ، ومعاني الكلام البصير بعيب القراءة ، المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذي يَفْزَع إليه حُفَّاظُ القرآن في كل مِصْر من أمصار المسلمين ، ومنهم من يعرب ولا يلحن ، ولا علم له بغير ذلك ، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ، ولا يقدر على تحوّل لسانه ، فهو مطبوع على كلامه ، ومنهم مَنْ يُؤَدِّي ما سمعه ممن أخذ عنه ، وليس عنده إلا الأداء ، لما تَعَلَّم ، لا يعرف الإعْراب ولا غيره ، فذلك الحافظ ، ولا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده فيقرأ بلحن لا يعرفه ، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ، ويبرئ نفسه ، وعسى أن يكون عند النّاس مُصَدّقًا ، فيحمل ذلك عنه وقد نسيه وأوهم فيه ، وجسر على لزومه والإصرار عليه ، أو يكون قد قرأ على مَنْ نسي وضع الإعراب ودخلته الشبهة فتوهم ، فذلك لا يُقَلّد في القراءة ، ولا يُحتجّ بنقله ، ومنهم من يعرب قراءته ويبصر المعنى ويعرف اللغات ولا علم له بالقراءات واختلاف النَّاس في الآثار ، فربما دعاه بصْرُه بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية ، لم يقرأ به أحدٌ من الماضين ؛ فيكون بذلك مبتدعًا ، وقد روينا في كراهية ذلك وحظره أحاديث »[3] . انتهى .

فإن قيل : قد أُمِنَ ما ذكر من المحذور بضبط القراءات وإيداعها الكتب المصنّفات ، قلت : إن سلم ذلك في الحروف ، لم يسلم فيما يتعلق بهيئاتها

---

(١) مؤرخ ، محدث ، باحث ، أصله من القدس ، ومولده في دمشق في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٥٩٩ هـ ، وقتل بها في ١٩ رمضان سنة ٦٦٥ هـ ، من مؤلفاته : « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين » ، و « المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » منه مخطوط في المكتبة البدرية بالقدس ، و « الوصول في الأصول » ، و « مفردات القراءة ».

له ترجمة في : « الذيل على الروضتين » (٣٧) ، و « تذكرة الحفاظ » (١٤٦٠/٤ رقم ١١٥٧) ، و « فوات الوفيات » (٢٦٥ رقم ٢٥١) ، و « الدارس » (٢٣/١)، و « الأعلام » (٧٠/٤) ، و« معجم المؤلفين » (١٢٥/٥) .

(٢) طُبع بتحقيق طيار آلتي قولاج ، في بيروت : دار صادر ، ١٣٩٥ هـ .

(٣) راجع النص في « المرشد الوجيز » (١٦٨ – ١٦٩) .

وصفاتها ، هذه الجيم لم نأخذ عن أحد يقيم لفظها على ما ينبغي إلا ابن الجزري رحمه الله ؛ وذلك أنها حرف من جملة صفاته الشدة ، فمتى أُعْطيت ما تستحقه مِن المخرج والصِّفة لم يمتد الصّوتُ بها إذا سكنت كأخواتها من الحروف الشديدة ، وكل من أدركناه سواه يمكن مدّ الصوت بما ينطق به منها عند الإسكان ؛ وما ذاك إلا لتقريبهم لها من الشين إحدى أُخْتيها في المخرج ، فاكتسبت من صفتها ، هذا مع أنَّ أهل هذا الفن أحالوا على علم العربية في كثير من أبوابه ، قالوا في باب الإدغام الكبير : إن أبا عمرو[1] يُدغم كل متحركين التقيا سواء تماثلا ، أو تقاربا في المخرج أو تجانسا ، اتحدا مخرجًا واختلفا هيئة نحو (تـ ط) ، فإن كانا من كلمتين أظهر أشياء منها تاء الضمير ، واختلف عنه في المجزوم . قال شيخنا[2] ، رحمه الله :

إِذَا الْتَقَى خطَّاً مُحَرَّكان	مِثْلاَنِ جِنْسَانِ مُقَارِبَان
أُدْغِمْ بخُلْفِ الدُّورِي[3] والسُّوسِيّ[4] معًا	لكِنْ بِوَجْهِ المَدِّ والهَمْزِ أَمْنَعا
فَكِلْمَةٌ مِثْلَيْ مَنَاسِكُكُمْ وَمَا	سَلَكَكُمْ وكِلْمَتَيْنِ عَمِّمَا
مَا لَمْ يُنَوَّن أَوْ يكُنْ تا مُضْمَرِ	ولا مُشَدَّدًا وفي الجَزْمِ انْظُرِ
فَإِنْ تَمَاثَلَا فَفِيهِ خُلْفُ	وإِنْ تَقَارَبا ففيهِ ضَعْفُ

---

(١) هو : أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ، ثم المازني البصري ، شيخ القراء والعربية ، وأحد القراء السبعة ، اختلف في اسمه على عشرين قولًا ، مات في طريق الشام سنة ١٥٤هـ .

له ترجمة في : « التاريخ الكبير » (٩/٥٥) ، و « وفيات الأعيان » (٣/٤٦٦ رقم ٥٠٥) ، و « سير أعلام النبلاء » (٦/٤٠٧ رقم ١٦٧) ، و « فوات الوفيات » (٢/٢٨ رقم ١٥٦) ، و « تهذيب التهذيب » (١٢/١٧٨) .

(٢) وذلك في « طيبة النشر » (١٧٦) .

(٣) هو : حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهْبَان بن عيسى بن صُهْبَان الدوري الأزدي البغدادي الضرير ، أبو عمر نزيل سامراء المقرئ النحوي ، وُلد سنة بضع وخمسين ومائة ، قرأ على الإمامين أبي عَمْرو والكسائي ، ثقة ثبت كبير ضابط ، قرأ بالحروف السبعة وبالشواذ ، مات سنة ٢٤٠ هـ ، من مؤلفاته : « كتاب ما اتفقت ألفاظه ومعانيه مِن القرآن » ، و « كتاب أجزاء القرآن » .

له ترجمة في : « معجم الأدباء » (١٠/٢١٦ رقم ٢٤) ، و « سير أعلام النبلاء » (١١/٥٤١ رقم ١٥٩) ، و « تهذيب التهذيب » (٢/٤٠٨) ، و « الأعلام » (٢/٢٩١) ، و « معجم المؤلفين » (٤/٦٩) .

(٤) هو : صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الجارود بن مسرح الرُّستي السُّوسِي =

وأفردوا لهاء الضمير بابًا سموه باب هاء الكناية ، ذكروا فيه أحكامها مِن وصل وغيره .

وقالوا في الهمز المفرد : إن أباعمرو أبدل بخلف عنه كل همز ساكن ، إلا ما كان سكون للجزم أو الأمر ، قال شيخنا[1] :

وَكُــلُّ هَمْــزٍ سَاكِــنٍ أَبْــدِلْ حِذَا خُلْفٍ سِوَى ذِي الجَزْمِ وَالْأَمْرِ [كَذَا][2]

وفي باب نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، إن وَرْشا اختلف عنه في إثبات همزة الوصل في الابتداء بما نقل إليه ، قال شيخنا[3] :

وَابْدأ بِهَمْزِ الْوَصْلِ في النَّقْلِ أَجَلْ[4]

وفي باب الإمالة[5] ، أن حمزة[6] والكسائيّ[7] وخلف[8] يُمِيلون ذوات الياءِ .

= الرقّي ، وُلد سنة نيف وسبعين ومائة ، إمام مقرئ محدّث جوَّد القرآن على يحيى اليزيدي ، وأحكم عليه حرفَ أبي عمرو ، مات سنة ٢٦١ هـ وقد قارب التسعين .

له ترجمة في : « الأنساب » (٢٩٨/٢ رقم ٢٢٠٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (٣٨٠/١٢ رقم ١٦٤) ، و « العبر » (٣٧٤/١) ، و « تهذيب التهذيب » (٣٩٢/٤) ، و « الأعلام » (٢٧٦/٣) ، و « معجم المؤلفين » (٧/٥) .

(١) فى « طيبة النشر » (١٨٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة من « طيبة النشر » (١٨٢) .

(٣) في « طيبة النشر » (١٨٥) .

(٤) صدر بيت عجزه : « وانْقُلْ مدًّا رِدًّا وثبتٌ الْبَدَلْ » « طيبة النشر » (١٨٥) .

(٥)الإمالة : أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، بالألف نحو الياء . « طيبة النشر » (١٧١/٢) .

(٦) هو : حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات ، أحد القرّاء السبعة ، وشيخ القراء توفي سنة ١٥٨ هـ وله ثمانون سنة وقيل : إنّ الصحيح سنة ١٥٦ هـ .

له ترجمة في : « التاريخ الكبير » (٥٢/٣ رقم ١٩٤) ، و « المعارف » (٥٢٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (٩٠/٧ رقم ٣٨) ، و « تهذيب التهذيب » (٢٧/٣) ، و « شذرات الذهب » (٢٤٠/١) .

(٧) هو: شيخ القراء والعربية ، أبو الحسن علي بن حمْزة بن عبد الله بن بَهْمَن بن فيروز الأُسدي مولاهم الكوفي ، الملقب بالكسائيّ لكساء أحرم فيه ، مات بالري بقرية أَرَنْبُوية سنة ١٨٩ هـ عن سبعين سنة .

له ترجمة في : « التاريخ الكبير » (٢٦٨/٦ رقم ٢٣٦٨) ، و« المعارف » (٥٤٥) ، و « الفهرست » (٣٢) ، و « تاريخ بغداد » (٤٠٣/١١ رقم ٦٢٩٠) ، و« الأنساب » (٩٩/١١ رقم ٣٤٣٩) ، و « وفيات الأعيان » (٢٩٥/٣ رقم ٤٣٣) ، و « معجم الأدباء » (١٦٧/١٣ رقم ٢٤) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٣١/٩ رقم ٤٤) ، و « البداية والنهاية » (٢٠١/١٠ - ٢٠٢) ، و « تهذيب التهذيب » (٣١٣/٧) ، و « النجوم الزاهرة » (١٣٠/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٢١/١) .

(٨) هو : خلف بن هشام بن ثعلب ، وقيل : طالب بن غراب ، الإمام الحافظ الحجة ، شيخ =

قال شيخنا[1] :

أَمِلْ ذَوَاتِ اليَاءِ في الْكُلِّ شَفَا[2]

وفي باب الوقف على أواخر الكلم ، أنَّ الإشمام[3] والرَّوْم[4] يدخلان بعض الحركات الإعرابية والبنائية دون بعض ، قال شيخنا[5] :

والأَصْلُ في الوَقْفِ السَّكُونُ وَلَهُمْ   في الرَّفْعِ والضَّمِّ [اشْمِمَنَّه][6] وَرُمْ
وامْنَعْهُما في النَّصْبِ والفتحِ بلى   في الجَرِّ والكَسْرِ يُرَامُ مُسْجَلا

وفي باب ياءات الإضافة[7] ، أنها ما كان آخر الكلمة ، ولم يكن لامًا منها ، قال شيخنا[8] :

لَيْسَتْ بِلَامِ الفِعْلِ يَا المضَافِ   بَلْ هِيَ في الوَضْعِ كَهَا وكَافِ

...[9] إلى غير ذلك مما لا يخفى على البصير بهذا العلم ، فصح بهذا وأمثاله ، أن القارئ شديد الافتقار إلى علم العربية قطعًا والله أعلم .

وأما توقف هذا العلم على الوقف والابتداء ؛ فِلأنَّ مِن عوارض الإنسان التنفس فاضطر إلى الوقف ، وكان للكلام بحسب المعنى اتصال يقبح معه الوقف دون محَزِّه واتصال يحسن معه القطع ، قال شيخنا[10] :

وَبَعْدَمَا تُحْسِنُ أنْ تُجَوِّدَا   لابُدَّ أنْ تَعْرِفَ وَقْفًا وابْتِدَا

= الإسلام ، أبو محمد البغدادي البزَّار المُقرئ ، ولد سنة ١٥٠هـ ، ومات في سابع جمادي الآخرة سنة ٢٢٩ هـ ، وقد قارب من الثمانين .

له ترجمة في : « التاريخ الكبير » (١٩٦/٣ رقم ٦٦٦) ، و « تاريخ بغداد » (٣٢٢/٨ رقم ٤٤١٧) ، و « سير أعلام النبلاء » (٥٧٦/١٠ رقم ٢٠٣) ، و « تهذيب التهذيب » (١٥٦/٣) ، و « شذرات الذهب » (٦٧/٢) .

(١) في « طيبة النشر » (١٨٩) .

(٢) صدر بيت عجزه : « وَثَنِّ الاسْمَا إنْ تُرِدْ أن تَعْرِفا » .

(٣) الإشمام : عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ، ولا تكون إلَّا بعد سكون . « النشر » (٢٨٢/٢) .

(٤) الرُّوم : النطق ببعض الحركة ، أو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها ، أو النطق بالحركة بصوت خفي . « النشر » (٢٨١/٢ — ٢٨٢) .

(٥) في « طيبة النشر » (١٩٥) .

(٦) في الأصل (اشمن) ، والتصحيح من « طيبة النشر » (١٩٥) .

(٧) جاء في « النشر » (٢٣٢/٢) : « وياء الإضافة عبارة عن ياء المتكلم ، وهي ضمير يتصل بالاسم والفعل والحرف » .

(٨) في « طيبة النشر » (١٩٧) .

(٩) هكذا ورد في الأصل .

(١٠) في « طيبة النشر » (١٧٣) .

وأما على العدد ؛ فلأن بعض القرَّاءِ زاد على رسم الخط ستين ياءً في رؤوس الآي ، وبعضهم أمال رؤوس الآي من بعض السّوَر ، وبعض أصحاب الأزرق[1] عن ورش[2] رقَّق ما غلظه من اللامات الواقعة في رؤوس الآي الممالة ؛ فاحتيج إلى معرفة تمييز الفواصل من غيرها مِن موطنِه إذ كان أمرًا توقيفيًّا لا مجال للاجتهاد فيه ، وإلى ذلك أشار شيخنا بقوله في باب الإماله :

أمِلْ ذَوَاتِ اليَاءِ في الكُلِّ شَفَا[3]

إلى أن قال :

مَعْ رؤُسِ آي النَّجْمِ طه اقْرَأ مع الـ
ـقيَامَةِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشمس سَأَلْ
عَبَسَ والنَّزْعَ وَسَبَّحْ [وَعَلَى
أَحْيَا بلا وَاوٍ وَعَنْهُ مَيِّلِ[4]]

وقال في باب اللامات :

وَأَزْرَقٌ لِفَتْحِ لامٍ غَلَّظَا ... بَعْدَ سُكُون صَادٍ أو طاءٍ وَظَا
أَوْ فَتْحِها وإنْ يَحلْ فيها أَلِفْ ... أَوْ يُمَلْ مَعْ سَاكِنِ الوقْفِ اخْتُلِفْ
وقيلَ عنْدَ الطَّاءِ والظَّا والأَصَحْ ... تَفْخِيمُها والعَكْسُ في الآيِ رَجَحْ

وقال في باب الزوائد[5] :

---

(١) هو : الشيخ العالم الثقة ، أبو بكر ، يوسف بن يعقوب بن الحافظ إسحاق بن بُهلول ، التنوخي الأنْبَاري ، ثم البغدادي الكاتب ، كان أزرق العينين ، وُلد سنة ٢٣٨ هـ ، وكتب كثيرًا مِن اللغة والنحو والأخبار ، مات في آخر سنة ٣٢٩ هـ .

له ترجمة في : « تاريخ بغداد » (٣٢١/١٤ رقم ٧٦٤٤) ، و « المنتظم » (٣٢٥/٦ رقم ٥٣١) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢٨٩/١٥ رقم ١٣١) ، و « البداية والنهاية » (٢٠١/١١) ، و « شذرات الذهب » (٣٢٤/٢) .

(٢) هو : « عثمان بن سعيد بن عديّ المصري ، مِن كبار القراء ، غلب عليه لقب ورش . أصله مِن القيروان ، ولد في مصر سنة ١١٠ هـ ، ومات فيها أيضًا سنة ١٩٧ هـ .

له ترجمة في : « معجم الأدباء » (١١٦/١٢ رقم ٣٤) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢٩٥/٩ رقم ٨٢) ، و « دول الإسلام » (١٢٤/١) ، و « العبر » (٢٥٣/١) ، و « البداية والنهاية » (٢٤٠/١٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥٥/٢) ، و « حسن المحاضرة » (٤٨٥/١) .

(٣) راجع « هامش ٢ » من ص (٢٧٩) .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من « طيبة النشر » (١٨٩) .

(٥) جاء في « النشر » (٣٥٥/٢) : « وهي الزوائد على الرسم ، تأتي في أواخر الكلم ، وتنقسم على قسمين ؛ أحدهما ما حذف من آخر اسم المنادى ، نحو (يا عبادي ، يا أبت ، يارب) . والثاني تقع الياء فيه في الأسماء والأفعال ، نحو (الداعي ، والجواري ، والمنادي ، ويأتي ، ويري) .

وَهْيَ الَّتي زادوا على مَا رُسِما   تَثْبتُ في الحَالَيْنِ لِي ظِلٌّ دُما

إلى أن قال :

وَكُلَّ رؤُوسِ الآي ظَلْ[1]

وأما على التعوذ والتكبير ؛ فمن باب الندب ، وأما على الرسم ؛ فلأنه سنه متّبعة ، وقد ورد النص عن حمزة أنه كان يتبع في الوقف على الهمز ما وافق خط المصحف العثماني المجمع على اتباعه بشرط أن يصح وجهه في العربية ، وإن كان بما خالفه أقيس .

قال شيخنا رحمه الله[2] :

وَعَنْهُ تسهِيلٌ كَخَطٍّ المصْحَفِ   فَنَحْوُ مُنْشُونَ مَعَ الضَّمِّ احْذِفِ

وأَلِفُ النَّشْأَةِ مَعْ وَاوِ كُفَا   هُزءًا [وَيَعْبَؤُا البَلاؤُا الضُّعَفَا][3]

وورد النَّص عن كافَّة القراء باتباعه مطلقًا ، والوقوف عند حدوده .

قال شيخنا رحمه الله[4] :

وَقِفْ لِكُلٍّ باتِّبَاعِ ما رُسِمْ   حَذْفًا ثُبُوتًا اتِّصَالًا في الْكَلِمْ

وهذا إذا لم يتغير المعنى ، ولم تخرج الكلمةُ عن سننها المعروف ، واختلف عنهم في مواضع فاحتيج إلى معرفته ؛ ليعلم أنهم وقفوا عندما التزموا .

ومن العربيَّة [٤٠] يظهر سِرُّ ما خالفوا فيه ما رسموا ، وقد جعل الرَّسم أحد مدارات إثبات القراءات ، قال شيخنا رحمه الله ، في كتابه النشر[5] ، الذي لم تسمح الأعصار بمثله : « كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ، ولو احتمالًا ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحلّ إنكارها ، بل هي من الأحرف السَّبعة التي بها نزل القرآن ، ووجب على النّاس قبولها سواء

سؤال ما معنى ولو احتمالا ؟

---

(١) في « طيبة النشر » (٢٠٠)

وَقِفْ ثَنَا وكُلَّ رُؤُوس الآي ظَـل   وَافَـقَ بالْـوَادِ دَنَـا جُـدْ وزُحَــلْ

(٢) في « طيبة النشر » (١٨٦) .

(٣) في الأصل : « ويَخْبَؤا البَلاءُ الضُّعفاوا » ، والتصحيح من « طيبة النشر » (١٨٦) .

(٤) في « طيبة النشر » (١٩٥) .

(٥) وهو كتاب « النشر في القراءات العشر » ، طبع بتحقيق الدكتور محمد سالم محيسن ، في القاهرة – مكتبة القاهرة .

أكانت عن السَّبعة[1] ، أم عن العشرة[2] ، أم عن غيرهم مِن الأئمة المقبولين ، ومتى اختلَّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها أنها[3] ضعيفة ، أو شاذَّة ، أو باطِلة سواء أكانت[4] عن[5] السَّبعة أم عن من هو أكبر منهم ، وهذا معنى قوله رحمه الله ، في طِيِّبَة النشر[6] .

فكُلُّ ما وافَقَ وَجْهَ نَحْـوِ ... وكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمالًا يَحْوِي

وصَحَّ إسْنَـادًا هُـوَ الْقُـرْآنُ ... فَهٰـذِهِ الثَّلاثَـةُ الأرْكَـانُ

وَحَيْثُ ما يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَـوْ أَنَّـهُ في السَّبْعَـةِ

قال في النشر ، هذا هو الصحيح، عند أئمة التحقيق من السَّلف والخلف ، صرَّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان[7] بن سعيد الدَّاني ،

---

(١) وهم : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، مات سنة ١٦٩ ، أو ١٧٠ ، أو ١٦٧ ، أو ١٥٠ ، أو ١٥٧ هـ ، وعبد الله بن كثير بن المطلب ، وقيل : عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله ابن زاذان بن فيروزان بن هرمز ، مات سنة ١٢٠ هـ ، وأبو عمرو زبان بن العلاء بن عمار العريان التميمي المازني البصري ، مات بالكوفة سنة ١٥٤ أو ١٥٥ أو ١٥٧ ، وقيل ١٥٨ هـ ، وعبد الله ابن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصُبي ، مات بدمشق يوم عاشوراء من سنة ١١٨ هـ ، وعاصم بن بهدلة أبو النَّجُود ، مات سنة ١٢٩ هـ ، وحمزة بن حبيب ابن عمَّار بن إسماعيل ، مات سنة ١٥٤ أو ١٥٦ أو ١٥٨ هـ ، والكسائي علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي ، مات سنة ١٨٩ هـ . راجع « مفتاح السعادة » (٢/٢٦ – ٤٢) .

(٢) وهم إضافة إلى السبعة السابقين ، أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق ، مات في ذي الحجة سنة ٢٠٥ هـ وعمره ثمان وثمانين سنة ، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي ولاء المدني ، مات بالمدينة سنة ١٣٠ هـ وقيل سنة ٩ أو ٨ أو ١٢٧ هـ ، وأبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف الأسدي ، البزّار البغدادي ، مات في بغداد في جمادي الآخرة سنة ٢٢٩ هـ . راجع « مفتاح السعادة » (٢/٤١ ، ٤٣ – ٤٧) .

(٣) كلمة (أنها) غير موجودة في « النشر » (١/٥٣) .

(٤) في « النشر » (١/٥٤) (كانت) .

(٥) في « النشر » (١/٥٤) (عمن) .

(٦) (ص ١٦٩) .

(٧) هو : أبو عمرو ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم الأندلسي القُرطبي ثم الدَّاني ، الإمام الحافظ المجوِّد المقرئ الحاذق عالم الأندلس ، وُلد سنة ٣٧١ هـ ، ومات يوم نصف شوال سنة ٤٤٤ هـ .

له ترجمة في : « جذوة المقتبس » (٣٠٥) ، و « كتاب الصلة » (٢/٤٠٥ رقم ٨٧٦) ، و « بغية الملتمس » (٤١١ رقم ١١٨٦) ، و « معجم الأدباء » (١٢/١٢٤ رقم ٣٦) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٨/٧٧ رقم ٣٦) ، و « تذكرة الحفاظ » (٣/١١٢٠ رقم ١٠٠٦) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٤١٥) ، و « مفتاح السعادة » (٢/٤٧ – ٤٨) .

ونصّ عليه في غير موضع ، الإمام أبو محمد مكي[1] ابن أبي طالب القيرواني[2] ، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد[3] بن عمار المهدوي ، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل ، المعروف بأبي شامة ، وهو مذهب السلف ، الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه ، قال أبو شامة[4] ، في كتابه المرشد الوجيز : « فلا ينبغي أن يُغْتر[5] بكل قراءة تُعْزَى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السَّبعة ، ويُطلق عليها لفظ الصِّحَّة ، وأنها[6] كذا أُنْزلت ، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط ، وحينئذٍ لا ينفرد بنقلها مصنِّف عن غيره ، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل إن نُقلت عن غيرهم من القُرَّاءِ فذلك لا يُخْرِجها عن الصِّحّة ؛ فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا عمَّن تُنْسب إليه ، فإنَّ القراءات المنسوبة إلى كل قارئ مِن السَّبعة وغيرهم ، منقسمة إلى : المُجْمَع عليه ، والشَّاذّ ، غير أنّ هؤلاء السَّبعة لشهرتهم ، وكثرة الصحيح المُجْتمَع عليه في قراءتهم ؛ تركن النفس إلى ما نُقل عنهم ، فوق ما يُنْقل عن غيرهم »[7] .

هذا ما كنت عزمت على قَوْله ، وجلست أمام القاضي الشافعي[8] ؛ تواضعًا ، فسألني في الارتفاع ، فامتنعت فألحف عليَّ هو ، وغيره من القضاة

---

(١) هو : أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم القرطبي ، وُلد بالقيروان سنة ٣٥٥هـ ، ومات في المحرَّم سنة ٤٣٧ هـ .

له ترجمة في : « جذوة المقتبس » (٣٥١ رقم ٨٢٠) ، و « كتاب الصلة » (٦٣١/٢ رقم ١٣٩٠) ، و « بغية الملتمس » (٤٦٩ رقم ١٣٦٨) ، و « معجم الأدباء » (١٦٧/١٩ رقم ٥٥) ، و « وفيات الأعيان » (٢٧٤/٥ رقم ٧٣٧) ، و « سير أعلام النبلاء » (٥٩١/١٧ رقم ٣٩٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٤١/٥) ، و « شذرات الذهب » (٢٦٠/٣) .

(٢) كلمة (القيرواني) غير موجودة في « النشر » (٥٤/١) .

(٣) هو : أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي المغربي ، أبو العباس ، نحوي ، لغوي ، مقرئ ، مفسر ، مات سنة ٤٤٠ هـ .

له ترجمة في : « الوافي بالوفيات » (٢٥٧/٧) ، و « كشف الظنون » (٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٥٢٠ ، ٢٠٤٠) ، و « معجم المؤلفين » (٢٧/٢) .

(٤) في « النشر » (٥٤/١) إضافة جملة (رحمه الله) .

(٥) هكذا وردت في « المرشد الوجيز » (١٧٤) ، وفي « النشر » (٥٤/١) (يغير) .

(٦) في « المرشد الوجيز » (١٧٤) ، و « النشر » (٥٤/١) : (وإن هكذا أنزلت) .

(٧) النص في « المرشد الوجيز » (١٧٤) ، و « النشر » (٥٣/١ – ٥٤) .

(٨) وهو في هذه الفترة هو شرف الدين يحيى المناوي ، راجع « هامش ٢ » مِن (صفحة ٦٤) .

والمشائخ ، وأكّدوا أقوالهم ، فارتفعت إلى مكان دون الذي أشاروا به ، فلم أزل أرفع بالإلحاف ممن أُريد الجلوس دونه ، حتى أجلسني الشيخ أمين الدين يحيى بن الأقصرائي الحنفي ، شيخ الأشرفية بينه وبين القاضي الشافعي ، وجذبني الشافعي حتى جعلني على سجّادته ، ثم أخذت في الكلام فلما وصلت إلى قولي : وتنحصر المقاصدُ في جزئين ، سألني القضاة في القطع ، فسألتهم في الإطالة لعلمي أنَّ أكثر النّاس يريدها ؛ لأغراضٍ متباينة ، فاعْتلُّوا بتشتت البال ؛ لهذه الإشاعة ، فراجعتهم حتى اشتدت المراجعة فلم أُجب ثم سُئلت في الدّعاء ، فدعوت بإصلاح الأحوال ، ثم انصرفنا .

وفي يوم الجمعة ثامن محرَّم هذا طلع المباشرون ، فنقل إليَّ أنهم أُدخلوا إلى السلطان ، فإذا هو ملقى لا حراك به، ولا قدرة له على النطق ، غير أنه يفهم الكلام ، ويعرف الناس ، ثم طلع الأمراء إلى صلاة الجمعة ، فأراد الأمير الكبير أُينال العلائِي أن يجلس دون ابن السلطان ، واسمه عثمان ، فأبى ، وجلس دونه ، وقال : لا أخرج عن العادة ، فلما انصرفوا من الصلاة شيَّعوه ، وأرادوا المَشْيَ أَمامه ، فأسرع ، حتى صار أمام الأمير الكبير ، فلما وصلوا إلى باب الحريم جلسوا ليستأذن لهم على السلطان ، وأعاد الأمير الكبير سؤال ابن السلطان في الجلوس فوقه ، وأعاد ابن السلطان الامتناع ، وجلس دُونه ، فقال له الأمير الكبير : يا مولانا كل من نراه من هؤلاء الشيوخ ، إنَّما أنشأهم وأمَّرهم أبوك ، فهم أحب الناس فيه ؛ لأنهم إنما رأوا الخير في أيّامه ، فكل منهم لو أراده عبدٌ من عبيد أبيك على حمل نعله فعل مسرورًا ، فضلًا عن ولده ، فضلًا عن أن يكون الولد مثلك ، فكلنا عبيدك ، وفي جميع ما ترسم به من خدمتك على أن هذا الكلام [٤١] لا ينبغي أن يُقال ما دام في السلطان روح ، وإنما قلته ؛ لكثرة ما سمعت من الكلام ، فلا تسمع كلام أحد ، ولا تتخيل من أحد من هؤلاء الأمراء ، إلا خيرًا ، ومحبَّة ، ونُصْحًا ، ثم جاءهم الأمر بأن ينصرفوا ، ففعلوا ، ولم يصلوا إلى السلطان .

خروج السلطان إلى الناس

وفي صبح يوم السبت تاسع محرَّم المذكور ، طلع المباشرون على عادتهم ، وطلع الأمراء ، فإذا السلطان قد خرج إليهم ماشيًا بنفسه[1] ، ثم جلس ، وكتب علامة[2] واحدة ، ولما جاء الأمير الكبير قام إليه فهنَّأه بالعافية وكلَّمه في ذلك طويلًا ، فلم يرد عليه ، وكأنه كان عاجزًا عن النطق ، وأشار إلى الأمير الكبير بالجلوس ، ثم سلم عليه بقية الأمراء ، ثم قام وانصرف ، فقيل إنه أكل مزوَّرة[3] وتكلم ، والله تعالى أعلم . ثم تواتر النقل بأنه خفّ عما كان عليه ، وطلع إليه الشيخ مَدْيَن فعاده ، ثم القضاة ، ثم أراد بعض خواصِّه أن يُدخل إليه القاضي مظفر الدين محمود[4] العنتابي الحنفي المتطبب ، أخا القاضي شمس[5] الدين الأمشاطي ؛ لينظر علَّته ، ويصف له ما يلائمه ، فامتنع من تمكينه من الدخول ، وكان لا يرى أن يستطب ، فقيل له : هنا رجل صالح ، طالب علم مبارك ، قلَّما أخذ بيد عليل إلا عادت عليه بركته ، فقال : ائتوني به ، فدخل ، فوجد اليبس قد

عيادة الناس للسلطان

---

(١) راجع الخبر في : « التبر المسبوك » (٤٢٣) .

(٢) علامة : جاء في : « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار / دولة المماليك الأولى » (١٠٧) ومِن عادة هذا السلطان أن يكتب خطَّه على كلّ ما يأمر به ، وأمّا مناشير الأمراء والجند ، وكل من له إقطاع ، فإنه يكتب عليه علامته ، وعلامة السلطان القائم الآن ، السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد بن الملك المنصور قلاوون - خلَّد الله دولته : (الله أملي) .

(٣) مزوَّرة : تطلق عند الأطباء على كل غذاء دُبّر للمريض بدون اللحم ، وقد يتوسع فيها فتُطلق على ما يلقى فيها اللحم أيضًا ، وعند العامّة طعام من اللوز المدقوق أو الماش مع الأُرز يطبخ حتى يروب كالعصيدة . « محيط المحيط » (٣٨٥) .

(٤) هو : محمود بن أحمد بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل ، مظفر الدين بن الإمام شهاب الدين العنتابي - ويخفف بالعيني - القاهري الحنفي ، المعروف بابن الأمشاطي ، وُلد في حدود ٨١٢ هـ ، أو سنة ٨١٠ هـ اشتغل في الفقه ، وبرع في الطب ، ومهر في الميقات والمساحة ، وصنعة النِّفْط ، وولي تدريس الطب في الجامع الطولوني وغيره ، ذكر (السخاوي) أنه كان سنة ٨٩٩ هـ مقيمًا في بيته زائد العجز عن الحركة . « الضوء اللامع » (١٢٩/١٠ رقم ٥٤٤) ، و « نظم العقيان » (١٧٤) رقم (١٨٩) .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن حسن بن إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل ، الشمس ابن الشهاب العينتابي الأصل القاهري الحنفي . ولد في ٢٦ ذي الحجة أو القعدة سنة ٨١١ هـ بالقاهرة . ومات في عزّه ووجاهته ليلة الاثنين ٢٥ رمضان سنة ٨٨٥ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣٠١/٦ رقم ١٠٠٤) .

غلب عليه ، فوصف له الفراريج ، تطبخ حتى ينهري لحمها ، ثم يشرب من المرقة ، ثم تجدد عليه حمى الدِّقّ[1] ، ثم خرج له خرّاج على ضلعه ، ثم قيل : إنه فتحه يوم الثلاثاء تاسع عشر محرم المذكور .

وفي هذا الحد أخرج ابن البساطي من المقْشَرة ، بواسطة ناظر الخاص[2] .

وفى نحو نصف محرَّم المذكور وصل من الحاج جماعة سبقوا من العقبة ، ثم تواتر مجيئهم إلى أن وصل ركب المماليك الذين يقيمون بمكة كل سنة ويجيئون ويذهب بدلهم ، في يوم الأربعاء العشرين من محرم المذكور[3].

خلع السلطان نفسه

وفي آخر يوم الأربعاء هذا ، أمر السلطان كاتِبَ السرِّ[4] وتَمُرْبُغا الدَّوِيْدَار ، أن يُبَكِّرا بإحضار أهل الحلِّ والعقد ؛ ليشهدوا عليه خَلْعَ نفسِه والتَّبَرِّي من الأمر لابنه عثمان هذا ، مع ما يُعْلَم منه من الظلم والعسف والجهل والطَّيْش والتهتك في الفسق من الشراب ، وما يَجُرُّ ، حتى إنه تواتر أنه كان ينزل في كثيرٍ من الليالي من القلعة في حبال وينزل معه مَنْ يُريد ، ويتسَلَّط على عباد الله بما سيذوق وباله ؛ منه أنه يهجم إلى بيوت عرب اليسار فلا يلقى بكْرًا إلاَّ افتضَّها ؛ حتى رحل العربُ من منازِلِهم ، فلم يكتف بظُلْمه لمن استرعاه الله إيَّاه ، حتى استخلف عليهم مَن الغالِبُ على الظَّنِّ أنَّه يفعلُ بهم أشدَّ من فعله[5]، فكان بَرِدٌّ الأمر إليه داخلًا فيما أخرجه الشيخان ، البخارى ومسلم ، عن مَعْقِلٍ[6] بن يسار رضي الله عنه ، سمعتُ رسول الله

---

(١) حمى الدق : حرارة غريبة تتشبث بالأعضاء الأصلية ولا سيما القلب ، وهي لازمة على نظام واحد ، غير أنها تشتد ليلًا ، وبعد الغذاء ، ولا يشعر اللامس بحرارتها الشديدة إلّا بعد أن يطول الجسُّ ، فتظهر بقوّة .

(٢) وهو في هذه الفترة (الجمالي يوسف بن كاتب جكم) ، « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٥١) .

(٣) كان أمير هذا الركب هو جانبك النَّوْرُوزي . راجع : « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٥٢) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٣) .

(٤) وهو في هذه الفترة (القاضي محب الدين محمد بن الأشقر) ، « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٥١) .

(٥) جاء في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٥٢ – ٤٥٣) : « فلما حضرا الخليفة والقضاة عنده بعد صلاة الصبح ، خلع نفسه مِن السلطنة ، وقال للخليفة والقضاة : الأمر لكم ، انظروا فيمن تسلطنوه ، أو معنى ذلك ؛ لعلمه أنهم لا يعدلون عن ولده عثمان ، فإنه كان أهلًا للسلطنة بلا مدافعة » .

(٦) هو : مَعْقِل بن يسار المُزَني البصريّ ، مِن أهل بيعة الرضوان ، له عن النبي ﷺ ، وعن النعمان بن مُقَرِّن ،=

صلى الله علم ، يقول : « ما مِنْ عبدٍ يَسْتَرعِيَه اللهُ رَعِيَّةً ما يموت يوم يموت وهو غاشٌّ رعِيَّته إلا حَرَّم الله عليه الجنَّة »[1] . وفي روايةٍ : « فلم يُحِطْها نصحه ألا لم يجد رائحةَ الجنَّةِ »[2]. وما أخرجه مسلم والطبراني عنه أيضًا رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله علم ، قال : « ما مِن أميرٍ يلي أمورَ المسلمين ، ثم لا يجهد لهم وينصح لهم » . وفي رواية : « كنصحه وجهده لنفسه إلَّا لم يدخل معهم الجنَّة » ، هذا مع ما وردَ في ذلك بخصوصه ، وإن كان ضعيفًا ، أخرج الحاكم (وقال : صحيح الإسناد) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله صلى الله علم : « ومن استعمل رجلًا من عصابَتِه ، وفيهم من هو أَرْضَى لله منه ، فقد خان الله ورسولَه والمؤمنين »[3] . وأخرج أحمد والحاكم أيضًا (وقال : صحيح الإسناد)[4] عن يزيد[5] بن أبي سفيان ، قال لي أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه حين

= حدث عنه : عِمران بن حُصَين ، والحسن البصري ، وأبو المليح بن أسامة، ومُعاوية بن قُرَّة المزني ، وعلقمة بن عبد الله المزني ، وآخرون ، مات في البصرة في آخر خلافة معاوية (٤١ – ٦٠ هـ) .

له ترجمة في : « تاريخ خليفة » (٢٥١) ، و (٢٥١) ، و « التاريخ الكبير » (٣٩١/٧) ، و « سير أعلام النبلاء » (٥٧٦/٢ رقم ١٢٤) ، و « تهذيب التهذيب » (٢٣٥/١٠ – ٢٣٦) .

(١) البخاري في صحيحه : ٩٣ – كتاب الأحكام ، ٨ – باب من استُرعي رعية فلم يَنْصح ، ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، ح ٢٢٧ و ٢٢٨ ، وفي ٣٣ – كتاب الإمارة ، ح ٢١ .

(٢) البخاري في صحيحه : ٩٣ – كتاب الأحكام ، ٨ – باب من استُرعي رعية فلم يَنْصح ، ومسلم : ١ – كتاب الإيمان ، ح ٢٢٩ ، وفي ٢٣ – كتاب الإمارة ح ٨٢٢ ، إلّا أنه جاء بلفظ : « ... ثم لا يجهد لهم وينصح إلّا لم يدخل معهم الجنة » .

(٣) الحاكم في « المستدرك » : (٩٢/٤ – ٩٣) ، ولفظه : « ... فقد خان الله ، وخان رسوله وخان المؤمنين » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٦/١ ، وفي سنده مجهول ، والحاكم في المستدرك : (٩٣/٤) ، ولفظه عنده « ... يا يزيد إن لك قرابة ، عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، ذلك أكثر ما أخاف عليك ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من ولي من أمر المسلمين شيئًا فأمّر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا حتى يدخله جهنم » . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : « قلت : بكر – أحد رجلا السند – قال الدارقطني : متروك) .

(٥) هو : يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، أخو معاوية من أبيه ويقال له : يزيد الخير ، أخو أم المؤمنين أم حبيبة ، كان مِن العقلاء الألِبَّاء ، والشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ، وشهد حُنينًا ، أحد القواد الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم ، ولمّا فُتحت دمشق أمّره عمر عليها ، توفي بالطاعون سنة ١٨ هـ .

له ترجمة في : « كتاب نسب قريش » (١٢٥ – ١٢٦) ، و « تاريخ خليفة » (١١٩ – ١٣٨) ، و « التاريخ الكبير » (٣١٧/٨ رقم ٣١٥٦) ، و « المعارف » (٣٤٥) ، و « سير أعلام =

بعثني إلى الشَّام : يا يزيد إنّ لك قرابة ، خشيتُ أن تُؤْثرهم بالإمارة ، وذلك أكثر ما أخاف عليك ، بعد ما قال رسول الله صلى الله علم : « مَنْ وَلِي من أمر المسلمين شيئًا ، فأمَّر عليهم أحدًا محاباةً ، فعليه لعنةُ اللهِ ، لا يقْبَلُ الله صرفًا ولا عَدْلًا ، حتى يُدْخِلَه جهنَّم » ، فلم يسعهم إلا الإمتثال ، والله المستعان ، وعليه التُّكلان ، وهو حسْبُنا ونعم الوكيل ؛ وكان السَّبب في ذلك الزّين يحيى الإِسْتَدَّار ، وذلك أنه لم يكن أحدٌ يجسر يفاتِحُ الظاهر في ذلك ، فقال له هو : إن غالبَ أهلِ البلادِ اقْتَتَلُو ، وتقَطَّعَت الطرق في غالب المملكة ، وأكل بعض الناس بعضًا ، وإن الصَّواب أن تُقيمَ عثمان . وقال : يا مولانا السلطان ، هذا مهجة قلبك ، وإذا حصلت العافية ، كنت قادرًا على إعادة الأمر إليك . فحسَّن ذلك بباله ، فأمر بما أمر ، وكان ميل الإستاد إلى الولد ، بعد موت الوالد وكان يُظَنّ أنه يصير هو نظام المُلْك[1] في أيَّامه ، لما كان له عليه مِن الإدلال ، وإليه من التردد ؛ لكونه استَدَّاره قبل ذلك . فَدَار كاتب السرّ المحب بن الأشقر ونائبه المعين[2] بن الأشقر على أمير

= النبلاء » (٣٢٨/١ رقم ٦٨) ، و « العقد الثمين » (٤٦٢ رقم ٢٧٢٨) ، و « تهذيب التهذيب » (٣٣٢/١١) ، و « شذرات الذهب » (٢٤/١ ، ٣٠) .

(١) هو : الوزير الكبير قِوَام الدين أبو علي الحسنُ بنُ علي بن إسحاق الطوسي ، وُلد سنة ٤٠٨ هـ ، وختم القرآن الكريم وعمره إحدى عشرة سنة ، واشتغل بمذهب الشافعي ، وسار إلى غَزْنة ، فصار كاتبًا نجيبًا ، إليه المنتهى في الحساب ، وبرع في الإنشاء ، تنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسُّلطان ألب أرسلان ، ثم لابنه ملكشاه ، فدبَّر ممالكه على أتم ما ينبغي ، وخفف المظالم ، ورفق بالرعايا ، وبنى الوقوف ، وأنشأ المدارس في بغداد ، ونيسابور ، وطوس ، ومرو ، وهراة ، وبلخ ، والبصرة ، وأصبهان كما بنى بيمارستانًا ، وجدَّد عمارة خُوارِزم ، ومشهد ، وطوس .

كان حليمًا رزينًا جوادًا ، صاحب فتوة واحتمال ومعروف ، قُتل في عاشر رمضان على يد باطني تنكر في هيئة صوفي يناوله قِصه فأخذها منه ، فضربه بسكين في فؤاده حتى مات ، وذلك ليلة الجمعة سنة ٤٨٥ هـ بقرب نهاوند ، وكان آخر قوله : لا تقتلوا قاتِلي ، قد عفوت ، لا إله إلاّ الله .

له ترجمة في : « الأنساب » (٢٨/٦) ، و « المنتظم » (٦٤/٦ – ٦٨) ، و « تاريخ دولة آل سلجوق » (٣٢ ، ٥٨ – ٦١) ، و « الروضتين » (٢٥ – ٢٦) ، و « وفيات الأعيان » (١٢٨/٢ – ١٣١) ، و « سير أعلام النبلاء » (٩٤/١٩ رقم ٥٣) ، و « الوافي بالوفيات » (١٢٣/١٢ – ١٢٧) ، و « البداية والنهاية » (١٤٠/١٢ – ١٤١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٣٦/٥) ، و « شذرات الذهب » (٣٧٣/٣ – ٣٧٥) .

(٢) هو : عبد اللطيف بن أبي بكر بن سليمان بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد ، المعين =

المؤمنين والقضاة ، والدويدار على الأمراء فسألوهم الطلوع إلى القلعة في صبح الخميس حادي عشريه ، وكان ذلك موافقًا لأول شباط[1] وسابع أَمْشِيْر[2] لذلك ، فأجاب الكل بالسَّمْع والطَّاعة وكان سن ابنه إذْ ذاك نحو عشرين سنة ، فبكروا لذلك ، فأمروا بالتأخير إلى دخول السَّاعة الثالثة من النَّهَار ؛ لما زعم مُنجِّمه ، من أنَّها ساعة سَعد ، فلما أُذن في الفعل قال القاضي الشَّافعي للظاهر : نشهد عليك أنك فَوَّضت ما بيدك من أمر السلطنة لولدك عثمان . فقال : نعم ، وكررها فبكي النَّاس ، ثم شَهِدَ على أمير المؤمنين بتنفيذ ذلك ، وعلى الولد بالقبول ، وألبس ما جرت العادة ، من لباس الأسود الخليفتي ، واختار أن يُلقَّب المنصور ، ويُكنى أبا السعادات ، فَفُعل ذلك ، وقُدِّم لكل من أمير المؤمنين[3] ، والأمير الكبير[4] ما جرت العادة به من الخِلْعة والفرش ، ومشى الأمراء والجند قدَّامه إلى القصر فجلس على التَّخْت[5] ، ودقّت الكوسات[6] والطبلخاناة[7] ، حتى ارتجت لها الأرض ، وشاهد الناس أَمْرًا ما لهم به عهد في هذه البلاد ، ونزل المنادي قدَّام الوالي ينادي بالأمان والاطمئنان حسب المرسوم الشريف

= أبو اللطائف بن الشرف بن العلم الحلبي الأصل القاهري الشافعي ، المعروف بابن الأشقر ، وُلد في سنة ٨١٢ هـ بالقاهرة ونشأ تحت كنف أبيه ، وحفظ القرآن ، ولي نيابة كتابة السر في القاهرة مكان والده عندما توفي في رمضان مِن سنة ٨٤٤ هـ ، كما تولى عدة وظائف أحسن التصرف فيها ، مات يوم الجمعة ٤ شوال سنة ٨٦٣ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١/٤٢٦ رقم ١٤٧٢ » ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٢٠٦) ، و « الضوء اللامع » (٤/٣٢٥ رقم ٨٩٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٦) .

(١) شباط : من شهور السريان . راجع : « صبح الأعشى » (٢/٣٨٦) .

(٢) في « خطط المقريزي » (١/٢٧١) أن أول شباط يوافق سادس أمشير ، وهو من شهور القبط . راجع أيضًا « صبح الأعشى » (٢/٣٨٦) .

(٣) وهو القائم بأمر الله حمزة . راجع « هامش ٥ » من (ص ٦٨) .

(٤) هو إينال بن عبد الله العلائي . راجع « هامش ٤ » من (ص ٧٠) .

(٥) راجع « هامش ٢٨ » من (ص ٥) .

(٦) الكوسات : جاء في « صبح الأعشى » (٤/٨) ، « وهي صنوجات من نحاس ، شبه التُّرس الصغير ، يُدَقّ بأحدها على الآخر ، بإيقاع مخصوص ، ومع ذلك طبول وشبَّابة ، يدق بها مرتين في القلعة كل ليلة ، ويُدار بها في جوانبها مرَّةً بعد العشاء الآخرة ، ومرَّة قبل التسبيح على المواذن ، وتسمى الدورة بذلك في القلعة ، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه » .

(٧) الطبلخاناة : طبولٌ متعددة ، معها أبواق وزمّارات ، تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص ، وهي من الآلات العامَّة لجميع الملوك . « صبح الأعشى » (٤/٨) .

السلطاني الملك المنصور أبي السعادات ، ثم رسم بكتابة مراسيم مع هجَّانة إلى جميع البلاد ؛ لِلْإِعْلام بذلك وتقفيتهم بخاصكية لذلك أيضًا ، فعيَّن لذلك من يصلح له ، وكان من جملتهم شخص يقال له : جَانَم السَّاقي ، فطلب غيره ما طلبه هو ، وقام الكل عصبة فاختصموا ، فطال خصامهم ، ثم نزلوا عن غير تراض ، جعل الله العاقبة إلى خير كثير وعزٍّ كبير آمين آمين .

وكانت سلطنة الظاهر بكرة الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فكانت مدته خمس عشرة سنة إلا شهرين .

ثم وصل الرّكب الأوّل من الحاج في أواخر يوم الخميس هذا ، وفي أواخر يوم الجمعة ثاني عشري [محرم][1] دخل كثيرٌ من ركب المحمل ، ومات قبيل مغربه الفاضل المجاهد رسول بن ...[2] الكردي الشافعي ، ودُفن في الغد ، في تربة الصوفية ، خارج باب النصر ، وكان موته بالمرستان المنصوري ، وكان فاضلًا في الفقه والأصول والنحو وغيرها ، وغزا رودس[3] في المرَّةِ الأولى ، وكان رفيقي في غزوة القشتيل ، وكان شجاعًا عاقلًا ، وخلَّف وَلَدًا ذَكَرًا رحمه الله ، ثم مات ولده بعده بيسير .

وفي بكرة يوم السبت ثالث عشريه ، تكامل وصول الحاج ، ودخل المحمل ، والأمير دُولات باي دويدار السلطان الكبير ، وأثنى عليه الحجاج كثيرًا في رفقه بهم ، واحتياطه لهم ، وجده في حراستهم ، بحيث [٤٢] أنَّ العرب لم يجدوا إليهم سبيلا ، مع أنه شاع عندهم ، أن السلطان مات ، فكانوا شديدي الحرص على أخذهم ، فلما رأوا ما عنده من الحزْم وشدَّة العزم والنفوذ في السياسة كفهم ذلك ولله الحمد .

ولما وصل طلع إلى السلطان ، فسلَّم عليه ولبس بين يديه ما جرت العادَةُ به مِن الخِلْعَة ، ونزل إلى بيته[4] .

موت ابن شعبان

وفي أواخر يوم السبت هذا ، مات الأمير رجب بن شعبان والي الشرطة بمصر العتيقة ، وكان أبوه ولي حسبة القاهرة في وقتٍ من الأوقات ، وكانت

(١) غير واضح في الأصل ، والتصحيح مِن السياق .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمتين ، لم نجد في المصادر الأخرى ما يصححه .

(٣) رودس : جاء في « الروض المعطار » (٢٧٨) : « جزيرة في البحر ، من الثغور الشامية ، افتتحها جنادة بن أبي أميَّة عنوة في خلافة معاوية ، بينها وبين قبرس عشرون ميلًا ، وبين ساحل الإسكندرية أربعة أيَّام .. كانت مقرٌّ لتعليم الفلسفة قبل انتقال التعليم إلى الإسكندرية ، ورودس بلغة الإغريقيين ، الورد » .

(٤) راجع : « التبر المسبوك » (٤٢٤) .

العادة جاريةً في المملكة المصرية أنَّ من وَلِيَ السلطنة ينفق على الجند المنزلين في بيت السلطان نفقة ، وكانت تكون في الغالب مائة دينار لكل واحد ، فحسب ذلك فإذا هو في هذا الوقت ستمائة ألف دينار ، فيكون عدّة الجند ستة آلاف ، هكذا بلغني ، وكنت سمعت قبل ذلك أن المرتبين على ديوان السلطان أقل من ذلك ، فالله أعلم ، ولم يكن في الخزانة حين خلع الظاهرُ نفسه شيء ، فلما بات السلطان ليلة الاثنين خامس عشري محرم هذا ، قال له الأمير الكبير : يا مولانا السلطان مماليكك متطلّعون إلى ما جرت به العادة من الصدقات الشريفة . فقال : أما أنا فرجل فقير كما تعلمون ، وأما والدي ، فلم يكن في خزانته حين عَلَّق الأمر بي شيء ، وقد انتظرتُ من جرت العادة بمواساته في مثل هذا الأمر ، فلم يكن منهم نظر ، وأنا لا أُحب أن ابتدئ أمري بظلم أحد ، فلا أقدر على شيء الآن ، ولكنِّي أريد أن تكون النَّفَقة على النصف ، لكل رجل خمسين ، وأن يُنْظِروني إلى شهر ربيع الأول ، فإنِّي أرجو أن تحصل في هذه المدة ما فيه كفايتهم ، فاستُعظم هذا الجواب عليه جدًّا ، ومُلئت العيون منه ، وأعْطَى الإقطاع الذي كان بيده لتَنَم المحتسب أمير المجلس ، وأعطي إقطاع تنم ليونس[1] البواب ، وإقطاع يونس لجانِبَك[2] القَرَمَانِي ، وإقطاع جانِبَك ليَشْبُك[3] الناصري ،

ابتداء أمر النفقة على الجُند

تحويل أمر بعض الإقطاعات

(١) هو : يونس الأقباي أقباي المؤيدي نائب الشام ، المعروف بالبواب وبالمشد ، خدم المؤيد ، وصار خاصكيًّا في دولة المظفر أحمد ، ثم بوابًا في دولة الأشرف برسباي ، ثم ساقيًا في أوائل دولة الظاهر جقمق ، ثم أمير عشرة ، واختص بالظاهر ، ثم نقل إلى الشربخاناه ، ثم أنعم عليه المنصور بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، مات يوم الأربعاء ٢٢ رمضان سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٨١١/٢ رقم ٢٧٣٢) ، و « حوادث الدهور » (٥٦٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٤٥/١٠ رقم ١٣٢٠) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩٧) .

(٢) هو : جانِبَك بن عبد الله القَرَماني الظاهري برقوق ، الأمير سيف الدين ، أحد أمراء الطبلخانات ، وثاني رأس نوبة ، ثم أمير مائة ، ومقدَّم ألف ، وحاجب الحجاب ، مات يوم الجمعة ١٢ شوال سنة ٨٦١ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٢٣٧/٤ رقم ٨٢٣) ، و « الدليل الشافي » (٢٣٨/١ رقم ٨٢١) ، و « حوادث الدهور » (٣٠٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨٨/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٥٩/٣ رقم ٢٣٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤٧) .

(٣) هو: يَشْبُك بن عبد الله الناصري فرج، عمل خاصكيًّا إلى أن أنعم عليه الظاهر جقمق بإمرة =

وإقطاع يشبك [لكُزُل[١] السُودُوني][٢] المعلم ، وكان بطّالًا[٣] .

ثم أرسل إلى ناظر الخاص[٤] يستعين به في ذلك ، فأرسل يقول : إنِّي صرفت في مدَّة ولايتي ما هو معروف الحساب مضبوط ، وإذا نُظر وُجدت الجهات التي تحت يدي عاجزة عنه ، فلولا أنِّي أتَّجر ، ما قدرت على ذلك ، مع أنِّي قريب العهد بغرامة مائة ألف دينار في آخر أيّام أبي الخير ، استدنت غالبها ، وتأخَّر عليَّ منها إلى الآن خمسة عشر ألف دينار ، فليس عندي الآن نقدٌ ، ولكن عندي من العروض ما يساوي مائة ألف دينار ، فإن أمهل عليّ نضضتها[٥] ويعطي الإسْتَدَّار[٦] مثلها ، وتوزع المائة الأخرى على بقية المباشرين . فلما أُخبر السلطان بذلك ، قال للرسول :

= عشرة ، ثم صار مِن جملة رؤوس النُّوب ، ثم أصبح في سلطنة المنصور عثماني مِن أمراء الطبلخانات ، مات في يوم الأحد ١٨ صفر سنة ٨٥٩ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٧٦/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٨٠/١٠ رقم ١٠٩٩) ، و « بدائع الزهور » (صحفات لم تنشر) (٢٥) .

(١) ما بين الحاصرتين ، بياض في الأصل ، والتصحيح مِن مصادر الترجمة في هامش رقم ٢ .

(٢) هو : كُزُل بن عبد الله السُّودوني المعلّمْ أحد أمراء العشرات ، ورأس نوبة ، أصله من مماليك نائب دمشق ، مات يوم السبت ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٥٥٧/٢ رقم ١٩١٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٢/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٢٧/٦ رقم ٧٧٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩٠) .

(٣) راجع « النجوم الزاهرة » (٢٥/١٦ – ٢٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٦) .

(٤) راجع « هامش ٢ » من (ص ٢٨٦) .

(٥) نضضتها : جاء في « محيط المحيط » (٨٩٨) : « الناضُّ ، اسم فاعل ، والدرهم والدينار عند أهل الحجاز ، أو إنما يُسمّى ناضًّا إذا تحوَّل عينًا بعد أن كان متاعًا ، وتنضَّضَ الحاجة تنضُّضًا ، تنجَّزها ، وفلانًا استحثّه ، واستنضَّ حقَّه مَن فلان استنضاضًا ، استنجزه أو استخرجه شيئًا بعد شيء .

(٦) وقد كان في هذه الفترة ، زين الدين يحيى بن الأشقر المعروف بقريب ابن أبي الفرج . راجع « النجوم الزاهرة » (٤٦٢/١٥) .

قبّل يد القاضي ، وقل له : السلطان يقول لك : أنت والدي .

سجن أبي العباس

وفي يوم الثلاثاء سادس عشري محرَّم هذا سُجن أبو العباس أحمد بن عبد الله المجْدَلي ، الشّهير بالقدسي الشافعي الواعظ في سجن الرَّحبة بالقاهرة ، بحكم قاضي القضاة ولي الدين السنباطي ، قاضي المالكية بالقاهرة ؛ بسبب سعيه في الأرض بالفساد ؛ وذلك أنه رتَّب قضيَّة يكون فيها خراب بلده المِجْدَل[1] ، واقتتال أهلها فزور محضرًا على شخص ، يُقال له : ابن قَزَابِر (بفتح القاف والزاي وكسر الموحَّدة ، وآخره راء مهملة) ، هو كبيرُ المِجْدَل ، وعينُ طائفةٍ هم أعداءٌ لأقارب أبي العباس ، يلزم من ثبوته احتياج ماله ، ومال أقاربه ، وقتله ، ادّعى فيه أنه أقرَّ أنَّ لابن محاسن (الذي كان ناظرًا بالقدس والخليل على أيام أبي الخير) عنده خمسة آلاف دينار ، وأنه انتقص بعض الأنبياء ، ودلَّس فيه على بعض جهلة القضاة بنابُلُس بقضيّة عجيبة ، حتى أخذ خطه عليه بالثبوت ، ودسَّ أخاه به إلى ناظر الخاص ، فلما وقف عليه أرسل بطلب ابن قَزَابِر ، فوافق محمد النشابي في القدس للكشف عن الناظر ، القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن الدَّيْري ، وكان قد وقع لأبي العباس في القدس قضيَّة أوجبت إهانة الناظر له ، وسبقت له مع النشابي سوابق سيئة ، بعد إحسانٍ كثيرٍ من ابن الدَّيْرِي ، والنشابي إليه ، كان أبو العباس قد كتب بالمحضر نسختين ، فسقطت منه إحداهما ، فأطلع الله عليها النشابي ، فحرَّر القضية ، فوقف على جليَّةِ أمرها ، وأشهد على قاضي نابُلُس بالبراءة من المحضر ، وأنه زور لم يأذن فيه ، ولا اطّلع عليه ، ولا عِلْم له بشيء مما تضمَّنه ، ثم وضع أخا أبي العباس في الحديد ، في السجن ، وأراد تحصيل أبي العباس ، فعجز عنه ، وهرب إلى القاهرة ، ثم أُحْضَر أخاه وابن قَزَابِر إلى القاهرة ، وكان أبو العباس لمّا سبقهم شرع يُطْلق لسانه في الناظر ،

---

(١) المِجْدَل : في « معجم البلدان » (٥/٥٦ – ٥٧) : « بكسر الميم ، وسكون الجيم ، وفتح الدال واللام .. اسم بلد طيِّب بالخابور إلى جانبه تلّ ، عليه قصر ، وفيه أسواقٌ كثيرة ، وبازار قائم » .

والنشابي ، ويشيع أمر المحضر على كيفيَّات مختلفة ، وآفة الكذب - كما قيل - النسيان ، فَعُلِم من مجموع كلامه كذبه وافتراؤه مع ما كان [٤٣] يُعْرَف به قبل ذلك من أمور ، تؤذن بانحلاله ، وأنه لا مسكة له في شيء من أحواله ، ولا وقوف مع دين ولا مروءة . فلما وصل النشّابي إلى القاهرة نصب أبو العباس شخصًا ، يُقال له : قاسم ابن أُختِ الشيخ تقي الدين أبي[1] بكر الحصني ، شيخ مدرسة[2] الإسْتَدَّار ؛ للدعوى عَلَى ابن قَزَابِر ، ورام بذلك تخليص أخيه ، لزوال تعلقه حينئذٍ بالقضيَّة ، فلم يفده ذلك إلا زيادة المغرم على أخيه في السجن ، وعلى قاسم الحصني [لِسَعْيِه][3] فيما يريد . فادُّعى عَلَى ابن قَزَابِر عند قاضي المالكية[4] المذكور ، وأُحضر له الشاهدين اللذين قام بهما المحضر ، فنظر المالكي فيهما ، فإذا هما متهمان ؛ فوضع ابن قَزَابِر في السِّجن ، وأمر بإحضار غير ذينك الشاهدين ، وجعل الأجل لتحصيل ذلك شهرًا ؛ فأرسل أبو العباس قاسمًا ، إلى بلاد غَزَّة ، فلم يدع بها متهمًا يعرفه حتى زاد في إرغابه ، فلم يجبه إلا اثنان لا تُقْضَى بهما الحاجة ، ولا تُقْتل بهما دجاجة ، فأحضرهما واختفى ، ودار أبو العبّاس ؛ يريد تعديلهما ، فَفُطِن له ، فَعُوجِل ، وأُحضِرَ يوم الاثنين خامس عشري محرم المذكور إلى المالكي ، فأمره بإحضار قاسم ، فتبرّأ منه ، ومن القضيَّة ، فذكر له من مناقضاته ، ما حقق أنّ القضية كلها ترتيبة ، وتهدَّده إن لم يحضره ؛ فأحضره ، فسأله المالكي عن البيِّنة ، فاعترف بأنه لم يجد بَيِّنة ، وأَنَّ الذي ندبه لذلك أبو العبَّاس ، واعترف أبو العباس أنَّ القضِيّة زور ،

---

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ٢٤٣) .

(٢) مدرسة الإسْتَدَّار : لعل المقصود بها مدرسة جمال الدين الإسْتَدَّار ، التي تقع في شارع الجمالية ؛ تجاه القرقول ، والتي أنشأها سنة ٨١٠ هـ ، ويذكر صاحب « الخطط التوفيقية » (٥/٦) ، أنها كانت عامرة في عصره ، وتعرف بالجامع المعلّق .

(٣) في الأصل (لسيعه) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٤) أي (ولي الدين السنباطي) .

ثم أنكر كلٌّ منهما ما اعترف به ، فعُقد مجلس يوم الثلاثاء المذكور[1] في بيت المالكي بجميع نوّابه ، وحوققا بما ضُبط عليهما من التناقضات الموجبة لإبطالهما ، فإن ذلك دأب الباطل ، يكون لَجْلَجًا لا ثَبَات له على حالة من الحالات ، كما أنَّ دأب الحق الثبوت ، وعدم التبدّل ، فانفصل المجلس على أنَّه يجب إطلاق ابن قَزَابِر ؛ لوضوح كذب ما نُسِب إليه ، وإبقاء أبي العباس ، وقاسم في الترسيم ، ليُدَّعى عليهما ، بما يلزمهما مما افْتعلاه في هذه القَضيَّة ، ومنعه المالكي من أن يتكلم بين المسلمين بوعظ ؛ لتهمته في أقواله وأفعاله ، والخوف مِنْ إغوائه وإضلاله ، ثم أطلق ابن قَزَابِر ، وأمر بأبي العباس ، وقاسم إلى السجن ، فَسُجنا بحبس الرّحَبَةِ ، وبه كان ابن قَزَابِر ، وشَيّعهما إلى باب السجن ، ابنُ قَزَابِر وخلق كثير من أهل المِجْدَل ، يصيحون على أبي العباس : أنت خراب البلاد ، وشين العِبَاد ، وَيَسِبُّونه سَبًّا قبيحًا ، ويرفعون أصواتهم بالدّعاء للقاضي ، والسلطان ، والصلاة على رسول الله صلى الله علم ، فكانت لهم ضَجَّة عظيمة ، وله حالة ذميمة ، وسيرة غير قويمة[2] .

سجن برقوق

وفي هذا اليوم أمر السلطان المنصور ببرقوق[3] السَّافي ، أحد مماليك أبيه وأخصائه إلى البرج ؛ لأنه إنَحلَّ إقطاع فطلبه من السلطان ، فقال له :

---

(١) أي ١٦ محرَّم .

(٢) يقول (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (٣٤٧/١٦) ، عن أبي العباس هذا : « والناس فيه على قسمين ، ما بين معتقد ومنتقد ، والظن الثاني أكثر ، وكنت أنا من القسم الأول ، لولا ما وقع له مع الحافظ العلَّامة بُرهان الدين البقاعي ما وقع ، وحكايته معه مشهورة أضربت عن ذكرها لقرب عهد الناس منها » .

كما اتهمه (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢٥/١) ، بعدم الصدق ، ونسبه إلى المجازفة في القول والفعل ، وقال : « بحيث يحصل التوقف في أكثر ما يبديه مع دهاء وملق ، وقدرة على استجلاب الخواطر وإلفات الناس إلى جانبه ، مع أنه ليس عليه رونق العلماء ولا أئمة الوعظ » .

(٣) هو : برقوق الظاهري جَقْمَق ، كان من خواص السقاة ، ثم تأمَّر في الأيام الإينالية ، ورقَّاه الظاهر خشقدم ، وصار أحد المقدَّمين ، ولي نيابة الشام بعد برسباي البجاسي ، ومات وهو مع العسكر بحلب في شوال سنة ٨٧٧ هـ .

معك إقطاع جيد . فقال : لا يكفيني . فأمر بالكشف عن متحصله ، فإذا هو فوق ثلاثمائة ألف ، فقال له : هذا القدر مع مالك من الجامكيَّة واللحم والعليق لا يكفيك ، وأنت بمفردك ، ليس عندك مماليك ، هذا هو الكذب الصريح ؟ ! ، وأخرج إقطاعه لأربعة أنفس ، هذا ما ظهر والسبب على ما قيل غير ذلك ، وهو أنَّ الظّاهر كان أَخَذَ من تركة ابنه محمد[1] جاريةً عذراء بديعة الجمال ، فتعلق بها قلبُ المنصور ، فخاف الظاهرُ سَبْقه إليها ، فافْتَضَّها ، ثم أعطاها لبرقوق هذا ، وكانت قد مالت هي أيضًا إلى المنصور ، فَتَراسلا إلى أنْ كانا يجتمعان في بعض الغفلات ، وَرُبَّمَا عَلِمَ برقوق ؛ فأخذ حِذْرَه ، وبالغ في الحراسة ، فثقل ذلك على المنصور ، كذا نُقِل إلَيَّ من طريق قَوِيّ ، والله أعلم ، ثم شُفع فيه ؛ فأمر بإخراجه من البرج ، فَقِيل على إقطاعه ، فقال : قد خرج لمن تعلَّق قلبه به ، فلا سبيل [إليه][2] .

مشاتمة جانبك والإستدار

وفي يوم الأربعاء سابع عشري محرَّم هذا تَشَاتَم جانِبَك مُشِدّ جـده ، والزّين يحيى الإسْتَدَّار شتمًا قبيحًا ، وهدَّده جانِبَك ، وقال : أنا أَسُدُّ مَسَدَّك ، وأبذل مائتي ألف دينار ، وكان الإسْتَدَّار قد أساء إلى غـالِبِ كَتَبَة ديـوانه مـن القِبط ، فانضم بعضهم إلى جانِبَك وأعلمه أحوال الإسْتَدَّارية ، وما في ديوانها من الأموال والفوائد ، وما فتح هذا من الأبواب ، وكان الإسْتَدَّار جريئًا طائشًا ؛ فكان قليل المراعاة للأتراك ، كثير الإساءة إليهم في أمر إقطاعاتهم ، فلم يكن منهم أحد إلا وهو في غاية الحنق عليه ؛ فكان

= له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٢/٣ رقم ٤٩) .

(١) هو : محمد بن جقمق الأمير ناصر الدين أبو المعالي بن الظاهر أبي سعيد الجركسي الأصل القاهري الحنفي ، ولد في رجب سنة ٨١٦ هـ بالقاهرة ، كان مشاركًا في عدَّة فنون ، وعدّ من نوابغ الفضلاء ، مات في حياة أبويه سحر يوم السبت ٢٢ ذي الحجة سنة ٨٤٧ هـ بمرض السل .

له ترجمة في : « إنباء الغمر » (٢١٦/٩ - ٢١٧) ، و « الدليل الشافي » (٦١٠/٢ رقم ٢٠٩٦) ، و « حوادث الدهور » (١٤١ - ١٤٢) ، و « الضوء اللامع » (٢١٠/٧ رقم ٥١٩) ، و « شذرات الذهب » (٢٦١/٧) .

(٢) غير واضح في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

ذلك كلّه مما جَرَّأ جانِبَك عليه ، وكان الإسْتَدَّار لكونه كان إسْتَدَّار المنصور من مُدَّة طويلة ، وأنه هو سبب دولته ؛ يُظن ، بل يُتحقق أن يكون المقدّم في أيامه ، فكان قد أقام شخصًا للظلم وهو الذي يُسمي مُشِدّ المستخرج ، فكان ذلك مما زاد حنق الناس عليه ، وأطلق الألسنة بالدعاء عليه .

العـــزم على ناظر الخاص

وبلغ ناظر الخاص ، أن مبغضيه حَسَّنُوا للسلطان أن تكون جميع نفقة المماليك منه ، وأعلموه أن معه من النقود أضعاف ذلك ، وأنَّه وصَلَ إليه في شهر ذي الحجة هذا ، من بلاد الشَّام خاصّة مائة ألف دينار نقدًا ، وقَبَّحوا له تعميم المباشرين بالأخذ منهم ؛ من جهة أن في ذلك إيغار صدورهم ، وهم جَمْعٌ يُخْشى أمرهم ، وأشاروا عليه بأن يقول له : أنت ادّعيت أنك اقترضت على ذِمَّتِك في قضيّتك مع أبي الخير مائة ألف دينار ، فنحن نأمرك أن تقترض لنا مائتي ألف دينار [٤٤] وتُوَفِّيها من جهات الذّخيرة التي هي في يدك ، وأمَّا الإسْتَدَّار فلا يحتمل حاله شيئًا ؛ فإنّ حملته ثقيلة جِدًّا ، وماله مفرّق في البلاد ، ولابُدَّ له من حاصل يُعِدُّه لوقت يقف فيه بعض جهاته ، ويتعطّل فيه شيء من دواليبه[1] ، وإن لم ترض ذلك [فعليك أن][2] تعجل ستمائة ألف ، ويدخل في وظيفتك ولا يأخذ من أحدٍ شيئًا ، فأمر أُمَّه وزوجته بنت[3] الكمال البارزي ، وعمتها[4] بنت السلطان الظاهر وأخت المنصور زوجة أزبك فطلعن إلى القلع وبكين إلى أُمّ السلطان وسراريه ، ولم يزلن بهن حتى اجتمع الكل عليه يَفْتِلنه في الذروة والغارب ، حتى أجاب إلى ما سأل ناظر الخاص فيه ، من توزيع

---

(١) دواليبه : جاء في « محيط المحيط » (٢٨٧) : « الدُّوْلاب : الآلة التي تديرها الدَّابة لِيُستَقَى بها الماء ، فارسية مركبة من (دولا) أي إناء ، و (آب) أي ماء ، جمعها دواليب ، ويقال للتي يديرها الماء ناعورة ، كما جاء في « تكملة المعاجم العربية » (٤٥٠/٤) ، أنّ الدولاب يطلق على المكان الذي فيه عدة دواليب ، ومن هذا قيل للأرض التي تروى بهذه الآلة دولاب .

(٢) غير واضحة في الأصل ، والتصحيح مِن مفهوم السياق .

(٣) راجع « هامش ٥ » من (ص ٢١٨) .

(٤) راجع « هامش ٢ » من (ص ٢٦٥) .

المال ، عليه مائة ، وعلى الإسْتَدَّار مائة ، وعلى بقية المباشرين : الوزير[١] ، وكاتب السرّ[٢] ، والشرف الأنصاري[٣] ، وبني الجيعان مائة ، وأن تكون مؤجلة إلى حين يبيع فيه ما عنده من العروض ، وكتب بذلك قائمة في يوم الثلاثاء سادس عشري الشّهْر . ثم عُرضت القضية على المباشرين ، فقال ناظر الخاص : عندي مائة ألف دينار ، وسكت الإسْتَدَّار ، فطلب منه الكلام ، فقال : عندي ثلاثون ألف دينار ، فأنكر عليه ذلك ، وغضب من سكوته ، ثم من مواجهته بذلك ، فقيل له : أورد مائة ألف ، فشرع يحاجج على عجزه عن ذلك ، ويذكر أُمورًا يعرِّض فيها بناظر الخاص ، من أمر المتجر ، وقضاء وأشغال أهل بلاد الشّام ، وغيرها ، وينفي مثل ذلك عن نَفْسِه[٤] .

توجه الخاصكيّة إلى النوّاب

وفي يوم الخميس ثامن عشريه ، خلع السلطان على الخاصّكيَّة ، الذين يتوجهون إلى أمراء البلاد ، بتقريرهم على ما هم عليه ، والجميع مماليك الأشرف ، وهم على ما قيل : عشرة أنفس .

أمر الإسْتَدَّار

ثم زاد الكلام على الإسْتَدَّار ، وأخبروا السلطان ، أَنّ معه أقاطيع ثلاث طَبَلْخَانات ، وعشرين إمرةً ، وحسَّنوا له أن يأخذها منه ليُرضي بها عدةً من الجند ، فقال له : يوم السبت مستهل[٥] صفر من السنة عن ذلك ،

---

(١) وكان في هذه الفترة (الأمير تَغْري بردي القلاوي الظاهري جقمق) . « النجوم الزاهرة » (٤٦١/١٥) .

(٢) وكان في هذه الفترة (القاضي محب الدين بن الأُشقر) . « النجوم الزاهرة » (٤٦١/١٥) .

(٣) بلغ قمة شهرته في عهد السلطان الظاهر جقمق الذي استقربه في عدة وظائف منها : نظر الجوالي ، والكسوة ، والبيمارستان ، والخانقاه السعيدية ، وجامع عمرو ، ووكالة بيت المال . « راجع « الضوء اللامع » (١٨٥/١٠) .

(٤) في « حوادث الدهور » (١٦٥) : « ثم انفض المجلس على أنّ الجمالي ناظر الخاص يقوم من ماله بمائة ألف دينار للخزانة برسم نفقة المماليك ، والتزم الإستدار بحمل ثلاثين ألف دينار ، بعد أمور ، ووقع الاتّفاق على الصرف في أول ربيع الأول » .

(٥) يوم الأحد هو مستهل صفر ، في « النجوم الزاهرة » (٢٧/١٦ ، ٢٩) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٨) .

فقال : إنّي لا أَقْدِر أَسِدُّ الْحملَة التي عليّ إلا بذلك ، فقال جانِبَك : أنا أَسِدّ ، وأعطي من موجودي أربعمائة ألف دينار ، فضرب السلطان الإسْتَدَّار بالنمشا[1] (وهي مغمدة) ، ثم أمر فقبض عليه ، وعلى نائبه التاج[2] بن المَقْسي ، وألبس جانِبَك خِلْعَة ، بالإسْتَدَّارية[3] ، ونزل معه المباشرون ، وكَثير من الجند إلى بيته ، فلما حاذى بيت الأمير الكبير إينَال العلائي ،خرج يهنِّيه ، فنزل لملاقاته ، وترجل من كان معه ، الدّويدار الكبير دُولات باي ، وغيره إلا تَمُرْبُغا الدويدار الصغير ، فلم ينزل ، ووُضِعَ الإسْتَدَّار ونائبه في القلعة ، وسُلِّموا للخزندار[4] ، ليدفعوا المال بالحسنى ، وذهب بُرْدبَك البشمقدار إلى بيوتهما فأقفلها وختم عليها ، وقصد كثير مِن الغوغاء وغيرهم حرق بيت الإسْتَدَّار ؛ فذهب والي الشرطـة[5] ، وحاجب[6] الحجاب ، فغلقوا ما هناك من أبواب الدروب ، وردُّوا الناس ، وباتوا في مدرسة الإسْتَدَّار ، يحمون بيته من المفسدين ، واستمر هو وابن المَقْسي إلى المغرب ، فلم يحصل منهما شيء ، فأمر بهما إلى بيت جانِبَك ، فنزلا ، ونزل معهما تَمُرْبُغا الدويدار الثاني ، وجماعة من المماليك بعد المغرب ، ومعهم نقيب الجيش ابن أبي الفرج القبطي ، وهو يلعن الإسْتَدَّار

---

(١) النمشا : يُقال سيف نَمِشٌ أي فيه شُطَبٌ ، ويُقال النَمْشَة ، للسيف المستقيم . راجع : « القاموس المحيط » (٣٠٢/٢) ، و « محيط المحيط » (٩١٨) .

(٢) هو : عبد الله بن نصر الله بن عبد الغني بن عبد الله ، التاج بن الشمس بن الزين ابن الصاحب الشمس القاهري ، المعروف بابن المقسي ، أو المقسمي نسبة لناحية المقسم بالقرب من باب البحر ، وهو المكان الذي قسمت فيـه الغنيـمة عند استيلاء الصحابة على مصر ، كان الزّين الاستدّار متزوجًا بعمته ، وتزوج هوبابنتها منه، ولازم خدمته بالكتابة في ديوانه ، مات شنقًا يوم السبت ٧ جمادي الأولى سنة ٨٨٥ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٧١/٥ رقم ٢٦٥) .

(٣) ذكر هذا الخبر (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (٢٧/١٦ – ٢٨) ، و (السخارى)في « التبر المسبوك » (٤٢٦) .

(٤) كان في هذه الفترة (الأمير فَيروز النَوْروزِيّ الزّمام) . « النجوم الزاهرة » (٢٩/١٦) .

(٥) وهو (جانِبَك الساقي) . راجع « ص ٣٠٨ » .

(٦) كان في هذه الفترة (خشقدم بن ناصر الدين المؤيدي) . « النجوم الزاهرة » (٤٦١/١٥) .

بأنواع اللعن والسَّبّ ، وكانت بينهما عداوة شديدة .

إطلاق [أبي] العباس

وفي أواخر يوم السَّبت هذا أُطْلِق أبو العبّاس المِجْدَلي الواعظ ، ورفيقه قاسم الحصني من السجن ؛ بواسطة الشيخ مَدْيَنَ[1] ظاهرًا ، وبواسطة وعْد جماعة ابن قَزَابِر ، لمن كانت الدّعوى عنده ، وهو الناصر بن المخلطة برشوة ، ثم لم يوفوه باطنًا .

وفي يوم الأحد ثانيه[2] ، مُسَّ ابن المقْسي بعذاب شديد ، وكُتب موجود الإسْتَدَّار ؛ من الأبقار والجمال ، وما أَقَرَّ به من النقود ، ونقل السلطان من نقـده نحو مائة ألف دينار ، وذهب نقيب الجيش إلى نساء الإسْتَدَّار ، فعرضهن على العذاب ، وأفحش في انتهاك حرمتهن[3] .

وفي هذا اليوم رُسِمَ بإطلاق التقي أبي بكر بن عز الدين الشافعي ، الذي كان قاضي طرابُلُس ، وأن لا يُدّعى عليـه إلَّا من الشَّرع ، وذلك بواسطة القاضي الشافعي والحنبلي ، كَلَّما فيه ناظر الخاص .

إخراج بعض تعلقات ناظر الخاص

وفي يوم الاثنين ثالثه[4] ، أُخرج عن ناظر الخاص الجمال يوسف بن كاتب جَكَمْ نظر الذّخِيْرَة ، وجُعل ذلك إلى فَيْرُوز الخَزَنْدار ، وَرُدَّ إليه جميع ما كان خرج عنه ، من الأَنْظار في أيّام أبي الخير ، وبعده ، وأُلْبِس لذلك خِلْعَة[5] ، وأرسل السلطان المنصور إلى الأمير الكبير إِيْنَال العلائي ،

خطبة بنت الأمير الكبير

يخطب ابنةً له بِكْرًا تُسمى فاطمة ، وأرسل مهرها ألفي دينار مع لالَتَه[6]

---

(١) راجع « هامش ٣ » من (ص ٢٠٨) .

(٢) يوم الاثنين هو ثاني صفر ، في « النجوم الزاهرة » (٢٩/١٦) .

(٣) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٦٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٩/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٦ - ٤٢٧) .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (٢٩/١٦) الاثنين هو ثاني صفر .

(٥) ورد هذا الخبر في « النجوم الزاهرة » (٢٩/١٦) .

(٦) يفهم مِن كلام (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢٣٢/٦) أنَّ كلمة (لالته) هنا تعني مربِّيَته .

لاشين[1] صاحب الجامع ، الذي إلى جانب بيت الأمير الكبير بالكَبْش[2] ، وأرسل إلى دُولات باي يخطب ابنته ، فأجاب بالسَّمْع والطَّاعة ، وأنه مملوك السلطان وابنته جاريته .

وبلغنا أن في هذا الحدِّ وقعت في حلب حادثةٌ غريبة ، وذلك أن الشهاب ابن الزهري قاضيها الشافعي كان يُثبت على ابن الشحنة أمورًا بغير تثبت ، فتوصل ابن الشحنة إلى أن أثبت القاضي الحنبلي سالم أن بين ابن الزهري وابن الشحنة عداوة ، فأمر ابن الزهري بسالم وشاهديه فأُحْضروا ، فضربهم وطَوَّفهم على حمير ينادي عليهم ، هذا جزاء من يعمل الزُّور ، وأمر بهم إلى القلعة ثم أُطلقوا ، فاجتمع الحنبلي بالنائب[3] ، وشكى أمره إليه ، فقال : لا يمكنني أن أفعل فيه شيئًا ؛ لأن كلًّامِنًّا حاكم من قبل السلطان فلا يحكم بعضنا في بعض . فقال : فكيف فعل هو بي ما فعل ؟ ! فقال : إنه فعل ما يقبح ، وأنا أُنَزِّه نفسي عن مثل ذلك ، فلما آيس سَالم من

---

(١) وقد ينطق بالجيم بدل الشين ، وهو : لاشين الظاهري جقمق ، حسام الدين الزردكاش ، ويعرف بالّالا ، لما تسلطن أستاذه جعله خاصكيًّا ، ثم أمير عشرة ، وجعله لالة ولده الفخر عثمان ، ورقّاه الفخر عثمان عندما تسلطن.لشد الشربخاناه ، مات يوم الأربعاء ١٢ جمادى الأولى سنة ٨٨٦ هـ ، وقد جاوز التسعين من العمر .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٦/٢٣٢ رقم ٨٠٣) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٢٠٥) .

(٢) الكَبْش : يذكر (المقريزي) ، المتوفى سنة (٨٤٥ هـ) أنها مناظر لا تزال آثارها على جبل يَشْكر بجوار الجامع الطولوني ، مشرفة على بركة قارون ، عند الجسر الأعظم ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في أعوام بضع وأربعين وستمائة ، وهي مِن أجلّ منتزهات مصر ، تطل منها من أعلى جبل يشكر ، وترى زويلة ، والقاهرة ، وباب مصر ، ومدينة مصر ، وقلعة الروضة ، وجزيرة الروضة ، وبحر النيل ، وبر الجيزة ، وسمّاها الكَبْش ، ومازالت بعد الملك من المنازل الملوكية ، وفي سنة ٧٢٣ هـ ، هدم الملك الناصر محمد بن قلاوون هذه المناظر ، وبناها بناءً آخر ، وأجرى الماء إليها ، وجدَّد بها عدة مواضع ، إلَّا أنّ الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون أمر بهدم الكبش ، فَهُدم ، وأقام خرابًا لا ساكن فيه إلى سنة ٧٧٥ هـ ، فحكره الناس ، وبنوا فيه مساكن . راجع « الخطط » (٢/١٣٣ - ١٣٤) ، وأيضًا « صبح الأعشى » (٣/٣٥٨ - ٣٥٩) .

(٣) كان في هذه الفترة ، قاني باي الحمزاوي . « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٦٣ ، ١٦/٢٦) .

النائب نادي : مَنْ أراد المال الكثير من غير تبعة فليأت ، فاجتمع عليه ناسٌ كثرٌ ، ثم قصد بيت ابن الزهري ، فهرب ابن الزُّهري ، وكذا عياله ، ثم جاء حاجب الحجّاب ، ولم يزل بالعامَّة حتى ردَّهم ، فلما انفرد سالم علم أنه صار ظالمًا بعد أن كان مظلومًا ، فاختفى ، ثم هرب إلى حَمَاة ، وبلغ المنصور ذلك فعزله .

موت الظاهر

وفي ليلة الثلاثاء [٤٥] رابع صفر المذكور ، من سنة سبع وخمسين ، مات[١] الظاهر أبو سعيد جَقْمَق ، عن نحو ثمانين سنة ، وصلى عليه من الغد في القلعة ، في الموضع المعتاد لذلك - وهو داخل الباب الذي ينفذ إلى القرافة - القضاة والأمراء والجند ، وأمّ بالناس عليه أميرُ المؤمنين[٢] ، وشيَّعه القضاة والأمراء العشراوات ، ومَنْ دونهم ، من الجند إلى التربة التي أنشأها قانِبَاي الشركسي ، بالقرب من باب المَدْرج ، وأما الأمراء الكبار فرجعوا مع السلطان المنصور ، ثم نزلوا إلى بيوتهم ، ولم يحضروا دَفْنه ، ثم ذهب الأمراء والقضاة ، ومن دونهم إلى تربته في عصر ذلك اليوم على العادة في أمثال ذلك ، وكذا في صبيحة يوم الأربعاء خامسه .

وكان هذا الرجل من[٣] مشكلات الدَّهر ، يرى أكثر الناس أن أموره كلها متناقضة ، بينما هو في أعلى أفعال الخير ، إذا هو في أدنى دركات الشرِّ ، فلا يعرف حقيقته إلا قليل من أولي البصائر والألباب ، وهي أنه رجل شجاع مقدام عاقل داهية ، مكَّار بعيد الغور ، شديد الحِدَّة ، مطبوع على الشرِّ والجبروت والحقد والحَسَد وازدراء الناس ، ومحبة جمع الأموال من أيِّ وجه كان ، وتبذيرها في أيِّ سبيل اتفق ، وعشق الأذى ، لاسيما لأهل

---

(١) جاء في « النجوم الزاهرة » (٤٥٣/١٥) ، أنه مات في قاعة الدّهيشة الجُوَّانِيّة بين المغرب والعشاء مِن ليلة الثلاثاء ثالث صفر مِن سنة ٨٥٧ هـ .

(٢) كان في هذه الفترة (القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة) . « النجوم الزاهرة » (٤٥٣/١٥) .

(٣) راجع ما ذكره (ابن تغري بردي) عن هذا السلطان في « المنهل الصافي » (٢٨٣/٤ - ٢٩٩) ، و « الدليل الشافي » (٢٤٦/١ - ٢٤٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٤٥٣/١٥ - ٤٥٩) . وكذلك ما ذكره (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٧١/٢ - ٧٤) .

الدِّين ، لاسِيّما أعيانهم ، فهو يمشي بعقلة على الطريق المستقيم ، ليُرى أنه من أهل الدِّين ، ويجري في الحدة بطبعه اللئيم ، فيعلم أنه معتد أثيم ، وشيطان رجيم ، فلما كان دون السلطنة ؛ كان الخوف من السّقوط يطفي حِدَّته ، فيخفي طبعه ، ويسير بعقله فيلازم الخير وأهله ، من العلماء والصلحاء والمساكين ، وينقاد لهم ، ويتكرم عليهم مع إظهار الزهد والتقشف ، والرِّضى بخشن العيش ، فكان يقطع أكثر النّاس ، أنه في غاية الدّيانة والرِّقّة والاستقامة ، فلما ولي السلطنة وتمكن بطول الزمان زال ذلك الخوف ، فظهرت عليه الحِدَّة فقادت الطبع شيئًا فشيئًا ، فكان كلما طعن في السّنّ ، زاد في الشَّرّ بمقدار ذلك ، إلى أن كان آخر سِنِيِّه شَرَّهَا وأسوأها وأَضَرَّها ، وكان لوضاعته قبل السلطنة وحقده مدخل كبير في أذى غالب الناس ؛ فإنهم كانوا يعاملونه على حسب ما يُظْهر هو في ذلك الزَّمان ، فينقصونه عما في نفسه ، فيحقد عليهم ، فما ظفر بعد بأحدٍ منهم إلا بالغ في أذاه ، وكثير منهم كان أذاه لهم سبب هلاكهم ، ومن مات منهم قبل سلطنته آذى أولاده إن كانوا ، أو أقاربه إن لم يكن له أولاد ، ويظهر ذلك كله في قوالب دين ، وتغلبه الحِدَّة فيحكى ما اتفق له مع من أذاه ، فبعضهم ادَّعى عليه شيئًا ، وبعضهم ورد عليه مرة فما أضافه وإن بالغ في إحسانه إليه في غير تلك المَرَّةِ ، ونحو ذلك من الأمور ، فيعلم أن الأذى بسبب ذلك ، لا بما جعله سببًا في الحال .

وكان في غاية الكَذِب والإساءة إلى أصحابه ، ما ترك أحدًا أحسن إليه ، أو عوَّل في أمْرٍ عليه ، من شر على قدر إحسانه ، كان أكثر النَّاس برًّا له وإفضالًا عليه بنو البارزي ، فإنه كان في غاية السّقوط في أوَّل أمره ، فأحسن إليه القاضي ناصر الدين ابن البارزي كاتب سرّ المؤيد ، وأجرى عليه الخيرات والإنعامات ، ولم يزل يرقِّيه حتى صار حاجب الحجَّاب ، ولما مات قام ابنه الكمال محمد مُقَامه ، فَزوَّجه أُخْتَه[1] ، وزاد على أبيه في الإفضال عليه ، والإحسان إليه ، ثم ترقت به الأحوال ، فصار أمير

---

(١) راجع « هامش ٤ » من (ص ١٤١) .

آخور ، ثم أتابك[1] العساكر ، وولي السلطنة ، وأمتعة القاضي كمال الدين وأخته مرهونة على دين استدانه له لما ذهب مع الأمراء إلى البُلُسْتَيْن[2] ، ولم يدع جهدًا في الإحسان إليه وإقامة حُرْمَته ، فلما ولي السلطنة لم يُبْق جهدًا في انتقاص الكمال وإهانته ، كما هو مذكور في مواضعه حتى مات قَهْرًا وقُتِل صَبْرًا . لم يتهن بالعيش بعده ، ومازال في شدَّة بعد شدَّة حتى لَحِقَه قبل مضي سنة ، وهو مع مقاساته للشدائد ، ملازم لإهانة أهل الدين ساع في وهن شريعة المسلمين ، ولم يدع من أصحابه أحدًا حتى نكبه كما سلف في مواطنه ، كالشمس الكاتب ، والولي السّفطي ، والقوام العجمي وغيرهم ، ولم يدع أحدًا من أكابر المسلمين ودعائم الشّريعة ، حتى بالغ في إهانته ، فعل مع شيخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين بن حَجَر ما ذكر في أماكنه ، وتهدَّدَه بأنْ يُرْكبه حمارًا ويُطوِّفه ، ثم يحبسه في المَقْشَرة ، كما حدثني به المحب بن الأشقر عن سماعه من السلطان ذلك التهديد [٤٦] ، وتهدَّد قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين بن الدَّيْرِي بالمَقْشَرة ، وأما فعله مع قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام السّراج البُلْقَينِي فمذكور فيما مضى ، وغير هؤلاء صبّ عليهم ما لا يليق فعله بأسْقاط الناس . ومن أعظم الأدلة على بغضه لأهل الدِّين ، مع إظهاره التدين والنُسُك ، أنه سَنَة ولي الملك رسم بقراءة البخاري من أول شهر رجب ، وكانت عادة من قبله أن تكون قراءته في شهري شعبان ورمضان ، وكان السّامعون نحو ستين ، فزادهم حتى جاوزوا المائة ، فلما

---

(١) أتابك العساكر : مِن أرباب السيوف ممن هم بحضرة السلطان ، وأصله أطابق ، ومعناه الولد الأمير ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السَّلْجوقي ، حين فوَّض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ هـ ، وقيل : أطابك معناه أمير أب ، والمراد أبو الأمراء ، وهو أكبر الأمراء ، المقدَّمين بعد النائب الكافل ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي ، وغايته رِفْعَة المَحَلّ وعلوُّ المقام . « صبح الأعشى » (١٨/٤) .

(٢) البُلُسْتَين : ويُقال لها (أبلستين) ، جاء في « معجم البلدان » (٧٥/١) : « مدينة مشهورة ببلاد الروم ، وهي الآن بيد المسلمين ، وسلطانها ولد قِلجِ أرسلان السَّلْجوقي ، قريبة من أَبْسَس مدينة أصحاب الكهف .

تمكن أعاد الأمر إلى عادته في الاقتصار على شهرين ، ثم اقتصر على شهر رمضان فقط ، ثم أبطل الخِلَع التي كانت لأكابر السَّامعين ، ثم نقص البقية من صررهم ، فكان لكل رجل ألف فجعلها خمسمائة ، ثم قطع جميع ذلك ، لم يعط أحدًا درهما ، على أن مجموع ذلك لا يزيد عن ألف دينار ، مع أنه يعطي آحاد التركمان الخمسة آلاف دينار وأكثر في غير طائل .

وكان مغرمًا بخرق العوائد ، ورفع الأراذل على الأماثل ، مع إظهار ما لا تغلبه الحدة فيه من ذلك في قوالب دين ، ليعذره في ذلك من لا تَدَبُّرَ له ، وهم الغالب . ولم يمت حتى جعل النّاس شِيَعًا ، وشَعَّبهم شعَبًا وفرَقًا نسأل الله إصلاح الأحوال ، وتشييد ما أُوْهى من أركان الكمال ، إنه الكبير المتعال البر الوال .

وفي يوم موت الظاهر نمت نهارًا فرأيت في النوم ، أنَّ ذكري قائم ، وقد صار له قرنان في آخر معكرته من الجانب الذي يلي البطن ، وهما من لحم كلحم الكمرة ، ورأيت أنّي قرأت من أول سورة يوسف عليه السلام ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ الآية[1] . وأظن أنّي كنت في صلاة العشاء ، فولي السلطة إِيْنَال العلائي ، وكان صاحبي ، فذكرت بولايته ، ثم فتح عليَّ بكتاب ، مناسبات[2] آيات القرآن ، كما سيأتي ، وقُدِّر موته ، وخُلِع[3] ابنه المؤيد

---

(١) آية ٢١ .

(٢) هو : « كتاب نظم الدرر في تناسب الآي والسور » في (تفسير القرآن) يقول عنه (حاجي خليفة) في « كشف الظنون » (١٩٦١/٢ - ١٩٦٣) : « وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد ، جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحيّر منه العقول ، وذكر في آخره أنه فرغ منه في سابع شعبان سنة ٨٧٥ هـ .. وكان ابتداؤه في شعبان سنة ٨٦١ هـ .. » . كما أشار (الزركلي) في « الأعلام » (٥٠/١) أنه يقع في سبع مجلدات مخطوطة ويعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي . طبع في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند في الفترة ١٩٦٩ - ١٩٧٩ م ، في أربعة عشر مجلدًا لم يتم بعد . وأشار الباحث محمود توفيق محمد سعد في مقال له في « مجلة الفيصل » (عدد ٨٠ صفر ١٤٠٤ هـ ص ٧٨) بعنوان (علم التناسب القرآني عند البقاعي) أن نخبة مِن الباحثين في كلية أصول الدين بالأزهر ، تقوم حاليًا بتحقيق الكتاب .

(٣) وكان ذلك في رمضان مِن سنة ٨٦٥ هـ ، يقول (ابن تغري بردي) في «النجوم الزاهرة» =

أحمد ، وأنا في نصيف الكتاب في سورة يوسف عليه السلام ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

التزام الإستدار

وفي يوم موت السلطان ، طلب من الإسْتَدَّار ، أن يلتزم خمسمائة ألف دينار ويُطْلق ، فأبى ، فعرض ليلة الأربعاء خامس الشهر على العذاب[1] ، فكتب خطّه بذلك ، وكتب نائبه وصهره التاج بن المَقْسي خطَّه بمائة ألف دينار .

رجم نقيب الجيش

وفي يوم الأربعاء هذا رَجَم العوامُّ نقيبَ الجيش ابن أبي الفرج لإساءته إلى الإسْتَدَّار ، وضربوا شخصًا منهم دعا عليه ونسبه إلى الظلم ضربًا شديدًا[2] .

وبرزت المناداة عن السلطان : أن لا يخرج أحدٌ من الجند في الليل ، ولا يتعرض أحد منهم لأحد من النّاس بأذى ، وأن لا يدخل أحدٌ من الناس فيما لا يعنيه ، وأُريد بذلك كفّهم عن مثل رجم نقيب الجيش[3] ، ونُودي أيضًا في هذا اليوم : إن نفقة المماليك في ربيع الأول[4] .

محاكمة الأشراف

وطلع الأشراف إلى السلطان ، فشكوا إليه ، أنَّ مِن الموقوف عليهم بلدًا اسمها بلقس[5] ، وأن الإسْتَدَّار كان يستأجرها منهم باليد العادية بمائتي

= (٢٥٢/١٦) : « وكانت مدة سلطنة الملك المؤيَّد أحمد على مصر أربعة أشهر وأربعة أيام ، مرت أيّامه كالدقائق ؛ لسرعتها ، وحسن أوقاتها » . راجع أيضًا « حسن المحاضرة » (١٢٢/٢).

(١) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٣٠/١٦) .

(٢) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٦٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٨) .

(٣) راجع خبر المناداة في « التبر المسبوك » (٤٢٨) .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (٢٩/١٦) ، و « التبر المسبوك » أنه نودي بالنَّفقة للمماليك السلطانية في آخر صفر .

(٥) بلقس : قرية كبيرة من مديرية القليوبية بمركز شبرا الخيمة ، شرقي ترعة الشرقاوية بنحو ربع ساعة ، وقفها الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك المتوفى سنة ٥٥٦ هـ ، على أن يكون ثلثاها على الأشراف مِن بني الإمام=

ألف درهم ، ويأخذ منها ألف ألف ، فقال جانِبَك الإسْتَدَّار : أما هذا العام ، فإنها في إجارة من كان قَبْلنا ، فنحن نستغلها بتلك الإجارة ، ثم ندفعها إليكم ، فحسّن ذلك تَمُرْبُغا الدويدار الثاني ، ومن كان حاضرًا ، فلما فرغوا من كلامهم ، قال الأمير قَرَاجَا الخَزَنْدار : لِمَ يمنعون حَقَّهم ، وهم آل رسول الله ؟ ! ادفع إليهم بلدهم . فقال السلطان : نعم . فَدَعوا له وانصرفوا .

نقل الإستدار إلى القلعة

وفي هذا اليوم أُطلع الزين الإسْتَدَّار إلى القلعة ، وأُسقط عنه من الخمسمائة ، مائتا ألف ، واستمر مُرَسَّمًا عليه ؛ ليورد ثلاثمائة ألف[1] .

وفيه طلع الأمير جانِبَك الإسْتَدَّار إلى السلطان ، فراجعه في أمر بلقس ، فرسم له بإبقائها معه .

رجم نقيب الجيش

وفي يوم الخميس سادس صفر هذا سنة سبع وخمسين اجتمع من العامَّة عند القلعة ما لا يُحصى ؛ فنزل المباشرون ، وهم خائفون منهم ، فلم يعرضوا لهم ، فلما نزل نقيب الجيش رجموه ، فقال : يا جماعة لِمَ ؟ !! ثم قال : هل كفرت ، حتى استوجبت هذا منكم ؟ قالوا : نعم ، واستمروا على الرَّجم ، فرجع عليهم جماعة كانوا معه ، فحاربوا العامة ، حتى خلص ، وما كاد[2] .

البشارة بالسلطنة

وفي هذا اليوم خرج خاصِّكيَّة بمراسيم بالبشارة ، بسلطنة المنصور إلى قضاة البلاد ، وما سمعت أن عادة جرت بذلك قبل هذا ، إنما كان يرسل إلى الأمراء ، ومباشري الدولة .

وفي يوم الأحد[3] تاسعه ، خلع السلطانُ على يار علي العجمي ، وعلى

= الحسن ، وبني الإمام الحسين ابني الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وسبعة قراريط منها على أشراف المدينة ، وقيراطًا على بنى معصوم بالنجف . راجع « الخطط التوفيقية » (٩/ ٧٩ – ٨٠) .

(١) هكذا ذكر (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (١٦٥) .

(٢) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٦٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٨) .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (١٦/ ٣٠) : « كان ذلك يوم الأربعاء » ، وفي « التبر المسبوك » (٤٢٨) : « يوم السبت » .

خِلَع

ابن أبي الفرج نقيب الجيش ، وعلى جانِبَك السَّاقي والي الشرطة خِلَعَ استمرار على وظائفهم . وقبض الوالي على جماعة ممن قِيل أنه رجم نقيب الجيش .

وفي يوم الاثنين عاشره[١] ، خلع السلطان على يوسف شاه معلم البنائين ، بالاستمرار[٢] ، وعلى الأمير قَراجا ، الذي كان والي القاهرة بكشوفية الشرقية ، ورسم بأن يؤتى بالأمير عبد الله[٣] ، الذي كان كاشفها على أيام أبيه ، وكان عظيم المنزلة عنده على حالة قبيحة .

أمر قَراجـا الوالي

ضرب الإستدار

وفي هذا اليوم ضُرب الإسْتَدَّار كسَّارات[٤] على ركبه ، ورسم بعصر عظامه[٥] .

وفي هذه الأيام اشتد سعي العَلَم صالح البُلْقِني في القضاء ، وشاع أنه بذل فيه أربعة آلاف دينار .

وفي ليلة الثلاثاء حادي عشره رُؤي في نواحي الشَّوْبَك[٦] في السَّماء ثلاثة أقمار ، حدّثني بذلك الشريف محمد بن الشريف محي الدين يحيى بن الشريف ..[٧] الحسيني الشوبكي ، أنه حَدَّثه بذلك من لا يشك في صدقه من أهل الشوبك ، ثم قدم إلى الكَرَك ، فأخبره عدّة من أهل الكَرَكَ ، أنه

---

(١) في « التبر المسبوك » (٤٢٨) تاسعه .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٦٦) إشارة إلى ذلك .

(٣) يقول (السخاوي) في « التبر المسبوك » (٤٢٨) : « أحد الظلمة الجائرين قسيم الأستاذ المعزول في الجور والظلم ، ثم لم يلبث أن أعيد فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

(٤) كسَّارات : في « محيط المحيط » (٧٨٠) : كسر العود وكل جسم صلب يكسِرهُ كَسْرًا فصله مِن غير نفوذ جسم فيه ، والكسر فصل الجسم الصلب بمصادمة قوية من غير نفوذ جسم فيه ، والكَسْر والكِسْر ، الجزء من العضو أو العضو الوافر ، ونصف العظم بما عليه مِن اللحم ، أو عظم ليس عليه كثير لحم .

(٥) راجع « النجوم الزاهرة » (١٦/ ٣٠) .

(٦) الشَّوْبَك : قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمَّان وأيلة والقُلزم قرب الكرك . « معجم البلدان » (٣/ ٣٧٠) .

(٧) بياض في الأصل ، لم نجد في المصادر الأخرى ما يصححه .

رُؤي في هذه الليلة ، أو في ليلة الثاني عشر في ناحيتهم عدة أقمار ، إمَّا قال : سبعة ، أو قال : ستة ، منها ما هو قريب بعضه من بعض ، ومنها ما هو بعيد . وأنه قَدِم غَزَّة فذكر ذلك للإمام المؤقت برهان الدين بن الجاقر[1] ، فأخبره أنه رُؤي في غَزَّة ، في ليلة الثاني عشر ، من هذا الشهر ستة أقمار والله تعالى أعْلَم بصحة ذلك ، ثم سألت قاضي غزة المالكي علاء الدين بن المزوار عن ذلك ، فقال : كانت قصة الشريف مع ابن الجاقر بحضرتي . قال : ثم سألت أنا عن ذلك ، فأخبرني عِدَّةٌ من أَهل بادِيَة غَزَّة ، ومن أهل الكَرَك بصحة ذلك .

[٤٧] ولما صح عند الأشراف ، أَنّ السلطان رسم لجانِبَك الإسْتَدَّار باستمرار يده على بلدهم ، طلعوا يوم الثلاثاء حادي عشر صفر المذكور إلى السلطان ، فشكوا إليه أخذ بلدهم منهم ، قَهْرًا وظلمًا ، فلم يجبهم إلى شيء ، وراجعه من لديه دين وعقل من أخِصَّائِهِ ، فلم يُفِد شيئًا .

وَلَمَّا واصلوا أنواع العذاب على الزَّين الإسْتَدَّار ، فلم يعترف بنقدٍ ، أبطل بعض نوَّاب الحنفية وَقْف كتب مدارسه وبُسطِها ، ونحو ذلك من المنقولات ، وبيعت ، لكن أوجب ذلك رِخْصها ، ثم أُمر يوم الأربعاء ثاني عشر صفر المذكور ، ببيع المدارس وأوقافها ، من البلاد والمسقفات[2] ، فطلب شهودًا وقاضيًا من نواب الحنفي ليحكم بإبطال وقفها ؛ بسبب أنه جعل لنفسه أن يزيد وينقص ، فقال له : هذا إنما معناه الزِّيَادة في المعاليم ، وعدد القائمين بالوظائف ، والنقص من ذلك ونحوه أما الرجوع عن الوقف فلا سبيل إليه بعد الحكم به . فبكى حتى أبكى الجمادات ، وقال :

---

(١) جاء في الضوء اللامع » (٢٣٩/١١) : « ابن جاقر بقاف ثم مهملة الغزي الميقاتي اسمه إبراهيم ، مات سنة ٦٧[٨] هـ » .

(٢) المسقفات : جاء في « لسان العرب » (٥٦/١١ – ٥٧) : السَّقْفُ ، غماء البيت ، والسَّقيفة ، كل بناء سُقِفَت به صُفَّة أو شبهها مما يكون بارزًا ، وكل طريقة دقيقة طويلة من الذهب والفضة ونحوهما مِن الجوهر سقيفة ، وكل ضريبة من الذهب والفضة إذا ضُرِبت دقيقة طويلة سقيفة .

ما كأني ذقت نعيمًا قط ، لعل هذا البؤس أن يُخَفِّف عَنِّي من ذنوبي ، فما سمع هذا أحدٌ إلاَّ رَقَّ ، وكان مماليك الظاهر جَقْمَق ، لما مات أستاذهم علموا أَنْ لا بقاء لِمُلْكِ ابنه بدون عاضد ، ورأوا أَنَّ الأشرفية[1] أقوى الفِرق فرأوا أن يجعلونهم أعضادهم ، فسألهم بُرْدَبَك[2] دَوَيدار الأمير الكبير ، عن ما عزموا عليه مع تأسيس [الدولة] الجديدة . فقالوا : الذي رأيناه أن تقنع بكون ابن أستاذنا سُلْطانًا ، ولا يحصل لنا شيء من الدنيا ، وكلما انحلّ إقطاع أو أمر به أعطيناها للأشرفية لنتقوى بهم ، ويستمرُّوا تحت طاعتنا ، وينقادوا لأمرنا . قال : فأخذت نحو العشرة مِن رؤوسهم ، وعقلائهم ، وقلت : أُريد أن تسمعوا لي كلامًا وتكتموه عني ، فإنه لا يحملني عليه مع علمي بالخطر فيه إلَّا الخوف على أستاذي . فقالوا : قل ونكتم عنك . فقلت : إنّي سمعت أن الأشرفية قالوا : إنه ليس لنا عدوٌّ إلاّ إيْنَال الأجرود ، فإنَّا لما غَلَبنا الظاهر على ملكنا احتلنا حتى أخرجنا ابن أستاذنا من حَبْسه وأخفيناه ، ثم ذهبنا إلى الشام ، فأعلمنا الشكمي نائب دمشق وتَغْري بَرْمُش نائب حلب فأقمناهما ، وعزمنا أن نفعل بجميع نُوَّاب البلاد كذلك فلم ندر حتى خرج إيْنال هذا مِن صَفَد[3] بعسكرها ، ونزل

---

(١) الأشرفيَّة : هم مماليك السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر بْرسباي ، جلس على تخت السلطنة ٨ ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ ، ومات في ١٣ ذي الحجة سنة ٨٤١ هـ . راجع « هامش ١ » من (ص ٨) .

(٢) هو : بُرْدبَك بن عبد الله الأشرفي إينال ، كان أصله مِن سبي قُبْرُس قبيل سنة ٨٣٠ هـ ، ملكه الأشرف إيْنال أيّام إمرته ، وربّاه وأعتقه ، وجعله خازنداره ، وزوَّجه بابنته الكبرى ، ثم جعله دَوَاداره ، ولما تسطلن أمَّره ، وجعله دوادارًا ثالثًا ، ثم دوادارًا ثانيًا ، واستمر في ترقي إلى أن نكب ابن أستاذ السلطان الملك المؤيد أحمد بن الملك الأشرف إينال . فصودر ، ووقعت له عدة وقائع إلى أن مات قتيلًا بيد العربان في مكان يقال له : الديسة بالقرب مِن خليص أثناء عودته مِن الحج ، وذلك يوم الأحد ١٥ ذي الحجة ، وقيل الاثنين ١٦ ذي الحجة سنة ٨٦٨ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٧٧ - ٥٧٩) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٣٥ - ٣٣٦) ، و « الضوء اللامع » (٣/٤ رقم ٢٠) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر ٧٦) .

(٣) صَفَد : مدينة في جبال عامِلة المطلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان . « معجم البلدان » (٣/٤١٢) .

إلى الرَّمْلة[1] وضم إليه كاشفها ، ونائب غَزَّة ، ونائب القُدُس ، ثم كاتَب النُّوَاب الباقين حتى قدموا عليه ، وصار في جيش كثيف حال بيننا به ، وبين بلاد مصر ، وما أردنا من بقية بلاد الشام ، حتَّى قدمت عساكر مصر ، وَجَرى للشكمي ونائب حلب ما جرى مِن الهزيمة والقتل فهذا كله صَنْعته ، فليس لنا عدوٌّ إلّا هو . قال : ثم قلت لهم : وأنتم تعلمون مصداق ذلك ، وأنه كله وقع وقد اشتدّ بغضُهم له حين علم أنكم خطبتم ابنته لابن أستاذكم ، والقصد حِفْظكم لأستاذي وذبكم عنه ، فإنهم ما أبغضوه أولًا وآخرًا إلا بسببكم ، ثم قلت : وقد بقي كلامٌ آخر هو من نوع الفضول أعرضه عليكم ، فانظروا فيه ، واكتموه . فقالوا : نفعل . فقلت : أنتم تعلمون أن الملك ، لاسيما ملك مصر لا يعظم ولا تَنْفذ أوامره إلا بالمال ، وأنتم إذا صَيَّرتم الأشرفية أمراء ، وأصحاب إقطاعات وأموال ورأوكم دونهم في المال ، وفي المنازل ، تسمح نفوسهم بأن يقفوا دونكم ؟ فَفَكّروا ، ثم قالوا : لا . فقلت : فأنتم ما أعطيتموهم إلا لينفذوا أوامركم ، أو ينقادوا لطاعتكم ، فإذا بكم قد أعطيتموهم ليخرجوا من طاعتكم ، ويستكبروا عليكم . فقالوا : صدقت . فقلت : لا تستعجلوا ، وأنعموا التأمل في ذلك ، فلما اجتمع بعضهم ببعض خافوا عاقبة تقديمهم عليهم ، وخاضوا في ذلك ، فبلغ الأشرفية اضطرابهم ، فاستوحشوا منهم ، فذهب جماعة مِن المُؤيَّدِيَّة[2] إلى تِمْراز الدَّوَيدَار الأَشْرفي ، فقالوا له : اسمع مِنّا . فقال : قولوا . فقالوا : إنَّا لم نُبْق معكم أَيُّها الأشرفِيَّةِ باب شَرٍّ ، حتى عملناه ، فأنتم إذا سفكتم دماءنا ، كنتم في أقلّ من حَقِّكم ، وأنتم شيوخ ، فلابدّ أن ترحموا أولادنا ، وعيالنا ، وأَمَّا الظاهرية ، فشبابٌ لا مُسْكة لهم من دِين ولا عقل ، وهم مِنّا مستوحشون ، وقد سمعنا أنهم استوحشوا منكم ، وإن

(١) راجع « هامش ١ » من (ص ٢٦٠) .

(٢) المؤيّدية : هم مماليك السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي ، تولّى السلطنة يوم الاثنين أول شعبان سنة ٨١٥ هـ إلى أن مات يوم الاثنين ٨ محرم سنة ٨٢٤ هـ . راجع « هامش ٧ » من (ص ١٨٠) .

تمكَّنوا مِنّا لم يبقوا شَرًّا حتى يفعلوا ، ثم يفضحونا في نسائنا وأبنائنا ، فنحن نسلِّمَكم أنفسنا لتفعلوا فينا ما شِئتم ، ثم تستروننا في عيالنا ، فبكى الجميع ، ثم اجتمع أكابر الفريقين ، وتحالفوا على أنَّ المَحْيا واحد ، والممات واحد ، واستمروا حتى تأكدّ أمرهم ، ثم ركبوا ، فكان من أمرهم ما يأتي .

وفي يوم الخميس ثالث[1] عشره قُبِضِ على ثلاثة من المؤيدية : دُولات باي الدَّوَيدار الكبير ، ويَرْشْبَاى[2] (بتحتانِيّة أوله وشين معجمة) أمير آخور الثاني ، ويُلْبَاي[3] ، وهو أمير عشرة ، ولم يكن في المؤيدية الذين بمصر من يماثلهم في جسم ولا قلب ، حتي إن يُلْبَاي يُعَدُّ بخمسمائة فارس ، ولم يكن في المؤيدية ، ولا غيرهم من يماثل دُولات باي في العقل ، والمكر ، وبُعْد الغور ، وسعة الصدر ، وحُسْن الشَّكل ، وشدة الإقدام ، وإقامة النَّاموس ، ومعرفة الرُّمْح ، وغيره من تعلقات الحَرْب ، أقام سنين وهو باش[4] الرماحة في المِحْمل ، ولا من يُدانيه في المال ، لكن كان قد سَلَّم قياده لناس من زواكِرَة الزّمان ، المتفقرة ، فأظن سبب تهاونه ، واغتراره ، وتركه الحَزْم في مثل هذه النازلة إلى أنْ أحاط به البلاءُ ، إنما لَحِقه من

---

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٠) ، يوم الخميس يوافق ثاني عشر صفر .

(٢) هو : يَرْشباي بن عبد الله الإينالي المؤيدي شيخ ، الأمير سيف الدين أحد أمراء الطبلخانات ، وأمير آخور ثاني بمصر ، أصله من مماليك المؤيد شيخ ، وتأمَّر في الدولة الظاهرية ، مات وهو مجاور في مكة في شهر رجب سنة ٨٦٤ هـ ، وقد ناهز الستين من العمر .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢/٧٨٣ رقم ٢٦٤٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٢١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٠/٢٦٩ رقم ١٠٧١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٤) .

(٣) هو : يُلْبَاي الإينالي المؤيدي ، جركسي الجنس ، كان يقال له في ابتدائه : يُلّبَاي تلي ، يعني المجنون ؛ لجرْأة كانت فيه وحدَّة مزاج ، جعله الظاهر جقمق ساقيًا ، ثم أمرة عشرة ، وصيره من رؤوس النوب ، مات في سجن الإسكندرية ليلة الاثنين ، مستهل ربيع الأول سنة ٨٧٣ هـ ، وسنه نحو الثمانين .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٠/٢٨٧ رقم ١١٣١) .

(٤) باش الرمَّاحة : يفهم مما جاء في « زبدة كشف الممالك » (١١٦) أن باش رتبة عسكرية دون رتبة الأمراء مقدمي الألوف ، صاحبها يتحدث في مائة من أجناد الحلقة المنصورة .

وَعْدهم له بالملك ، والتحمل بكفايته والذَّبِّ عنه ، بالحال ، من غير تعاطي الأسباب ، على ما قد أصله مكيدتهم ، لتآكل الأموال ، وخدْع الألباب قبّحهم الله[1] .

لمَّا صلَّى السلطانُ الصبح في القصر ، وفرغ من العلامة ألبس قُشْتُم[2] كشوفية البحيرة[3] ، وقَراجا[4] خِلْعَة السَّفَر إلى محل ولايته بالشّرْقِيَّة[5] ، والشّرَف الأنصاري باستمراره على وظائفه ؛ بمقتضى أنه غلَّق ما جُعل عليه ، وهو عشرة آلاف دينار . وأما ناظر الخاص ، فإنه لَمّا غلَّق المائة ألف دينار ، طلب منه السلطان مائة أُلف دينار أُخرى ، فلم يسعه إلا الإجابة بالسَمْع والطاعة .

القبض على دولات باي

ثم نزل الأمراء الكبار ، وانتقل السلطانُ إلى الدّهِيْشَة ، فلما استقرّ بالقاعة وقف بين يديه الدويدارات ، وبقية المباشرين ، فأطْرَقَ زمانًا ، ثم رفع رأسَه إلى دُولات باي ، فقال له : اذهب فاسترح ، فخرج ، فلما كان

---

(١) راجع خبر القبض على هؤلاء المؤيدية في : « حوادث الدهور » (٣٥٦) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٠ - ٣١) .

(٢) هو : الأمير سيف الدين قُشْتُم بن عبد الله المحمودي الناصري ، ولي البحيرة وقُتل فيها في وقعة كانت بينه وبين عرب لبيد بالقرب من تروجه في يوم الجمعة ٢٦ رجب سنة ٨٥٧ هـ ، وقد ناهز الستين من عمره .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (١٨٩ - ١٩٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٦٧ - ١٦٨) ، و « الضوء اللامع » (٦/٢٢٢ رقم ٧٣٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٢ - ١٣) .

(٣) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦/٢٩) .

(٤) هو : قراجا العمري الناصري فرج ، طالت أيامه في الجندية إلى أن استقر به الملك الظاهر جَقْمَق وهو خاصكي في ولاية القاهرة ، وتنقل بعد ذلك في عدة ولايات إلى أن صار أحد أمراء الألوف بدمشق ، إلى أن مات فيها في المحرم من سنة ٨٧٠ هـ ، وقبل مستهل صفر سنة ٨٧٠ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢/٥٣٨ رقم ١٨٤٧) ، و « حوادث الدهور » (٥٨١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٤٣) ، و « الضوء اللامع » (٦/٢١٥ رقم ٧٢٠) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٥٧) .

(٥) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦/٣٠) .

عند الشبّاك إذا كثير من الأشرفية ، منهم جانِبَك دويدار العزيز وهو من وجوهِهِم وله بأس وقُوَّة ، وله شكل عظيم ، فاحتضن دُولات باي ، وقال له : هاهنا ، وقبض بعضهم على سيفه فحلَّه ، ثم أحاطوا به ، فساقوه معهم ، لا يملك لنفسه شيئًا ، ونزلوا به مِن السُّلَّم الذي على يمين الخارج من ثم إلى الحوش[1] ، فذهبوا إلى البحرة[2] ، ثم ذهب جماعة منهم فأتوا بيرْشْباي من باب السِّلْسِلة[3] ، وجماعة إلى يُلْبَاي ، وكان قد نزل فوجدوه واقِفًا في سوق الخيل[4] ، فقيل له : السلطان يَدْعوك ، فطلع معهم ، فَلَّما كان في القلعة ، وعَرَف أنهم في شَرٍّ ؛ أراد أن ينازعهم ، فإذا هم قد اشتدَّ احتياطهم به ، واحتياطهم في أمره ؛ فلم يُمْكِنْه ذلك ، ولو علم وهو على ظهر فرسه لبعد عليهم الوصول إليه ، فيـاحسرتي على الرِّجال ؛ ويا أسفي على الفحول ، وإنْ كان دُولات باي قد بالغ في أذاي في سنة إحدى وخمسين ، ولم يزدد بتطاول الزَّمان إلا ضعفًا لكن الدِّقة والإنصاف مِن شيم الكِرام ، ثم إنَّهم أُنزلوا بعد ظهر هذا اليوم من الصَّلِيبة إلى البحر كل منهم على بَغْل ، وفي كلٍ من رجليه قَيْدٌ ثقيل ، وخلفه وشاقي محتضن له بيده اليسرى ، وفي يده اليُمْنى خنجر مسلول قد أدناه من بطنه ، وقد أحاط بهم أميران ، رأس نَوْبة النُّوب أَسَنْبُغا الطّياري ، وحاجب الحجَّاب خُشْ قَدَم[5] ، في ثلاثمـائة خَيّـال من الأشرفِيَّة بأيـديهم الرِّمـاح ، وفي أيـدي

---

(١) وهو واقع في القلعة . « خطط المقريزي » (٢٠٥/٢) .

(٢) البحرة : يفهم مما جاء في « حوادث الدهور » (١٧٨) أنها قاعة تقع في الحوش من القلعة .

(٣) باب السلسله : أحد أبواب القلعة ، ويعرف اليوم بباب العزب ، وهو مطل على ميدان صلاح الدين . « القاهرة تاريخها وآثارها » (١١٧) .

(٤) سوق الخيل : يفهم مما جاء في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢٤٥/٣) أن هذا السوق يقع في الرّميلة .

(٥) هو : خُشْقَدم بن عبد الله الناصري ثم المؤيدي شيخ الساقي ، كان في أول أمره خاصّكيًّا ، ثم صار ساقيًا ، ثم تأمّر عشرة ، ثم تقدمة ألف بدمشق ، ثم أمير مائة وتقدمة ألف بالقاهرة ، ثم حاجبًا للحجاب ، ثم أمير سلاح ، ثم أتابك العساكر حتى تسلطن يوم الأحد ١٩ رمضان سنة ٨٦٥ هـ ولقب بالملك الظاهر ، إلى أن مات يوم السبت ١٠ ربيع الأول سنة ٨٧٢ هـ . عن نحو ٦٥ سنة . =

بعضهم سيوف مصلتة ، ثم انحدر معهم من الأشرفية مائة إلى إسكندرية ومعهم من مماليك الظاهر ، الأمير جانِبَك[1] قرا ، وكان يومًا مشهودًا ؛ ارتاع فيه الناس ، وعظم البأس ، وحصل من القال والقيل ، وكثرة التهاويل مازاد على الوصف ، واجتمع فيه من الخلائق ، في الرُّمَيْلَة والصَّلِيبَة إلى البحر ما لم يُعْهَد مثله قط ، ونُقِل إليَّ أنَّ دُولات باي لما حاذى بيت الأمير الكبير إِينَال الأجرود بَكَى ، فإن كان ذلك صحيحًا فأظنّ (والله أعلم) أنه تَذكّرَ أنّه فَرَّط في الأمر الناجح الذي كان أعرف الناس به اعتمادًا على [٤٨] أولئك الخدّاعِين ؛ وذلك أنّه كان مِن أَيْسر الأشياء أن يَنْضَمَّ هو وجميع المؤيدية إلى الأمير الكبير ، ولا أشك أنه كان يتبعهم كثير من غيرهم ، ويُلْزموه بالقيام في هذا الأمْر ، ولم يكن أحدٌ من الأكابر ، إلا وهو راضٍ به ؛ لما عُرف منه من اللين والتُّؤدة ، وكفِّ الأذى في كل بلد حكم فيه مستَقِلًّا ، أو مشاركًا ، وكفايته لما يقوم فيه ، فَنَدِم لعمري ، حيث لم ينفعه النَّدَمُ ، وضيّع الحزم حيث كان يمكنه العزم ، والله على كل شيء قدير[2] .

ولما وصلوا إلى إسكندرية ، وُضِع في رِجْلِ كلٍّ منهم قيدان ثقيلان ، ثم رُسم في أواخر صفر بإطلاقهم من القيود ، وقال بعض الأدباء في

= له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢٨٦/١ رقم ٩٨٢) ، و « حوادث الدهور » (٦٥٧ - ٦٥٩) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٠٧/١٦ - ٣٠٩) ، و « الضوء اللامع » (١٧٥/٣ رقم ٦٨١) ، و « نظم العقيان » (١٠٩ رقم ٧٥) ، و « حسن المحاضرة » (١٢٢/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٨٢) ، و « شذرات الذهب » (٣١٥/٧) .

(١) هو : جانبك بن عبد الله الظاهري ، المعروف بقراجانبك ، الأمير سيف الدين ، أحد أمراء العشرات ، وزردكاش السلطان ، وهو من مماليك الملك الظاهر جقمق ، أعتقه وجعله خاصكيًا ، ثم رأس نوبة الجمدارية ، ثم أنعم عليه سنة ٨٥٣ هـ بإمرة عشرة ، ويقال عنه : إنه لا للسيف ، ولا للضيف ، مات ليلة الخميس ١٨ ربيع الأول سنة ٨٥٧ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٢٤١/٤ رقم ٨٢٦) ، و « الدليل الشافي » (٢٣٩/١ رقم ٨٢٤) .

(٢) راجع الخبر أيضًا في « النجوم الزاهرة » (٣١/١٦) .

قصتهم ، وقصة الإِسْتَدَّار : جلّ مَنْ أحيا وأَفْنَى ، جلّ مَنْ أَبْعَدَ وأَدْنى ، جَلَّ من أفقر وأَغْنى ، وهو ربُّ العالمين ، جَلّ من يُعطي ويمنع ، جلّ من يَضَع ويَرْفَع ، جلّ من يوصل ويَقْطع ، وهو خيرُ الوارثين ، إنّما الدنيا غرورة ، في حلاوتها مرورة ، صَلِّ وخذ منها الضَّرورة ، مثل فعل الزَّاهدين ، رحل الظَّاهر وولَّى ، وابنه في الملك ولّي ، يا كريم اجعله عدْلًا في أمور المسلمين ، اجتمع بالخلق مُمْسي ، قال : قد خلعت نفسي ، فاجعلوا ابني فوق كرسي ؛ فهو ذو عقل رزين ، سلطن ابنو بالإرادة ، وَتَكَنَّى بالسَّعادة ، والأئمة في الشهادة ، وعطى الفتح المبين فاغنوا جميع العساكر ، وهو منصور بن ظاهر ، وغدا ناهي وآمر في الجيوش الطائعين . اختفى الظاهر بِأسقام ،وقضى من بعد أيام ، وتجرَّع كل الآلام ، وبقى فاني رهين ، حكم المنصورُ بعصره ، وهو سلطانٌ بقصره ، وعلا فتحًا بنصره ، وتحكّم عن يقين ، جاب الإِسْتَدَّارَ وشاور وقال : يا زين المحاضر قصدي أُنفق في العساكر والخزائن فارغين . قال في زي الملاطف : يا ملك ، إنْ كنتَ خائف خُذْ مِن أرباب الوظائف ، وأنا معهم معين ، فأجابوا بالقناطر ، والدَّراهم والدَّنانير . قال : أنا مالي مطامين بل دوالِب دايرين ، ومسك مسكة قوية ، وأتت لِيه البَلِيَّه ، واشتروه بخمسميَّة ألف دينار وازنين . بعدما قد حاز مصرًا ، صارت الأعداء ظهرًا وأكل فتلًا وعصرا ، وهو كالميِّت حزين ، بعد عزوف العشاير والعطايا ، والفواخر والمماليك والعماير ، انبدل زينو بشين ، مثل دُولت بايْ مقفّص ، وغدا عيشو مُنَغّص ، ومسك وما تخلص وما اتَّخَذ له من مُعين ، وكذا يلْبِيْهِ تأمَّرْكم لِبِسَ قِبا متمرّ فوق بغل أصبح [..][1] راكبين ، وكذا رَشْبَيْهِ للآخر كم سمح يومًا وفاخر ، نحو بيت الحبس هاجر وله العكس قرين .

وفي يوم الخميس هذا ، وصل عبد الله ، كاشف الشّرْقِيّة ، والتزم بعشرين ألف دينار ، فَرَضِيَ منه بذلك ، ولم يُعَذّب .

---

(١) ما بين الحاصرتين كلمة غير واضحة في الأصل ، ولم نجزم بتصحيحها .

وفي هذا الحد ، وصل إلى ناظر الخاص من تعلّقات الذّخيرة ببلاد الشام خمسة وتسعون ألف دينار ، وكان الظَّاهر جَقْمَق قد استلف مثلها من ناظر الخاص ، وطلبها وأُذِن له أَنْ يقبضها من هذه الجهة ، فأُخِذَت من حاملها ، ولم يُلتفت إلى ما يقول ناظر الخاص ، واستمر مُطالبًا بالمائة الألف دينار التي طلبت منه ثانيًا .

خلعة جانبك

وفي يوم السبت النصف من صفر المذكور أُلبس جانِبَكْ الإسْتَدَّار خِلْعة ؛ بأن يكون كاشِفَ الكشّاف في جميع بلاد مصر ، أي يكون متصرفًا في جميع كشاف بلاد مصر ، وأُمَراء العرْبَانِ بها ، فإنّ بعضَ ذلك كان بيد الوزير[1] .

تمربغا وأسنبغا

وفي يوم السبت هذا أُرسلت خِلْعة إلى جانِبَكْ قَرَا بنيابة إسكندرية .

وفي يوم الاثنين سابع[2] عشر صفر هذا ، أُعطى تَمُرْبُغا الدويدار الثاني الدويدارية الكبرى ، مجردة عَمَّا كان بيد دُولات باي من التَّقْدِمة[3] ، وأسِنْباي الدويدارية الصُّغْرى[4] ، وجعل سُنْقُر ، الذي كان أمير آخور ثالثًا نائبًا موضع بَرْشِباي ، وبُرْدْبَكْ البَشْمَقْدَار أمير آخور ثالثًا ، وكلهم من مماليك الظاهر جَقْمَق ، وجانِبَكْ الوالي الزَّرْدْكاشيَّة عن جانِبَكْ قَرَا[5] ، وأُلْبِس كلٌّ منهم خِلْعة بذلك ، وأُلبس طائفـة مِن الطُّواشيَّه خِلَعًا ؛ باستمرارهم في وظائفهم ، وأُعطى قَرْقَشماش ابن عمّ الأشرف إقطاع دُولات باي[6] ، وتَقْدِمته ، فغضب الأمير قَراجا الخَزَنْدَار من ذلك غضبًا انقطع بسببه عن الخدمة في ذلك اليوم ، وليلة الثلاثاء ؛ وذلك لأنَّه

---

(١) كان في هذه الفترة ، تغري بردي القلاوي . أو بردبك القلاوي . « النجوم الزاهرة » (٣٣/١٦) ، و « إظهار العصر » (٣١٨) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٨) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (٣١/١٦) سادس عشر صفر .

(٣) راجع « النجوم الزاهرة » (٣١/١٦) .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (٣١/١٦) دوادارًا ثانيًا .

(٥) وذلك بسبب توجهه إلى نيابة الإسكندرية . « النجوم الزاهرة » (٣٢/١٦) .

(٦) وذلك بسبب حبس دُولات باي . « النجوم الزاهرة » (٣١/١٦) .

كان يريد أنْ لا يُبادِر أحدٌ من جماعتهم إلى التَّقدُّم لئلّا تنفرُ الخواطرُ منهم ، فيكون عليهم ما كان على دولة ابني الأشرف ، وكان قد وقع الاتفاق منه ومِن إخوتِه بحضرة السلطان ، أن تكون الدّوَيدَارية لأسَنْبُغا رأس نوبة النوب ، وشاع ذلك إلى أن ملأ الأسماع وتحقق أنه كائن ، وهَنَّأه كثيرٌ من الناس بها ، فلم يزل تَمُرْبُغا وأسِنْبَاي يَفْتِلان السلطانَ في الذّرْوَة والغارب ، حتى حَوَّلاه إلى ما ذُكر ، وغضب أُزْبُك صِهْرِ السلطان ، وغيره من جماعتهم لأنفسِهم ؛ لكونهم ما قُدِّموا ، فكانت فعلة غير حميدة ، ثم لم يزل اخصًا قَرَاجا بِهِ حتى طلع على مضض ، فلما انفصلوا من الخدمة ، وذهب إلى طبقته جاءه الدّويداران وقبَّلا يدَه ، واعتذرا إليه ، وقالا : قد أخطأنا فيما فعلنا ، ولم تبق لنا حِيْلَةٌ في رفع هذا الخطأ . فقال : فإذا كان كذلك ، فما الذي أحَلّ لكم ما حُرِّم على غيركم ؟ وهل يحسن تَقَدُّمكم على مَنْ ربَّاكم ، وكنتم في خدمته ؟ فقالوا : قد عُلِمَ الحالُ وسيحصل المراد[1] .

وفي يوم الثلاثاء ثامِن[2] عشره ، استَعْفى الوزير ، وهو بُرِدْبَك[3] القلاوي من الوزر ، على أن تؤخذ منه تَقْدِمة الألف ، التي كان أُعطيها بعد ولايته له ، ويُعْطِي السلطان عشرة آلاف دينار ، ويُعْطَى كشوفية الوجه القبلي فقط ، فأُجيب[4] .

وضُرب الزَّين يحيى الإسْتَدّار بالعصي على مقاعده ، وغيرها ضربًا كثيرًا ، فلم يُقِرّ بشيء[5].

---

(١) جاء في « النجوم الزاهرة » (٣٢/١٦) : « فعظم ما وقع في هذا اليوم من الولاية ، والتغايير على أعيان الأمراء ، ونفرت القلوب من الظاهرية في الباطن ؛ بسبب تولية تَمُرْبُغا الدويدارية الكبرى » .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (٣٢/١٦) « يوم الثلاثاء سابع عشره » .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (٣٢/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٨) تغري بردي القلاوي .

(٤) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٣٣/١٦) .

(٥) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٦٦) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٢/١٦) .

حل الأوقاف

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره طلب السلطان القضاة ، وانفصل مجلسهم عن أنْ تُحَلّ جميعُ أوقاف المدارس والجوامع التي أنشأها الزّين الإسْتَدّار ، بأن يثبت الشافعي ، أنه حين وقفها كان عليه من الديون ما يستغرق جميع أمواله ، وذلك قريب ألفا ألف دينار ، أخذها من بيت مال المسلمين مما تحت مباشراته من البلاد ، ثم يحكم المالكي بحلِّها ؛ لِأنّ مذهب المالكي أنه لا يصحّ وقفُ مَنْ هذه حاله ، وأنّ مَنْ حكم بهذه الأوقاف من القضاة لم يكن عالمًا بهذه الديون ، فلم ينصب حكمه على هذه الصورة المُعَيَّنة ، فلم يرفع ما فيها مِنْ الخلاف والله المُوَفق[1] .

لبس الوزير

وفي يوم الخميس العشرين من الشهر لُبِّس الأَمِين بن الهَيْصَم خِلْعةً بالوزر ، وأُعطي التَّقْدِمة التي كان القلاوي أُعطيها ، وأضيف إليه كشوفية الجِيزيَّة ، وزيّنت له الأسواق ، وسُرّ به الناس ؛ وذلك أنه كان في مباشرته سهلًا على الضعفاء مطواعًا للفقراء والله تعالى المسؤول أن يُسَدِّده ، ويجعل فيه البركة[2] .

وبلغني في يوم الجمعة حادي عشريّه أَنَّ الدويدار الكبير قال لناظر الخاص : انظر من يُقْرِضُنا مائة ألف دينار ، يعني يُقْرض السلطان . فقال : انظروا أنتم مَنْ يُعطي وأنا أتحمل لِمَا يعطيه .

وفي هذه الحدود قال جماعة من أكابر الظاهرية ، لجماعة من الأشرفية : لكم من الإدلال ما يكاد يَنْطق بسببه لسانُ حالكم ،إنكم يقولون : إنكم المقيمون لدولتنا ، وأنه لولا أنتم لما وصلنا نحن إلى شيء ، والأمر ليس كذلك فاقصروا عما أنتم فيه ، واعرفوا مقاديركم ، والزموا الآداب ؛ وإلَّا حلَّ بكم العذاب . فأتاهم ما لم يكن لهم في حساب ، وكان عندهم منه المقيم المقعد ، ودار بعضهم على بعض ، وزاد القيل عنهم والقال ، فبلغ ذلك السلطان ؛ فغضب منه على جماعته .

---

(١) راجع الخبر مفصلاً في « حوادث الدهور » (١٦٧ – ١٦٨) ، وراجع أيضًا « النجوم الزاهرة » (٣٣/١٦) .

(٢) ورد الخبر في « النجوم الزاهرة » (٤٤٥/١٥ ، و ٣٣/١٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٨) وجاء فيهما أن ذلك كان يوم الخميس تاسع عشر صفر .

وفي يوم السبت ثاني عشري الشهر ، أراد الوزير شيئًا من مصالِحِه ، فيما يتعلق باللحم وأثمانه في لغة الأَجلاب ، فقصده تَمُرْبُغا الدويدار فهموا بالإيقاع به ، فدخل إلى السلطان ، فزاد حنقًا على حنق ، ثم طلب وجوههم ، وقال : إنّ حَظَّكم في المُلْك أعظم من حَظّي ؛ فإنَّ الذي ينالني هو ما أتناوله من التمتّعات ؛ من الأَكل والشرب ، ونحوها ، وليس لي الآن كلمة ، بل أَنتم تحجرون عليّ وتعارضونني في جميع ما أُريد ، وهذا الحالُ أحسن أحواله أن يكون مثل حالي لو كنت مسجونا بإسكندرية ، وأنا آمِن على نفسي ، غير تَعِب بتدبير مملكة ، ولا منكد مِنْ معارضة ، فإن لم ترجعوا عما أَنتم فيه ، وتَدَعُوني أفعل ما أُريد خلعت نفسي وذهبت إلى إسكندرية وتركتكم طعامًا للسيوف ، ورهونًا للسجون ؛ فَكفّهم ذلك ، وعُدَّ من عقله وحسن تدبيره .

تحويل الوظائف

يوم الاثنين رابع عشريه خلع على تَنَم أمير مجلس بإمرة السلاح ، عن شَرِبَاش خاشوق ، صهر الظاهر جَقْمَق ؛ بمقتضى هَرَمِه ، وعلى تَنِبَكْ ، الذي كان حاجبًا بإمرة المجلس ، وعلى تَمُرْبُغا الدويدار الكبير بما كان تقتضيه وَظيفته من أنظار المدارس ، وغيرها ، وأعطى قَراجَا الخَزَنْدار إقطاع شَرِبَاش وتَقْدِمَته ، وأُزْبُك ، صهر السلطان وظيفة قَراجا وإقطاعه ، وإقطاع أُزْبُك لشخص من الجند[1] . [٤٩] وفي يوم الخميس سابع عشري صفر المذكور من سنة سبع وخمسين نُصِب لكاتب السرّ كرسي ، وجلس عليه في القصر ، وقرأ تقليد السلطان الملك المنصور ، بحضرة القضاة ، والأمراء ، فَخُلع على القضاة الأربع ، وعلى كاتب السرّ ، وعاب الناس عليه أنه جلس على التّخْت بحضرة أمير المؤمنين والقضاة[2] .

وفي يوم السبت تاسع عشريه ، عُزل الشرف يحيى المناوي من القضاء ، وأمْر مقام الإمام الشافعي ، والنظر عليه ، والتدريس بمدرسته . ووِلّي العلم

(١) راجع « النجوم الزاهرة » (٣٣/١٦ - ٣٤) ، و « التبر المسبوك » (٤٣٨) .
(٢) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٣٥/١٦) .

صالح بن البُلْقِيني قضاء الشافعية ، والسِّرَاج عمر الحمصي نظر المدرسة والقبّة والتدريس ، ويَشْبُكَ[1] القِرْمِي ، أحد مماليك الظاهر جَقْمَق ولاية الشرطة ، وعبد الله[2] الكاشف إمرة الكشوفية بالشرقية ، وتَنَم[3] رصاص أمر المكْس بجدة ، وأُلبس كل منهم خِلْعة بذلك ، فكان خِلْعَة المناوي يوم الخميس كانت بخَلْعِهِ مما هو فيه لا لتلبسه به ، ولم يسمع بقاض قبله عُزل بخِلْعة ، فكان ذلك مِن عجائب أمره . وكان من عجائب ولاية العَلَم ؛ أَنْ أَسْلَمَت امرأةٌ نصرانِيَّة ، وأُحضرت له في القلعة ، فحكم بإسلامها ، فهو أوّل حكْم وقع له في هذه الولاية ، ونزل معه القضاة الأَربعة ، والدويدار الكبير[4] ، وكاتب السرّ[5] ، وناظر الخاص[6] ، ثم رجع الدويدار ، والقاضي الحنفي[7] من الصالحية ، واستمر البقيّة معه إلى بيته[8] .

---

(١) هو : يشبك القرمي الظاهري جقمق ، كان واليًا للقاهرة ، ثم أمير عشرة ، ومات سنة ٨٧٢ هـ . « الضوء اللامع » (٢٧٩/١٠ رقم ١٠٩٤) .

(٢) هو : عبد الله البِهَنْسِي التركماني ، كاشف الشرقية ، وأحد الظلمة ، أصله من فقراء تركمان البِهَنْسة ، خدم في قرى القاهرة مِشَدًّا على البلاد ، ولما تسلطن الظاهر جقمق قربه ، وولاه كشف الشرقية والوجه البحري ، فساءت سيرته ، مات في يوم الأحد ٣ ربيع الآخر سنة ٨٦٤ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٣٩٢ - ٣٩٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٢١٢/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٧٥/٥ رقم ٢٧٩) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٠) .

(٣) هو : تنم من بخْشاش الجركسي الظاهري جقْمق ، ويقال له : تنم رصاص ، كان مِن عتقاء الظاهر جَقْمق وخاصكيته ، ترقى بعد موته إلى أَنْ ولي حسبة القاهرة ، ثم أمير عشرة ثم إمرة طبلخاناه إلى أن قتل بيد بعض الأجلاب في مستهل ذي الحجة سنة ٨٦٧ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٣٢٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٤٣/٣ رقم ١٨١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣٠) .

(٤) وهو ، الأمير تَمُرْبُغا الظاهري ، كان دويدارًا ثانيًا ، واستقر دويدارًا كبيرًا عوضًا عن دولات باي في يوم الاثنين ١٦ أو ١٧ صفر سنة ٨٥٧ هـ . راجع (ص ٣١٧) .

(٥) وهو ، محب الدين بن الأشقر . « النجوم الزاهرة » (٣٥/١٦) .

(٦) وهو ، عظيم الدولة الجمالي يوسف ، الذي حاز على هذه الوظيفة إلى جانب نظر الجيش وتدبير المملكة . « النجوم الزاهرة » (٤٦١/١٥) .

(٧) وهو ، شيخ الإسلام سعدُ الدين سعد الدَّيْري . « النجوم الزاهرة » (٤٥٩/١٥) .

(٨) راجع « حوادث الدهور » (١٦٨) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٥) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٨) .

وفي آخر يوم الأحد سلخ صفر المذكور ، دار نقيب الجيش[1] على الأمراء ، وأكابر الجند ؛ فأعلمهم أنَّ الخدمة بطالة ، وأَنَّ النَّفَقَةَ على الجيش بكرْة الاثنين مستهل شهر ربيع الأول ، وعزموا على القبض على خلق كثير من الأمراء والأجناد ، وعلموا أن ذلك لا يتأتى لهم صبيحة الخدمة لوجود السيوف معهم ، وكان قد بلغ الجند ، أنَّ جانِبَك السَّاقي لما كان واليًا أُطْلع إلى القلعة أربعمائة قيد ، فلبس الأشرفية لامات الحرب ، وطلعوا بكرة الاثنين ، فما تركوا أحدًا من الجند ، ولا المباشرين يصل إلى القلعة ، فنزل يَشْبُك القِرْمِي الوالي ، ونزل من القلعة معه من ينادي بشيء أمر به السلطان ، فلم يدعه الأشرفية يُنادي ، وضربوا الوالي ، وأخذوه معهم ، وذهب جماعة منهم إلى أمير المؤمنين[2] ، فأخذوه ، وتوجَّهوا به إلى بيت الأمير الكبير إِيْنال العلائي ، وكان مِنْ جملة مَنْ أَسَروه ، الأمير قَرَاجا ، أحد أعيان الظَّاهرية ، ووجدوا جانِبَك السَّاقي الذي كان واليًا طالعًا فأخذوه ، وكذا غيره ، فلم يصل أحدٌ من الأمراء إلى القلعة إلا تَنَم أَمير سلاح ، ووجدوا الأمير الكبير أتابك العساكر إِيْنال العلائي ، الشهير بالأجرود في سُويقة منعم ، طالعًا إلى السلطان ، فتقدَّم إليه شخص اسمه خَيرِبَك ، فقال له : إلى أين ؟ فقال : إلى السلطان . فقال له : لا سلطان ارجع . فزجره الأمير ، فزجره خَيرِبَك زجرة أشد من زجرته ، وأَحاط به الباقون ، فتقدم إليه دويداره بُرْدْبَك القبرصي ،فقال له : إنْ لم ترجع قُتلت ، فرجع معهم ، وقد تبين له أن نياتهم صدقت في نصر أنفسهم به ، وشرع يقول لهم : اغمدوا سيف الفتنة وأَخْسِئوا الشيطان ، ومهما أردتم مِن السلطان ، أنا كفيل لكم به ، فقال : لا مراد لنا إلَّا أنْ تركب معنا ، أو نقتلك ، فإن قد عُزم على إهلاكنا فنحن نموت على خيولنا فَفَتَّ في أعضادهم كثيرًا ، فلم يزدادوا إلا شِدَّة ، فلما صح عنده صدقهم في ذلك أحضر لهم في بيته مصحفًا ، وحلَّفهم بحضرة أَمير المؤمنين ، على أن لا يخذلوه

(١) وهو ، الناصري محمد بن أبي الفرج . « النجوم الزاهرة » (٣٠/١٦) .

(٢) كان في هذا الوقت ، القائم بأمر الله حمزة . « النجوم الزاهرة » (١/١٦) .

ولا يخذلهم ، وأن لا يزايلوه ، حتى يمكِّنهم من أهل الفساد ، وتَمُرْبُغا ، وأَسِنْباي ، ولاشِين[1] ، وأرسل دويداره وصهره بُرْدبَك القبرصي إلى السلطان ، ونُوكَار[2] الحاجب الثاني ، بأنّ الجند مطيعون ، ولكن قصدهم أن ترسل إليهم تَمُرْبُغا ومن سمى معه . فقال السلطان : ولأيِّ شيء ، لم يأتني الأمير . وتبيَّن له من وجهه أنه يريد أن يقبض عليه ، فقال : يا مولانا السلطان ، إنهم أتوا إليه ، وغصبوه على ذلك ، ولكن إن أَمَّنْته ، أعملت الحِيَل في الإتيان به . فقال : هو آمِن . فانصرف مسرعًا ، وتركوا نُوكَار عندهم ، ولما علموا أن بُرْدَبَك احتال عليهم في خلاص نفسه ندموا على تركه . فَرِكب الأمير الكبير وعلى رأسه السَّنْجق[3] السلطاني ، وعن يمينه أُسِنْبُغاي الطَّياري رأس نوبة ، وعن يساره تَنِبَك أمير مجلس ، ووراءهم أمير المؤمنين ، وقدَّامهم من الجند من لا يبين منه إلا الحدق ، وأَقبلوا نحو القلعة يزفون ، فلما أشرفوا من عند مدرسة[4] قانِبَاي ، إذا هناك مِنَ

---

(١) راجع « هامش ١ » من (ص ٣١) .

(٢) هو : الأمير سيف الدين نوكار بن عبد الله الناصري فرج ، أحد أمراء العشرات الزردكاش ، مات في غزة في أواخر جمادى الآخرة سنة ٨٦١ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٨٦/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٠٥/١٠ رقم ٨٧٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤٥) .

(٣) السَّنْجق : في اللغة التركية معناه الطعن ، وتطلق على الرايات التي تُحْمل خلف السلطان عند ركوبه ، وهي من شعار المُلْك القديمة ، وسميت الرايات بالسَّنْجق ؛ لأنها تكون في أعلى الرمح ، والرُّمح هو آلة الطعن ، يسمى بذلك مجازًا . « صبح الأعشى » (١٣٤/٢) ، و « محيط المحيط » (٤٣٢) .

(٤) مدرسة قانباي : وهو قانباي الجركسي ، وتقع هذه المدرسة في الرُّمَيْلة . « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) « ٢٦٥/٢ ، ٢٩٤/٣) .

الزُّعْرِ[1] ، والشُّطَّار[2] ما ملأ الرُّمَيْلَة ، وقد حثى لهم السلطان بإشارة قانِبَاي الشرَّكَسِيِ من المال فمنعوا العسكر البروز إلى الرُّمَيْلَة ، فافترقوا ، ذهبت فرقةٌ من نحو باب القرافة[3] ، وفرقة من بين مدرسة حسن[4]

---

(١) الزُّعْرِ : يقال ، رجل زَيْعَر ، أي قليل المال ، وفي خلقه زَعَارَّة أي شراسة وسوء خلق ، وربما يقال : زَعِر الخُلُق ، روالزَّعْـرُور السيىء الخُلُق ، والعامَّة تقول رجل زَعِرٌ . وربما أطلق على الزعر ، الشطارُ ، والعيارون ، والدعر . راجع : « لسان العرب » (٤١١/٥ - ٤١٢) ، و « مختار الصحاح » (١١٤) ، و « المعجم الوسيط » (٣٩٣/١) .

(٢) الشطَّار : يقال ، شَطَرَ عن أهله شُطُورًا ، وشُطُورَة ، وشَطَارَةً إذا نزح عنهم وتركهم مراغمًا أو مخالفًا وأعياهم خبثًا ، وقد شَطَر شُطُورًا وشَطَارة ، وهو الذي أعيا أهله ومُؤَدِّبه خُبْثًا ، ويقال : فلان شاطر . أي أُخذ في نحوٍ غير الاستواء ، ولذلك قيل له شاطر ، لأنه تباعد عن الاستواء . « لسان العرب » (٧٥/٦ - ٧٦) ، و « محيط المحيط » (٤٦٥) . والشطّار والزعّار ، جماعة من الفقراء المعدمين العاطلين عن العمل بسبب سوء تدبير الزعماء والحكام ، ضاقوا ذرعًا من الوضع السياسي والاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه فرفضوا واقعهم ، وتمردوا على مجتمعهم . راجع « حكايات الشطار والعيّارين في التراث العربي » (٧ - ١١) .

(٣) باب القرافة : هناك بابان يُطلق عليهما (باب القرافة) ، أحدهما أحد أبواب قلعة الجبل بالقاهرة ، وقد ذكره المقريزي في « خططه » (٢٠٤/٢) : « وهو يفتح على القرافة التي لا تزال موجودة في جنوبي قلعة الجبل ، والثاني أحد أبواب القاهرة الخارجية القديمة ، مثل باب اللوق ، وباب البحر ، وباب الحسينية ، وقد كان يخرج منه أهل القاهرة إلى (قرافة الإمام الشافعي) وغيرها من الجبانات المجاورة ، وهو بذاته باب القرافة الحالي ، الواقع في نهاية شارع السيدة عائشة من الجهة القبلية بالقاهرة ، ويقال له : باب قايتباي ، أو باب السيدة عائشة » . راجع « الخطط التوفيقية » (١٠٩/٢) ، و « هامش ٢ » من (ص ١١١) ، و « هامش ٢ » من (ص ١١٨) من الجزء التاسع من « النجوم الزاهرة » .

(٤) مدرسة حسن : وتعرف باسم جامع الملك الناصر حسن ، أو المدرسة الناصرية الحسنية ، وتقع تجاه قلعة الجبل ، فيما بين القلعة ، وبركة الفيل ، ميدان صلاح الدين حاليًا ، ابتدأ في عمارتها سنة ٧٥٧ هـ يقول المقريزي : « فلا يُعرف في بلاد الإسلام معبد مِن معابد المسلمين يحكي هذا الجامع . أقامت العمارة فيه مدة ثلاث سنين ، لا تبطل يومًا واحدًا ، وأُرْصد لمصروفها في كل يوم عشرين ألف درهم » ولا يزال هذا الجامع موجودًا بميدان محمد علي تجاه باب العزب من قلعة الجبل . « خطط المقريزي » (٣١٦/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٢٣/٩ هامش ١ ، و ٣٠٤/١٢ هامش ٢) .

والبيت المجاور لها ، المعروف ببيت الأمير الكبير ، ومع ذلك فاستمر الزُّعر يشوشون عليهم ، فنودي من جهة الأمير الكبير ، أنّ النَّفقة للمماليك مائة دينار ، وللزعر خمسون خمسون ، فرد الزعر إلى جهة القلعة مكبرين ، فحثوا لهم من المال ، ونثروا عليهم ، فأخذوا ، وردوا ، واستمروا على ذلك نهارًا طويلًا ، وكان دويداره بُرْدُبَك ، قد قال لجانِبَك مُشِدّ جدّة ، في يوم السبت (وكان صديقًا له) : بلغني أنّ الجند غدًا يركبون على السلطان ؛ فَبَكِّر أنت واسْبق إلى السلطان فأعلمه : أن الأمير الكبير مملوكه وعبده لا يعصيه قط ، ولا يُخالِف له أمرًا ، ففعل ، فبينما هو يحدّثه ، إذا تَمُرْبُغا قد وصل ، بعد أن كان أحاط به كثيرٌ من الجند فما أفلت منهم إلا بعد جهد ، فأعلمه المنصور بما قال جَانِبَك ، فقال تَمُرْبُغا لجانِبَك : يا زنديق ، يا قليل العقل ، وهل صنع هذا الكيد كلَّه إلا بُرْدْبَك ، فنازعه جَانِبَك ، فقال : فاطلبوه فإن جاء علمنا صدقه ، قال بُرْدْبَك : فأرسلوا طلبوني ، فعلمت أنّي إنْ لم أذهب ؛ سقطت من عين كل أحد ، حتى أستاذي ، فأجبت ، فلما وقفت قدّام المنصور قَبّلْتُ الأرض ، ودعوت بما يليق ، وقلت : إن مملوكك الأمير الكبير يُقَبِّل الأرض ، ويُعْلِمُك أنه باقٍ على العبودِيَّة ، لا يعرف سواك ، ومهما أمرته به امتثل . فقال تَمُرْبُغا : قل للسلطان الذي قلته لجانِبَك . فلم ألتفت إلى تَمُرْبُغا ، بل قلت مقبلًا على السلطان : يا مولانا السلطان ، أنا الآن بحيث لا أعي ، ولكن مهما قاله عنّي جانِبك هو صادقٌ فيه إن كان خيرًا ، وإن كان شرًّا ، فسكتوا ، وسَكَتٌّ ، فقال جانِبَك : أرسلوه لأُستاذه ، فقال السلطان : اذهب . فقلت : يا مولانا السلطان ، مرني بأمرك لأُبلّغه لمملوكك ليمتثله . فقال تَمُرْبُغا : دعه يذهب إلى بيته . فقال قانِبَاى الشّركسي : وكأنه في حكم نفسه حتى يقدر على الذّهاب والله لا يُفارقونه ، ولا يَدَعُونه يذهب شِبْرًا حتى يعملوه سلطانًا . فقال السلطان : اذهب ، فذهبت ، وقد حدَّث بعضهم بعض ، بالقبض عليَّ ، فلما قَبّلتُ الأرض ، أخذت بيد جانِبَك إلى جنب ، وشرعت أُحدِّثه ، فمكثت نحو عشر درج[1] لِئلا تُنفِّرهم

(١) دَرَج : جاء في « تكملة المعاجم العربية » (٤/٤١٦) دَرْج عند أهل قسطنطينية ، خمس =

سرعة ذهابي ؛ فيقبضوا عَلَيَّ ، فلما رأوا ذلك مِنِّي سَكَنوا ، فخرجت من الحرجة ، فلما كنت بالقرب من باب السِّرِّ الذي عند الإيوان ، إذا الأمير لاشين ، ومعه نحوٌ من مائتي جَلْب ، فخفت أن يقبضوا عليَّ ؛ فأسرعت إلى لاشين ، فأخذت يده بإحدى يَدَيّ ، وعطفت يَدي الأخرى على عنقه ، وأخذته إلى جانب الجدار ، وقلت له : يا فارس الخيل ، هذا وقت الصحبة ، والمروءة ، تعرف أننا جيرانك ، وتعرف حَقَّ الجار . قال : فما تسأل . قُلت : ترسل بعض المماليك يكونون عند باب السلسلة ، فإنِّي إذا ذهبت أَحَسِّن لهم ، أَن يركبوا ، فأَسْرَيْنَا من باب السلسلة ، فَمُرْ أولئك ، أَن يفتحوا لنا الباب ، فإنِّي أرجو من الله أن أُخلص أَنا وأستاذي ، فإذا دخلنا من الباب أُغلق بيننا وبين من ورائنا . فقال : نفعل ، وهو رأيٌ حسن ، ثم تركته ، وإذْ الأجلاب الذين معه قد انفرجوا إلى صَفَّين ، فسلمت عليهم ، فأجابوني بصوت عالٍ وبشاشةٍ ، فذهبت ، حتى كنت عند باب المدْرَج ، فإذا يونس[1] العلائي ، أخو أستاذي ، وكان إذْ ذاك نائب القلعة ، وكانوا قد حَذِرُوا منه ، فوكَّلوا به من يحوطه ، فإذا هو قد أوصى على أن أُعَوَّق ؛ حتى يُحَدِّثني ، فلما قيل لي ذلك ؛ اشتدَّ إشفاقي من تخلُّفي ، فتقدمت كأنِّي ما سمعت الكلام ، وقلت للكبير الذي هناك : يا فلان ، لك بي حاجةٌ ؟ فقال : لا ، فانصرفت ، فركبت فَرَسي ، ثم أَسْرَعتُ حتى خالطت جيشنا وأنا لا أصدق بالسَّلامة .

= دقائق ، ودَرَجَة ، أربع دقائق فيما يقوله لين ، ودَرَج ، لحظة ، هنيهه ، دقيقة . « خطط المقريزي » (٢٠٤/٢) .

(١) هو : يونس بن عبد الله العلائي الناصري فرج ، الأمير سيف الدين أحد أمراء العشرات ، ونائب قلعة الجبل في دولة الظاهر جقمق ، ثم أمير آخور في دولة الأشرف إينال ، مات بالطاعون ليلة الاثنين ، أو صبيحة يوم الاثنين ٢٣ جمادى الأولى سنة ٨٦٤ هـ ، وقد جاوز السبعين من العمر .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٨١١/٢ رقم ٢٧٣٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٢١٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٣٤٦/١٠ رقم ١٣٢٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧١) .

ثم إن الأمير الكبير إِيْنَال ، أَحْضَر البَنَّائين ، والنَّجَّارين ، وأَرباب الصنائع المتعلقة بالحرب ، فنقبوا [٥٠] من تحت مدرسة حسن ، فطلعوا من وسطها ، وكان الظاهر جَقْمَق ، قد هَدَّ مِن كل مئذنة بعض سُلَّمِها ؛ حتى لا يصعد عليها أَحدٌ ، فبناه هذا الجند وَوَافَى صعودُهم وقت الظهر ، فلم يرع الناس إلا آذان المؤذِّنين ، فقالوا : لا إله إلا الله لهذه المواذن مدة خمسة عشر عاما ما أُذِّن عليها ، ومَنَع من عليها مِنَ الجندِ العامَّةَ بالنَّشَّاب مِنَ الدُّنو من سور القلعة ، وأَقبل الليل ، وولّوا واليا يحفظ البلد اسمه خَيرِبَك[1] القصروي ، وخافوا على المسافرين ؛ فأرسلوا إلى والي قَطْيا فعوَّقهم .

ونادى المنادي مِن قبل الأمير الكبير في صباح يوم الثلاثاء ، ثاني شهر ربيع المذكور ، أنّ الجند في طاعة أمير المؤمنين ، وتحت رايته ، وأَنَّه قد خلع المنصور ، فمن عرض لهم من العامَّة ، حَلَّ مالُه ودَمُه ؛ بخروجه على أمير المؤمنين ، وخليفة الله في أرضه ، وقدِم قَرَاجَا ، الذي كان وَلِي كشوفية الشَّرقِيَّة ، وعُزل عنها ، لابِسًا لامة حربه ، مُظْهِرًا سِلاحه ، والطَّبْل والزَّمْرُ يدقان وراءه ، ولم يزل كذلك ، حتى دخل مع إخوانه ، جماعة الأمير الكبير ، فكان لقدومه وقْعٌ في النفوس ، وهيبة في الصدور .

وفي ليلة الأربعاء ، ثالث الشهر نزل ممن في القلعة من مماليك الظاهِر ؛ جانِبَك الإِسْتَدَّار ، وبُردْبَك البَشْمَقْدار ، وكان بُرْدْبَك هذا على أَيَّام الظاهر ، أعزَّ مماليكه ، وأقواهم شوكة ، وأشدَّهم شكيمة ، وكان الأجلاب أطوع شيء له ، فكان له بذلك رواج كبير ، وكان يُعادي تَمُرْبُغا ، وكان لا يزال تَمُرْبُغا يُقْهَر معه ، فلما مات الظاهر رفع المنصور تَمُرْبُغا إلى السُّها[2] ، ووضع بُرْدْبَك إلى البَهَمُوت[3] ، فكان

---

(١) هو : خيربك القصروي ، ولَّاه الأشرف إينال ولاية القاهرة ، كما تولى نيابة القلعة ، ونيابة غزة ، ثم نيابة صفد ، ثم إمرة طرابلس ، مات فجأة سنة ٨٧٥ هـ .

له ترجمة في: «الضوء اللامع» (٣/٢٠٩ رقم ٧٨٣)، و «بدائع الزهور» (طبعة بولاق) (٢/١٢٤).

(٢) السُّها : كوكبٌ خفيٌّ من بنات نعش الصغرى ، يمتحن الناسُ به أبصارَهم لخفائه ، وفي المثل أُريها السُّهى ، وتريني القمر . « محيط المحيط » (٤٣٧) .

(٣) البَهَموت : جاء في « محيط المحيط » (٥٩) ، البهموت مِن أسماء الشيطان ، ومنه رجلٌ بَهَمُوت أي صاحب احتيال ودهاء .

عنده من ذلك ما يُقِيم عذره في الانصراف عنهم ، ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرِّجال ، ولو كانوا ذوي رحم .

وفي يوم الأربعاء هذا ، حضر جماعةٌ من الجند إلى كل قاض ، من القضاة الأربعة ، فأمروهم بالحضور إلى أمير المؤمنين ، فذهبوا معهم متفرقين ، فوافق وصولُ الشافعي[1] ، وصُولَ الحنفيّ[2] ، فدخلا معًا ، فلما جلسوا ، ولبثوا قليلًا ، قال لهم الأمير الكبير : هل مِن حاجة . فقال الشَّافِعِيُّ : أَنْتُم طلبتمونا . فقال : لم نَفْعَل ، اقرأوا الفاتحة ، فقرأوا الفاتحة ، ودعوا ، وانصرفا ، ثم دخل الحنبلي[3] ، ثم المالكي[4] ، ثم دخل الشَّرَف يحيى المناوي الشافعي بطلبِ أَيْضًا ، فاضطرب العامَّة في سبب طلبهم للقضاة ، وخلطوا في ذلك كثيرًا ، ثم أَعقبوا انصراف القضاة مناديًا ، يُنادي : بأنه قد حُكِمَ بضرب رقاب أهل القلعة لعصيانهم على أمير المؤمنين ، فمن طلع إليهم بمأكل أو مشرب فقد عصى أمير المؤمنين ، وفعل معه ما يقتضيه الشَّرْعُ الشريف ، فشاع بين الناس ذلك وقبله جمهورُ الخَلْق ، وذلك هو مرادهم ، ونادى المنادي أيضًا ، معاشر المباشرين عليكم بأمير المؤمنين ، فأتاهم ناظرُ الخاصِّ ، والوزير وغيرهم ممن أمكنه ذلك ، وأمر الوزير بإحضار ما كان يصنعه للمماليك في القلعة ، من اللحم وغيره فَفُعِل ، واشتدَّ أمرِ من مع الأمير الكبير ، ورموا مدفعًا فأصاب السنجق الذي على رأس السلطان ، فكَسَرَه ، فقال الناس : إنَّه كان بيد عبد الرحمن ابن الكُوَيز الشّوبكي . وأما كاتب السرِّ ونائبه[5] فكانا يوم الرّكوب قرب القلعة في تربة ، فاستمرا بها ، ثم أَتَيا إلى أمير المؤمنين ، والأمير الكبير ليلة الخميس ، رابع الشهر .

---

(١) وهو : علم الدين صالح البُلْقيني . « النجوم الزاهرة » (٣٥/١٦) .

(٢) وهو : سعد الدين سعد الديري . « النجوم الزاهرة » (٤٥٩/١٥) .

(٣) وهو : بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادي . « النجوم الزاهرة » (٤٦٠/١٥) .

(٤) وهو : ولي الدين محمد السنباطي . « النجوم الزاهرة » (٤٦٠/١٥) .

(٥) وهو : القاضي معين الدين عبد اللطيف بن أبي بكر بن سليمان بن إسماعيل سبط ابن العجمي ، المتوفى يوم الجمعة ٤ شوال سنة ٨٦٣ هـ . « النجوم الزاهرة » (٢٠٦/١٦) .

وفي يوم هذه الليلة نزل عبدُ الرحمن بن الكُوَيز مائِلًا إلى جهة [الأمير][1] ، فأغْلَظ له ؛ لكونه كان مع القلعيين ، فلما خرج من عنده شرع الجند في إهانته ؛ فمن بين لاكم ، وشاكٍ ، إلى أن نزل من المقعد الذي فيه الأمير ، ثم جاء إليه في آخر النهار .

وفي بكرة هذا اليوم ، نزل الأميران ، سَونْجبُغَا ونُوكار ، وشهاب الدين[2] الإخْميمي الإمام ، يسألون ما القصد ؟ فقال لهم الأمير الكبير : القصد نزول تَمُرْبُغا ، ولاشين ، وأَسِنْباي . فذهبوا ، ثم رجعوا ، فقالوا : إنهم أجابوا إلى ذلك ، ولكن إذا حلفتم لهم أنَّكم لا تؤذونهم ، فأجاب : بأنَّ الأمر غير محتاج إلى حَلِف ، وأشار إليه الأميران أن يُعَوِّقهما ، ففعل ، ورجع الإخميمي وحده ، فعاد القتال إلى ما كان عليه ، من الرّمي بالمدافِع من الفريقين .

وفي هذا اليوم ، قرب الظهر قال أمير المؤمنين للجند : إنِّي قد استخرت الله تعالى ، وخلعت عثمان بن جَقْمَق ، من المُلْكِ ، مثل ما خلعت خاتَمِي هذا ، وخَلَع خاتمه مِنْ إصبعهِ ؛ وذلك لِمَا طرأ منه من الفساد ، والقبض على من لا يستحق ذلك ، مِن أمراء الإسلام ، وفِعْلِ ما أوجب تفريق كلمة الجند ، وضعف الجنود . ثم قال لهم : أترضون أنْ أُوَلِّي عليكم الأمير إِيْنال ؟ فأجابوا بلسانٍ واحدٍ : نعم ، نعم ، وكانت لهم ضَجَّةٌ كبيرةٌ ، فقال : قَدْ وَلَّيْته . فقالوا أيضًا بلسان واحدٍ ، وضَجَّة عظيمة : نصرك الله ، نصرك الله .

وفي يوم الجمعة طلب القضاة الأربع ، فسمعوا خلع أمير المؤمنين لعثمان ،

---

(١) في الأصل (الامرا) والتصحيح مِن مفهوم السياق .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن البهاء الشهاب الأنصاري الإخميمي القاهري الحنفي ، أمّ بالظاهر جقمق ، وهو أمير ، فلما تسلطن استقربه ، وكان خيِّرًا ، مات يوم السبت ٢٩ شعبان سنة ٨٦٣ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٢٠٦/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٨٩/٢ رقم ٢٦٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٦٤) .

وحكموا بِخَلْعِهِ ، وخرج النداء بذلك ، وبأنَّ الخليفَةَ هو السلطان ، ومن خالف ، أو فعل ما يؤذن بالمخالفة ، فُعِلَ معه حكمُ الله ، وكان المنادِي بذلك جماعة بعضهم معهم والي الشرطة[1] ، وبعضهم معهم نقباء القضاة ، وأُفرِد في خِطْبَةِ الجمعة أمير المؤمنين بالذِّكر ، ولم يُذكر عثمان ؛ فكان لذلك وَقْعٌ في نفوسِ الناس ، وضَجُّوا بالتسبيح لملك الملوك .

ولمّا رجع الإخميمي إلى جماعة القلعة ، تحقَّقوا أنَّ المُراد أرواحهم ، فجدوا جِدَّ من يُريد الموت ، فكانوا كلَّ ليلة يحفرون تحت سور القلعة قِطعةً ، حتى جعلوا كثيرًا مِنَ الجهات التي تُخاف عاقبتها خنادِقَ ، وملأوا أسوارها حجارة ، وزحف عليهم جماعةٌ مِن المدنيين عِدَّةَ [٥١] زحوف مِن سبيل المؤمني ، ومِن ناحية باب القرافة ، يكون الظَّفَرُ فيها لأهل القلعة ، على قلة من يخرج منهم ، غير أنَّ شخصًا من المدنيين ، بلغني أنه من مماليك جمال الدين يوسف الإِسْتَدَّار ، اسمه يَلْبُغا ، وهو شيخ ، عمل ما يُعْجز الوصفَ ، وتواترت عنه الأخبار بذلك ، منه أنه يذهب إلى أن يدنو من المكان الذي فيه عثمان ، ويُفْحِش له بالكلام المُحْرِق ، فيُصَوِّبُ عليه مَنْ عنده بالسِّهام ، فإذا قاربته فإن كان المُصَيِّبُ له لو ثبت واحدًا حَادَ عَنْه ، وإن كان اثنان وكانا في موضع واحد ، فكذلك وإن كانا في جهتين ، فتارة ترى [أنه][2] يتقاصر ، وتارة يثب ، وتارة يضرب السَّهمَ ، أو السَّهْمين بخِنْجَرٍ معه ، فيكسرهما ، ثم يجلس على الأرض ، وتارة ينام على ظهره ويرفع رجليه في وجوههم ، فيرمونه ، فيفعل ما تقدم ، فَوَعَدَ عثمان من أتى به بمائة دينار ، فَصَوَّب عليه الزُّعْر ، فلم يجسر أَحدٌ منهم على الدُّنو منه ، فرموه بالمدافع ، فلم تصبه ، وفعل معهم هذا مرارًا عِدَّة في أيام مختلفة ، فلم ينالوا مِنْه غَرَضًا .

وفي يوم الجمعة صلى قاضي القضاة علم الدين صالح بجيش الأمير الكبير الجمعة في البيت الذي هم به ، وكان أهلُ القلعة جعلوا من ناحية سبيل

---

(١) راجع « هامش ٥ » من (ص ٢٩٩) .
(٢) في الأصل (أن) ، والتصحيح مِن السياق .

المؤمني نَاسًا من جماعة محمد[1] الصغَيِّر ، الذي كان كاشف الصعيد ، وهم من بلاد بغداد ، من جند قَرَايوسف[2] ، فأحرقوا من يتوجه نحوهم ، وكانت، لهم ضربات صادِقة رأيت بعضها قد قطع الدِّرْع وغاص في اللحم غَوْصًا كثيرًا ، وكان أحدهم يُقال له مِرْزَى ، وهو مِن شِيَّابهم عمل ما يُحدَّث به ، وكان أيضًا عند القلعيين شخص مِنْ أمراء طرابُلُس ، يقال له علي بن اليزبكي جعلوه في ناحية المدرَّج فحماها بسهامه ، وكان له رَمْيٌ يُتَحدَّث، به ، بحيث أنَّ الأمير الكبير إيْنال لما صفى له الأمر أراد قَطْع يده .

وفي ليلة السبت سادس شهر ربيع الأوَّل هذا ، مات رأس نوبة النُّوب أَسَنْبُغا الطَّياري ، فجأة ، ومَرِض تَنبَك أَمير سلاح ، فكاد أهل القلعة وعصبتهم يطيرون فَرَحًا وَغُمَّ المدنيون وعصبتهم[3] .

وفي هذا اليوم ، رمى أهل القلعة بمدفع يُسَمَّى القطيطة وأولادها ، يَرمي بأربعة حجارة أو أكثر دفعةً واحدة ، وآخر يرمي بحجر ثقيل يُسمَّى الغضبان ، وأكثر المدنيون من المدافع من شبابيك مدرسة حسن وأسطحتها ، ومآذنها وجوانبها إلى أن كان في هذا اليوم ، من القتال ما لم يكن قبله ، كنت أسمع حِسَّ المدافع كأنَّها الرَّعد القاصف مِنْ منزِل ، مِنْ رحبة العيد ، قرب مدرسة سعيد السعداء ، بحيث أنِّي أظنُّ إذا رمي المدفع أنَّ الأرض تزعزعت من تحتي ، ثم أخبرني من لم أشك في صدقه ؛ أنهم كانوا يسمعون

---

(١) هو : محمد بن علي بن قطلوبك ، ناصر الدين بن العلاء القازاني ، المعروف بالصُّغَيِّر ، ويُقال له المعلم ؛ لتقدُّمه في تعليم الرمي بالنشاب ، وهو من أصحاب الظاهر جقمق قبل تملكه ، فقربه عندما تسلطن وولاه نيابة دمياط ، ثم عزله وأهانه ، مات ليلة الجمعة ٢٣ ذي الحجة سنة ٨٥٨ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٣٦١ - ٣٦٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٠٣/٨ رقم ٥٣٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٢٣) .

(٢) راجع « هامش ١ » من (ص ٧٩) .

(٣) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٤٨/١٦) .

المدافع في مدينة الخانكة ، وأنه أخبره من سمعها مِنْ قرية قُرب بِلْبِيس[1] ، وكان بين الفريقين في هذا اليوم وغيره مع المدافع من الرَّمي بالسِّهام والمزاحفة بالسيوف والرِّماح ما لم يُرَ مثله في هذه الأعصار ، وكان الظَّفر في أكثر ذلك لأهل القلعة ، ومع ذلك فقيل : أنَّ جماعة مِن أهل القلعة نزلوا إلى المدنيين طائعين ، وبَلَغنا أن عثمان أظهر الرضى عن الزَّين الإسْتَدَّار ، وخلع عليه في هذا اليوم ، ونادى مناديه على السور : أنَّه ينفق على المماليك ، لكل واحدٍ مائتا دينار .

فلما كان يوم الأحد سابع الشهر عاودوا النزال ، وَمُغَاوَرَةَ الأبطال ، وطلب الأمير الكبير القضاةَ ؛ ليرتِّبوا نُسْخَةً بخلع عثمان ، ويرسلوها إليه ، لِيُرْكِبُوا الحجَّةَ عليه ، فيُعْلم أنه إن قاتل بعد ذلك كان باغيًا ، حلال الدَّم ، فخافوا عاقِبة ذلك ، فكتبوا ما لم يُصرِّحوا فيه بخلعه ، فَنُبِّه الأمير الكبير على ذلك ، فأمرهم بتغييره ، فشرعوا يرتِّبون ما يخلصون به من غيظ الفريقين ، فطال أمرُهم ، ثم إنَّ القاضي الشافعي جسر ، وأمر الموقِّعين بالكتابة ، والقضاة بالتنفيذ ، وكان الحنبلي له عادة ، بأن لا يُنَفِّذ حكمًا ؛ وذلك أنه أُريد منه مِن عِدَّة سنين تنفيذ حكم لبعض نوَّاب الحنفية ، وكانت بينهما شحناء ، فتوقَّف فيه بلا مُسْتَند ، فأُلزم بذلك ، أَوْ بإبداءِ ما يوجب التوقف ، فلم يسَعه إلا التنفيذ ، فكتب عليه ليسَجِّلَ ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله ، فقام الحنفيون في ذلك فكاد يهلك ، فرأى ، أَن يجعل له ذلك عادَةً لئلا يقع في مِثْل ذلك ، ومَشَتْ له تلك العادة فيما بين تلك الواقعة ووقتنا هذا ، وهو مدَّة طويلة ، وعرف ذلك منه ، فلما طُلب منه تنفيذ هذا الحكم قال : أَنتم تعلمون عادتي ، أن لا أُدْخل في تنفيذ . فقال له الشَّافعي : مثل هذا يُسْتَثنى ، فكَرَّر ، فكَرَّر ، وزَجره الشافعي ، فلم يسعه إلا

---

(1) بِلْبِيس : مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام ، وهي آخر حدٍّ مصر وأول الشام ، فُتحت في سنة ١٨ هـ أو ١٩ هـ على يد عمرو بن العاص . « معجم البلدان » (٤٧٩/١) ، و « خطط المقريزي » (١٨٣/١ - ١٨٤) .

تنفيذه ، فبينما هم في ذلك ، إذْ جاءتهم البشارة بأن القلعة أُخِذت ؛ وذلك أنه لمّا كان قرب الظهر زحف قَوْمٌ من جيش الأمير الكبير ، من نحو القَرَافة ، فالتقاهم أهلُ القلعةِ فهزموهم ، وقتلوا منهم فارسًا ، ثم زحف آخرون إلى سبيل المؤمِني ، ونصبوا هناك سلالم ، فصعد بعضهم إلى سطحه ، فلاقاهم كثير مِنْ أهل القلعة ، فردُّوهم إلا واحدًا فثبت ، ولم يَزَلْ يُطاعِنُهم إلى أن أزالهم عن مكانهم ، وقتل منهم واحدًا ، ثم تكالبوا عليه فرأى أنه لا طاقة له بهم ؛ لإبطاء أصحابه عنه ، فَرَكَزَ رُمْحَهُ في الأرض ، ثم تحامل عليه حتى وصل إلى الأرض ، وأخذ رمحه وانحاز [٥٢] إلى أصحابه ، فكانت من غرائب الفعلات ، ثم خرج صفٌّ كبير من باب السلسلة مشاة ، فلاقاهم جماعةٌ من بيت الأمير الكبير ، غير مصطفين فهزمهم القلعيون ، فقال بعضُهم : اصطفوا ، وارجعوا . فلم يجبه أحدٌ ، ومع ذلك هرب جماعةٌ مِن القلعيين إلى جيش الأمير الكبير ؛ فخاف أكابر القلعيين على جماعتهم ، فردوهم ، وأغلقوا الباب ، وخرج من جماعة الأمير الكبير جماعات ، من نواحي شتّى مُصْطفِّين بطوارِق[1] تسترهم ، قد ألْقَوا بَعْضَها إلى بعض ، وزحفوا بها رويدًا ، ثم تتابعوا من كلِّ أَوْب[2] ، فرمى عليهم القلعيون من المدافِع ، والسِّهام ، وحجارة اليد ، ما ستر السَّمَاء ، وزاد على العَدِّ ، وهم لا ينثنون .

ثم خرج من ناحية سوق الخلاع[3] دارع[4] – ذُكر لي أنه بُرْدُبَك البَشْمَقَدار –

---

(١) طوارق : الطوارق ، نوع مِن آلات الحصار تستخدم من الخشب . راجع « الروضتين » (١٠٧/١) ، و « خطط المقريزي » (١١٨/٢ ، ١٩٨) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٣٢٤/٢) ، و « الملابس المملوكية » (٨٧) .

(٢) أوب : جاء في « محيط المحيط » (٢١) : « آب يأُوب أَوْبًا وإِيَّابًا بالتشديد لغةً ، وأَوْبَة وأَيْبَة أتي من كلِّ مكانٍ وناحية » .

(٣) سوق الخلاع : لعله يقصد سوق الخلعيين ، الواقع بين قيسيارية الفاضل ، وبين باب زويلة الكبير ، وكان يعرف قديمًا بالخشابين ، وعرف بالزُّقيق ، والخلعيين جمع خلعي ، والخلعي هو الذي يتعاطى بيع الثياب الخليع ، وهي التي قد لبست . « خطط المقريزي » (١٠٤/٢) .

(٤) دارع : الدارع مِن الرجال ، أي الذي عليه درع . « محيط المحيط » (٢٧٧) .

لا يبين منه ، ولا من فرسه إلا الحدق ، وشعر ذنب الفرس . بيده رمح طويل فيه نار مصنوعة بدهن النِّفط ، فضرب فرسه نحو السبيل ، وصوَّب إليه القلعيون رميهم ، بالسِّهام والمدافع وكل ما قدروا عليه ، فأخبرني الثِّقة ، البصير بالحروب ، الثابت الجنان ، أنَّ وَقْع السِّهام في درعه ودرع فرسه ، كان كأنَّه وقع البَرَد على الصَّفا ، فلم يهلك دون السبيل ، ثم أثبت رمحه في سقفه ، وهم يرمون ، وهم ثابت إلى أَنْ عملت النَّار في السَّقْف واشْتَدَّ ضِرامها ، ثم وصل أهل الطوارق إلى الربع المجاور للسبيل ، فأطلقوا فيه النَّار ، ثم كثروا وطلعوا على تلك البيوت ، فأخبرني الثِّقة أنه شاهدهم يمشون في النَّار ، قال : ولولا أني شاهدت ذلك ما صدّقْته ، ولَمَّا لَعِبت النّار اشتدّ الريح الغربي ؛ فجلل أهلَ القلعة الدُّخانُ والغبارُ وحمش[1] اللهب من كان قريبًا ، فأزاحهم عن الأَسْوار ، وأعمى منهم الأَبصار ، وهدَّ المدنيون السور بأَسِنَّة رماحهم حجرًا حجرا إلى أَنْ صار بحيث يصعد منه الرَّاجل ، قال : ولو لم أر ذلك ما صدَّقته ، فكثر حينئذٍ الصاعدون على السور ، وارتفعت الأصوات ، وتوالت الزَّعَقَات ، ورجت تلك الأَرض بالنعرات ، واكتنى الرِّجال ، وحمل الأبطال ، وخلع قلوبَ القلعيين الزلزال ، فلحقهم الثبور ، وأهلكوا بالدبور ، كما هلك الأَحزاب[2]

---

(١) حمش : جاء في « لسان العرب » (٨/١٧٦ - ١٧٧) ، احْتَمش واستَحْمَشَ ، إذا التهب غضبًا ، وأَحْمَشْت النار أَلْهَبْتها .

(٢) الأحزاب : وهم الذين حزَّبهم وألبهم اليهود من غطفان ، وقريش ، وأسد ، وسُلَيْم ومن تابعهم من قبائل العرب ضد رسول الله ﷺ ، حيث قادهم سفيان بن حرب وهم نحو عشرة آلاف مقاتل ، وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة إلى المدينة المنورة لقتال رسول الله ﷺ . وقد حفر الرسول ﷺ خندقًا حول المدينة من الناحية الشمالية وهى المنطقة المكشوفة منها بعد أن أشار عليه سلمان الفارسي رضى الله عنه بذلك ، وقد عُرفت هذه الغزوة ، بغزوة الأحزاب أو الخندق ، وقد بلغت الشدّة برسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم حدًّا بعيدًا لتكالب أعداء المسلمين عليهم مِن كل صوب ، حتى أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم الريح في ليلة شديدة البرد حالكة الظلام ، فكفأت قدورهم ، وطرحت آنيتهم ، وقوَّضت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم ، وأذاعت في قلوبهم الرعب =

بالصَّبا[1] ، وتفرقوا أَيْدي سبأ[2] ، وأدركهم الحيْنَ[3] ، وصاح فيهم غراب البين[4] .

ورمى تَنَم أمير السلاح منديل الأمان ، فقيل له : إن كنت صادِقًا فافتح باب السلسلة ، ففتح وخرج ، فأحاط به الأشرفية ، وضربوه بالأطبار[5] وغيرها ، فلولا متانة لِبْسِه وإدراك جماعة من إخوته له لهلك ، فلم يزالوا يترققون لهم ، ويعطفونهم عليه ، حتى كَفُّوا عنه ، ودخلوا من باب السلسلة وغيره ، فلم يكن لبُرِدْبَك البَشْمَقدار طُلْبة إلا تَمُرْبُغا ، فأدركه مختبئًا في حَمّام خراب ، فأخذ بتلابيبه ، وأشبعه لكمًا وضربًا ، وسبًّا وسحبًا ، ثم تلقطوهم واحدًا بعد واحد ، وأُدرِك عثمان جَقْمَق في بيت أمه[6] ، فأُحيط بالبيت ، ووكل بحفظه جماعةٌ من الخُدَّام الطواشية ، والأمير يونس البَوَّاب ، وأُحضِر من أُدْرِك منهم غيره إلا إِسِنْباي ، فإنه لم

= والفزع . فارتحلوا من ليلتهم ، ولم يجد المسلمون مع إشراقة الصباح منهم أحدًا . راجع : « كتاب المغازي » (٢/٤٤٠ – ٤٩٦) ، و « السيرة النبوية لابن هشام » (٢/٢١٤ – ٢٣٣) .

(١) الصَّبا : ريحٌ معروفة ، تهب من موضع مطلع الشمس ، إذا استوى الليل والنهار . « لسان العرب » (١٩/١٨٣) .

(٢) أيدي سبأ : جاء في « لسان العرب » (١/٨٧ – ٨٨) ، « سبأ اسم مدينة بلقيس باليمن ، وضربت العرب بهم المثل في الفرقة ؛ لأنه لما أذهب الله عنهم جَنَّتَهم وغَرَّق مكانهم تبدَّدوا في البلاد ، وقولهم : ذهبوا أيدي سبأ ، أي متفرقين ، شبِّهوا بأيدي سبأ لما مَزَّقهم الله في الأرض كل ممزَّق ، فأخذ كل طائفة منهم طريقًا على حدة ، ذهبوا أيدي سبأ أيْ فَرَّقتهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبأ » .

(٣) الحَيْن : الهلاك ، والمحنة ، ووقت الأجل ، ومن قولهم في المثل : إذا حان الحَيْن حارت العين . « محيط المحيط » (٢١٠) .

(٤) غراب البين : جاء في « لسان العرب » (١٦/٢١٠) : « المباينة ، المفارقة وتباين القومُ ، تَهاجَرُوا وغُرابُ البَيْنِ هو الأبْقَع ، وقيل : هو الأحمرُ المِنْقار والرجلين ، وأما الأسود فإنه الحاتِمُ ؛ لأنه يحتم بالفراق » .

(٥) الأطبار : جمع (طَبَر) ، وهي الفأس مِن السلاح ، فارسيتها (تبر) . « محيط المحيط » (٥٤٣) .

(٦) يقول (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٥/١٢٧) : « وأمه أم ولد اسمها زهراء » .

يوجد ، فاجتمع في قبضتهم تلك الليلة أربعة عشر رجلًا ، ثم زادوا في اليوم الثاني .

وكان عند تقييدهم مِن الغرائب ، أنه ذُكر أنه وجد على كل قيد اسم من كانوا عزموا على أن يقيدوه به ، فوُجِد على بعضها اسم بُرْدُبَك البَشْمَقدار ، فجعله بُرْدُبَك في رجلي تَمُرْبُغا ، وأنَّ قانِبَاي الشركسي قال للذي تولَّى تقييده : أفعل ما أُمرت به ، الحديد قوَّة . فقال له شخص ذاك : إذا رُؤي في النَّوم ، وأمَّا في اليقظة فَغَمٌ وشِدَّة .

وطلع أمير المؤمنين ، والأمير الكبير في آخر يوم الأحد المذكور إلى باب السلسلة فناما في بيت أمير آخور في خلق كثير ، فسبحان من يعز من يشاء ، ويذل من يشاء بما يشاء ، فلولا الرِّيح فعلت بهم ما فعلت ما قدروا عليهم فيما أُظن ، فقد أُخبرت أنَّ القلعيين كانوا دون الألف مقاتل ، ولم يكن عندهم مِنَ الخيل إلا دون الخمسين ، وكان المدنيون فوق ثلاثة آلاف فارس . ومع ذلك فأخبرني من كان يذهب كُلَّ يوم للفرجة على قِتالهم أنَّه حصل بينهم في مُدَّة هذا الحصار مزاحفات ومحاورات ، كان الظَّفر في جميعها لأهل القلعة . ولولا أنَّ الله تعالى قذف في قلوبهم ، أنْ يخرجوا دفعة ، ويصدقوا الحملة لأخذوا المدنيين أخذًا ، على قياس ما كان يُرى من ملاقاة متزاحفيهم .

ولاية الملك الأشرف إينال العلائي

وفي صبح يوم الاثنين ثامن الشهر ، الموافق لثالث عشري برمهات[1] ، وللتاسع عشر مِنْ آذار ، أَلْبَس أميرُ المؤمنين ، الأميرَ الكبير بدلة سواد ، من شعار العبَّاسيين على ما جرت به العادة في يوم السلطنة ، وركب على ما جرت به العادة ، وحُملت فوق رأسه القُبَّةُ والطَّيْرُ[2] ،

---

(١) برمهات : من أشهر القبط ، وهو أول فصل الربيع . « خطط المقريزي » (٢٧١/١) .

(٢) القبَّة والطير : وقد يعبَّر عن ذلك بالمِظَلَّة ، أو الجتْر (الشتر) وهي قُبَّة من حرير أصفر مزركش ، على أعلاها طائرٌ من فضَّة مذهَّبَة ، يحملها بعض أمراء المئين الأكابر ، وهي من بقايا الدولة الفاطمية . « مسالك الأبصار – دولة المماليك الأولى » (٩٧ – ٩٨) ، و « صبح الأعشى » (٤٦٩/٣ ، ٧/٤ – ٨) .

وكان [٥٣] الذي تولى أمْرَ ذلك مِنَ الجند ولده سيدي أحمد[١] بتحسين أكابر من الأشرفية ، وكانت العادة في مثل ذلك لأتابك العساكر ، فشاع بين الناس أنَّ ولده الأتابك ، فأنكروا ذلك ، ومشى قدام السلطان إلى القصر ، وحضر قُضاة القضاة ونُوَّابهم والمباشرون تولية أميرَ المؤمنين له السلطنة ، وكني بأبي النصر ، ولُقِّب الأشرف وأُجلس على التَّخت ، واستقر أمْرُ الناس ، ونودي للجند ، أنَّ النَّفَقَة مائة دينار لكل واحد[٢] .

وكان له من الأفوال الحسنة في هذا الأمر ، أنَّ يوم ركوبه ، ويوم سلطنته صادف يوم مولد النبي ﷺ ، ومبعثه ، ومهاجره ، ومدخله إلى المدينة الشريفة في شهر مولده ، ومهاجره ومستقره[٣] ، وفي أوائل الشهر ، وأوائل الأسبوع . وأنَّ أول الأجناد الذين ردوه إلى بيته لمبايعتهم على حرب عثمان اسمه خَيرِبَك ، وكذا الذي ولَّاه على الشرطة . وأنَّه كان مسؤولًا في هذا الأمر ، فيرجى أنه يعان عليه .

وخلع على ولده في هذا اليوم ، وأرْكبه ما جرت به العادة لحامل القبَّة

---

(١) هو : أحمد بن إينال المؤيد الشهاب أبو الفتح بن الأشرف أبي النصر العلائيّ الظاهري ثم الناصري ، وُلد في غزة سنة ٨٣٥ هـ ، وتَرَقَّى أيّام أبيه ، ثم استقر بعده ، يوم الأربعاء ١٤ جمادي الأولى سنة ٨٦٥ هـ بعهد منه ، ودام في السلطنة إلى يوم الأحد ١٩ رمضان من سنة ٨٦٥ هـ ، كان محبًّا للعلماء مكرمًا لهم متفقدًا لأحوالهم ، تولى مشيخة الشاذلية في الإسكندرية في ذي الحجة سنة ٨٨٦ هـ ، مات في منتصف صفر سنة ٨٩٣ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٤٦/١) ، و « نظم العقيان » (٤٠ رقم ٢٣) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢٤٨/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٥٤/٧) .

(٢) راجع أخبار تولي الأشرف إينال للسلطنة وما صاحبها من أحداث في : « حوادث الدهور » (١٦٨ – ١٧٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٦/١٦ – ٥٦) ، و « التبر المسبوك » (٤٢٩ – ٤٣١) .

(٣) جاء في « البداية والنهاية » (٢٥٩/٢ – ٢٦٠) : « وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، واستنبئ يوم الاثنين ، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين » .

والطَّيْر[1] ، ورسم بإطلاق دُولات باي ، الذي سجنه المنصور ، وبقطع يد الأمير علاء الدين بن اليزبكي ، الذي تَقَدَّم أنه كان بالقلعة ، وأنه حَمَى المكان الذي كان به بسهامه ، وكان بين ناظر الخاص الجمال يوسف بن كاتب شكم ، وبين تَمُرْبُغا صحبة أكيدة ، فلما قُبض عليه أرسل إليه ناظر الخاص يقول له : سَلْني مِنْ حوائجك ما تشاء . فقال : أكبر حوائجي الوصية بعلي بن اليزبكي ، وكان ناظر الخاص قد تَقَرَّب إلى إينال في أيام الرّكوب بماله إلى أن ملكه ، فشفع في ابن اليزبكي ، فلم تُقْطع يده ، ورُدَّ إلى طرابُلُس على ما كان عليه . وعلى الأمير يونس البَوَّاب بالدويدارية الكبرى، وعلى قَرْقَمَاش ابن عم الأشرف بأنَّه رأس نَوْبَة النُّوب ، وعَلَى ابن الطَّيْلوني[2] بأنه معلِّم البنَّائين عن يوسف شاه ، وعلى شَرِبَاش[3] كُرْد بأنه أمير آخور ، وعينت في ذلك اليوم أو بعده الدويدارية الصغرى لِتِمْرَاز الأشرفي ، وإمرة السِّلاح لتَنِبَك ، الذي كان أمير مجلس ، وإمرة المجلس لخُشْ قَدَم صاحب الحجاب ، وحجابة الحجاب لقَرَاجا الذي كان خَزَنْدارًا

---

(1) في « النجوم الزاهرة » (٦٠/١٦) : « فخلع على ولده المقام الشهابي أحمد باستقراره أتابك العساكر عوضًا عن نفسه » . راجع أيضًا « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر)(٤ ، ٥٢) .

(2) في « النجوم الزاهرة » (٦٣/١٦) : « البدري حسن بن الطولوني ، وهو : الحسن بن حسين ابن أحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن علي البدر بن الطولوني الحنفي ، ولد سنة ٨٣٦ هـ بالقاهرة ، وعانى الأنغام في القراءات والآذان وغيرهما ، وساق المِحْمَل في الأيام الأشرفية إينال ، واستقر به في المعلمية ؛ لكونه قام معه في المحاصرة قيامًا كبيرًا .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٩٨/٣ رقم ٣٩٦) ، وذكر (ابن إياس) في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) ١٢٢/٣) ، أنه كان ضمن المباشرين الذين أرسلهم السلطان سليم شاه إلى اسطنبول في يوم الجمعة ٦ جمادى الآخرة سنة ٩٢٥ .

(3) هو : شرباش أو (جرباش) كرد أو (كرت) الجركسي المحمدي الناصري فرج برقوق ، ترقى عند أستاذه حتى صار سلحدارًا ، وزوَّجه ابنته شقراء ، وعمل في أيام الظاهر جقمق أمير آخور ثاني ، نفاه السلطان الظاهر خشقدم إلى دمياط ، ثم أحضره إلى القاهرة . وأقام ببيته حتى مات في شوال سنة ٨٧٧ هـ ، وقيل له كرد ، أو كرت ؛ لكونه كثير الشعر .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٦٦/٣ رقم ٢٧٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٤٢/٢ - ١٤٣) .

ثانيًا للظاهر ، ونيابة إسكندرية ليُونُس العلائي نائب القلعة ، وهو قريب السلطان ، وجعلت نيابة قلعة الجبل إلى قانِبَاي[1] ، أحد الناصرية[2] .

وفي يوم الأربعاء عاشر الشهر ، نزل بمن استمرَّ مغضوبًا عليه من المقيَّدين ، وهم تسعة أنفس ، منهم : تَنَم أمير السلاح ، وقانِبَاي الشركسي أمير آخور ، وتَمُرْبُغا الدّويدار الكبير ، ويَزْبُك[3] الخَزَنْدار الثاني ، ولاشين[4] [5] ، وأما عبد الله الكاشف ، فأمر به إلى بيت جانِبَك الإسْتَدَّار ليستخلص منه الأموال وأعطي قَراجا الذي كان واليًا إمْرَته كاشف الشرقية ، فطلب قَراجا من السلطان أنْ يُعينه على ..[6] بمال ، وبذل عبد الله[7] ثلاثين ألف دينار ، وسأل في الكشوفية على عادته فأجيب .

وفي هذا اليوم ، توجَّه مُتَسفِّر دُولات باي ورفيقيه بإطلاقهم ، وإحضاره إلى القاهرة ، وفيه ، أو في الذي قبله توجّه يونس إلى إسكندرية نائبًا .

وفيه ذهب كثيرٌ مِن الجند إلى أمير المؤمنين ، وقالوا : نحن ما قاتلنا ، إلَّا

---

(١) هو : قانِبَاي ، أو (قاني بك) بن عبد الله الناصري فرج ، المعروف بالأعمش ، أحد أمراء العشرات ، ورأس نوبة في الدولة الظاهرية جقمق وتولى نيابة القلعة في أيام الأشرف إينال ، واستمر عليها حتى مات ليلة الخميس ١٧ ذي القعدة سنة ٨٦٠ هـ عن عمر يناهز الستين عامًا .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٥٣٢/٢ رقم ١٨٢٤) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨١/١٦ - ١٨٢) ، و « الضوء اللامع » (١٩٧/٦ رقم ٦٦٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤١) .

(٢) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٦٢/١٦) .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (٦١/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧) : « أُزْبُك » .

(٤) في « النجوم الزاهرة » (٦١/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧) : « لاجين ، شادّ الشراب خاناه » .

(٥) أضاف (ابن تغري بردي) في « النجوم الزاهرة » (٦١/١٦) : « وسُنْقُر العايق الأمير آخور الثاني ، وجانَم الساقي الظاهري ، وسودون الأفْرَم الظاهري ، وجَانِبَك الظاهري البواب ، والجميع ظاهرية ، ما عدا تَنَم ، وقاني باي » . راجع أيضًا « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧) .

(٦) كلمة غير واضحة الرسم ، ولم نجزم بتصحيحها .

(٧) راجع « هامش ٢ » من (ص ٣٢١) .

على أن تكون السلطان أنت ، فعالجهم إلى أن فَهِم أنهم يستقلُّون المائة دينار التي رُسم بها لكل واحد ، فقال : أشفع لكم في الزِّيادة ، فلم يروا عنده ما يعجبهم ، فذهبوا إلى تَنِبك الكبير ، فلم يجبهم إلى شيء .

وفي هذا الحدِّ ، رفع الأشراف إلى السلطان أمرهم في بلدهم بَلْقَس ، فانتزعها من الإسْتَدَّار ، وردَّها عليهم .

ثم كثر كلام الناس في ولاية ولد السلطان لِلإِمْـرَة الكبرى ؛ فولَّاها يوم الخميس حادي عشر الشهر لتنِبَك أمير السِّلاح ، وخلع عليه بذلك ، وعلى ولده الشهابي أحمد بالتَّقْدِمة والإقطاع اللذين كانا مع المنصور قبل السلطنة[1] ، وعلى طوخ بني بازق بإمرة المجلس ، وعلى خُشْ قَدَم بإمرة السلاح ، وعلى من تقدم بما ذكر من الوظائف ، وعلى الوالي بالاستمرار ، وعلى المحب بن الأشقر بنظرخانقاه سرياقوس[2] ، وعلى ولده[3] بمشيختها ، وعلى بُرِدْبَك صِهْر السلطان بدويدارية ثالثة ، وعلى جانِبَك[4] الظُّرَيِّف (بالتصغير مثقلًا) بالخَزَنْدَارية الثانية .

---

(١) راجع « النجوم الزاهرة » (٦١/١٦ - ٦٢) .

(٢) خانقاه سرياقوس : تقع خارج القاهرة من شماليها ، أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي ، وبنى بجانبها مسجدًا تقام به الجمعة وبنى بها حمَّامًا ومطبخًا ، وكان ذلك في ذي الحجة مِن سنة ٧٢٣ هـ ، وأُكمل بناءها سنة ٧٢٥ هـ . « خطط المقريزي » (٤٢٢/٢) .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن عثمان بن سليمان ، الشهاب ، القرمي الأصل ، القاهري الحنفي ، المعروف بابن الأشقر ، استقر في مشيخة الخانقاه السرياقوسية عوضًا عن أبيه ، وانفصل عنها ، ثم أعيد ، ثم رغب عنها لأخيه الأصغر .

كما أشار (السخاوي) في موضع آخر ، أنَّ هناك ابنًا آخر للمحب بن الأشقر ، شارك أخاه (أحمد) هذا في مشيخة خانقاه سرياقوس ، وهو (محمد) .

راجع « الضوء اللامع » (١٤٠/٢ رقم ٤٠٠ ، ١٣٦/٩ رقم ٣٤٧) .

(٤) هو : جانبك بن عبد الله من أمير الأشرفي برسباي ، الأمير سيف الدين ، المعروف بالظُّرَيِّف . كان مِن صغار مماليك الأشرف برسباي ، وجعله الظاهر جقمق خاصكيًّا ، ثم خازندارًا صغيرًا ، ثم دوادارًا صغيرًا ، ثم تأمَّر عشرة ، وفي دولة الأشرف إينال أصبح خازندارًا كبيرًا . مات محبوسًا بقلعة صفد سنة ٨٧٠ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٨٣ - ٥٨٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٤٤/١٦ - =

وفي بكرة هذا اليوم ، انتزع القاضي الشافعي علم الدين صالح مِن ابن[1] الشرف المناوي مشيخة الحديث ، والتصوف ، والإمامة بالتربة الطويلية[2] ، فأعطاها للتقي عبد الرحمن بن القطب أحمد القرقشندي[3] ، وحضر معه بها ، ثم إنه قرر ابن القطَّان[4] في مشيخة الخَرُّوْبية[5] بمصر ، عن زين العابدين ولد المناوي ؛ بحكم أنه ثبت عنده بعلمه أن شَرْط الواقف ، أن تكون سِنُّ المدرس أربعين سنة فما فوقها ، ونفَّذ له المالكي ، ثم الحنفي ، وجعل نظر الأوْقاف إلى إمام السلطان علاء الدين علي[6] بن

= ٣٤٥) ، و « الضوء اللامع » (٥٣/٣ رقم ٢١٠) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦٦) .

(١) وهو محمد بن يحيى بن محمد بن محمد بن محمد ، زين العابدين ابن الشرف المناوي القاهري الشافعي أبو السعادات ، شيخ الصلاحية ومدرسها ، ولد بالقاهرة ، ورشح لقضاة القضاة بالديار المصرية في حياة والده ، مات يوم الثلاثاء ٦ شوال سنة ٨٧٣ هـ .

له ترجمة في : « إنباء الهصر » (١٠٣ رقم ٢٢) ، و « الضوء اللامع » (٧٥/١٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٠٩/٢) .

(٢) التربة الطويلية : لعلها تربة الأمير طَيْبُغَا الطويل بالصحراء ، خارج القاهرة .

راجع « النجوم الزاهرة » (٤٤١/١٦) .

(٣) راجع الخبر في « الضوء اللامع » (٤٨/٤) .

(٤) راجع الخبر في « الضوء اللامع » (٢٥٠/٩) .

(٥) الخَرُّوْبية : أكثر مِن مدرسة تحمل هذا الاسم ، وكلها تقع خارج القاهرة ، منها : المدرسة التي أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي ، بخط الشون قبليّ دار النحاس مِن ظاهر مدينة مصر ، وكذلك المدرسة التي أنشأها على شاطئ النيل مِن مدينة مصر ، تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن علي الخروبي ، وكذلك المدرسة التي أنشأها سنة ٧٥٠ هـ كبير الخرارببة بدر الدين محمد بن محمد بن علي الخروبي ، التاجر في مطابخ السكر ، المتوفى سنة ٧٦٢ هـ ، وتقع هذه المدرسة في ظاهر مدينة مصر ، تجاه المقياس بخط كرسي الجسر .

وواضح من إشارة (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢٥٠/٩) أنّ المقصود بالخرُّوبية هنا هي المدرسة التي أنشأها بدر الدين محمد الخروبي ، إذ قال في معرض ترجمته لابن القطان : « .. حتى أخذ منه تدريس الفقه بالبدرية الخروبية بمصر » .

عن هذه المدارس ، راجع « خطط المقريزي » (٣٦٨/٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠) ، و « الخطط التوفيقية » (٧/٦) .

(٦) هو : علي بن أحمد بن محمد ، العلاء البغدادي الأصل الغزي الغيوميّ الحنفي ، وُلد سنة =

الجميزي الغزي الحنفي ، عن العلاء بن آقْبَرْس ، ونظر القرافة إلى صهر السلطان بُرْدبك ، ونظر الزَّرَدْخانه[1] ، والبيوتات[2] إلى ناصر الدين[3] بن أُصِيل مُوَقِّع السلطان ؛ إذْ كان أميرًا ، وكان نظر [الزَّرَدْخانه][4] إلى ابن ظَهِير[5] ، والبيوتات إلى العلاء

= ٨١٠ هـ بغزة ، اشتغل بالعلم في مبدأ أمره ، ثم اتصل بخدمة الملك الأشرف إينال لما ولي نيابة غزة ، وأقرأ أولاده القرآن الكريم ، ثم جعله إمامًا يصلي به الخمس ، وعندما تسلطن جعله مِن جملة أئمة السلطان ، كانت لديه فضيلة مع وسْوَسَة ، وطَيْش ، وخِفَّة ، وإسْراف في المال ، مات وهو في عشر الستين من العمر في يوم الاثنين ١٣ جمادى الآخرة سنة ٨٦٧ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٧٩٩ – ٨٠٠) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٩/١٦ – ٣٢٠) ، و « الضوء اللامع » (١٨٨/٥ رقم ٦٣٩) .

(١) الزَّرَدْخانه : معناها بيت الزَّرَد ؛ لما فيها من الدروع الزَّرَد ، وربما أُطلق عليها (السِّلاح خاناه) وتشمل على أنواع السلاح : مِن السيوف ، والقِسِي العربية ، والنُّشَّاب ، والرِّماح ، والدروع المتّخذة مِن الزَّرَد المانع .. وغير ذلك . « صبح الأعشى » (١١/٤ – ١٢) ، « زبدة كشف الممالك » (١٢٢) .

(٢) البيوتات : عقد (القلقشندي) في « صبح الأعشى » (٩/٤ – ١٣) مبحثًا أطلق عليه (الحواصل المعبَّر عنها بالبيوت) وقال : « وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالطشت خاناه ، والشراب خاناه ، ونحوهما ، وخاناه لفظ فارسي معناه البيت ، والمعنى بيت كذا ، إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك ، وهي ثمانية بيوت » .

وهي : الشراب خاناه ، ومعناها بيت الشراب ، والطشت خاناه ، ومعناها بيت الطشت ، والفراش خاناه ، ومعناها بيت الفراش ، والسلاح خاناه ، ومعناها بيت السلاح ، والركاب خاناه ، ومعناها بيت الركاب ، والحوائج خاناه ، ومعناها بيت الحوائج ، والمطبخ هو الذي يطبخ فيه طعام السلطان ، والطبلخاناه ، ومعناها بيت الطبل .

راجع أيضًا « زبدة كشف الممالك » (١٢٤) .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أيوب ، ناصر الدين بن الشهاب بن أصيل الدين العمري ، الأشليمي الأصل القاهري الشافعي ، المعروف بابن أُصيل ، أقبل على التوقيع ، وأتقن المباشرة ، واختص ببيت ابن خاص بك ، وتقدَّم في أيَّام الأشرف إينال ، فولي نظر الزردخاناه ، والجوالي ، والبيمارستان وغيرها ، مات في صفر سنة ٨٨١ هـ ، وقد جاوز الستين .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٧٦/٧ رقم ١٤٨) .

(٤) في الأصل : (الردخانه) ، والتصحيح مما ورد في السطر السابق .

(٥) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن ظهير الدين ، برهان الدين السلموني الأصل ، القاهري الحنفي ، المعروف بابن ظهير ، نشأ طالب علمٍ وترقى إلى أن تولى نظر الأوقاف ، والزردخاناه ، =

ابن آقْبَرس ، وأعطى الزين عبد الرحيم[1] بن أحمدّ بن القاضي ناصر الدين بن البارزي مِشَدِّية[2] الصُّحْبَة عن ابن آقْبَرس ، وكان تغلّب على بني البارزي فيها أيَّام الظاهر ، وكذا نظر الظاهرية[3] العتيقة ، وغيرها كان تغلب فيه على المحب[4] بن القِمَني ، فأُعيد إليه ، ومشيخة

= والعمائر السلطانية . ثم الإصطبلات عوضًا عن البرهان بن الديري ، مات يوم الإثنين ٣ أو ٦ صفر سنة ٨٥٣ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٥/٥٣٥ – ٥٣٦) ، و « الضوء اللامع » (١/١٥١ – ١٥٢) .

(١) هو : عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم ابن هبة الله ، الزين بن الشهاب بن ناصر الدين أبي عبد الله الأنصاري الحموي الأصل القاهري الشافعي المعروف بالبارزي ، ولد في رمضان سنة ٨١٨ هـ بالقاهرة ، ومات أبوه وهو صغير فرباه جده ثم عمه ، فحفظ القرآن الكريم ، وبعض المصنفات ، مات يوم الاثنين ٩ ربيع الثاني سنة ٨٧٤ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٤/١٦٨ رقم ٤٤٣) .

(٢) مشدية الصحبة : الشاد ، أو المشد ، كلمة تطلق على المفتش ، فيقال : شاد الدواوين ، أي مفتش الدواوين ومراجع حساباتها ، ومثله شاد الجوالي ، وشاد الأوقاف .

راجع « العصر المماليكي » (٤٢٦ – ٤٢٧) .

ولعل المقصود بالصحبة ، هي الوظائف التي تولاها ، بسبب صحبته وملازمته للسلطان ، يقول (السخاوي) في معرض ترجمته لعلي بن محمد بن أقبرس « .. وذلك في أيَّام الظاهر جقمق ، فإنه صحبه قبل ولايته ، ولازمه حتى عُرف به ، فلما استقر حصل له منه حظ وصيَّره من ندمائه ، وولاه وظائف ، منها نظر البيوت ، والأوقاف ، ومشيخة خانقاه قوصون بالقرافة ، بل الحسبة بالديار المصرية ، ثم نظر الأحباس » .

راجع « الضوء اللامع » (٥/٢٩٢) .

(٣) الظاهرية العتيقة : تقع هذه المدرسة بخط بين القصرين بناها الملك الظاهر بيبرس البندقداري ابتداءً من سنة ٦٦٠ هـ ، وفرغ منها سنة ٦٦٢ هـ ، وجعل بها خزانة كتب تحتوي على أمهات الكتب في مختلف العلوم ، وبنى إلى جانبها مكتبًا لتعليم أيتام المسلمين ، وكانت هذه المدرسة مِن أَجَلِّ مدارس القاهرة .

راجع « خطط المقريزي » (٢/٣٧٨) ، و « الخطط التوفيقية » (٦/٩) .

(٤) هو : محمد بن أبي بكر بن عمر بن عرفات ، المحب أبو اليمن بن الزين الأنصاري ، القِمَني الأصل القاهري الشافعي ، ولد في جمادي الثانية سنة ٧٩١ هـ بالقاهرة ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، درس بعد أبيه بالمنصورية ، وبالشريفية المجاورة لجامع عمرو ، وبالظاهرية القديمة ، مات يوم الاثنين ١٤ رجب سنة ٨٥٩ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٦/١٧٨) ، و « الضوء اللامع » (٧/١٨٧ رقم ٤٤٢) .

خانقاه[1] قوصون كان تغلب فيها على المعين عبد اللطيف بن الشرف بن الأشقر ، فأعيدت إليه ، وأُنْعم على بُرِدْبَك صهر السلطان بسكنى بيت تَمُرْبُغا .

وفي يوم الاثنين خامس عشر الشهر ، كان لِبس ابن الأصيل [للزَّرَدخَانه][2] ونظر البيوتات ، ولبس ناظر الخاص خِلعَة الرِّضَى عنه ، والاستمرار على وظيفته . وفي ذلك اليوم نودي بالنَّفَقَةِ في الغد[3] .

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره ، أُنفق عليهم بعض النَّفَقَة وأُلْبس [٥٤] الأمراء خِلَعًا بما لكل واحد منهم من الأنظار[4] ، وَرُدَّ إلى قَراجا نظرُ جامع الأزهر وماله ، بشروط الواقفين مما كان مع دُولات باي ، واستمر في حال كونه دويدارًا ، وأخذه عنه تَمُرْبُغا ، إذْ أخذ عنه الدويدارية .

وفي يوم الأربعاء سابع عشر الشهر ، وصل دُولات باي ، فَخَلع عليه السلطان خِلْعَة الرِّضى ، ونزل إلى بيته ، وقد زُيِّن له السُّوق المجاور لبيته[5] . ثم وصل يُلْبَاي ، ويَرْشِباي ، بعد أيَّام . وأُمر بكسر قيد تَنَم ، وقانِبَاي الشَّرْكسي ، وأرسل بذلك .

---

(١) خانقاه قوصون : تقع هذه الخانقاه في شمالي القرافة مما يلي قلعة الجبل ، تجاه جامع قوصون ، أنشأها الأمير سيف الدين قوصون ، وكملت عمارتها سنة ٧٣٦ هـ ، وقد تخربت هذه الخانقاه في الوقت الحاضر ، وبني في محلها زاوية سيدي محمد المجاهد ، التي هي خارج باب الوزير مما يلي القلعة تجاه جامع باب الوزير الذي هو جامع قوصون .

راجع « خطط المقريزي » (٤٢٥/٢) ، و « الخطط التوفيقية » (٥١/٦) .

(٢) في الأصل (للزدخانه) .

(٣) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٧٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٦٤/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧) .

(٤) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٦٤/١٦) .

(٥) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٧٧) ، وقد جاء فيه أنَّ مدة القبض عليه ، وذهابه ، وسجنه بالثغر ورجوعه ستة وثلاثين يومًا .

كما ورد خبر وصول دولات باي في هذه الفترة في « النجوم الزاهرة » (٦٤/١٦ - ٦٥) .

موت الزردكاش

وفي صُبح يوم الخميس ثامن عشره ، مات[1] جانِبَك الزَّرَدْكاش ، الذي كان والي الشرطة عن نيِّف وخمسين سنة ، وكان مِن أجودهم حكمًا ؛ صلحت البلد في أيام ولايته ، وقَلَّ فيها القتل ، وخَفَّ اللصوص ، مع خِفَّة الوطأة ، والرِّفق ، والمشي على العُرْف ، رحمه الله ، وعفا عنه ، وكان موته في قصر يَشْبُك ، وَوَلِيَ الزَّرَدْكاشيه عنه نُوكَار ، وولي عن نُوكَار الحجوبِيّة الثانية سمام[2] ، وولي رأس نوبة الطُّوَاشية جوهر السَّاقي ، وكان من خير الخدّام[3] .

وفي يوم الجمعة تاسع عشره ، مات الأمير أَرَنْبُغا[4] ، أحد المقدَّمين ، فأُعْطى الأمير دُولات باي تَقْدِمته ، وإقطاعه ، وهو الذي كان بيد قانِبَاي الشَّرْكسي . وخُلِع على الزَّيْن الإِسْتَدَّار بالإِسْتَدَّارية ، بعد أن كتب خطَّة بمائة ألف دينار ، ونزل إلى بيته في خلائق لا يحصيهم إلَّا الله ، وزُيِّنت له بعض أسواق البلد ، وسُرَّ العامَّةُ به سرورًا لم يُرَ مثله .

وفي هذا اليوم وَصَل الذين شيَّعوا الأمراء المسجونين إلى إسكندريَّة ، وأخبروا أنَّهم سجنوا جانِبَك قَرَا ، الذي كان نائبها من جهة المنصور .

---

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ١١٥) .

(٢) هو : سمام الحسني الظاهري برقوق ، صار خاصكيًا في الدولة الناصرية فرج ، ثم انحط دهرًا إلى أن صار خاصكيًا أيضًا في أيام الظاهر ططر ، ثم أمَّره الظاهر جقمق عشرة في أوائل دولته ، وحج أمير الركب غير مرة ثم جعله الأشرف من رؤوس النُّوَب ، ثم حاجبًا ثانيًا عوضًا عن نوكار ، مات ليلة الاثنين ٦ ربيع الآخر سنة ٨٥٧ هـ وقد نيَّف على السبعين .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٣٥٢ – ٣٥٣) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٧٢/٣ رقم ١٠٣٠) .

(٣) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٦٥/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨) .

(٤) هو : الأمير سيف الدين أَرَنْبُغا اليُونُسي الناصري فرج ، عمل أمير عشرة ورأس نوبة في أيام الأشرف برسباي ، ثم جعله الظاهر جقمق من جملة الطبلخانات ، وقدَّمه الأشرف إينال ، ولم تطل أيامه حتى مات في التاريخ المشار إليه .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٦٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٦٩/٢ رقم ٨٤٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر » (٨) .

ولمّا طلع الإسْتَدَّار إلى الخدمة يوم السبت شاع بين العامّةِ ، أنه يلبس خِلْعَة ؛ فزيَّنوا له الأسواق ، واجتمع بها مِن النَّاس ما لا يَحْصى ، بحيث عَسَر المشْيُ في تلك الطرقات ، ولما نزل كان قدَّامه مِنَ الزِّحام ، والغاغة ، والتخلّقِ بالزَّعفران ، وحمل رايات الزعفران ، وإظهار السّرورِ ، ما لم أَرَ مثله ؛ وأبكى ذلك الإسْتَدَّار ، فأخبرني ناسٌ قَرِبوا منه ، أنهم شاهدوه يبكي ، وشق ذلك على ناظر الخاص كثيرًا ، بحيث ظهر في وجهه مع رزانته .

ثم إنّه لبس خِلعَة يوم الاثنين ثاني عشري الشّهر ، فكان للنّاس من الاجتماع والضجيج والتحلُّق أعظم مِن ما كان يوم السبت[1] .

وفي ظهر يوم الأحد ثامِن عشري الشهر ، نُزِل بالمنصور عثمان بن الظّاهر جَقْمَق إلى البحر ، ثم إلى إسكندرية راكبًا فرسًا مُقَيَّدًا ، وشَيَّعه إلى بولاق جمعٌ كبير ، من المؤيدية والأشرفية ، منهم الثلاثة الذين كان سَجَنهم بإسكندرية : دُولات باي ، ويُلْبَاي ، ويَرْشِباي ، فسبحان من يُعزّ ويُذل . وكان مُسَفِّرُه إلى إسكندرية خَيرِبَك المؤيدي ، أوّل من رَدّ السلطان إلى بيته ؛ للمعاقدة على قتال المنصور ، في نحو مائة جندي[2] .

وحدثني كاتب السرّ ، المحب بنِ الأشقر ، أنه بلغه ، أنّ المنصور اعترف ، بأنه كان صنع ما يُقارب أربعمائة قيد لمن كان يريد القبض عليهم ، وأنّ الذي صنعهم جانِبَك ، الذي كان واليًا ، وما أظنه مات إلا خوفًا من عاقبة ذلك .

وفي يوم الاثنين تاسع عشريه ، وُلِّي عبد العزيز بن معلاق الرَّمْلي ، نظر القدس والخليل ، ولبس لذلك خِلعَة ، وأُلبس الذين يتوجهون بخِلَع نُوَّاب البلادِ خِلَعًا ، وكان قد وصل أكثر أجوبة نُوَّاب البلاد الشَّامية ، وأرسل جُلُبَّان[3] نائب الشام دراهم ضربها باسم الأشرف إينَال ، ونثر الأَشْرفُ

---

(1) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (١٦/٦٦) .

(2) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٧٨ - ١٧٩) .

(3) هو : جلبان بن عبد الله ، الأمير آخور ، نائب حماة ، ثم طرابلس ، ثم حلب ، ثم الشام ، =

منها على من حضر حوش القلعة نحو خمس جنيهات ، مع عجز ما عنده عن بعض نفقة الأجناد ، فَدَعى له النّاس كثيرًا .

وفي هذا اليوم استؤمن لأَسِنْبَاي دويدار المنصور الثاني فأُمِّن ، ورسم به إلى القدس .

وفي يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر من السَّنَة ، وَصَل جَانَم[1] أخو[2] الأشرف ، واجتمع بالسلطان ، فَخَلع عليه وأنزله عند صِهْره بُرْدُبَك القبرصي ، في بيت تَمُرْبُغا ، عند مدرسة حسن[3] .

وفي هذا اليوم ، أو الذي قبله أُعيدت مِشَدِّيّة الصُّحْبَة إلى ابن آقْبَرْس ، بواسطة بُرْدُبَك صِهْر السلطان .

وفي هذا اليوم ، خطب الدويدار الكبير يُونُس البواب بنت[4] السلطان الصُّغْرى ، التي كان خطبها المنصور ، وكان السَّفير له في ذلك ، الشرف الأنصاري ، فأُجيب ؛ وإنّما فعِل ذلك حسدًا لبُرْدُبَك الدويدار الثالث على مصاهرته للسلطان ، فخاف بُرْدُبَك عاقبة ذلك فخيّل بعض أعيان الأشرفية

= كان أميرًا جليلًا ، عاقلًا ، سيوسًا ، عارفًا بمداراة الملوك ، مجربًا للوقائع والحروب ، مات يوم الثلاثاء ١٦ صفر سنة ٨٥٩ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢٤٨/١ رقم ٨٥٤) ، و « حوادث الدهور » (٣٦٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٧٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٧٧/٣ رقم ٣٠٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٢٤) .

(١) هو : جانم بن عبد الله الأشرفي برسباي ، سيف الدين ، عمل خاصكيًا ، ثم أميرطبلخانات ، ثم أمير آخور ، وفي سنة ٨٣٦ هـ تجرد صحبة العسكر إلى أرزكان ، وفي عهد الملك الأشرف إينَال قدَّمه بالقاهرة ، ثم ولّا نيابة حلب ، ثم الشام ، ثم وقعت له أمور إلى أن توجه إلى صاحب آمد حسن بك ، وقتل بيد بعض مماليكه في مدينة الرُّها ليلة الثلاثاء ٢٩ شهر ربيع الأول سنة ٨٦٧ هـ .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٣١٨/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٦٣/٣ رقم ٢٥٥) .

(٢) في « النجوم الزاهرة » (٦٦/١٦) قريب الملك الأشرف برسباي .

(٣) راجع الخبر في « النجوم الزاهرة » (٦٦/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨) .

(٤) وهي فاطمة سبطة ابن خاص بك .

راجع « الضوء اللامع » (٩٠/١٢ رقم ٥٥٦) .

منه ، وأغراهم به ، فدخلوا إلى السلطان ، وأظهروا الغضب من ذلك ، وأشاعوا [٥٥] أنهم إنْ لم يكف عن ذلك ، أحرقوا بيته .

عودة النويري إلى الخطابة

وفي هذا الحدّ توجَّهَ المبشر بسلطنة الأشرف إِيْنَال إلى الحجاز ، وجهِّزت معه خِلْعَة إلى الخطيب أبي الفضل النُّوَيْرِي ، ومرسوم بإعادة الخطابة إليه ، وعزل البرهان بن ظهيرة .

سودون قرقش

وفي هذا الحدِّ ، قَدِم سُودُون[1] قَرَقش[2] ، وكان منفيًّا[3] بالقدس ، فسعى في تثبيت الجمال بن جماعة في الصلاحِيّة بالقدس ، وكان قد أرجف به أبو العباس القدسي ، والبرهان العجلوني ، فأُجيب ، ومُنع العجلوني من السَّعْي فيها ، وفصل لابن جماعة خِلعَة ترسل إليه .

موت ابن عبد الغفار

وفي يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر هذا من سنة سبع وخمسين مات القاضي [بدر][4] الدين بن[5] عبد الغفار المالكي ، وكان فاضلًا ،

---

(١) هو : سودون بن عبد الله الإينالي المؤيدي شيخ ، أحد أمراء العشرات ، ورأس نوبة ، المعروف بسودون قراقاش ، عمل خاصكيا ، ثم دويدارا ، ثم تأمّر عشرة ، ثم صار من رؤوس النوب ، ثم مقدَّم ألف ، ثم حاجب الحجاب ، توجه صحبة عسكر أرسله الأشرف إينال لحصار قلعة من أعمال جزيرة قُبْرس ، فمرض هناك ومات في أواخر ذي الحجة سنة ٨٦٤ هـ ، وقيل في أول المحرم سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٣٣٦/١ رقم ١١٥٦) ، و « حوادث الدهور » (٥٥٦ - ٥٥٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٠/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٧٦/٣ رقم ١٠٥٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٩) .

(٢) ويقال : (قراقاش) .

راجع هامِش رقم (١) من الصفحة نفسها .

(٣) وذلك عندما أخرجه الظاهر جقمق إليها بطالًا . راجع مصادر « هامش ١ » من الصفحة نفسها .

(٤) بياض في الأصل ، والتصحيح من « الضوء اللامع » (٦٤/٧) .

(٥) لعله هو الذي أشار إليه (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٦٤/٧ رقم ١٠٤) بـ(محمد ابن عبد الغفار بن محمد بدر الدين السمديسي الأصل الأزهري المالكي) ، ولم يشر إلى تاريخ وفاته إلا أنه ذكر بأنه أكبر من أخيه موسى جلالي الدين الذي ذكر خبر سفره من الهند إلى مكة المكرمة سنة ٨٩٨ هـ ، ومن أخيه الآخر موسى الذي ذكر أنه حجَّ مرارًا أولها سنة ٨٧٠ هـ . راجع « الضوء اللامع » (٦٤/٨ رقم ١٠٤ ، و ١٨٣/١٠ رقم ٧٧٦) .

قانعًا ، سيوسًا ، متحدِّيًا ، قلّ في نوّاب المالكي مثله ، رحمه الله .

شكوى أهل الخانكة المحتسب

وفي يوم الأحد خامس الشهر ، جاء جمع كبيرٌ مِن أَهل الخانكة بربعات وأعلام يستغيثون على الشيخ علي المحتسب ؛ وسبب ذلك أنه لما توجّه ابن الأَشقر إلى الخانكة بالخِلعَة ضَرب جمعٌ مِمَّنْ ينتمي إليه ناسًا ممن ينتمي إلى المحتسب ، فمازال المحتسبُ يذكر ذلك ، ويترجى أَنْ يجعله سببًا لوهن كلمة ابن الأشقر إلى أَن عَيّن جماعة من أهل الخانكة ، وأرسل إليهم نقباء من الدويدار الثاني تِمْراز ، فاجتمعت عصبة ابن الأشقر ، وأتوا على هذه الهيئة ، وطلع الكل إلى السلطان ، فأَخَّرَهم السلطان إلى الغد ، ولما نزل المحتسب رجمه الناس قرب باب المدرّج ، فما كاد يفلت منهم ، ويُقال : إنهم رموه عن فرسه ، وأسمعوه غليظ ما يَكْره ، فإنه كان قد كَثُر أَكْلُه لأَموال السُّوقَة ، وإغضائه عن معائبهم ؛ حتى فسدت المعايش ، وعَمَّ الضَّرَرُ ، واشْتَدَّ الخَطْبُ ، وقام في أمره ناظر الخاص .

خطبت بنت باي

وفي هذا اليوم أَتَى الدويدَارُ الثالث بُردْبَك صِهْر السلطان ، إلى الأمير دُولات باي المؤيَّدي ، أحدُ المقدمين ، فخطب ابنته ، التي كان خطبها المنصور لسيدي أحمد بن السلطان الأشرف إِيْنال ، فسُرّ بذلك كثيرًا ، وأجاب بالسمَع والطاعة ، وخلع على بُردْبَك .

موت سمام

وفي يوم الاثنين سادس الشهر ، مات سمام[1] الحاجب الثاني ، وولي عنه الحجوبية طُوغان[2] [العثماني][3] وأُلبس الإِسْتَدَّار خِلعةً ؛ لأنه كان تُحدِّث بعزله ، ورُسم بمنع الشيخ علي المحتسب من دخول الخانكة ، لما يترتب على ذلك من الشرور ، وأن يبطل ما أحدثه بها مِن المظالم .

موت ابن وفا

وفي يوم الأربعاء ثامِن الشهر ، مات الشيخ شرف الدين يحيى بن الشيخ علي بن وفا الإسكندري الأصل المصري المالكي بالقاهرة ، وكان عنده

---

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ٣٤٥) .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٧٩) : « تبخاص العثماني الظاهري برقوق » .

(٣) بياض في الأصل ، والتصحيح من « حوادث الدهور » (١٧٩) .

فضلٌ ، وله نظمٌ وسط ، وكان المتولِّي لعمل الميعاد والجلوس للناس ، بعد الشيخ أبي الفتح ، وأثنى الناس على ميعاده ، وحضره كثيرٌ من الفضلاء .

إطلاق أبي الخير

وفي هذا الحدّ شفع بعض الأمراء في أبي الخير النّحاس ، أَنْ يُطلق من السِّجن ، فرُسم بذلك ، وأن يستمر بدمشق ، وشفع الأمير الكبير تِنِبَك ، والدويدار الكبير يُونُس ، وغيرهما من الأمراء في قانِبَاي الشّرْكَسِي ، وتَنَم المحتسب ، أن يخرجا من السِّجن إلى دمياط ، فقال السلطان ، وقد بدا منه الغضب : كنت أَظُنُّ لك عقلًا (يُخاطب الأَمير الكبير) ، لو كان [هذان] المذكوران مُطْلَقين ، ما كنت أنا السلطان ، ولا كنت أنت أتابك العساكر ، ولئن لم تتركوني قتلت الجميع ، وأتيت برؤوسهم . فقالوا : العفو ، ثم جلس من تقتضي وظيفته الجلوس .

يوم الخميس تاسع الشّهْر أُعيدت الذخيرة إلى ناظر الخَاص ، وأُلبس خِلعةَ بذلك[1] .

ولاية تمراز نظر الخانكاه

وفي يوم السبت حادي عشره ، أُعطي تِمْرَاز الدّويدار الثاني نظر خانقاه سِرْياقوس ، عن ابن الأشقر ، لما قام من الشرور بين أَهلها ؛ بسبب ولايته ، وذهب إليها ، ومعه الشيخ علي المحتسب ، وقبض على بعض من كان آذى جماعة المحتسب[2] .

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره ، نادى السلطانُ : من كان له ظُلامة ، فعليه بالأبواب الشريفة ، فطلع النّاس بكرة يوم الأَربعاء خامِس عشره ، فشكى كلٌّ ظُلامته ، فمن وُجِدَ ظالمُه مُضافًا إلى شخصٍ من الأَكابر ، أَمر ذلك الكبير بتحر قضيَّته ، ومطالعته بحقيقتها ، ثم حكم هو بنفسه فيمن سوى أولئك أحكامًا رَضِيَهَا النّاس ، ودعوا له ، ثم نزل عنه منادٍ ، ينادي أَنَّ المرسوم الشريف برز بأَنَّ الأَجناد البطَّالين[3] يخرجون مِن القاهرة ، ومن

---

(١) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٨١) .

(٢) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٨١) .

(٣) البطالين : جمع بطال ، وهم الأجناد والأمراء العاطلون من أعمال الدولة ووظائفها ، =

ركوب الأجناد البطالة لأجل المناداة بنفيهم

تخلف بعد ثالثه شُنِق ، وكانوا نحو ألف ، وكانوا قبل ذلك يسعون بين العسكر بما خيف منه وقوع شرٍّ ، فلما سمعوا هذا النِّداء رَكِب منهم جمع وأتوا إلى صِهْره بُردْبَك ، فاسترضاهم ، وذهبوا ، وبلغ السلطان ، اجتماعهم ، فخشى غائلتهم ، فأرسل إلى أمير المؤمنين ، فأحضره ، فأقام في البحرة داخل الحوش ، وعوِّق المباشرون [٥٦] بالقلعة ، ثم إن المباشرين نزلوا إلى بيوتهم في ذلك اليوم ، أو الذي بعده ، واستمر أمير المؤمنين أيَّامًا يسيرة ، ونزل إلى بيته[١] .

وفي يوم الخميس سادس عشره قال للعسكر : ما هذه الأمور التي أسمعها ، وما لِمَنْ يُريد الفِتَنَ ، يُقَدِّم رجْلًا ، ويؤخّر أُخرى ؟ ! من كان يُريد شيئًا فليبرز له . فأجاب الكُلُّ : بأنَّا سامعون مطيعون ، من خرج عن الطَّاعة شبرًا قَتَلْناه ، أو متْنا بين يديك في قِتاله .

ولاية ابن المخلطة للمرستان

وفي هذا اليوم ألبس الناصر ابن المخلِّطة خِلعَةَ سَمُّور ؛ بنظر المرستان ، عن الشّرف الأنصاري ، وألبس بعض مشائخ البحيرة بالبقاء على أحوالهم[٢] .

وفي عصر يوم الأَحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر هذا ، نزل السلطان من الميدان في ناسٍ قليل إلى سبيل المؤمني ، فنظر إلى ما جُدِّد فيه ، ثم دخل مِنْ باب السلسلة ، فَعُدَّ ذلك مِن العجائب ؛ فإن عادة السَّلاطين في هذا الزّمان أن لا ينزلوا مِنَ القلعة حتى يتمكنوا ، ويكثر مماليكهم ، فلم ينزل الظاهر جَقْمَق ، إلا بعد أربع سنين ، وأما الأشرف فأبطأ عن ذلك كثيرًا .

كبر الخبز وبعض الأسعار

وفي يوم الاثنين العشرين منه ، طلع المحتسب بخبز ، وجبن ، وغير ذلك من حواضر البلد ، يُري السلطان ما صار إليه أَمْرُها مِنَ الكِبَرِ والحسن ،

= وإقطاعاتها ، نتيجة غضب السلطان ، أو كبر السِّن ، أو اضطرار إلى الاعتكاف والاختفاء ، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد . « العصر المماليكي » (٣٩٧) .

(١) راجع تفاصيل أخرى في « حوادث الدهور » (١٨١ – ١٨٢) .

(٢) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٨٢) .

بعدما كانت عليه من الصِّغر والرَّداءةِ ، وألزم نفسه أَنْ لا يأخذ من الناس شيئًا لا مشاهرة[1] ، ولا غيرها .

وفي يوم الخميس ثالث عشريه ، صار الخبز رِطْلًا[2] بدرهم[3] فلوسًا[4] ، وهو في غاية الحسن . والشّعِير إرْدَبًّا[5] بسبعين درهمًا فلوسًا ، ورخصت جميع الحبوب وغيرها ، وبيع حِمْل الجَمَل ، من التّبن بثلاثين درهمًا ، بعد أن بلغ إلى خمسمائة ، فزاد سرور الناس بالسلطان ، وقالوا : كعبه أخضر ، وعَظُمَ دعاؤهم له ، وشهدوا بأَنَّ نِيَّته حَسَنَةٌ ، وذمُّوا من كان قبله .

سعر اللحم

وفي يوم الجمعة رابع عشريه ، أُحضر الوزير لحمَ ضأنٍ كثيرًا ، ينادي عليه كل رِطْلٍ بسبعة دراهم فلوسًا ، فتضاعف دعاء الناس للسلطان ، وسرورهم بأيّامه ، وذَمُّ الظاهر وولده ، وشكروا الله على زوالِهم ، ثم بعد ذلك ارتفع اللحم ، حتى وَصَل إلى عشرةٍ ، وربما زاد عليها .

العقد على بنت دولات

وفي هذا اليوم ، عُقِد للمقام الشهابي ، أُحمد ، ولد المقام الشريف ، على بنت الأمير دُولات باي المؤيّدي[6] .

---

(١) مشاهرة : جاء في « لسان العرب » (٦/١٠١) : « وشاهر الأجير معروفة ، مُشَاهَرَةً وشِهارًا ، استأجره للشّهْر ، والمُشَاهَرَة المعاملة شهرًا بشهر » .

(٢) رِطْلاً : الرِّطل ، يوزن به ويكال ، وهو اثنتا عشرة أوقيَّة بالوزن ، أمَّا بالكيل ، فيعادل نصف منّ . « لسان العرب » (١٣/٣٠٤) .

(٣) درهم : جاء في « المخصص » (١٢/٢٧) : « الدرهم فارسي معرب » ، وجاء في « مقدمة ابن خلدون » (٢/٧٠٣) : « الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب ، والأوقية منه أربعين درهمًا ، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار » ووزن المثقال من الذهب اثنتان وسبعون حَبَّة من الشعير ، فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره ، خمسون حبة وخمسا حبة ، وهي مقادير ثابتة بالإجماع » .

(٤) فلوس : الفلس معناه في اللاتينية ، كيس النقود ، وقد أخذته اليونان من اللفظ اللاتيني (Follis) ، وأخذته العرب مِن اليونان ، وجاء في « إغاثة الأمة » (٦٦ – ٧٢) أن سبب ضربه ، هو أنه كان في المبيعات مُحَقَّرات يَقِلُّ ثمنها عن درهم ، أو جزء من الدرهم ، فهي لا تستحق أن تُباع بأَحَدِ النقدين ، الذهب أو الفضة ، فوضعوا إزاءها نُحَاسًا يضربون منه قِطَعًا صغارًا سُمِّيَت (فلوسًا) .

(٥) راجع « هامش ١ » من (ص ١٢٠) .

(٦) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٨٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩) .

وفي يوم السَّبْتِ خامس عشري الشّهر ، أُلْبس الشَّرَف الأنصاري خِلْعة رِضى ، واستمرارٍ على ما بقي معه مِن الوظائف فاغْتَمَّ الناس بذلك ، وبدا منهم بغضًا شديدًا له ؛ وذلك أنه شديد الخِداع ، بعيد مِنْ فِعْل الخير ، وأتاني شخص شريف ، مِمَّن يعمل كِسْوَة البيت الحرام ، فأخبر ، أنه يصرف على الكسوة ألفي دينار ، ويقيمها في الحساب بسبعة آلاف دينار ، وأنَّ الحرير الذي يعمل منه ذلك ، أَرْدَأ الحرير ، وأنَّه يَسْتر ما فيه من الغش بالصِّبْغ عند عَرْضه على السلطان ، وأنه يَعْلم مِنْه مِنَ الغشّ في مثل ذلك ، ما يَرَى أنه لا يحل السكوت عليه ، وأنه بايع الله في القيام عليه ، والتَّصَدِّي لجهاده .

خلعة الأنصاري

وفي يوم الأربعاء تاسع عشري الشهر سُمِّر[1] ثلاثة أَنفس على جمال ، ثم وسِّطوا ؛ وذلك أنَّه أُطُّلِعَ منهم على فساد ، وثبت عليهم القتل ، وأحدهم كان من الجند ، يأخذ النِّساء للزِّنا بهن ثم يقتل من يظفر بها ، ويأخذ ما عليها مِنَ الحُلِيِّ ، وآخر مَنْ قَتَل امرأة لها ولد صغير ودفنها عنده في مكان ندِيّ فأُخرجا بعد أَيَّام[2] .

توسيط المفسدين

وفي هذا الشّهر ، ضُمّت كتابة سِرِّ حَمَاة إلى القاضي الشَّافِعي ، صدر الدين بن الناصر بن هبة الله بن البارزي ؛ وذلك أنَّ الزَّين فرج بن السَّابق استعفى منها ، فسأل فيها الصدر .

ولاية قاضي حماة كتابة السرّ

وفي يوم الخميس سلخ شهر ربيع الآخر ، ولي الشريف تاج الدين عبد الوهّاب الحسيني الدِّمشقي الشافعي قضاء الشافعية بحلب[3] ،

قضاء حلب للشريف عبد الوهاب

---

(١) سمّر : جاء في « لسان العرب » (٦/٤٤) : السَّمْرُ شَدُّكَ شيئًا بالمسمار ، والمسمار ما شُدَّ به ، وسَمَر عينه كَسَمَلها ، ويقال سَمَر أعينهم ، أيِّ أحمى لها مسامير الحديد ثم كحلهم » .

(٢) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٨٢ – ١٨٣) ، و « بدائع الزهور » (صحفات لم تنشر) (٩) .

(٣) وذلك عوضًا عن الشهاب أحمد بن الزهري . راجع « حوادث الدهور » (١٨٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩) .

والعلاء[1] بن مفلح الحنبلي قضاء الحنابلة بدمشق ، ثم سالم[2] الحنبلي قضاء الحنابلة بحلب .

قصة دولات باي في لزوم القلعة

وفي يوم الجمعة مستهل شهر جمادى الأولى ، بلغ دُولات باي المؤيّدي ، أنَّه كثر فيه الكلام الموحش للسلطان ، فلما طلع إلى صلاة الجمعة ، استَمَرّ في القلعة ، وطُلب منه أن ينزل إلى بيته ، فقال : أنا مريض فأكون هاهنا ، حتى أُشْفَى ، ثم أنه عُزِم عليه في النزول إلى بيته ، فنزل يوم الأحد ثالثه .

القبض على قراجا ونفيه

وفي يوم السبت ثانيه قبض على حاجب الحجاب ، قَرَاجا ، المعروف بالخَزَنْدَار[3] ، وأُعطي[4] جانَم أخو الأشرف إقطاعه ، وجُعِل جانِبَك القِرماني ، أَحد الظّاهرية البَرْقُوقِيَّة ، حاجب الحجاب .

وفي يوم الاثنين[5] رابع الشهر جُهِّز قَرَاجا إلى القُدُس الشريف .

قراءة التقليد

وفي يوم الثلاثاء خامس الشهر ، نصب الكرسي في القصر الأَكبر ، وجلس عليه القاضي كاتب السّرّ ، وقرأ تقليد السلطان الملك الأشرف ، بحضرة أمير المؤمنين ، والقضاة الأربع ، وكثير من نُوَّابهم وغيرهم . [٥٧] [من][6] الفقهاء ، وجميع الأمراء والمباشرين على العادة ، ومدح الناسُ السلطان ؛ لأنّه جلس تحت الكرسي ، على طرف الفرش ، الذي وُضع له ، ثم وأكثروا الدُّعاء له بتواضعه مع أمير المؤمنين ، وزاد في التواضع بأنّ كاتب السّرّ لما استأذنه في القراءة ، نظر هو إلى أمير المؤمنين ، يلتمس منه الإذن ؛ لكونه صاحب المجلس فأذِن له أمير المؤمنين ، ثم عُرضت عليه خلعة أمير المؤمنين التي جرت عادته بها ، قبل أَنْ يلبسها أمير المؤمنين ، كأنه خَشِيَ

---

(١) هو : علاء الدين أبو الحسن بن قاضي القضاة صدر الدين أبي بكر ابن قاضي القضاة تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي ، ولد سنة ٨١٥ هـ ، ولي قضاء حلب ، ثم قضاء الشام وأضيف إليه كتابة السر بها ، ثم أعيد إلى قضاء حلب ثم عزل إلى أن مات في صفر . سنة ٨٨٢ هـ بحلب .

له ترجمة في : « شذرات الذهب » (٣٣٥/٧) .

(٢) راجع « هامش ٢ » من (ص ٢٦٨) .

(٣) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٨٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٦٦/١٦ – ٦٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩) ، وكان ذلك يوم الجمعة أول جمادى الأولى .

(٤) كان ذلك يوم السبت ثاني جمادى الأولى ، كما جاء في « حوادث الدهور » (١٨٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٦٧/١٦) ، و « بدائع الزهور » (٩) .

(٥) في « حوادث الدهور » (١٨٤) في يوم السبت ثاني جمادى الأولى .

(٦) إضافة اقتضاها السياق .

أنْ لا يفعل معه ما يليق بمقامه ، ولبس القضاة الكبار ، وكاتب السّرّ ، ونائبه معين الدّين ، وما جرت به عادتهم[1] .

موت الحنبلي

وفي ليلة الخميس سابع جمادى الأولى المذكور ، مات قاضي القضاة بدر الدين محمد[2] بن المحب محمد بن البغدادي الحنبلي ، عن نحو ستين سنة بِعلَّةٍ طويلة ، كان ابتداؤها حمّى بلْغَميَّة ، وصل في آخرها إلى الصَّرَع ، فغاب أربعة أيَّامٍ إلى أَن مات في الليلة المذكورة ، وصلّى عليه من الغد أميرُ المؤمنين القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، وكانت جنازته حافلة بالقضاة ، والمشائخ ، والمباشرين ، وغيرهم ، وكان من أفراد الزّمان ، شهامة ، وحلمًا ، وعلُوّ هِمّة ، ومعرفة ، ودهاء ، وخبرة بأبناء الزَّمان ، وما يليق بكل واحد منهم ، مِن المقال والفعال ، فكانت كلمته لا تردّ عند سلطان ولا غيره ، من حين ولِيَ القضاء ، وإلى أَنْ مات ، لكنه كان ألْكن[3] جدًّا ، قليل البضاعة في الفقه ، عريا عن غيره ، أعورَ بشع المنظر ، أحصّ[4] اللحية ، أصفر اللون إلى كدرة ، طويلًا سمينًا بترهل ، وله في كلامه الناشئ عن تفاصحه ، مع لكنته ، وقلّة علمه غرائب ، لو حفظت لكانت كثيرة ، منها : أني سمعته يُعبرّ عن الفقرة (إحدى السجعات) بالقفرة (بقاف ، ثم فا) ، ونشأ مبذول النَّفس ، غير نقي العِرض ، ثم استمر يُشَهّر بذلك ، بعد أن كبُرَ ، وُوُلِّيَ القضاء ، بحيث أُخبرت بذلك من جهات شهيرة ، منها : سند متصل محتفٍ بقرائن تدل على صحته ، وكان عنده عقل ودهاء ، فجرَّد نفسه من حظِّها ، ونظر في أَحْواله ، فعلم هذه النقائص ، ولم يُعْمه حبُّ نفسه عنها ، وعَلِم أَنَّ النّاس عالمون بها ،

(١) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٨٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٦٧/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٩) .

(٢) راجع « هامش ٢ » من (ص ٦٩) .

(٣) ألْكن : أي عيٍّ وثقيل اللسان ، أو لا يقيم العربية لعجمة لسانه . « محيط المحيط » (٨٢٢) .

(٤) أحصّ : جاء في « لسان العرب » (٢٧٨/٨ – ٢٧٩) : « وَحَصَّ شَعرُهُ وانحصَّ انْجَرَد وتناثر .. ورجل أَحَصُّ مُنْحصُّ الشعر ، وذنبٌ أَحَصُّ لا شعر عليه » .

وهو يعلم مِنْ نفسه كثيرًا مما لا يطَّلِعُ عليه إلا الأَفْراد ، فأراد سترها ، فسعى في ذلك بكثرة التَّودّد بالبشاشة ، والمساعدة في مهمات الضرورات ، ويجري في الأكابر مجرى الدَّم ، فكانوا يعطونه مِن أمْوالِهم فيتصدق على المحاويج ، ويعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويوافي القادمين من الأسفار ، ويودِّع المسافرين ، ويحمل عن كل ذي مصيبة ، ويحلم عن الجانين ، بل ويحسن إليهم ، ولم يزل على ذلك ، حتى قُطِع بسبقه وأُيس من لحاقِه . وسُتِرت هذه العيوب ، حتى لا يُتَفَوَّهُ بها ، بل ونطق الناس بمدحه ، وأنَّه فَرْدَ الزّمان وعزيز مصر عن لسانٍ واحدٍ ، لكن لما كان القصد بها الرواج الدنيوي وتمشية الحال ، كان كما قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾[1] ، فلم تتجاوز حياته ، نطق أكثر الناس بذمه بعد موته حتى يوم مات ، وتناقلوا معايبه ، وأظهروا السرور بموته .

ولاية القاضي عز الدين قضاء الحنابلة

وعينت وظيفة القضاء للعز أحمد[2] بن قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله الكناني العسقلاني ، ثم وُلِّي يوم السبت تاسع الشهر ، ونزل معه كاتب السرّ والقضاة الثلاثة : العلم البُلْقِيني ، والسَّعْد الدَّيْرِي ، والولي الأموي ، لاقوه إلى مدرسة

---

(١) سورة الإسراء / آية ١٨ .

(٢) هو : أحمد بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد ، شيخ المذهب القاضي عز الدين أبو البركات بن القاضي برهان الدين ابن القاضي ناصر الدين الكِنَاني العسقلاني الأصل ، القاهري ، الحنبلي القادري ، ولد في ٢٦ ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ ، انتهت إليه رياسة الحنابلة ، وولي التدريس بغالب المدارس ، كالجامع الطولوني ، والجامع الحاكمي ، ومدرسة السلطان حسن ، والشيخونية ، وغيرها ، مات ليلة السبت ١١ جمادى الأولى سنة ٨٧٦ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٦ – ٧) ، و « الذيل على رفع الإصر » (١٢ – ٦٢) ، و « الضوء اللامع » (٢٠٥/١ – ٢٠٧) ، و « نظم العقيان » (٣١ رقم ١٧) ، و « حسن المحاضرة » (٤٨٤/١) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٣٠/٢) ، و « شذرات الذهب » (٣٢١/٧ – ٣٢٢) .

أَيْتَمُش[1] ، وخلق كثير ، من النُّوَّاب ، والطَّلبة ، والجند ، وتم سرورُ الناس بذلك ؛ فإنه ذو شكالة حسنة وأَعضاء سليمة ، وعلم وافر في فنون عديدة ، وأَصالة عريقة[2] .

عقد الدويدار الكبير على بنت السلطان

وفي يوم الجمعة ثامن الشّهْر عُقِد ليُونُس الدويدار الكبير على بنت السلطان الصُّغْرَى[3].

قلقلة كتاب النحاس

وفي هذا الحد بلغنا أنَّ أبا الخير النحّاس ، لما خرج عظّمه أَكابرُ الشاميين ، وأَهدوا له خوفًا من غائلته ، وأنّه صار يركب الخيول المسوَّمة ، وانضمّ إليه ناسٌ من مفسديهم ، كالطوباشي ، والبلاذري ، ثم جاءت كتُبُه إلى مَنْ بلَّغها للسلطان ، يَعِد أنّه إنْ أُقْدِم ، وقُرِّب ، ملأ الخزائن أموالًا . فقال السلطان ، لناظر الخاص : إنّا لا نرى ما كان يدخل من المال إلى خِزانة الظاهر ، فما السبب في ذلك ؟ هل نقصت الجهاتُ أو تعطل شيء من البلاد ؟ فقال ناظر الخاص : ولكن الذي يُشِير إليه السلطان ، إنما كان في أَواخر دولة الظاهر ؛ بسبب ذلك النحس أبي الخير النحَّاس ؛ وذلك أَنَّه كان يعزل الناس عن وظائِفهم ، ويعطيها لمن يبذل فيها مالًا ، ويأخذ مِن المعزول مالًا ليوليه غير وظيفته ، فعل ذلك مع نوّاب بلاد الشّام ، وغيرهم ، وظلم النّاس ، وصادرهم ، ومولانا السلطان يعرف ذلك ، أَمَا قُلْتم لي في الوقت الفلاني : هذا الذي يفعله هذا الرّجل لا يَجرّ إلى خير ؟ قال : بلى . فقال : وأَمَّا أوائل دولة الظاهر ، فلم يكن يتحصل له فيها شيء

---

(١) مدرسة أيتمش : تقع هذه المدرسة خارج القاهرة ، داخل باب الوزير ، تحت قلعة الجبل برأس التبانة ، أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أيتمش بن عبد الله البجاسي الظاهري ، أحد المماليك اليلبغاوية في سنة ٧٨٥ هـ ، وجعل بها درس فقه للحنفية ، وبنى بجانبها فندقًا كبيرًا ، يعلوه ربع ، ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربعًا ، وتعرف هذه المدرسة اليوم بجامع أيتمش . « خطط المقريزي » (٢/٤٠٠) ، و « الخطط التوفيقية » (٤/٦٣ ، و ٦/٣) .

(٢) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦/٦٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠) .

(٣) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (١٦/٦٧) .

بل كان [٥٨] يعطي من يرجوه ، أو يخشاه ، حَتَّى أنفد خزائن الأشرف ، ومازالت أوائل الدول على هذا ، تضطر الملك إلى الإِغْضَاء واللين ، حتى يَقْوى أمْرُه ، وأما أثناء دولته ، ودولة الأشرف ، فلم يكن يتوفر للخزانة فيها أكثر من تسعين أَلف دينار في كل سنة ، وانظروا الحساب ، ثم طلب الحساب فبيَّن ذلك ، فقال الدويدار الثاني : البلاد كلها للسلطان ، والأموالُ له . فرأى ناظرُ الخاص كلامًا غير منتظم ، فقال : يا مولانا السلطان ، ليس في هؤلاء كلهم أحدٌ يعرف تدبير المملكة ، ومولانا السلطان يعرف أنِّي كنت أقالبها في جميع مدة الظاهر ، وأواخر دولة الأَشرف ، وأعرف ما يجرّ إلى العمارة ، وما يجرّ إلى الخراب ، وإن كان في قولي شكٌّ فَجَرِّبوا بأن ترسلوا إلى أُحد نواب الشَّام تطلبوا منه شيئًا ، وانظروا أثر ذلك ، وأَمَّا أَنَا فرجلٌ عاجِزٌ ، لا يمكنني أن أعمل ما كان يعمل أبو الخير . فعلم السلطانُ صِدْق قوله ، وكان تصديقه عليه بالقول غير مناسب له ؛ لأن فيه تسليم لبعض ما يكره ، فقال : إنَّ في رأسي الآن صداعًا ، فدعوا الكلام في هذا إلى وقت آخر . ثم لم يزل هو ، ومن وافقه من المباشرين ، يتكلّمون في أَبي الخير إلى أَن جُهِّز مرسومٌ ، بأَنَّه يلزم بيته ، ولا يتكلَّم فيما لا يعنيه ، ومتى خالف أُعيد إلى السّجن .

أخذي لميعاد جامع الظاهر

وفي يوم الجمعة هذا ، وهو ثامِن الشهر ، عَمِلْت الميعاد في جامع الظاهر[1] وهي وظيفة مرتبة هناك على تفسير الكتاب العزيز ، عليها وقف ، يُقال له : وقف طُرُنْطَاي الحموي خارجٌ عن أوقاف مصالح الجامع ، وكانت في يدي من حدود سنة خمسٍ وثلاثين ، فلما مات قاضي القضاة ابن حَجَر ، في أواخر سنة اثنتين وخمسين ، وثب عليها القاضي وَلِـيُّ الدين أحمد[2] بن الشّهاب أحمد الأسيوطي ، فلم أُدافِعه في أيام جَقْمَق ،

(١) جامع الظاهر : يقع هذا الجامع خارج القاهرة بالحسينية ، أنشأه الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلائي ، وكان موضعه ميدانًا ، يعرف بميدان قراقوش ، وكان متنزه الملك ، ومحل لعبه بالكرة ، شرع في عمارته سنة ٦٦٥ هـ ، وكملت سنة ٦٦٧ هـ . راجع : « خطط المقريزي » (٢٩٩/٢ - ٣٠٣) ، و « الخطط التوفيقية » (٤٢/٥ - ٤٣) .

(٢) هو : أحمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عبد الحي بن عبد الخالق ، القاضي ولي الدين بن الشهاب =

وتعصَّبَ لي بعضُ المباشرين ، ثم خذل الناظر على المكان ، فلما وَلِي الأشرف إيْنَال ، وكانت لي به صحبة ، استعدتها منه ، واتفق في أمرها غريبة وقت خروجها عني ، وأُخرى وقت عَوْدها ، وهما أنِّي لما أَخذتها شرعت في التفسير مِن أَوَّل القرآن على التَّوَالي ، فلما تغلب عليها المذكور ، قام شخص مِنْ أهل تلك الخِطَّة[1] ، وقال : إنِّي قد وَقَّفْت ، وجعلتُ لي فيه أنْ أُعَيِّنَ ما شئت ، وقد صَرَفْتُ حصةً منه للشيخ ليعمل الميعاد في هذا الجامع على عادته ، فكان مِن الاتفاق العظيم أَن كنت وقفت على قوله تعالى في سورة بَرَآءَة : ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، واللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] ، فكان الميعاد الذي سأل فيه ذلك الرجل في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمةُ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3] وكان ذلك في شهر ربيع الآخر فيما أَظنّ من سنة ثلاث[4] ، فلما استعدتها صادف أني كنت قد وقفت على قوله تعالى في الصَّافَّات : ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾[5] . فكان

= ابن السراج ، الأسيوطي الأصل ، القاهري الناصري الشافعي ، ولد أواخر سنة ٨١٣ هـ بالمدرسة الناصرية ووُلّي عدة وظائف وتداريس بالجاه ، وولي قضاء القضاة بالديار المصرية مدة خمس عشرة سنة ، ثم عزل ، مات ليلة الأحد ١٨ صفر سنة ٨٩١ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢١٠/١ - ٢١٣) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٦٢ - ٧٥) ، و « نظم العقيان » (٣٥ رقم ١٨) ، و « حسن المحاضرة » (٧٥/٢) .

له ترجمة في : « ١٧٥/٢) .

(١) الخِطَّة : جاء في « لسان العرب » (١٥٩/٩) : « الخِطَّة (بالكسر) الأرض والدار يَخْتَطّها الرجلُ في أرض غير مملوكة ليتَحَجَّرها ، ويبنى فيها ، وذلك إذا أذن السلطان لجماعة مِن المسلمين أن يَخْتَطُّوا الدور في موضع بعينه ، ويتخذوا فيه مساكن لهم ، كما فعلوا في الكوفة ، والبصرة ، وبغداد .

(٢) آية / ٣٩ .

(٣) آية / ٤٠ .

(٤) أي ثلاث وخمسين وثمانمائة مِن الهجرة .

(٥) آية / ٧٣ ، ٧٤ .

الميعاد في الجمعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾[1] . إلى آخر قصة إبراهيم ، التي جملتها ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾[2] فكان ذلك من غرائب الاتّفاق .

قصة سونجبغا والقلاوي

وفي نحو نصف[3] هذا الشهر توجَّه الأَميرُ سَوِنْجبُغَا إلى الأمير تَغْري بَرْدي القَلَّاوِي ، كاشف الأَعمال البهنسائية ، ليقبض عليه ؛ بسبب أَنَّ شخصًا [٥٩] مِن أَتباعه وَشَى به ، أَنّ عنده لبيت المال ثمانين أَلف دينار ، وذكر عنه ما أوغر صدرَ السلطان ، مع أَنَّه كان شديد الإساءة إلى السلطان في حال الإمْرَة ، وكانت بين سَوِنْجبُغَا وبينه عداوة شديدة ، فاتفق أنه لما قرب منه ركب القَلَّاوِي ليتلقّاه ، فلما سلَّم عليه لم يجبه سَوِنْجبُغَا إلا بالقبض على لحيته ، ولَكَمه . فقال له : إن كان هذا عن أَمر السلطان فأرني مرسومه لأطيعه . فقال : أنت أَقلّ من هذا ، ووضع شخص مِن أتباعه في عنقه زنجيرًا ، فاستغاث بأعوانه فرمى أحدُهم سَوِنْجبُغَا بسهمٍ ، فلم يخطئ نَحْرَه ، فوقع ، وضرب شخصٌ من جماعة سَوِنْجبُغَا ، القَلَّاوِيَ فقتله ، ثم اقتتل الفريقان شيئا يسيرًا ، وتحاجزا ، وقد مات الأميران ، ونهبَ العربان العسكرين ، فكان ذلك من أَغرب القضايا ، ولمَّا بلغ الخبرُ السلطانَ عَيَّنَ قَراجا الذي كان والِيَ القاهرة كاشِفًا عن القَلَّاوِي .

قصة نواب القضاة

وفي هذا الحدّ كثر الكلام في نوَّاب القضاة ، وأَنَّ الشافعي استكثر منهم ، وولّى مَنْ لا أَهْلِيَّة له ، ولم يُولِّ إلّا مَنْ بذل له مالًا ، فرسم السلطان بعزل الجميع ، وعيَّن للشافعي خمسة عشر ، وللحنَفي عشرة ، وللمالكي أربعة ، وللحنبلي مثله .

وفي يوم الثلاثاء تاسع [عشر][4] الشّهْر ، وهو العشرون منه في بلاد

---

(١) آية / ٧٥ .

(٢) آية / ٩٨ .

(٣) كان ذلك في يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى . راجع : « حوادث الدهور » (١٨٤ – ١٨٥) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٩/٣ ، ٢٨٧) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٤٢/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠) .

(٤) في الأصل (عشري) والتصحيح من مفهوم السياق .

الرُّوم ، أخذ السلطان محمد بن عثمان قسطنطينية العظمى كما سيأتي .

قصة هجوم الأجناد على المنية

وفي يوم السَّبت ثالث عشري الشَّهر ، نادى المنادي عن السلطان ، أَنّ للناس الأمان والاطمئنان ، ومن ظُلِم فعليه بالأبواب الشريفة ؛ وسبب ذلك أنَّ ناسًا ، منهم أجناد هجموا على نصارى في بلد المنية[1] ، فآذوهم ، فرفعوا أمرهم إلى السلطان ، فنكل بهم ، وضرب الجند ، وأفحش في أحَدِهم ، وأمر به إلى السّجن في زِنْجير ، فدعى له النّاس دعاءً كثيرًا ، ووقع لهم بذلك ضجيجٌ .

وفي هذا الحد ، لبس حاجب الحجَّاب جانِبَك القِرْماني خِلْعةً بنظر جامع الأَزْهر عن قَراجا الذي أُخذ عنه الحجوبية ، ونظر جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه عن الشَّرف الأَنصاري .

سعر الذهب

وفي هذه الحدود[2] ، نُودِي أن الأشرفي[3] بمائتي درهم وخمسة وثمانين درهما[4] ، كما كان في غالب أيام الظاهر جَقْمَق ، وأن المنصوري[5] ساقط لا يُتعامل به ، ووزن الأشرفي درهم وثمن ، ووزن المنصوري درهم فقط[6] ، ثم نودي[7] أنَّ الأشرفي على ما كان عليه بثلاثمائة وعشرين .

---

(١) المنية : يذكر (المقريزي) في « خططه » (٢/١٣٠) ، أنَّ ثلاثة وأربعين موضعًا يُقال لها المنية ، جميعها في مصر ما عدا واحدة ، وبمصر من القرى المسماة بهذا الاسم ما يقارب المائتين .
ولعل المقصود بها هنا هي منية الشيرج ، ويقال لها منية الأمير ، ومنية الأمراء ، وهي بليدة فيها أسواق على فرسخ من القاهرة في طريق الإسكندرية .

(٢) كان ذلك في يوم الخميس ، ٢١ جمادى الأولى . راجع : « حوادث الدهور » (١٨٦) .

(٣) وهو الدينار الذهب ، الذي ضربه السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي (٨٢٥ - ٨٤١ هـ) .

(٤) في « حوادث الدهور » (١٨٦) : « وكان قد بلغ من مدة أشهر ثلاثمائة وثلاثين ، فشق ذلك على الناس إلى الغاية » .

(٥) وهو الدينار الذهب ، الذي ضربه السلطان الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق (محرم ٨٥٧ هـ - ربيع الأول ٨٥٧ هـ) .

(٦) في « حوادث الدهور » (١٨٦) إضافة : « وكان سعره بمائتين وتسعين درهما » .

(٧) في « حوادث الدهور » (١٨٦) : « وفي يوم الثلاثاء سادس عشريه ، نودي باستمرار الدينار على عادته ثلاثمائة وعشرين » .

وفي هذا الحد[1] عُزل [مرجان العادلي][2] مقدم المماليك ، وكان أسود طويلًا ضخمًا مهيبًا ، وولي عنه لؤلؤ[3] ، وهو أبيض .

قصة نصراني حلب

وفي هذا الحدّ ، قدم نصراني من حلب ، على يده مكاتبات مِمّن يُعْتَبر به ، بأنّ ابن الزهري ، القاضي الشافعي بحلب هجم على بيته بجمعٍ جَمٍّ مُظْهِرًا أنّ ذلك لأجل خَمْرٍ عنده ، فقال له النصّراني : لا تهجم بيتي ينهبه العوام ، فلم يلتفت إليه ، فنهبه العوام ، وأخذ القاضي جارية بيضاء عنده ، وقد كان يُتَحدث أنّ أخا القاضي له غرضٌ عندها ، فأرادوها لتُسْلم فيزوجوه بها ، فلم تفعل ، فضربوها ، ولم يزالوا بها حتى وقعت في كلمة أظهروا لها أنّها أوجبت إسلامها ، ويقال : إن تلك الكلمة ، استغفرالله ، فلما كان ذلك زوّج أخاه بها ، ودخل عليها ، ولمّا كثر الكلام فيه ؛ بسبب ذلك ، وتجهَّزَ النصرانِيُّ للسَّفَرِ ، هرب ابنُ الزهري .

---

(١) في « حوادث الدهور » (١٨٥) : « في يوم الاثنين ١٨ جمادى الأولى » . راجع أيضًا « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠) .

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل ، وهو : « مَرْجان بن عبد الله العادلي المحمودي الحصني الحبشي الطواشي زين الدين ، مقدَّم المماليك السلطانية ، أصله من خدام الملك العادل سليمان ، صاحب حصن كيفا ، ترك الحصن سنة ٨٢٧ هـ ، واتصل بخدمة تغري بردي المحمودي في بلاد الشام ، فقفـز به الظاهر جقمق وعمله نائب المقدم بسفارته ، ثم رقاه للتقدمة ، ثم عزله الأشرف إينال ،ثم أعيد ببذل ، مات في آخر يـوم الأحد ٢ جمادى الآخرة سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٧٣٢/٢ رقم ٢٥٠٢) ، و « حوادث الدهور » (٧٨٥ – ٧٨٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٢/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٥٣/١٠ رقم ٦١٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٦٧/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٨٩) .

(٣) هو : لؤلؤ بن عبد الله ، الأمير زين الدين الطواشي الرومي ، أصله من عتقاء الملك الأشرف برسباي ، ومن جمداريته ، استقر في تقدمة المماليك في دولة الملك الأشرف إينال ، ثم عزل ، فاستمر بطالًا حتى دولة الملك الظاهر خشقدم ، فاستقربه زمامًا وخازندارًا كبيرًا ، ثم صرف ، إلى أن مات ليلة الجمعة ٢٦ شعبان سنة ٨٧٣ هـ .

له ترجمة في : « إنباء الهصر » (٩١) ، و « الضوء اللامع » (٢٢٣/٦ رقم ٨٠٨) .

شكوى المناوي

وفي هذا الحد ، شكي المحبُّ بن يعقوب ، وأخواه إلى أمير المؤمنين مِن يحيى المناوي ، أنّه أكل لأبيهم مالًا جزيلًا ، وقال أحدُهم : إنّه ما مات إلا قَهْرًا مِن المناوي ، فوصّى عليهم الدويدار الثاني تِمْرَاز ، فطلب المناوي ، فأرسل وكيله ، وأقاموا عنده أيّامًا ، ثم انفصلوا على مائة ألف وخمسين ألفا ، يدفع إليهم منها الآن خمسين ألْفًا ، ويصبرون عليه بالمائة ، فدفع إليهم الخمسين ، وأقرضوا ولده زين[1] العابدين مائة ألف ، ودفعها إلى أبيه ، فدفعها أبوه إليهم ، وصار مالهم في جهة الولد .

وعبد السخاوي

وفي هذا الحدّ أيضًا طلب الأميرُ الكبير تَنِبَك ياقوت[2] عبد السَّخاوي إلى القاضي الشافعي علم الدين البُلْقِيني ؛ بسبب أنه أخذ منه ألف دينار بغير طريق شرعي ، وذلك أنَّه أتاه مبشِّرًه بأنَّ الظاهر أعطاه إقطاعًا ، فخلع عليه ، وأعطاه مائة دينار ، فلما أخبر الظاهرَ بذلك قال : انزل إليه فخذ منه ألف دينار . ففعل ، فلما بلغ ياقوت ذلك هرب إلى تِمْرَاز ، ثم خرج من عنده وأتى نقيب الجيش ابن أبي الفرج ، ثم أراد أن يخرج من عنده فمنعه ، وقال : أنا في طلبك منذ أيَّام ، ثم أرسل إلى تَنِبَك فأعْلَمه ، فأرسل له الشافعي رُسَله فأخذوه ، ثم أُصلحت قضيته على مال أُخذ منه .

وفي هذا العشر رسم السلطان بأن يتجهَّز الأميرُ[3] الكبير ، وأمير سلاح[4] إلى البحيرة[5] ؛ لفتنة قامت بين العرب بها ، ثم سكن ذلك .

---

(١) راجع « هامش ١ » من (ص ٣٤١) ت ١٢٦ .

(٢) هو : « ياقوت السخاوي، نسبة لمولاه الغرس خليل ، .. تكلم في بلد الخشابية بتفويض مِن الظاهر جقمق ، ثم تقهقـر ، ومات في سنة ٨٦١ هـ » . راجع «هامش ٣» من (ص ٢٠١) .

(٣) وهو : تَنِبَك البُّردبكي الظاهري . راجع « النجوم الزاهرة » (٧٣/١٦) .

(٤) وهو : خُشقَدم الناصري المؤيدي . راجع « النجوم الزاهرة » (٧٣/١٦) .

(٥) البحيرة : يقول عنها (ياقوت) في « معجم البلدان » (٣٥١/١) : « بحيرة الإسكندرية ، هذه ليست بحيرة ماء ، إنما هي كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر ، تشتمل على قرى كثيرة ، ودخل واسع » وجاء في « صبح الأعشى » (٤٠٢/٣) ، أن عمل البحيرة ، مما يلي عمل الجيزة مِن الجهة البحرية ، وهو عمل واسع كثير القرى ، فسيح الأرضين ، ومقر ولايته مدينة دَمَنْهُور ، وتعرف بدمنهور الوَحْش ، وهو العمل الأول من غربي فرقة النيل الغربية ، ويدخل فيه حَوْف رمسيس ، والكُفُور الشاسعة .

قصة ابن القف

وفي هذا الشّهْر ، برز المرسوم الشريف ، بأن يُقبض على ابن القف ناظر جيش صور ، ويوضع في زنجير في القلعة ، ويُعاقب بالعصر وغيره على مائة ألف دينار .

رد ابن الشحنة ثم إعادته

وفي أواخر هذا الشهر ، بلغ الخبر أَنَّ ابن الشِّحْنة واصل ومعه تقادم[1] كثيرة ، فأرسل إليه مَنْ يقبض عليه ويرده إلى حلب لِيَدَّعي عليه من له معه حق ، ويعمل فيه بالشرع ، ورسم بإحضار جميع ما معه إلى الأبواب الشريفة ، فلقيه الرسول في قَطْيه ، فقال له : لَمْ يُرسم إلا بردّي ، فخلّ سبيل ولدي ، و لم يزل يترقّق له حتى تركه ، فلما وصل إلى الخانكة وجده جندي ، خرج لمثل ذلك فردَّه .

وفي يوم السبت مستهل جمادى الآخرة رسم السلطان بعزل صلاح الدين، أمير[2] حاج ابن امْرَأة العلم البُلْقِيني ، ومنعه من الوقوف ببابه ، والكلام بين الأخصام ، وبعزل نقيبه الجلال[3] أبي القاسم ، لِمَا بلغه عنهما من تناول الرشى وغير ذلك من القبائح ، وكان متولي كبر ذلك الفساد الصلاح بن امرأته ، وسرّ النّاس بمنعه من بابه كثيرًا .

---

(١) تقادم ، يفهم من سياق الحديث أن المراد بها (الهدايا) .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن بركوت ، الصلاح بن الجمال بن الشهاب ، المكيني الأصل ، القاهري ، الشافعي ، كان اسمه أولًا أمير حاج ، فغير إلى أحمد ، ولد سنة ٨٢١ هـ بالقاهرة ، ونشأ في كفالة أمه ، وتحت نظر زوجها ابن البلقيني ، تولى تدريس الفقه في عدة مدارس منها : الناصرية ، والشريفية البهائية ، والخروبية البدرية ، والأشرفية القديمة ، كما تولى الحسبة بالقاهرة ومصر ، ومشيخة الخانقاه الجاولية وتدريس الحديث بها ، وسعى في الشيخ يحيى المناوي إلى أن عُزل ، وتولى القضاء مكانه ، و لم يمكث فيه سوى ستة أشهر ، ثم عُزل إلى أن مات ليلة الخميس ٥ ربيع الأول سنة ٨٨١ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٩٩/١ رقم ٣٠٤) ، و « نظم العقيان » (٥٤ رقم ٣٦) .

(٣) هو : أبو القاسم بن محمد بن محمد بن محمد ، الجلال بن الكمال ، أبي بكر الأخميمي القاهري الشافعي النقيب ، ويعرف بأبي القاسم الأخميمي ، ويسمى أحمد ، ولد تقريبًا سنة ٨١٢ هـ بأخميم ، ونشأ بها ، خدم في النقابة عند العلم البلقيني من سنة ٨٥٢ هـ إلى أن مات ، وناب عنه ، وكذا باشر النقابة عن كل من بعده ما عدا المناوي ، مات في ليلة الأحد ٢ ذي الحجة سنة ٨٨٧ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٣٨/١١ رقم ٤٥٥) .

وفي هذا اليوم ، وهو يوم السبت مستهل جمادى الآخرة ، مات الأمير[1] دُولات باي المؤيدي ، ودُفِن في تربته بالصحراء ، خارج باب المحروق[2] ، وكان مَرِض عقب قدومه مِن إسكندرية ، كأنَّه كان بلغ منه رعب الغضب ممن سجنه حدًّا لم يجبره رضى مَنْ أخرجه ، واستمر يتنقل من مرض إلى آخر ، إلى أن حُصِر بولُه ، واشتدَّ به ذلك إلى أنْ أفْنَى قُوَّته ، ثم انتقل إلى النّهيج ، ثم خرج له خرَّاج في أسفله ، وعاده في أواخر ذلك جَانَم كبير الأشرفية ، وكرر عليه العيادة ، حتى انخلع فؤاده ، رحمه الله ، وعفى عنه ، وسمعت أنَّ دويداره فارس ، كان يوم موته يتحرق على المتفقّرة ، الذين كانوا يتآكلونه ، بما يعدونه ويمنونه من الملك وقهر الأعداء .

موت دولات باي

[٦٠] وفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة المذكور أُلْبِس الأميرُ قَرَاجا خِلعةَ السّفر ، وسافر إلى محل كشوفيته بالبهْنسا وأعمالها .

كاشف الوجه القبلي

وفي يوم السبت ثامن جمادي الآخرة المذكور اجتمع المماليك الكتابية بما تيسر لهم من أسلحة ؛ عصي وغيرها ، فخرج إليهم بعض رؤوس النُّوب ليردَّهم فكأنّه أغلظ لهم فضربوه ، فأُرسل إليهم من سألهم عن أمرهم ، فقالوا : إن السلطان أعطى الجند ونسينا ، ونحن نطلب أنْ نُعْطى كما أُعطي غيرنا ، فلم تزل الرُّسل تختلف بينهم ، وبين السلطان إلى أن سمح السلطان لكل واحدٍ منهم بعشرة دنانير ، فقالوا هم : لا نرضى إلا بعشرين . فقال السلطان : [ليس لِي][3] بهم حاجة ، مُرُوهم فلينزلوا إلى المدينة ، ويتركوا الطِّباق[4] ، فلما سمعوا ذلك ، طلعوا إلى طبقاهم . ثم نزل

قصة المماليك الكتابية

---

(١) راجع « هامش ١ » من (ص ٦٦) .

(٢) باب المحروق : يعرف قديمًا بباب القراطين ، وهو أحد أبواب القاهرة ، مِن جهتها الشرقية ، أُحرق في شعبان من سنة ٦٥٢ هـ ، على يد مماليك أقطاي الجمدار عندما قتله مماليك الملك المعز عز الدين أيبك التركماني أول من ملك مصر من المماليك سنة ٦٥٠ هـ ؛ بسبب منافسته له على زعامة مصر . فعُرف منذ ذلك الوقت بالباب المحروق . راجع « خطط المقريزي » (٢/٣٨٠ ، ٣٨٣) ، و « صبح الأعشى » (٣/٣٤٩ ، ٣٥٠) .

(٣) ما بين الحاصرتين ، جملة غير واضحة في الأصل ، والتصحيح من السياق .

(٤) الطباق : (للمقريزي) في « الخطط » (٢/٢١٣ – ٢١٥) حديث ممتع عن الطباق ، يذكر =

المباشرون ، وتعوّق ابنُ الجيعان ، ليصير لهم ذلك ، ولم ينزل الأمير بُرْدَبَك في ذلك اليوم .

حكاية تذكر الغافلين عن بركة الشفا

ولم يزل أصحاب ابن الشحنة يقومون في أمره ويقعدون ، وكان بُرْدَبَك صهر السلطان مساعدًا لهم إلى أن رُسِم بحضوره ، فجهز قاصد لذلك ، فلحقه دون غزَّة فردَّه ، وحدَّثني بأعجْوبة جرت له في محنته هذه ، وهي أنّه لما كان في الحبْس بقلعة حلب مُضَيَّقًا عليه قرأ الشّفا لقصد الفرج ببركته ، فختمه ليلة الاثنين ثاني عشري ربيع الأول ، فأتى الخبر في بكرتها ، بأن المنصور أُزِيل من الملك ، وقُبض عليه ، وعلى رؤوس من معه ، وأن الأمير الكبير إيْنال تسلطن ، فأُخْرِجت من ذلك المحل إلى المقام الذي بقلعة حلب ، ثم إنِّي أعَدْت قراءة الشّفا ، فختمته صبح الجمعة ، فجاء الأمر بإطْلاقِي في نصف ذلك اليوم ، ثم سافرت ، فلما رُسِم بردّي مِن قَطْية أقمت بها أقرأ الشّفا ، فلما بقي منه مجلس الختم فقط ألح القاصد في الأمر بالرجوع ، فلما كنا بمنزلة

= أنها كانت تقع في ساحة الإيوان ، المعروف بدار العدل في قلعة الجبل ، عمّرها الملك الناصر محمد ابن قلاوون ، وأسكنها المماليك السلطانية ، وعمّر حارة تختص بهم . وكانت المماليك تقيم في هذه الطباق أبدًا لا يبرحونها ، حتى تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، فسمح لهم النزول من القلعة في النهار ، ولا يبيتون إلَّا بها ، فكان لا يقدر أحد أن يبيت بغيرها ثم إن الملك الناصر محمد ابن قلاوون سمح لهم بالنزول إلى الحمام يومًا في الأسبوع ، فكانوا ينزلون بالنَّوْبة مع الخدَّام ، ثم يعودون آخر نهارهم .

كان المماليك يخضعون في هذه الطباق لتربية صارمة متدرجة من تعلم القرآن الكريم ، والخط وتعلم الآداب الشرعية ، وملازمة الصلوات والأذكار ، حتى إذا شب تعلم شيئًا من الفقه ، وإذا وصل سن البلوغ أخذ في تعلم أنواع الحرب ؛ من رَمْي السِّهام ولعب الرمح ، ثم إذا أتقن ذلك انتقل إلى الخدمة ، وأخذ يتدرج في أطوارها ، رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء . يقول المقريزي : « فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه ، وامتزج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده في رماية النشاب ، وحسن لعبه بالرمح ، ومرن على ركوب الخيل » .

وفي سلطنة الظاهر برقوق الثانية (٧٩٢ – ٨٠١ هـ) سمح للمماليك بالنزول مِن الطباق وسكنى القاهرة ، والتزوج من أهلها ، فاختلّ نظامهم وتلاشت عاداتهم ، فأخلدوا إلى الراحة منذ ذلك الوقت ، يقول المقريزي : « فبدّلت الأرض غير الأرض ، وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس ، وأدناهم ، وأخسهم قَدْرًا ، وأشحهم نفسًا ، وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم إعراضًا عن الدين ، ما فيهم إلّا من هو أزنى مِن قرد ، وألص من فأر ، وأفسد من ذئب » .

أم حسن قرأت ما بقي منه ، فلما أصبحت إذا شابٌّ مِن أهل نابُلُس ، فسألته عن اسمه فقال : سعيد بن مقبل . فتفاءلت به ، وإذا البشير قد جاء بالأمر بردِّي إلى القاهرة .

قصة سبيل المؤمني

وفي هذا الحد كمل بناء سبيل المؤمني ، فنزل إليه السلطان ، فلما وصل إليه نزل عن فرسه ، ومشى في جوانبه ، وتصدَّق على بعض العامَّةِ ، ثم ركب فرسه ورجع .

المناداة بزيادة البحر

وفي يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الآخرة هذا ، وهو سادس عشري بؤونة مِن أشهر القبط بُشِّر بزيادة البحر ، وذكروا أنّ القاعدة ثمانية أذرع وخمس أصابع .

وفي يوم الخميس ثالث عشره نودي أنَّ البحر زاد ثلاث أُصابع .

وفي هذا[1] اليوم وصل القاضي محب الدِّين بن الشحنْة ، ومعه ولده ، [وولد][2] ولده .

وفي هذا الحد وصلت قُصَّاد الحجاز ، فأخبروا أن جميع تلك البلاد في غاية الرَّخاءِ ، مكة والمدينة وغيرها ؛ الدَّقيق في مكة المشرفة بسبعة دنانير الحمل ، والغرارة[3] القمح بخمسة دنانير ، واللحم في البلدين في غاية الرخص ، يكون الرِّطْل المصري بنحو ثمن درهم ، ثلاثة دراهم ونصف فلوسًا ، أو بقريب من ذلك ، وكذا بقية المأكولات ، وجاء معهم الخبرُ

موت أبي القاسم النويري

بأن الشيخ أبي القاسم محمد[4] بن محمد النُّوَيْرِي المالكي مات في رابع أو خامس جمادي الأولى ، وكان مفننا في عدة علوم : الفقه ، والأصول ،

---

(١) في « حوادث الدهور » (١٨٧) ، في يوم الجمعة رابع عشره ، راجع أيضًا « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٤٢/٢ - ٤٣) .

(٢) في الأصل (ولد) ، والتصحيح من (ص ٣٧٠) .

(٣) الغِرارة : جاء في « لسان العرب » (٣٢١/٦) : « الغِرارةُ الجُوالِق ، واحدة الغَرائِر » ، وجاء في « محيط المحيط » (٦٥٥) : « الغِرارة في المكيلات اثنا عشر كيلًا » .

(٤) هو : محمد بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق ، وقيل : محمد بن محمد ابن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق ، أبو القاسم النويري ، محب الدين ، شيخ المالكية ، ولد في رجب سنة ٨٠١ هـ . =

والمنطق ، والعربية ، والقراءات ، وكان مُفَوَّهًا ذا جدلٍ ، مطبوعًا على الأذى ، قلَّ أنْ خالطه شخصٌ إلا آذاه في نفسه ، أو ماله ، أو عِرْضه ، وقلَّ أن سكن بلدة إلا أثار فيها فتنة ، يُظْهر غالب ذلك في مظاهر دين ، مع انهماكه في قبائح ظاهرة لذوي البصائر ؛ منها محبة الأحْدَاث ، قَلَّ أَنْ يخلو بيته من واحدٍ مقيم عنده لا يبرح ، وَيُظْهر أَنَّه يُقْرئه ويعلِّمه الدين ، ويمشي ذلك على غالب الناس ، حتى أهل الصِّبي ، وكان يَتَّجر ويُظهر للأكابر أَنَّه غَنِيٌّ عنهم ، وأَنَّه لا يقبل لأحدٍ شيئًا ، ينصب لهم الحبائل ؛ لِيَلِيَ القضاء ، واجتهد في ذلك بكل حِيلة ؛ ثلب القضاة بالجهل ، وتَمْشية الباطل بالرِّشى وغيرها ، فلم يتم له ما أراد ، عفى الله عنه .

دويدارية الشام

وفي هذا الشهر ، أو الذي قبله أُعطي خُشْكَلدي الكُوَيْزِي إمرة عشرين بدمشق ، وولي عنه دويدارية السلطان بدمشق يَشْبُك ، أحد مماليك السلطان .

قاضي إسكندرية

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشري هذا الشهر ، وصل القاضي شهاب[1] الدين المحلي الشافعي قاضي إسكندرية ، وكانت بينه وبين السلطان صحبة ، وله عليه خدمة كبيرة ، وكذا على غيره من النّاس ، وهو فَرْد الزمان في ذلك على طريق البرامكة[2] ، بحيث أنَّ الأمور التي تجري على يده ، من

= له ترجمة في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٦٦٩) ، و « نظم العقيان » (١٦٦ رقم ١٧٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١١) .

(١) هو : أحمد بن محمد بن علي بن هارون بن علي الشهاب المحلي ، ثم السكندري الشافعي ، ويعرف بالشهاب المحلي ، ولد قبل القرن التاسع بيسير بالمحلة من الغربية ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن الكريم ، وتعانى التكسب بماء الورد ونحوه ، وترقى بعناية الجمالي ناظر الخاص إلى قضاء الإسكندرية ببذل كثير سنة ٨٥٣ هـ ، ومات بقرية إدكو بالمزاحمتين ليلة الثلاثاء ١٣ جمادي الآخرة سنة ٨٦٠ هـ ، ودفن برشيد .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٢٧٢ ، ٣٧٠) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨١/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١٥٢/٢ رقم ٤٣٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٣٨) .

(٢) البرامكة : أسرة فارسية مشهورة ، لعبت دورًا بارزًا في شئون الدولة العباسية في عصر الخلفاء الأربعة الأول حتى نكبت على يد هارون الرشيد سنة ١٨٧ هـ تنتسب إلى جدها الأول (برمك) =

خَدْم الناس تستكثر علي هذا الزَّمان ، ويتعجب من قدرته عليها وتأتِّيها له ، مع قِلَّة مدده ، حتى أنه يُعطي بعض المتحاكمين إليه مِن ماله يصلح بينهم به ، وسلَّم على السلطان في صبيحة الأربعاء تاسع عشره ، فأقبل عليه وسُرَّ بقدومه ، فكان من سعده ، أنْ مات عقب قدومه شخص من أخصاء الظاهر مِنْ أهل إسكندرية ، يُقال له : محمد بن محمد بن عبد المحسن ، ويشتهر بابن محيسن ، وكان له بإسكندرية من الأعطية نحو ثلاثة دنانير كل يوم فجعلها السلطان للمحلي ، وأكرمه بغير ذلك أيضًا ، فَلمَّا وصل إلى ذلك تَغَيَّرت أحوالُه ، فحكى بعض الفقراء ، أنه كـان ورد عليه إسكندرية ،

= أو (برموك) أحد سدنة (النوبهار) وهو بيت بوذي ، والذي قدم على هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ وأعلن إسلامه ، ويعتبر (خالد بن برمك) هو المؤسس الأول لهذه الأسرة . وكان أحد دعاة محمد بن علي العباسي ثم ابنه إبراهيم الإمام ، ثم ولي لأبي العباس السفاح ديوان الخراج والجند ، بل أصبح في مقام الوزير له ، بعد مقتل أبي سلمة الخلال في رجب سنة ١٣٢ هـ ، وكان واليًا على فارس ثم الري وطبرستان في عهد المنصور ، واحتفظ بمكانته زمن المهدي الذي أوكل إليه تربية ابنه هارون سنة ١٦١ هـ ، ولما توفي خالد بن برمك سنة ١٦٥ هـ ، خلفه ابنه يحيى على تربية هارون بن المهدي ، وأصبح يحيى كاتبا لدى هارون منذ تولى المغرب (ما يلي الفرات إلى الغرب) ولعب دورًا كبيرًا في عدم نقل ولاية العهد عن هارون الرشيد ، فلما صارت الخلافة إلى الرشيد ، أسند إليه منصب الوزارة ، وجمع له الدواوين ، بل أطلق يده في كل أمر من أمور الدولة ، كما قرب ابنيه الفضل وجعفر ، وكان الأول أخًا له مِن الرضاعة ،فولّاه عدة ولايات هامَّة : الجبال ، وطبرستان ، وأرمينية ، وخراسان ، كما كلفه بإخماد ثورة يحيى بن عبد الله المحض ، ونجح في ذلك دون سفك دماء ، كما عهد إليه بتربية ابنه الأمين . أما جعفر ، فقد اختصه هارون بمنادمته وملازمته ، ونقل إليه ديوان الخاتم ، وأشركه معه في النظر بالمظالم ، وأسند إليه أمر دار الضَّرْب، وكتب اسمه على الدراهم والدنانير ، وجعل له ديوان البريد ، وديوان الطراز ، وعهد إليه بتربية ابنه المأمون .

فعظم شأن هذه الأسرة ، وأصبح البرامكة أقرب إلى السلاطين منهم إلى الوزراء فوفد إليهم الشعراء والأدباء ، وقصدهم طلاب الحاجات ، فأغدقوا عليهم الأموال فكانت هذه الأسرة كما يقول ابن طباطبا : « غرَّة في جبهة الدهر ، وتاجا على مفرق العصر ، ضربت بمكارمها الأمثال ، وشُدَّت إليها الرحال ... » . راجع أخبار البرامكة مفصلة في : « كتاب الوزراء والكتاب » (٨٧ – ٨٨ ، ٨٩ ، ١٣٦ ، ١٤٣ – ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٧٤ – ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٦٥) ، و « الفخري في الآداب السلطانية » (١٩٧ – ٢١١) .

فأكرمه ، ووعده بخير إن أعاد القدوم عليه ، فلما ورد عليه ، لم يصنع معه شيئًا أصلًا ، ثم أخبرني آخر بمثل ذلك ، فثبت أنه لم يعرف نعمة الله عليه .

إيراد ابن الشحنة المال

وفي يوم هذا اليوم حمل ابنُ الشحنة إلى السلطان أربعة آلاف دينار على يد وَلَدِ وَلَدٍ له بالغ ، وكتب خطّه بألفٍ أخرى ، وأعطى ولده ألفًا ، وصهره بُرْدُبَك كذلك .

وفي يوم الخميس العشرين من هذا الشهر أُذِن له فَسَلَّم على السلطان ، وخلع عليه كامِليَّة بِسَمُّور ، وعلى ولده ، وولد ولده .

مولد بردبك

وفي هذا اليوم عمل بُرْدُبَك صهر السلطان مولده ، فَحَضَره القضاةُ إلا الحنفي ، والمباشرون إلا الوزير ، وحضر سيدي أحمد ولد المقام[1] الشّريف ، وجميع أكابر الجيش ، من الأمراء ، وغيرهم ، ولم يتخلَّف من الخُوَندات ، ونساء الأكابر إلا القليل ، وعُمل فيه مِنَ الأسمطة والأطعمة الفاخرة [٦١] الكثيرة ، المتنوعة ، والحلاوات المصنوعة على هيئة القباب وغير ذلك ، ما قارب الذي يُعمل في مولد السلطان ، ثم عمل سِمَاعًا[2] بالليل حضره ولد السلطان ، ومن يعز من الفقها والترك قُدِّم فيه من الحلاوات والفواكه شيئًا كثيرًا ، ورُمِيَ على الوعَّاظ بنحو ثلاثين شقة[3] حرير ، ثم أخبرني رأسهم شمس[4] الدين بن الحفَّار ، أنهم أخذوا جميع ما

(١) المقام الشريف : المقام ، من الألقاب الخاصة بالملوك ، وقد يقال : المَقَام (بفتح الميم) ، أو المُقَام (بضم الميم) وأكثر ما يستعمله الكتاب (المُقَام) بالضمُ ، كناية بذلك عن السلطان تعظيما له عن التفوه باسمه ، ويقال فيه : المقام الأشرف ، والمقام الشريف العالي ، والمقام العالي . « صبح الأعشى » (٥/٤٩٣ - ٤٩٤) .

(٢) سماعًا : جاء في « محيط المحيط » (٤٢٨) : « السِمَاع ، الغناء ، وكل ما يلتذ به السامع من الأصوات » .

(٣) شُقَّة : جاء في « لسان العرب » (١٢/٥١) : « الشُّقَّة (بالضم) معروفة مِن الثياب السَّبِيبة المستطيلة ، وقيل : هي جنس من الثياب ، وقيل : هى نصف ثوب » .

(٤) هو : محمد بن عبد الله بن علي بن أحمد ، الشمس القرافي الشافعي الواعظ ، ويعرف بابن الحفَّار ، ولد في سنة ٧٨٥ هـ ، بالقرافة ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن ، تعانى الوعظ واشتهر به ، =

رُمِيَ عليه ، ورموه على غيره ، ولم يحصل له من ذلك شيء ، فالظّاهر أنهم فعلوا بغيره كذلك ، وكان ذلك في بيت تَمُرْبُغا ، بجوار مدرسة السلطان حسن ، وكان تَمُرْبُغا قد اجتهد في عمارته ، بحيث يُقال : إنَّه صرف عليه نحو خمسين ألف دينار ، ولم يفرغه إلا في أواخر سنة ست وخمسين[1] ، فلم يَتَهَنَّ به ، وكأنه إنَّما كان مشد العمارة لبُرْدُبَك ، فسبحان من يُعِزّ وَيُذل ، ويضع ويرفع ، فقد كان يعمل المولد في كل سنة فلا يحضره من الجند إلا استاده ، وولده ولا مِن المتعممين إلا ...[2] .

مدرسة ابن الجيعان

وفي هذا الشهر[3] تكاملت عمارة مدرسة أنشأها إبراهيم[4] بن الجَيْعَان القبطي بحذاء القاعة المعروفة بالبرابخيَّة[5] على شاطىء النيل من بولاق ، وجعل فيها خطبة ، فأحضروا بعض الأعيان في أوّل جمعة خطبت بها ، فَقَرأ الخطيب وهو أحد المنتمين إليهم ، المعروفين بهم المنقطعين إليهم في إحدى الخطبتين ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۞ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[6] إلى آخرها ، فعزله من الخطابة لذلك ، وبلغني أنّ بعض

= كانت له مناسبات عقب قراءة البخاري بالقلعة ، بحضور السلطان ، وقضاة القضاة ، والجم الغفير مِن العلماء والطلبة ، يأتي بعجائب وغرائب ، مات في يوم الخميس ٨ شعبان سنة ٨٧٦ هـ .

له ترجمة في : « إنباء الهصر » (٤٦٣ - ٤٦٤) ، و « الضوء اللامع » (٩٩/٨ رقم ٢٠٥) .

(١) أي ست وخمسين وثمانمائة .

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٣) في « حوادث الدهور » (١٨٦) : « في يوم الجمعة ٢٩ جمادي الأولى » .

(٤) هو : إبراهيم بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب ، سعد الدين ابن فخر الدين ، الدمياطي الأصل ، القاهري ، ويعرف بابن الجَيْعَان ، ناظر الخزانة الشريفة وكاتبها ، من مآثره جامع بولاق بالقرب من منظرة الحجازية ، وله عمائر هائلة ، وملك منظرة البرابخية ، وغيرها . مات ليلة الجمعة ٢٣ ربيع الأول سنة ٨٦٤ هـ عن خمسين سنة .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (٢١١/١٦ - ٢١٢) ، و « الضوء اللامع » (٦٨/١) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٠) .

(٥) البرابخية : راجع « حوادث الدهور » (١٣٧ ، ١٨٧) .

(٦) التوبة / ١٧ ، ١٨ .

أصحاب الخطيب لامه ، فحلف أنه ما قرأها إلا اضطرارًا ، وأنَّه اجتهد على أن يستحضر غيرها أو أنْ يقرأ من عند ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ فلم يستطع ، ولا حضره إلّا الآية الأولى ، فكان ذلك من الغرائب ، ولما عُزل سعى في الخطابة ولي الدين أحمد[1] بن تقي الدين محمد بن الشيخ بدر الدين بن شيخ الإسلام السّراج البُلْقِينِي ، وكان قد بنى له مدرسة إلى جانب بيته وانقطع بها ، وأظهر الزهد من حين جرى له مع أبي الخير النحّاس ما تقدم ، فكان [رضاه بالخطابة في][2] هذه المدرسة (التي أمرها قريب من أمر مسجد[3] الضِّرار) مِنَ العجائب ، فضلًا عن أنْ يكون بسعيه ، ثم كان أغرب من ذلك ، أنَّه قرأ في الصلاة ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا ﴾[4] ووقف على شاكرًا ، يشير إلى باني المدرسة وأخيه علم الدين شاكر[5] ، فارتكب هذا الأمر

---

(١) راجع « هامش ٤ » من (ص ١٨٥) .

(٢) ما بين الحاصرتين ، غير واضح في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٣) مسجد الضِّرار : في سنة ٩ هـ ، قامت طائفة من المنافقين بالمدينة ببناء مسجد قريب من مسجد قباء ، فجاءوا لرسول (ص) وهو يتجهز للسفر لغزوة تبوك ، وطلبوا منه الصلاة فيه وقالوا له : إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، وإنا نحب أنَّ تأتينا فتصلي لنا فيه ، فاعتذر لهم ، لما هو فيه من تأهب للسفر ، ووعدهم بالصلاة فيه بعد عودته من غزوة تبوك ، فلما رجع ، ونزل بذي أوان (مكان بينه وبين المدينة ساعة) نزل عليه الوحي بشأن هذا المسجد ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ الآية . (التوبة / ١٠٧) ، فهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء ، وكفرًا بالله ، لا للإيمان به ، وتفريقًا للجماعة عن مسجد قباء ، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وهو أبو عامر الراهب الفاسق ، الذي رفض دعوة الرسول (ص) له للإسلام ولجأ إلى قيصر الروم ، وكان يكتب لإخوانه من المنافقين ، يعدهم ويمنيهم ، فبنوا هذا المسجد حتى يصبح دار حرب ، ومقر لمن يفد من عند أبي عامر الراهب .

وهكذا عصم الله رسوله من الصلاة في هذا المسجد ، وأحبط كيد المنافقين ، وأمر الرسول (ص) أصحابه بهدمه وتحريقه ، فتفرق عنه أهله . راجع : « السيرة النبوية / لابن هشام » (٥٢٩/٢ – ٥٣٠) ، و « تاريخ المدينة / لابن شبة » (٥٢/١ – ٥٥) ، و « البداية والنهاية » (٢١/٥ – ٢٢) .

(٤) النحل / ١٢٠ ، ١٢١ .

(٥) هو : شاكر بن عبد الغني بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب ، علم الدين بن =

العظيم في كتاب الله المجيد ، فلم يمض عليه الشهر الذي بعده حتى طُرِق بالمصيبة التي ستدكه .

إعادة ابن النحاس إلى السجن

وفي هذا الشهر زاد الكلام في أبي الخير النحّاس ، فلم يزل ناظر الخاص ، ومن وافَقَه يوغر صدر السلطان عليه ، ويبلغه أنه يقول : إن السلطان عتيقة من الظاهر ، ونحو ذلك إلى أَنْ رسم بإعادته إلى السجن .

وفيه ورد الخبر أنّ ابن القف عُصِر إلى أن تلفت يداه ، أو كادتا ، وبُولغ في عقوبته .

فتح قسطنطنية الصغرى

وفيه ، في أواخره ورد الخبر العظيم السَّارُّ ، أنَّ السلطان محمد[1] بن السلطان بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن عثمان ، أخذ قسطنطينية عنوة .

واختلفت[2] الرِّوايات في كيفية الحصار ، والأخذ ، ثم ورد علينا الشيخ أَحمد الطّالثي ، أحد من حضر ذلك ، من طلبة العلم ، فأخبرني عن صورتها ، أنها في بَرِّ أدرنة[3] ، كرسي مملكة ابن عثمان ، ومحلّ إقامته ،

= فخر الدين بن علم الدين ، الدمياطي الأصل القاهري ، ويعرف بابن الجيعان ، ولد في سنة ٧٩٠ هـ تقريبًا بالقاهرة ، استقر بعد والده في كتابة الجيش ، كما تكلم في الخزانة وغيرها ، ولا زال في ارتقاء وعلو إلى أن صار مرجعًا في الدول ، وعرف بجودة الرأي ، وحسن التدبير ، مات ليلة الجمعة ١٤ ربيع الآخر سنة ٨٨٢ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٩١/٣ رقم ١١٧) ، و « نظم العقيان » (١١٨ رقم ٨٩) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٧٤/٢) ، وقد جاء فيه أن ولادته كانت سنة ٧٧٠ هـ ، و « شذرات الذهب » (٣٣٤/٧) .

(١) راجع « هامش ٣ » من (ص ١٦٣) .

(٢) عن فتح القسطنطينية على يد محمد الثاني الفاتح . راجع : « تاريخ الدولة العلية العثمانية » (١٦٠ – ١٦٥) ، و « العثمانيون في التاريخ والحضارة » (٧٠ – ٨٥) و « تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية » (٣١ – ٤٠) ، و « استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية » (١٥ – ٢٦) ، و « الشعوب الإسلامية » (٤٢ – ٥٤) .

(٣) أدرنة : تطلق اليوم على مدينة تقع على نهر مارتيزا على حدود تركيا مع كل من بلغاريا واليونان سقطت في أيدي العثمانيين سنة ١٣٦٢ م . راجع « أطلس التاريخ الإسلامي » (٢٣) ، و « أطلس تاريخ الإسلام » (خريطة رقم ١٦٣ ص ٣٤٤) ، و « أطلس العالم » (ص ٤٠) .

وأن البحر الرُّومي[1] ملاصِق لسورها من شرقيِّها بينها وبين برصة[2] وأكثر بلاد ابن عثمان ، وأن منه خليجًا[3] داخِلًا من شرقيِّها بشمال ، وشماليها بشرق ، وبين بلد آخر للكفّار يُسمَّى قلاطة[4] ، وربما قالوا : غَلَطَه .

وهذا الخليج ميناؤها ، وعلى فمه سلسلة أحد طرفيها في سور قسطنطينية ، والآخر في سور قلاطة ؛ لئلا يدخل إليه مركب بغير اختيارهم ، فالمقدار المحيط به البحر نصفها أو أكثر .

وجانِباها الغربي والجنوبي متّصِلان بِبَرِّ أَدِرْنَة .

قال الشيخ أحمد : فلما ولي[5] محمد بن عثمان السَّلْطنة ، بعد أبيه مراد ، أوقع الله في نَفْسه أن يأخذ هذه البلدة ، فكان يستشير ذوي الرأي من جنده في ذلك ، فَيُخَوِّفُونَه منه ؛ بنفاذ خزائنه في حصارها ، واختلال أَمْرِهِ بسببها ، ويُهَوِّلون عليه أمرها ، ويقولون :إنها لا تؤخذ إِلَّا على زمن المهدي ، كما في الحديث ، إلا شيخه المولى أحمد الكوراني[6] ، فكان

---

(١) وهو ما يطلق عليه اليوم (بحر مرمرة) .

(٢) برصة : تقع على الساحل الشمالي الشرقي لبحر مرمرة ، اتخذها عثمان بن أرطغرل المتوفى سنة ١٣٢٦ م عاصمة لدولته . « أطلس تاريخ الإسلام » (٣٥٧) .

(٣) وهو ما يطلق عليه اليوم (القرن الذهبي) .

(٤) قلاطة أو غلطة : منطقة تقع في زاوية حادَّة متشكلة من القرن الذهبي مع مياه البوسفور ، وتشكل اليوم مع ضاحية بيرا منطقة (بك أوغلي) . راجع « تاريخ الدولة العثمانية » « هامش ٣ » من (ص ٣٣) ، و « تاريخ الدولة العلية العثمانية » (١٦٣) .

(٥) كان ذلك في محرم سنة ٨٥٥ هـ ، فبراير سنة ١٤٥١ م . « تاريخ الدولة العلية » (١٥٩) ، و « تاريخ الدولة العثمانية » (٣١) ، و « تاريخ الشعوب الإسلامية » (٤٢٩) .

(٦) هو : أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رشيد بن إبراهيم ، شرف الدين ، ثم دُعي (شهاب الدين) الشهرزوري الهمداني التبريزي الكوراني ثم القاهري الشافعي ثم الحنفي ، ولد في سنة ٨١٣ هـ في قرية من كوران ، وقيل في ١٣ ربيع الأول سنة ٨٠٩ هـ بهرزوي ، برع في فنون العلم ؛ المعقولات ، والمنطق ، والأصلين ، والنحو ، والمعاني والبيان ، والفقه ، دخل القاهرة ، ثم رحل إلى الروم ، فنال حظوة عند السلطان مراد بن عثمان ، الذي سأله أن يتحنف ويأخذ وظائف الشيخ شمس الدين الفناري بعد وفاته ، مات في أواخر رجب سنة ٨٩٣ هـ ، وقيل : سنة ٨٩٤ هـ .
=

يخالِفهم في ذلك ، ويُهَوِّن عليه أَمْرَها ، ويقول : إنّه وَرَد في بعض الأخبار أنها تُفْتَح قبل فتح المهدي لها . فقال السلطان محمد : لابُدّ لي من غَزْوِها ، ولو نفذت جميع خزائني ، وبلغت إلى أن لا أجد ما ألبسه إلَّا فَرْوة ، وأدور في البلاد أسْتعطي .

ثم تجهّز إليها في أواخر شهر ربيع الأول من سَنَةِ سَبَعٍ وخمسين هذه ، وَسِنُّهُ اثنان وعشرون سنة ، في أكثر من نحو[1] مائة ألف مقاتل في البَرِّ ، وجَهّزَ في البحر نحوًا من أربعمائة مركب ، فنزل بساحتها مِن يوم الجمعة سادس عشري الشهر .

فلما اكتنفتها جنودُه ، وثبت بفنائها عموده ، وملأ أقطارها صارمه وعوده ، سألهم تسليم مفاتيحها ؛ فَهَزَأوا به ، وأغلظوا له ، وقالوا : قد مات بهذه الحسْرَة أكابر الملوك ، وأنت صَبِيٌّ غمرٌ[2] لم تجرب الأمور ، وسترى ؛ فغضب ، ثم أذكى عليهم نيران الحرب ، وأقام سوقَ الطّعْن والضرب ، بَرًّا وَبحْرًا ، سِرًّا وجَهْرًا ، فنصب عليها مكاحل كثيرة ، منها مكحلتان صنعهما ، إذا وقف رجلان من جانبي حَجَر من حجارتهما لا ينظر أحدُهما من الآخر إلا رأسه ، ثم رمى بهما ، فَهَدَم قطعةً من السور ، وكان كلما هَدَم شيئًا سدّوه ليلًا بشجر العنب ، والتراب ، وسأل أهلَ قلاطة ، أن يقطعوا السلسلة من جانبهم ؛ ليُدْخل بعضَ المراكب في ذلك الخليج ، فيصير جيشه محيطًا بجميع جوانِبها ، فقالوا : نحن في قبضتك ، ولا نعصي لك أمرًا ، ولكن لا نقدر على ما تأمرنا به ، واعتذروا له بما

= له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٤١/١) ، و « نظم العقيان » (٣٨ رقم ٢٢) .

(١) للوقوف على مدى الاختلاف في تقدير قوة الطرفين المتحاربين ، راجع « هامش ٦ » (ص ١٩) من كتاب « استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية » . وكذلك التقديرات التي جاءت في « تاريخ الدولة العلية » (١٦١) ، و « العثمانيون في التاريخ والحضارة » (٧١) ، و « تاريخ الدولة العثمانية » (٣٤ ، ٣٥) .

(٢) غمر : جاء في « لسان العرب » (٣٣٦/٦) : « صبي غُمْرٌ وغَمْرٌ وغَمَرٌ وغَمِرٌ ومُغَمَّر ، جاهِل غِر ، لم يجرب الأمور ، وكل من لا غَناء عنده ، ولا رَأْي ، ولم تحنكه التجارب » .

قَبلِه منهم ، فحفر شاطئ البحر من وراء قلاطة ، حتى أُمكن منه خروج المراكِب ، ثم جَرَّ منه مائة مركب على عجل ، وهي التي تجرها البقر ويسمّونها العَرَبات ، واحدتها عَرَبَة (بمهملتين وموحّدة محركًا) وقذفها في الميناء ، وربط من الأوعية التي يُحمل فيها الماء في البحر ، وتُسَمَّى البتاني والبراميل بالحبال الجَيِّدَة شيئًا كثيرًا ، وقذفه فيها ، وقيّدها من ناحية البر بسلسلة ، وأَرسل من الرِّجال ، من أُثبت طرف السلسلة الأخرى في جانب المدينة ، وقدَّامهم رجالٌ معهم أَتْراس[1] من الأخشاب الضَّخْمَة ؛ يسترونهم رَمْي مَنْ على السُّور ، وأسمر فوق ذلك الألواح ، وَوَضع عليها التراب ، فصار ذلك جِسْرًا لمن أراد المرور عليه ، وكان إلى جانب السور مكان لم يُغطّه الماء ، ربما يكون عرضه في بعض المواضع ، نحو عشرين ذراعًا ، فصار جيشه محيطًا بجميع نواحي البلد ، عَلَى أَنَّها في غاية الكبـر ، لا يساوي ما دَاخِل سورها بلدٌ من البلاد ، ولا أنطاكية[2] .

[وأخبرني[3] أحمد بن الشيخ علاء الدين البرمي ، الضرير ، وكان قد ورد] من هناك بمثل ذلك ، وأن البلد ثلاث زوايا ، زاويتان منها في البحر ، وزاوية في البر وأن ابن عثمان قاس دَوْر سورها ، فكان ثمانية عشر ميلًا ، كل زاوية ستة أميال .

فلله دره من ملك علا الملوك سؤددًا وشَرَفًا ، ودرها هِمّة بَنَت من المجد فـوق الساكنين غُرَفًا ، هكذا هكذا تكون الهِمَم العوالي ، وبمثل هذا الصَّغير السِّنّ الكبير القَدْر لعمري تتشَبَّهُ فحول الرِّجال .

يا ليت شعري ومن هذي بدايته ماذا الذي في جميع الأرض ينتظر

فالله يُبقِّيه لهذا الدِّين ، ويوَقِّيهِ كَيْدَ الملحدين ، ويُرَقّيه على سائر جموع المفسدين .

---

(١) أَتْراس : جمع تُرس ، وهو عادة ما يكون صفحة من الفولاذ مستديرة ، تُحمل في اليد ؛ للوقاية من السيف ونحوه . « محيط المحيط » (٦٩) .

(٢) راجع « هامش ٢ » من (ص ١٤٨) .

(٣) ما بين الحاصرتين رسم بعض حروفه غير واضح في الأصل .

ولما استدارت بالبلد الأبطال ، وتَفَرَّق من جميع النواحي القتال عمّهم الزلزال ، وأيقنوا بالزَّوال ، بعد أعظم النِّكال ، قاتل المولى الإمام الكوراني في هذا الحِصَار بنفسه قتالًا شديدًا ، وأبلى بلاءً حَسَنًا ، وله فيه ، وفي غيره من الغزوات مع هذا السلطان ووالده مواطِن محمودة ، ومواقِف مشهودة ، فسبحان مَنْ أعطاه ، وأنعم عليه وأولاه .

قال الشيخ أحمد : ثم إنَّ السلطان محمد ، أَمَرَ بعد أن صَلَّى الصبح بِغَلس[1] ، يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأُوْلى ، وذلك بَعْد حصار اثنين وخمسين يومًا ، فنادى مناديه : احملوا عليهم ، واصعدوا يا معاشِر المسلمين إلَيْهِم ، فمن أخذ شيئًا فهو له ، بل وخزائني التي معي بين أيديكم ، ليس لي إلا الأرض ، والأحجار ، والسّاحَةُ ، والدّارُ ، ثم ركب جوادَه ، وقال : يا خيل الله ، اركبي ، ويا كتائب الإسلام احملي ، وحمل بنفسه ، فلما قرب من ذلك المكان ، الذي هَدَمَتْه المكحلة تَرَجَّلَ ، وصاح فيهم ؛ فصعدوا من ثم ووجدوا مِنْ قضبان العنب ما تعلَّقوا به ، وتدرَّجوا فيه ، فصعدوا في أسرع مِن اللمح على السور ، وأدرك الكافرين الثبور ، وكان سنجق الكوراني أوّل من علا فوق السور .

ولم يُقتل من جيش المسلمين ، وهو صاعدٌ غير شخص واحِدٍ ، فَوَلَّى الكفّار الأدبار ، ولحقتهم السَّادَةُ الأخْيار ، بكل عَضْب[2] بتّار ، وكلِّ رمح لمّاع السِّنان ، كأنّه عَلَمٌ في رأسه نارٌ ، فأفنوهم إلا القليل ، ولم يبقوا بها بَيْتًا إلا وفيه العويل .

وأخبرني الشيخ علاء الدين ، أنه بَلَغهم ، أنَّ الكنيسة الكبرى ، من رومية الكبرى ، وقعت في وقت حَمْلَة ابن عثمان على اصطنبول ، فَقُتِلت بها جماعة كثيرة ، فقال علماؤها : أُخذت اصطنبول في هذا الوقت ، فكان كذلك .

---

(١) بغلس : جاء في « محيط المحيط » (٦٦٤) : « الغلس ، ظلمة آخر الليل » .

(٢) عَضْب : جاء في « لسان العرب » (٢/٩٩) : « العضْب ، السيف القاطع ، وسيْف عَضْبٌ قاطع » .

قال الشيخ أحمد : ولما استباحوا حلالها ، وجاسوا خلالها ، وأفنوا رجالها ، اشتغلوا بالنّهب ، فهرب من مينائها ثلاثة مراكب ، و لم يُوجد ملكهم ، وهو الذي يُلَقِّبُونه بالتَّكُور[1] (بفتح الفوقانية وضم الكاف مخففًا) فلا يُدْرى ، هل قُتل في المعركة ، أم كان مِمّن هرب في المراكب[2]؟ .

ثم إنهم صلوا الجمعة في كنيستها العظمى المسمّاه آيا صُوفيا ، وخطب لهم شخصٌ من الأفاضل ، يُسَمّى آق بيق ، وأمّ بهم السلطان محمد ، وكان يومًا لم يتّفق مثله في الأعْصَار السَّالِفَة ، والأيام الخالِية ، وانزعجت جميع بلاد الكفر ، وسائر جيوشهم ، ومعاقلهم لذلك ، فللّه الحمد ، وكان في أثناء الحصار قد عثر على خيانة وزيره الأكبر خليل باشا ، بأنه مباطِنٌ لهم ، فقبض عليه ووضعه في بعض المعاقل ، فلما انقضى الحرب ، تحقق من أهل البلد خيانته ، وأنه ما كان يشجعهم ، إلا هو فصلبه وعَذّبه عذابًا ، لم يُسمع بمثله ، ثم خُنق واستراح منه البلاد والعباد[3] .

ثم لما سافر الشّريف علي[4] القصيري الكردي في سنة تسع وستين[5] ؛

---

(١) جاء في كتاب « استنبول، وحضارة الخلافة الإسلامية » (٢٢) ، أن اسمه (باليولوجوس دراغاسيس Palacologus Dragases ، وهو المعروف بقسطنطين الحادي عشر .

(٢) تكاد تجمع المراجع الحديثة أنه قتل ، وهو يدافع عن مدينته . راجع : « استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية » (٢٢ – ٢٣) ، و « تاريخ الدولة العليـة » (١٦٤) ، و « تاريخ الدولة العثمانية » (٤٠) .

(٣) راجع « استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية » (٢٠) .

(٤) هـو : علي بن محمود بن محمد بن أبي بكـر بن الجنيد بن شبـلي بن الشيـخ خضر بن عبد الملك بن عثمان ، نـور الدين ، وربما قيل علاء الدين الكردي البقابرصي – نسبة لبقابرص من حلب – الحلبي القصيري الشافعي ، ويعرف بالشريف الكردي ، ولد سنة ٨١١ هـ ، أو التي تليها ببابزيا من عمل القصير ، قدم القاهرة في جمادي الأولى سنة ٨٣٤ هـ ، واستقر في مشيخة التصوف بالطيبرسية ، وسافر مع الغزاة إلى رودس غير مرة سنة ٨٤٤ هـ ، و ٨٤٧ هـ وصاحبه فيهما البقاعي ، رقاه الأشرف قايتباي وعيَّنه في نظر الخانقاه السرياقوسية ، كما قرره في ديوانه ، ونائبا لقلعة حلب ، مات ليلة الجمعة ٤ جمادي الثانية سنة ٨٨٢ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٦/٣٦ رقم ١٠٤) .

(٥) أي سنة ٨٦٩ هـ .

رسولًا من السلطان الظاهر خشقدم ، إلى ابن عثمان[1] ، ورجع في أول سبعين ، أخبرني أنه دخل هذا الجامع ، الذي كان كنيسة النصارى العظمى لَمَّا كانوا بها ، فَرَآه كبيرًا جدًّا ، وأنه في غاية ما يكون مِن إحكام البناء ، وأنّ مئذنته التي كان النصارى يضربون بها النّاقوس[2] في طول أطول مئذنة من مآذن الإسلام مرتين ، وأن إيوانها الذي به المحراب ، وهو الشّرقي أكبر من إيوان مدرسة حسن التي بالقاهرة ، الذي قالوا إنه على مِقْدار إيوان[3] كسْرى بكثير ، بحيث إنه قال : لو وُضِع فيه لكان إيوان حسن في جانبٍ من جوانبه . هكذا قال والعهدة عليه . قال : والجانب الجنوبي منه ، وهو ما على يمين المصلّى ، مجدّد البناء . قال : وأخبرني كثير مِمّن هناك مِن المسلمين : أنهم سمعوا مِن النصارى ، الذين كانوا بها ، عن أسلافِهم ، أن هذا الجانب وقع يوم وُلِد[4] نبينا محمد صلى الله علم ، ومن الغرائب أنَّ هذا الجانب هو الذي إلى جهة أكثر بلاد الإسلام ، ففي ذلك سر عظيم والله الموفّق .

فجهز السلطان مراسيم تشريفية إلى المدن التي على طريق الرُّوم ، بأن تتلقى قصّاد ابن عثمان إن وردوا بغاية الإكرام ، ويبذل لهم من الرَّغائب[5] والضِّيافات ما ينبغي لمثلهم .

---

(١) أي محمد الثاني فاتح القسطنطينية .

(٢) الناقوس : خشبة ، أو حديدة طويلة يضربها النصارى ؛ إعلامًا للدخول في صلواتهم ، وأخرى قصيرة ، واسمها الوبيل ، وربما استعمل الناقوس للجَرَس . « محيط المحيط » (٩١٢) .

(٣) إيوان كسرى : الإيوان كلمة عربية مأخوذة من الكلمة الفارسية (إيوان) وهي مشتقة مِن الكلمة البهلوية الفارسية « بان » ، بمعنى بيت ، ومعناها قاعة الاستقبال عند الملوك الساسانيين ، وهي عبارة عن بَهْو كبير مربع الشكل ، تحيط به الجدران من ثلاث جهات فقط ، والجهة الرابعة مفتوحة ، ومازال جانب من إيوان قصر طيسفون باقيًا ، في مكان مقفر ، جنوبي بغداد ، ويسمى إيوان كسرى . « دائرة المعارف الإسلامية » (٢١٦/٣) .

(٤) كان ذلك – حسب رواية ابن إسحاق – يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من عام الفيل . « السيرة النبوية » (١٥٨/١) .

(٥) الرغائب : جاء في « لسان العرب » (٤٠٧/١) ، الرغائب ، ما يُرغب فيه مِن الثواب العظيم ، وقيل : هي ما يرغب ذو رغَبِ النفس ، وَرَغبُ النفس ، سَعَةُ الأمل ، وطلب الكثير .

موت ابن الأخصاصي

وفي هذا[1] الحد بلغنا ، أن الشيخ أمين الدين محمد[2] بن الأخصاصي الدمشقي مات بدمشق ، وكان أحد مشائخ المتصوِّفة الآمَّارين بالمعروف ، وكانت لديه فضيلة وله إقْدام وفصاحة ، وحِجَاج لِلْأخصام وخلَّف أخاه شهاب الدِّين أُحمد[3] على طريقه ، لكنه في غاية السخافة في العقل والجهل .

إطلاق ابن القُفّ

وفي هذا الحد رَضِيَ السلطان على ابن القُفّ بواسطة صهره بُرْدُبَك ، وأرسل له خِلعةً ، بأن يكون ناظر جيش صفد على حالِهِ ، وأن لا يؤخذ منه شيء سوى تسفير الخاصكي .

رجب سنة ٨٥٧ هـ عقد المجلس وقصة العبادي

وفي يوم الأربعاء رابع شهر رجب من سنة سبع المذكورة عُقِد مجلس بالقضاة الأربعة عند السلطان في الدَّهِيْشَة ؛ بسبب قضيةٍ لبعض الحلبيين كان حَكَم السِّراج الحمصي الشافعي إذْ كان قاضٍ فيها حكمًا نقض فيه حكم حنبلي كان تقدمه فيها ، فحكم بعض نوَّاب المالكي بالقاهرة بما حكم به ذلك الحنبلي ونَفَّذَ له القضاة ، فقال الحمصي بحضرة السلطان : أَيُنْقَضُ حُكْمي ؟ ! وكان السّراج عمر العبادي طلع مساعدًا للسراج الحمصي ، فتكلَّم قبل أَنْ يتكلم أحدٌ ، فأسكته السلطان ، وقال له : إذا ذهبت إلى دكانك فتكلم . فقال : لَيْس لي دكان . فقال : في بيتك ، وكرَّرَ الأمر بالسكوت ، وأَغلظ له ، واختلف الناس في تأويل قول السلطان [٦٢] :

---

(١) في « الضوء اللامع » (٢٨٩/٩) ، في ١١ جمادى الثانية .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، أمين الدين الدمشقي الشافعي ، ويعرف بابن الأخصاصي ، ولد في ٢٦ جمادى الثانية سنة ٨١٦ هـ ، يقول عنه (السخاوي) : « وتميز في السلوك ، وجلس في زاوية بدمشق لتربية المريدين ، وإغاثة الملهوفين ، وإنزال الواردين ، وصارت له جلالة ، ووجاهة ، وكلمة مقبولة » . « الضوء اللامع » (٢٨٩/٩ رقم ٧٤٧) .

(٣) وُلد في سنة ٨١٨ هـ بدمشق ، وخلف أخاه في مشيخة زاويته بدمشق ، يقول عنه (السخاوي) : « وكان الغالب عليه الخير ، والانجماع ، وسلامة الصدر ، والتواضع ، والتودد ، والرغبة في الصالحين ، وجمعهم على الطعام ، مات في رجب سنة ٨٨٩ هـ بدمشق » . « الضوء اللامع » (١٩٤/٢ رقم ٥٢٨) .

دكانك ، فقائل يقول : ظُنّ أنه نائب ؛ يحكم في دكان ، وقائل يقول : بل يشير بذلك إلى تهتكه بالجلوس مع الأحداث في الدَّكاكين . وقال الحنبلي للحمصي : أنت المتعرِّض لنقض حكم من تقدمك . فقال : لا تَمِل يا عز الدين[1] ، مع الهوى . فقام الحنبلي من المجلس غضبان فَردّه كاتبُ السرّ[2] ، ثم أُخبر السلطانُ ، أن نائب المالكي حكم ونَفَّذ له القضاة ، فأمضى ذلك السلطان ، وتكلموا في قضية أخرى تَتَعَلّق برواية في القدس ، فأخبر قاضي القضاة سعد الدِّين بن الدَّيْرِي الحنفي ، بالحكم فيها ، فقال السلطانُ كلامًا فيه مخالفة له . فقال الدَّيْرِي : إذا كنتم تفعلون مثل هذا فلا تجمعوا القضاة ، ولا تُشَاوِروهم في حكمٍ مِن الأَحكام ؛ فإنَّا متقيِّدون بالشرع ، لا نخرج عنه . فسكت السلطان ، فلما خرجوا شرع الحمصي ، يكلم الحنبلي بإساءة أدب ، ويَلْكِزه بيده فدفعه عنه بعض من يحب الحنبلي ، فرجع الحمصي كاشفًا رأسَه باكِيًا مستغيثًا على القضاة ، مُظهرًا أنّ لحيته نُتِفَت ، وأنّه ضرب ، فرد [السلطان][3] القضاة ، وسألهم عن ذلك ، فقال الحنبلي : والله ما أُمرت بشيء ، ولا رضيت ، ولا رأيت أحدًا فعل به شيئًا ، فرضي السلطان بذلك فانصرفوا .

قصة الأمر بالمعروف

وفي هذا الأوان ورد عليَّ كتابُ الإمام العلّامة الشيخ زين[4] الدِّين خطاب الغَزَاوي (بالمعجمين والتخفيف) العجلوني الشافعي نزيل دمشق ، « أنه كان يَرِد عليهم في كل وقتٍ على زمان الملك الظاهر جَقْمَق الأَمرُ بإزالة

---

(١) راجع « هامش ٢ » من (ص ٣٥٦) .

(٢) هو : محب الدين بن الأشقر . « النجوم الزاهرة » (٦٧/١٦) .

(٣) في الأصل (الإنسان) ، والتصحيح من مفهوم السياق .

(٤) هو : خطاب بن عمر بن مهنًّا بن يوسف بن يحيى الزيني الغَزَاوي – نسبة إلى القبيلة الشهيرة بعجلون ، يزيدون على خمسمائة رجل – العجلوني ، ولد في رجب سنة ٧٨٩ هـ ، كان عالمًا فاضلًا مفتيًا من أعيان الشافعية ، مات في رمضان سنة ٨٧٨ هـ .

له ترجمة في : « عنوان الزمان » (٢٠٤ – ٢٠٥) ، و « الضوء اللامع » (١٨١/٣ رقم ٧٠٩) ، و « نظم العقيان » (١١٠ رقم ٧٦) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٤٨/٢) .

المنكرات ، وتنظيف المملكة من الفواحش والمحرَّمات ، فصارت المناكر لا تظهر ، وإنْ بِيْعِ شيء من المحرمات فهو في غاية الخفا ، ولا يقدر أحدٌ مِمَّـن يجلب الخمر أَنْ ينسب نفسه إلى كَبِير يحتمي به ، فإنْ وقع منه ذلك كان ذلك الكبير من أعظم القائمين عليه ، المبالغين في أذاه ، وإهانته ، فحين مات كان هذا الأمر كأنه نهر مَسْدود فَفُتِحَ ، وتجاهر العصاةُ بمعصيتهم ، والظَّلَمَةُ بظلْمهم ، أظهروا ما كان كامِنًا ، واتَّسع الخَرْقُ ، وعظم الخطب ، وظهر عقب موته من الأمور المنكرة ، والظلم البشع ، ما لا يوصف ، وبلغ النّاس عـن ولـده[1] الـوالي بعـده التّلَطُّـخ بشيء مـن ذلك ، فـازداد جهـل الجاهلين ، فحيـن أزال الله دولـته ، وصار الأمر لهذه الدَّوْلة المباركة ، حصل للناس من السرور ما لا يوصف ، وزَيَّنوا البَلَدَ ، وأظهر الخاصُّ والعَامُّ البِشْر والسرور ؛ لما يعلمونه من أَنَّه نصره الله ممن علا سنّه ، وقدِمت معرفته ، وظهرت كفايته ، وعُلِم دِيْنُه ، وحصل للناس نوع انكفـاف عن المعاصي ، وعـن جلب الخمور ، وشربها ؛ ظنًّا منهم أَنَّ أوامره تبرز بذلك لما ذُكِرَ عَنْهُ ، فلم يَرِدْ شيءٌ ، ولم يبلغ الناس عنه ما يرهبهم ، أو يردعهم ؛ فعادوا إلى ما أحدثوه ، وتظاهروا به ، من الفسوق والظلم والعدوان ، وتزايد هذا حتى يُحْكَى لنا أمور ما سمعنا بمثلها ، مِنْ أَنَّ الخمور في المفترجات[2] تشرب جهارًا من غير تَسَتُّرٍ ، وأَنَّ أحدًا لا يُنكر ذلك ؛ لأنَّ الفقراء الذين ينكرون ، إن لم تُعَضِّدْهم ولاةُ الأمور ، لا يقدرون على زجر العوامّ ، والعوام قد تجرَّأوا عليهم ، وطمعوا فيهم ، فَقَلَّ الآمرون ، وكَثُرَتْ المعاصي ، وفشا الظلم ، وصار النَّاس في حالٍ يُبْكَى منها الدّم ، وكان أتباع الظلمة ، ومن له وجاهة يخفضون[3]

---

(١) يقصد ، الملك المنصور عثمان .

(٢) هكذا وردت في الأصل ، ولعله يقصد المجالس ، لأنه جاء من معاني (الفُرْجَة) الموضع الذي يوسعه القوم في الموقف ، والمجلس ، جمع فُرَج . « محيط المحيط » (٦٨١) .

(٣) يخفضون جانب القضاة ؛ أي يعاملونهم في دعة وسكون ولين . راجع في معاني (خفض) « لسان العرب » (٩/٤ — ٥) .

جانب القضاة ، ولا يُجَاهِرُوْنَهم بِمخَالَفةِ الشريعة المطهَّرَة ، وحين يأتي أحدٌ إلى قاضي ، يحتمي به يترك أو يهمل مدَّة مع أن القضاةِ لا يمنعون المنع الكلي ، بل يسايسون الأمور ويفصِّلونها على وجه لا بأس به ، إلى أنْ وقع بين المالكي وغيره كلامٌ بدارِ العَدْل الشريف ، ذُكر لنا ، أنَّ النائب غضب وأرسل ، فورد مرسومٌ شريفٌ ، قيل إنه قُرِئ على رؤوس الأشهاد بدار العدل ، من مضمونه ، ما معناه : بلغنا أنَّه وقع بين المالكي والدويدار والوالي فعزلناه بسببهما ، فانظر يا أخي ماذا يترتب على هذه الكلمة من [الفساد][1] ! ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، إنّا لله ، وإنّا إليه راجعون ، ما أَظُنُّ أنَّ أَحَدًا كتب مثل هذا المرسوم قط هذا مع جودة كاتب السّرّ فيما يُقال » .

فأجاب كاتبه بما نصة : « ورد مشرف [٦٣] سيدي على العبد بما أنكاه فأبكاه ، ثم شرع العبْدُ يفكر فيما يفعل ، وفي عواقب ذلك ، فجاء القاصد في اليوم الثالث من وصوله ، وطلب الجواب ، وقال : إنّه مسافر ، فأحب العبد إعلام سيدي قبل الكلام فيما أشار به ، بما يظن العبد ، أو يتحقق ، وهو أنَّ كثيرًا من الآمرين ، أو أكثرهم ليس قصده بأمْره إلا أغراض دنيوِيَّة ، فبسبب ذلك يتجاوز الحدود ، فيقع من المفساد أعظم من مفسدة المعصية ، وقد كان ذلك السلطان الذي وصفه سَيدي يفعل ما ذكر سيدي عشقًا منه في وَضْعِ[2] الأكابر ، وتحقيرهم لأغراض فاسدة لا يُشْفِي فيها إلا المُشَافَهة ، فكان إذا تَرَتَّب على الأمر بالمعروف مفسدة لا تَكُفُّه عن إدامة إجراء الصَّغَار[3] على من ذُكر ، مع تجاوز الحدود في معاقبة الآمرين ، كما أحاط علمُ سيدي بذلك غير مَرَّةٍ ، وبأَنَّه عزم على غَزْو أهل دمشق حتى إنّه عرض لهم جيشًا ليجهِّزه إليهم في آخر رمضان

(١) ما بين الحاصرتين غير واضح في الأصل ، والتصحيح من مفهوم السياق .
(٢) وضع : جاء في « محيط المحيط » (٩٧٤) : « وضَع الشيء يَضَعُه وَضْعًا وَمَوْضِعًا وَمَوْضُوْعًا ، حطَّه رأثبته وخلاف رفعه ، وَوَضع عنه حطٌّ من قدره ، وعن غريمه ، نقص مما له عليه شيئًا » .
(٣) الصَّغار : هو الذل والضيم . « محيط المحيط » (٥١٠) .

صَامَهُ ، وما كفّ عنه إلا بلطفٍ مِن اللهِ تعالى ، لكن كانت له أهْوية تقضِي إلى أَنَّ الله يؤيِّدُ بِهَا هذا الدّين على ما أشار إليه الحديث .

وأمّا هذا السلطان عَزَّ نصره وتم على سَنَن[1] التوفيق أمْرُه ، فليس عنده مِنْ تلك الأعراض شيء ، وهو مع ذلك في الثَّبات على كثيرٍ مِنَ الأمور ، والتَّثبت بضد ما كان عليه من قبل ، فإذا وُضِع عنده شخصٌ ، أوْ قَوْمٌ لم يكادوا يرتفعون عنده بعدُ ؛ فأخشى أن يفعل ما أشار به سيدي مما أعلم ، والله الذي لا نرجو سواه ، ولا نعبد إلا إيّاه أنه لا قصد لسيدي به إلا الخير والإصلاح ، والفوز بالفلاح ، فيتجاوز من ذكره العبد كما كان قبل ، فيرد ما يكون كالإذن في مالا ينبغي ، والمنع مما ينبغي ، كقصة المالكي ، فإن سببها تجاوزٌ وَقَعَ مِن المالكي في الكلام ، وعدم مُسايسته على ما بلغني مِنْ وجه صحيح ، فلم يَسَعِ السلطان إلا ما فعل بما لا يخفى عل سيدي أنَّ أوّل الدُّول يحتاج فيها القائم إلى مداراة أَهْل الشَّوْكة[2] ، وتَمْشِية ما كان مِن أغراضهم ، لا يعارض أمره خوفًا مِن أُمُورٍ جرى مثلها في أَوَّل دولة من أشار إليه سيدي ؛ فأدَّت إلى فسادٍ لو بُسِطَ على الزّمانِ كفى عشرين سنة ، وأيْن يقع عَزْلُ سلطانٍ لقاضٍ في أَوَّل دولته ، لأجل أعظم نُوَّاب بلاده ، مما كان يفعله من أشار إليه سيدي من وضع القضاة وأكابر الفقهاء في الزَّنَاجير ، ونقلهم على تلك الحالة إلى البلاد النائية ، في آخر دولته ؛ لأجل أصاغر الأمراء ، آخر ذلك قصة ابن عز الدين قاضي طرابُلُس مع يَشْبُك الصوفي ، فينبغي للإنسان أَنْ يُمَشِّي الأحوالَ ، بحسب الأزمانَ ، فَسَيِّدي أسأل الله تعالى أَنْ يُسَدِّدني وإيّاه بما يحبه ويرضاه يتأمّل ما ذكره العبد ويعرضه على مَنْ يراه ، من ذوي الألباب ، فإن كان صحيحًا فينظر المخلص منه ، وإلا فيذكر للعبد فساده حتى يُسْرِع إلى ما أشار إليه سيدي ، لا أَعْدَمَنِي الله نصحه ، ولا قطع عَنِّي تنبيهه ، وأعاننا على قَطْع

---

(١) سَنَنَ : طريق . « محيط المحيط » (٤٣٤) .

(٢) الشوكة : تطلق على ذوي القدْرَة والسلطة ، فيقال : فلان ذو شوكة ، ويُقال أيضًا للسلطان ذو الشوكة . « محيط المحيط » (٤٨٩) .

هذه الدَّار على طريق الأَبرار ، والعبد شديد الانتظار للجواب ، قوى الالتفات نحوه ، فلا يعوقه سيدي بعد المشاورة والوقوع على الرأي الأَسَدِّ ، إلا مسافة الطريق للسائر الأعْجَل ، بعد تكرير السّلام على سيدي ، وعلى سائر الإخوان » .

ثم رأيت أَنْ أَكْتُبَ قِصةً[1] على وَجْهٍ ظننت أنه لا يُعْقب فسادًا ، يؤدي إلى إذلال أهل الدِّين نصهّا ، بعد البسْملة : « الفقراء [٦٤] إلى الله تعالى ، أهل العلم ، والتصوف بالشام المحروس يبتهلون إلى الله تعالى ، بدوام النَّصْر والتوفيق لهذه الدَّوْلة الشريفة وَيُنْهُون[2] أَنّ لهم عادة ، بأَنْ يَرِد عليهم مرسومٌ شريفٌ في شهر رجب من كل عام يتضمن الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتقوية المقاصِد الشَّرعية وتأْييد الدِّين المحمَّدي ، والتهديد بالسَّطَوات الشريفة لأهل الفساد ، والترهيب الشديد لذوي الْغَي والعناد ، لِتَعْلُو كلمة الحق ، وتَسْفُل كلمة الباطل ، وينتشر الخير ، ويخفى الشر ، فصار بلدهم بذلك طَاهِرًا مِن الفسوق ، ظاهر البركات ، وهم يخشون أَنَّه إنْ أبطأَ عنهم ذلك في هذا العام ؛ يختل الأمرُ ، ويفسد الحالُ ، فَيُحتاج بعد ذلك في الإصلاح إلى تعب كبير ، وسؤالهم مِن الصَّدقات الشريفة مرسوم شريف يُقْرأ على رؤوس الأشهاد ، ويحضره جميع الحكَّام ، من القضاة والأمراءِ ، بالترغيب في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود على الشريف والوضيع ، وإنفاذ أَحكام الله في الدَّنيءِ والرفيع ، والحثّ على ذلك ، والنّدْب إليه ، وتعريفهم أَنَّ المقام

---

(١) قِصَّة : جاء في « لسان العرب » (٣٤٢/٨) « القِصص ، بكسر القاف جمع القصة التي تكتب » .

ويفهم مما جاء في « صبح الأعشى » (٤٨٧/٣ ، ٤٨٨ و ١٥٤/١٣) أنها عبارة عن شكوى ، أو طلب ، أو تظلم يرفعها صاحب الحاجة إلى السلطان ، عن طريق موظف خاص يُسمى (قصة دار) . راجع أيضًا « العصر المماليكي » (٤٤٠) .

(٢) ينهون : جاء في « محيط المحيط » (٩٢١) أنْهَى الرجل الشيء أبلغه ، والأمر إلى الحاكم أعلمه به .

الشريف عَزّ نصرْه ، وتم بالتوفيق أمره له مِن الالتفات إلى ذلك ، والقيام فيه ، والأمر به ما لم يكن لمن تَقَدَّمه من الملوك ، وأنَّه أَعْظَمهم رغبة فيه ، وحبًا له ؛ لما يعلم من تشوف الشارع إليه ، وحَثِّه عليه ، فإنه عماد الدين ، ونظام المسلمين ، وملاذ المُتَّقِين ، وأن يبذل كل من الحكام جهده في ذلك ، ويقصدوا الأماكن المعروفة بالفساد ، فَيُطَهِّروها ، ومن نُبِّه منهم على شيء من ذلك بَذَل جهده في إزالته ، وشَمَّر عن ساعده لتنقيته من غير أنْ يحصل على أحدٍ حَيْف ، ولا ضرر ، ولا مَغْرم ، وأن يجهّز النداء بذلك في الأسواق ، وجميع نواحي البلد ، لاسِيَّما أماكن الفساد ، وأن يُضَمَّنَ المرسومُ الشريفُ جملة مِن الآيات الشريفة والأحاديث النبويّة المرغِّبَة فيه ، المرهبة من تركة ، الرَّادِعة للمفسدين ، المرقّقَة لأهل الدِّيْنِ ، المُبَيِّنِة لما في فعل ذلك مِنْ المصالح ، الموضحة لما في التهاون به مِن المفاسد ، وأَنْ يُكتب بمثل ذلك إلى جميع الآفاق ، ليكون أَدَلّ على حبِّه ، فيكون أضخم لشأنه ، وأجدر بنفاذه ، ليُسَطَّرَ ثوابُ ذلك في الصحائف الشريفة ، ويضج الناس بصالح الأَدْعِيَة ، ويجأروا إليه تعالى بأصواتٍ عالية ، عن قلوبٍ مُخْلِصة ، وأفئدةٍ بالخشوع رقيقة ، وأَعْينٍ بالدموع مُتَرَقْرِقَةٍ ، وتكون قراءة المرسوم الشريف في الجامع الأَعْظَم ، يوم الجمعة المكرّم ؛ لعلّ دعاءهم يصادف ساعة الإجابة ، فيحصل الفوز العظيم ، الموصِلْ إلى جِنان النعيم برضى الرَّبّ الرَّحيم » .

ثم ذَكَرت ذلك لِصِهْر السلطان الأمير بُرْدْبَك الدويدار ، فاستحسن ذلك ، وقال : إن بيعة السلطان بأمير المؤمنين والقضاة ، ومن يحضر من أهل الحل والعقد ، يُصَدَّر فيها بذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتب اسمه على القِصَّة وأعطيتها لكاتب السرّ ، الذي ذكر الشيخ زين الدين خطاب عن جودته ما ذكر ، فقال : إنه لابُدّ من عرضها على السلطان ، ثم ذكر بعد أيّام أنه ذكرها له ، فلم يأذن [٦٥] هذا مع أَنَّ كاتب السرّ هذا يُبْرِز مراسيم لا يُحْصى عددها من غير اطّلاع السلطان عليها ، ولا إشارة أحد من الكبراء ، ولا من الأمراء ، بل ولا ترضيه ولا ترضي الله

ورسوله ، من ذلك أمر القضاء بمدينة الصَّلت من بلاد القُدْس ، فإن بها قاضِيَيْن يَتسَاعيان ، يوَلَّى أحدهما فإذا وصل أتى الآخر ، فإذا بذل لكاتب السِّرّ ما يرضيه ولّاه ، وكتب توقيعه من غير اطلاع السلطان على ذلك ، ثم يذهب فإذا وصل أتى الآخر ، وهما هكذا لا يبقى واحدٌ منهما أكثر من مسافة الطريق ، ومدَّة سَعْي الآخر إلى أن صارا على الأرض البيضاء ، بعد ثروة ظاهرة ، مع أنَّ العادة في ذلك جارية ، أَنْ يكون أمر قضاة الصَّلْت إلى قاضي دمشق .

فمثل هذا لا يحتاج المرسوم به إلى عَرْضه على السلطان ، وإنْ اطّلع عليه ، ومنع منه تَحَيَّلَ في إمضائِهِ ، بضروب الحِيَل إلى أَنْ يَتِمَّ ، ولأبُدّ لأجل حطام من الدُّنيا يسير . وأما مثل هذه القِصَّة التي قبولها دليل الإيمان ، وردّها إمارة الخسران لا يرسم بها ، وإن كانت عليها إشارة صِهْر السلطان ، ومن لا تردّ كلمته عنده ، إلاَّ بعد العَرْض على السلطان ، وإن عُرُضت أُلقيت على وَجْهٍ بشع ، أو برؤوس الأنامل ، وإذا توقّف فيها أَعْرض عنها ، ولم يُراجع في أمرها ، فالله المستعان ، وهو حَسْبُنا ونعم الوكيل .

ثم كَلَّمتُ الأمير بُرِدْبَك الدويدار في القِصَّةِ المذكورة ، فعرضها على السلطان فأَذِن فيها ، فأَعْطاها لكاتب السِّرّ ، وأَمَرَه بالكتابة عليها ، فسألت كاتِبَ السِّرّ ، فقال : كتبت عليها ، وكان إعطائي إيَّاها لكاتب السِّرِّ ، وعليها خط الأمير بُرِدْبَك في أَوَّل شهر رجب ، واستمر إلى عاشر رجب يماطل بها ، وَيَعِد ويُمَنِّي ، ثم كلَّمه الأميرُ ، وكتب ، فسألت من الذي عيَّنها عليه ؟ فقال : نسيته ، وسأسأل عنه ، ثم أرسلت إليه فلم أجده سأَل عنه ، فسأله الرسول : أن يسأل عنه ، فسأَل فلم يوجد عند أَحَدٍ مِنَ المُوَقّعين عِلْمٌ منها فظننت أَنَّه كَذَب ، ثم قال : اكتبوا غيرها ، فكتبت غيرها في التاسع عشر من رجب ، فكتبت عليها ، وكنت سأَلته أَن يعينها على شخص من الموقِّعِين بيته بالقرب من بيتي ، في باب النصر ليُرَاجعني في الأَحاديث التي أُرِيدِ تضمينها القِصَّة ، فعينَها على شخص بيته في قناطر السِّباع عَكَس الله أُموره ، وجعل النَّدَامة مصيره .

وصول جكم

وفي يوم الخميس ثاني عشر الشهر ، وصل الأمير جَكَم[1] خال العزيز ، وكان منفيًا بمكة المشرّفة ، وورد معه ناسٌ من أهلها ، بعد أنّ زاروا النبي صلى الله علم .

أمر المحمل

وكان السلطانُ رَسَم، بإدارة المِحْمَل الحجازي في هذا العام[2] على عادته ، وكان الظّاهر قد أبطله في أوائل دولته ، فكان النّاس مُتَعَطِّشِين إلى رؤيته ، فاحتفلوا له احتفالًا ما أظنهم احتفلوه في سنة قبله وزينت البلد من يوم الجمعة ثالث عشر الشهر زينة عظيمة ولَعِب الرَّمَّاحة[3] ، وهم أربعون ، عند مقام سيدي أبي العباس الحرار بلباس الحرب لهم بخيولهم على عادتهم ، لكنهم احتفلوا به ، فلعبوه بالرِّماح ركابًا على هيئة الحرب ، ثم بالرِّماح وقوفًا على سيوف عرضت على ظهور الخيول ، والخيل سائقة ، وبغير ذلِك من الأنداب[4] الغريبة ، وكان منهم أُناس يُسَمّيهم العامّة عفاريت المِحْمَل ؛ يلبسون جلودًا شعرها إلى خارج ، أو حصرًا ، وعلى رؤوسهم ريش النعام ، ولهم لِحًى مستعارة ، وأسنان كذلك عجيبة المنظر ، وخيولهم لابسة الحُصُرَ على هيئة لباس الحرب ، فكانت أحوالهم مضحكة ، إلا أنهم عبثوا على النّاس ، وكان أكثر عبثهم على الفقهاء والعرب ، فزاد بذلك نكدهم ، ورجعوا من الزُّقَاق[5] الذي يلي باب القرافة[6] من

---

(١) هو : جكم الأشرفي برسباي ، خال الملك العزيز ، نائب صفد ، جَهّزه الملك الظاهر خشقدم عندما تولّى السلطة إلى الوجه القبلي ، فأقام به مدة ، ثم رجع ، وكان عديم الشر ، ملازمًا لداره ، إلى أنْ عينه الظاهر خشقدم لنيابة صفد ، فدام بها إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة ٨٧٥ هـ . راجع ترجمته في : « إنباء الهصر » (٢٣٧) .

(٢) جاء في « حوادث الدهور » (١٨٨) ، « وفي يوم الخميس ثاني عشره [أي رجب] نودي بزينة القاهرة لدوران المحمل ، فزينت القاهرة أحسن زينة » .

(٣) في « بدائع الزهور » (١٢) : « وكان جانِبَك الظريف هو معلم الرمّاحة » .

(٤) الأنداب : جمع نَدَب ، وجاء في « لسان العرب » (٢/٢٥١) ، النَدَب ، السَبَق والخطر ، ويطلق أيضًا على الرَّهْن الذي يُجعل في السباق .

(٥) الزقاق : جاء في « لسان العرب » (٩/١٢) ، الزُّقَاق السِّكة ، يذكَّر ويؤنث ، وقيل : الزقاق الطريق الضيق نافذ أو غير نافذ دون السِّكَّة ، والجمع أزِقّه وزُقَّان .

(٦) راجع « هامش ٣ » من (ص ٣٢٤) .

خارج ، قبل زُقَاق الشافعي ، واستمر بعضهم إلى باب النّصْر ، واستمروا كذلك في جميع النّهَار ، ونام النّاس في الأسواق رجالًا ونساءً ، صغارًا وكبارًا ، وأحْيَوا الليالي باللَّعِبِ والبَسْط ، وكانت في غضون ذلك تبرز عن السلطان نداءات مختلفة فيما يصلح النَّاس ، منها : الإذن لهم في مَنْ آذاهم ، ولو أنه مملوك ، وكان أولًا قد هُدِّدَ الوالي[1] ، إنْ ذهب لأحدٍ شيء ، أو أُوذِي أحدٌ في نفسه ، أَوْ عياله ، فحفظ الله الناس بذلك ، بحيث لم يُؤذ منهم أحدٌ ، ولا ضاع له شيء ، ودعا الناس للسلطانَ غاية الدُّعاء ، وقالوا : إنهم ما شاهدوا في سنة مِن السنين مثل هذا الأَمن في مثل هذا الأمر ، وأطلق الوالي في الرُّمَيْلَة في ليلة الاثنين من النقوط[2] ما لم يسمع بمثله مما هو على أشكالٍ مختلفة ، منه ما هو على هيئة الفيل ، والزّرافة ، والخيل ، والقلاع ، وغير ذلك ، وله آثار مختلفة ، ونودي أن لا يحمل أحدٌ سلاحًا ، ولا يُتَعرض إلى أحد بأذى فاعترض بعض المماليك إلى امرأة ، بأن مَدَّ يَدَه إلى عجيزتها ، فدافعه زوجها ، فلكمه ، فاستؤذن عليه ليلًا ، وأبلغ إلى السلطان ، هو وخصمه ، فَوُضِعِ المملوكُ في زنجير ، وأمر أن تُشقّ به القصبة إلى المَقْشَرَة ، فدعا له النّاسُ دعاءً ما سُمع بمثله وأحبُّوه حُبًّا ما أحبوا ملكًا قبله مثله ، واستمروا في ما هم فيه إلى صبح يوم الاثنين سادس عشر الشّهْر ، وكان العفاريت في غضون هذه الأوقات لا يقرون ، ومع بعضهم مراوح ، فإذا وجَدَوا نِساءً وقفوا عندهن يروِّحون عليهن ، فَيَسلْنهم الذهاب عنهن لئلا يَرَيْنَهم في المنام ليلًا ، وكان بعضهم على جِمال ، ومعهم كلاب ، يُقَبِّلُ أحدُهم كلبه في بعض الأوقات إلى غِيْر ذلك من الأعاجيب المضحكة[3] .

---

(١) وهو : علي بن إسكندر . « النجوم الزاهرة » (٧٦/١٦) .

(٢) النقوط : يفهم مما ورد هنا ، ومما ورد في « محيط المحيط » (٩١٣) ، و « المعجم الوسيط » (٩٤٨/٢) أن المراد بذلك ، هو ما يقدم من هدايا بهذه المناسبة .

(٣) عن دوران المِحْمل في هذه الفترة ، وما صاحبه من احتفالات ، راجع ما جاء في « حوادث الدهور » (١٨٩) ، و « النجوم الزاهرة » (٦٨/١٦) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) =

فحملوا المِحْمل من باب النّصر ، وكسوة الكعبة على العادة ، وركب قُدَّامه القضاة ، وجميعُ المباشرين ، وطوائفُ الفقراء إلى الرُّمَيْلة ، ولعبوا بالرِّماح على عادتهم هناك ، بحضرة السلطان ، وهو في القصر ، ثم ذهبوا إلى مصر القديمة ، ثم رجعوا من مكانهم من الرُّميلة ، ثم سويقة العزِّي إلى باب النصر العصر ، ولم يأت آخرهم إلى قرب المغرب . وكان باش الرَّمّاحة جانِبَك الخَزَنْدَار الثاني ، الشَّهير بالظُّرَيِّف (مُصَغَّرًا مُثْقَلًا) ، وهو أمير المِحْمل .

ولاية ابن الشحنة قضاء حلب

وفي نحو العشرين[١] من هذا الشهر ولَّى[٢] السلطان [٦٦] ولَدَ[٣] المحب بن الشحنة قضاء الحنفية بحلب ، وأمّا والده القاضي محب[٤] الدِّين ، فإنه اقتضى رَأْيُه الإقامة بالقاهرة إلى حين ؛ لِعِلْمه أَن أعداءه ، لا يتركونه إذا رجع إلى بلده من أذاهم ، وحينئذٍ يعسر عليه نقض ما يبرمونه .

= (٤٣/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٢) ، إلّا أنّ ما ذكره البقاعي من وصف لتلك الاحتفالات يبقى أكثر أهمية ، وأدق تفصيلًا .

(١) في « حوادث الدهور » (١٨٩) ، في يوم الخميس تاسع عشره .

(٢) ليست تولية جديدة ، وإنما إذن بالاستمرار على الوظيفة ، فقد أشار (السخاوي) في « الضوء اللامع » (٢٩٥/٩) أن ولد محب الدين بن الشحنة ، استقل بقضاء حلب في عاشر المحرم سنة ٨٥٦ هـ .

(٣) وهو : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود ، أثير الدين بن المحب بن الشحنة الحلبي الحنفي ، ويعرف بابن الشحنة ، ولد في ٢٨ صفر سنة ٨٢٤ هـ بحلب ، ونشأ بها ، واستقل بقضاء حلب في عاشر المحرم سنة ٨٥٦ هـ ، كما استقل بالخطابة في الجامع الكبير ، وباشر نظر جيشها وقلعتها ، وقدم الديار المصرية على أبيه غير مرَّة ، مات في جمادى الأولى سنة ٨٩٨ هـ بحلب .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٩٥/٩ رقم ٧٥٣) .

(٤) خالف البقاعي ما جاء في « حوادث الدهور » (١٨٩) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٤٣/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٢) ، حيث ذُكر أن الذي كُتب له الاستمرار في قضاء حلب هو محب الدين بن الشحنة ، وليس ولده أثير الدين . إلا أن ما ذكره البقاعي ، يتفق مع ما ورد في « الضوء اللامع » (٢٩٥/٩) ، حيث جاء فيه أن أثير الدين استقل بقضاء حلب في عاشر المحرم سنة ٨٥٦ هـ ، وقدم الديار المصرية على أبيه غير مرة ، مما يفيد أن محب الدين آثر الإقامة في القاهرة على العودة إلى حلب .

وسَعَوا في إخراجه غاية السَّعْي ، فلم يجابوا ، فأتوه من باب الخِدَاع ، فاستمالوا الأمير بَرِدْبَك صهر السلطان ، فكان يُلْقي ذلك إليه على طريق الإشارة والنصح ، ولمّا صح عنده حلم السلطان ، وتثبّتهُ ، وسعة صدره ، قال : أنا لا أخرج برضاي ، بل لو رُسِمَ عَلَيَّ ما خرجت إلا إن أُمر بسحبي ، وأمّا بدون ذلك فلا .

عزل ناظر الحرم

وفي هذا الحد كثرت الشكاوي في بَرِدْبَك[1] التَّاجي ، ناظر الحرم المكي ، ومحتسبه وأمير الأتراك ، الذي نُم بأنَّه ألْحد في الحرم أنواعًا من الإلحادات ؛ بالاحتكار وغيره ، فَعُزِل وَوُلِّي شَخْصٌ يُقال له : طُوغان[2] شيخ يتفقه[3] .

قصة ابن تقي الدين

وفي يوم الأربعاء خامس عشري شهر رجب هذا ، شُكِيَ على ولي الدين ابن تقي الدين إلى السلطان ، فطلبه ، فهرب ؛ فغضب السلطان ، وحَثَّ في الطلب ، فأشاع من يبغضه من أقاربه ، وأتباعه ، أنَّ السلطانَ رَسَم به إلى المَقْشَرَة فَكَذَبُوا ، وأَسَاءوا بهذه الإشاعة جدًّا ؛ لأنهم جَرَّأوا بها العامَّة على الفقهاء ، بعد أن كان عِزُّهُم قد عاد بولاية هذا السلطان ؛ وسبب أمر ابن تقي الدين هذا ، أنه كانَ قد ترك طريقة التَزَهُّدِ التي أظهرها ، وشرع يجتمع بمن يبغض قريبه قاضي الشَّافعية ، الْعَلَم البُلْقِيني ، ويتكلم في عِرْضه على ما كان من عادته ، من تجاوز الحدود ، والإفراط

---

(١) هو : بردبك التاجي الأشرفي برسباي الأبرص ، ولي إمرة عشرة ، وكشف التراب بالبهنساوية ، وفي عهد الظاهر جقمق ولي بمكة نظر الحرم ، وشاد العمارة ، ثم عزل ومازال حاله في تقهقهر إلى أن مات في ربيع الأول سنة ٨٨٥ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٦/٣ رقم ٢٣) .

(٢) هو : طوغان شيخ الأشرفي الأحمدي أو المحمدي ، ولي نظر المسجد الحرام ، وإمرة الراكز بمكة ، وكان يتفقه ويزاحم الفقهاء مع بلادة ، وعدم معرفة ، مات في ذي الحجة سنة ٨٨١ هـ بالقاهرة ، وكان في عشر الثمانين .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٠/٤ رقم ٣٧) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٦٨/٢) .

(٣) وكان ذلك في ١٩ رجب ، كما جاء في « حوادث الدهور » (١٨٩) .

في ذَمِّه وَمَدْحه ، وكثر كلام العَلَم أيضًا فيه وسعيه في أذاه ، والمكر ، وكان قبل انقطاعه قد جرت له قَضِيَّةٌ أساء فيها المعاملة مع بعض أَصْهَارِ السلطان ، إذْ كان دويدارًا ، فَلَمّا أمعن في الأذى لِعَمِّه طلع بنفسه ، وتظلم منه للسلطان كثيرًا ، ثم طلعت زوجته[1] ، امرأة ابن مزهر[2] إلى خَوَند[3] ، وكانت صديقة لها ، واستغاثت ، وزادت في الكلام ، والتَّظَلُّم ، وأَنَّ الحلم عنه أوهن كلمة القاضي ، فرفعوا ذلك إلى السلطان ؛ فطلبه السلطان فامتنع من الحضور مع رسل نقيب[4] الجيش ، فقالوا له : هذا أمرُ السلطان . فقال : أنا منقطع إلى الله ، ولا أعرف سلطانًا غَيْره ، وزجر عليهم ، وكانت

---

(١) وهي : خديجة ابنة أمير حاج بن البيسري ، تزوجت بالنجم بن حجي ، وذبح بدمشق عندها ، ثم تزوجها البدر بن مزهر ، واستولدها الزيني أبا بكر ، ولم يلبث أن مات ، فتزوجها سعد الدين إبراهيم بن المرة ، ومات معها ، ثم بعد دهر تزوجها العلم البُلْقِيني ، ومات معها ، وكانت أحد الأسباب في إقامته في المنصب الأيام الإينالية ؛ لمزيد اختصاصها بخوند العظمى ، ثم لم تتزوج بعده إلى أن ماتت بالبطن عصر يوم الخميس ١٦ رمضان سنة ٨٧٨ هـ .

لها ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٥/١٢ رقم ١٤٤) .

(٢) وهو : محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الخالق بن عثمان ، البدر بن البدر الأنصاري الدمشقي ، ثم القاهري الشافعي ، ولد سنة ٧٨٠ هـ بدمشق ، ونشأ بها ، استقر كأبيه في كتابة سر دمشق ، واتصل بخدمة الأمير شيخ المحمودي نائب دمشق ، وقدم معه إلى القاهرة ، وعندما تسلطن شيخ ولاه نظر الإسطبل السلطاني ، وخلع عليه الأشرف بَرْسباي خِلْعه الاستقرار في كتابة السر الشريف بمصر ، واستمر في وظيفته إلى أن مات ليلة الأحد ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٨٣٢ هـ عن نحو خمسين سنة .

له ترجمة في : « النجوم الزاهرة » (١٥٥/١٥) ، و « الضوء اللامع » (٣٩/٩ رقم ١٠٨) .

(٣) وهي : زينب ابنة العلاء علي بن العالم البدر محمد الحنفي ، وتعرف بابنة ابن خاص بك ، وقيل : زينب بنت حسن بن خليل بن خاص بك ، تزوجها إينال الأجرود في إمرته ، في حدود سنة ٨٢٥ هـ ، ولم ينفك عنها ، ولا بعد تملكه حتى مات ، فكانت مِن أَجَلِّ الخوندات ، نافذة الكلمة ، وافرة الحُرْمة ، حتى صارت تدبر أمور المملكة ، مِن ولاية وَعَزْل ، ماتت ليلة الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ٨٨٤ هـ .

لها ترجمة في : « الضوء اللامع » (٤٤/١٢ رقم ٢٦١) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٨٩/٢) .

(٤) وهو : الأمير ناصر الدين محمد بن أبي فرج . « النجوم الزاهرة » (٧٦/١٦) .

عادة المصريين الخوف ممن يتصولح ، فردوا الخبر على السلطان . فقال : أنا أعرفه قبل أن يتزَهَّد ، اسحبوه حافيًا ، فذهبوا إليه في جمع كبير ، ومع نقيب الجيش طواشي فهجموا بيته ، فلم يجدوه ، ثم أُصلحت قضيَّته ، بكاتب السرِّ[1] ، وساعده أمير المؤمنين[2] ، وأصلح كاتب السّر بينه ، وبين القاضي ، ثم أخبرهما ، أنّ السلطان رَسَم بأن يَطْلعا معه فيصطلحا عنده ، فسعى القاضي في أنْ أتاه نقيبٌ مِنْ عند نقيب الجيش يأمره على لسان السلطان أنْ يُلازم بيته ، ولا يركب إلى مكان مِن الأماكن ، ثم سَعَى له كاتبُ السرِّ وأَلَحّ على السلطان ، وقَبَّل رجله ، حتى أُطلق له الركوب .

إطلاق النحاس

وفي هذا الحد ، جاءت كتب النَّحَّاس ، يسأل في الإطلاق ، فَشُفِع فيه ، فرسم السلطان بإطلاقِهِ .

نقل الأمراء المسجونين بإسكندرية

وفي هذا الشّهْر برز المرسومُ الشريفُ ، أن يُتْرَك تَنَم وقانِبَاي الشَّركسي في إسكندرية ، وأن يُذهب بتَمُرْبُغا وجَانَم إلى قلعة الصُّبْيْبَة ، وببقية من في إسكندرية من الأمراء الظاهريّة ، لَاجِين ، وأُزْبُك وجانِبَك قَرَا وغيرهم إلى قلعة صَفَد .

وفاء البحر

وفي يوم الاثنين سلخ شهر رجب سنة ٥٧ هـ[3] ، الموافق لثالث عشر مسري ، نُودي أنّ البحر زاد خمس أَصابع ، فصار على ست عشرة ذراعًا ، وأربعة أصابع ، من السابع عشر ، ونزل المقر[4] الشريف سيدي أَحمد ،

---

(١) وهو : محب الدين بن الأشقر . « النجوم الزاهرة » (٧١/١٦) .
(٢) وهو : القائم بأمر الله حمزة بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان . « النجوم الزاهرة » (١/١٦) .
(٣) أي ٨٥٧ هـ .
(٤) المقر الشريف : المَقَرّ ، من الألقاب التي يختص بها كبار الأمراء ، وأعيان الوزراء ، وكتاب السر ، ومن يجري مجراهم ؛ كناظر الخاص ، وناظر الجيش ، وناظر الدولة ، وكتَّاب الدَّست ومن في معناهم ، وقد يضاف للألقاب الملوكية ، فيقال : المقر الأشرف ، والمقر الشريف العالي ، والمقر الكريم العالي ، والمقر العالي ، والمراد بالمقر الموضع الذي يستقر فيه صاحب ذلك اللقب . راجع « صبح الأعشى » (٤٩٤/٥ - ٤٩٥) (٢٨٥/١٢ وما بعدها) .

ولد المقام الشريف الملك الأشرف إلى المقياس ، ثم رجع في السفن المعدَّة له ففتح السَّدَّ ، وجرت المياه في الخلجان بالقاهرة ، وكان يومًا مشهودًا ، حكى النّاس : أنهم ما شاهدوا مِثْلَه في كثرة النّاس ، وقلة الفساد ، وكان البحر من يوم البشارة به متصل الزِّيَادة ، لم يمضِ عليه يَوْمٌ من غير زيادة ، وأقل زيادته أُصْبع ، وأكثرها عشرون[1] .

قصة عرب البحيرة

وفي هذا الحدِّ[2] ، جاء الخبر أَنّ عرب البحيرة لَبِيد ومن لافهم[3] ، قتلوا قُشْتُم الكاشف ، وكثيرًا مِن جماعته ؛ فرسم السلطان ، أن يخرج إليهم خُشْقَدَم أَمير سلاح ، وقَرْقَماش[4] الجَلَبَ رأس نوبة النّوب ، وبَرْسْبَاي[5] البجاسي ، الذي كان نائب إسكندرية ، وأبو خُرص مِرْزا الدُّوكاري ، وكان من الشجعان المشهورين ، في خمسمائة مملوك من مماليك

---

(١) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٩٠) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٤٣/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣) .

(٢) كان ذلك في يوم الجمعة ٢٦ رجب . راجع : « حوادث الدهور » (١٨٩) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦٧/١٦ – ١٦٨) و « الضوء اللامع » (٢٢٢/٦ رقم ٧٣٨) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٤٣/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٢ – ١٣) .

(٣) لافهم : جاء في « لسان العرب » (٢٣٠/١١) : « اللّفِيفُ ، القوم يجتمعون من قبائل شتى ، ليس أصلهم واحد ، وجاءوا ألفافًا أي لفيفًا ، ويقال : كان بنو فلان لفًّا ، وبنو فلان لقوم آخرين لفًّا ، إذا تحزَّبوا حزبين ، وقولهم : جاءوا ومن لَفَّ لَفَّهم أي من عُدَّ فيهم ، وتأشَّب إليهم » .

(٤) هو : قرقماش الأشرفي برسباي ، ويعرف بالجَلَب ، وكان يعرف بقرقماش بن يشبك خجا الأشرفي ، كان أميرًا جليلًا ولي عدة وظائف منها : أمير عشرة ، ورأس نوبة النوب ، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، مات قتيلًا في معركة وقعت مع سوار بالقرب من حلب ، سنة ٨٧٣ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢١٨/٦ رقم ٧٢٦) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١١٠/٢ – ١١١) .

(٥) هو : بَرْسْباي بن عبد الله البجاسي ، الأمير سيف الدين ، أحد أمراء العشرات في الدولة الظاهرية جقمق ، ثم نائب الإسكندرية ، ثم حاجبًا لحجَّاب بالديار المصرية ، وهو مِن عتقاء الأمير تَنِبك البجاسي نائب دمشق ، مات يوم الاثنين ١٨ صفر سنة ٨٧١ هـ ، وقد زاد على الستين .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٢٧٩/٣ رقم ٦٥٤) ، و « الدليل الشافي » (١٨٧/١ رقم ٦٥٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٥٢/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٧/٣ رقم ٣٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦٩) .

شعبان سنة ٨٥٧ هـ

السلطان ، وكان في البحيرة طُوخ[1] أمير مجلس في ثلاثمائة مملوك ، وخرجوا يوم الخميس ثالث شعبان ، فكان العسكر بمماليك الأمراء زيادة على ألف ، فهرب العرب منهم ، فرجعوا قريبًا في العشر الأخير من هذا الشّهْر[2] .

دخول يونس على بنت السلطان

وفي ليلة الجمعة عاشر الشّهْر زُفَّت بنت الملك الأشرف إيْنال ، إلى الأمير يونُس الدويدار الكبير ، في البيت الذي كان السلطان ساكِنًا به ، عند الكَبْش[3] ، بجهاز ما سُمع بمثله منذ دَهرٍ طويل ، فلم يَفْتَضّها في تلك الليلة[4] .

---

(١) هو : الأمير سيف الدين طُوخ بن عبد الله من تِمْراز الناصري ، أمير مجلس ، كان من مماليك الناصر فرج ، ولي أتابكية حماة ، ثم صار من العشرات ، ثم من رؤوس النوب ، ثم أمير طبلخاناة ، ثم رأس نوبة ثاني ، كان يعرف (بُيْني بَازق) أي غليظ الرقبة بالتركية ، مات ليلة الثلاثاء ٧ ربيع الآخر سنة ٨٦٢ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (١/٣٧١ رقم ١٢٧٥) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٩١ – ١٩٢) ، و « الضوء اللامع » (٤/٩ رقم ٢٩) ، وقد جاء فيه أنه مات سنة ٨٧٢ هـ ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٦٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٥٣) .

(٢) بالرجوع إلى « حوادث الدهور » (١٨٩ – ١٩٠ ، ١٩١) نجد مزيدًا من التفصيل حول هذه الحادثة ، منها : أن الحادثة وقعت بالقرب مِن تروجة ، وقد حسَّن له جماعة من عرب الطاعة التوجه إليهم وردعهم ، وكانوا في آلاف مِن العربان ، بينما لم يكن مع قشتم غير (البلاصيّة) فانكسر وقتل هو وجماعته وجماعة من العربان ، ولم ينج منهم إلّا القليل ، وكان طوخ أمير مجلس بمن معه مِن المماليك قد رفض مشاركته في قتالهم محتجًّا بعدم صدور مرسوم سلطاني بذلك .

وفي يوم الثلاثاء أول شعبان عين السلطان تجريدة ؛ نجدة لطوخ في البحيرة لقتال لبيد ، وهم خمسمائة مملوك من مماليك السلطان ، وجماعة مِن الألوف على رأسهم خشقدم المؤيدي ، وقرقماش الأشرفي ، وبرسباي البجاسي ، إضافة إلى جماعة من الطبلخاناة ، والعشرات وسافر الجميع مِن الغد في يوم الأربعاء .

(٣) راجع « هامش ٢ » من (ص ٣١) .

(٤) للمزيد من التفصيلات راجع : « حوادث الدهور » (١٩١) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٤٣) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣) .

وفي يوم الجمعة ثامن عشره ، الموافق لأوّل أيَّام النسيم كان البحر على اثنتين وعشرين إصبعًا من ثماني عشر ذِراعًا .

موت الجريمي

[٦٧] وفي يوم السبت تاسع عشر الشهر ، أو الأحد العشرين منه تُوفي شخص من التجار ، يقال له الجَريمي عن أخت واحدة ، فضبطوا موجوده ، فوجدوا فيه أربعة عشر ألف دينار نقدًا ، سِوى العروض[1] والوثائق ، فطلعوا إلى السلطان بالنّقد ، فامتنع من قبض شيءٍ منه إلا بعد إقْباض الأُخت حصتّها تامَّةً ، ومع ذلك ، بلغني أن وسائط السوء لم يعطوها شيئًا ، فلا قُوَّةَ إلا بالله .

قصة بن خيرة

وفي هذا الحدّ ، تَدَاع عَلِي[2] بنِ امرأة الفَيْسي ، ويوسف شاه ، الذي كان معلِّم البنَّائين ، عند القاضي شمس الدين بن خَيْرة الأُسيوطي ، أحد النُّوَّاب الشَّافعي دَعْوى آل أمْرُها إلى تَمُرْبُغا الدويدار ، وتبيَّن أنَّها رشوة ، كانوا جعلوها له في أمْرٍ فعله لهم على وَجْه ظَنَّ أنَّه يُخْفِي معه أنَّها رشوة ، فاستقبَح السلطان ذلك ، ورسم بنفي القاضي ، والمُتداعين ، ثم شفع فيهم تِمْرَاز الدّويدار الثاني ، وكان ابن خَيْرة ينتمي إليه ، ويجلس عنده كلَّ يوم ، وكذا عند الدويدار الكبير ، وكان جارهما في الصليبية ، فأُجيب ، ثم أعادوا

---

(١) العروض : جاء في « لسان العرب » (٣١/٩) : « العَرْض ما خالف الثَّمَنَين ، الدَّراهم والدنانير ، مِن متاع الدنيا وأثاثها ، وجمعه عروض، فكل عَرْض داخل في العَرَض (متاع الدنيا وحطامها) ، وليس كل عَرَض عَرْضا ، والعَرْض خلاف النقد من المال ، وقيل :العَرْض المتاع ، وكل شيء فهو عَرْض سوى الدراهم والدنانير فإنهما عين ، وقيل : العُرُض ، الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن ، ولا يكون حيوانًا ولا عقارًا » .

(٢) هو : علي بن إسكندر ، أو علي بن إسكنور بن تمارتمر ، ويعرف بابن الفيسي ؛ لكون والده كان ابن أخت زوجة كمشبغا الفيسي . وصفه (ابن تغري بردي) في « حوادث الدهور » (٧٦) بقوله : « علي بن إسكندر ربيب بن الفيسي » ، وفي (ص ٩٢) قال عنه : « علي بن إسكندر الفيسي » ، وفي (ص ١٩٦) قال عنه : « علي بن إسكندر بن بنت الفيسي » ، وفي (ص ٢٤٦) قال عنه : « علي بن إسكندر المعروف بابن الفيسي ؛ لكون والده كان ابن أخت زوجة كمشبغا الفيسي » . راجع ترجمته أيضًا في « الضوء اللامع » (١٩٢/٥ رقم ٦٥٦) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١١٢/٢) .

الدَّعْوى إلى أن وصلت بالسلطان ، فعزل ابن خَيْرة ، فشفع فيه تِمْرَاز ، فلم يُجَب ، ورسم بنفي المتداعين فَشُفِع فيهما ، فتُرِكا .

قصة الدويدار في حل ربطه

وفي هذا الحد ، شكى يُونُسُ الدويدار الكبير إلى الشيخ علاء الدِّين علي بن الجمَّيزي الغزي إمام السلطان ، أنه مسحور عن بنت السلطان السِّحْر الذي يُسَمَّى الرَّبط ، فأخبرني الشيخ علاء الدين ، أنَّ شكواه إليه كانت الظهر ، فجاءه في عصر ذلك اليوم شخص ، فقال له : بلغني أن الدويدار مربوط عن بنت السلطان ، وعندي طبّه ، وقصدي أن توصلني إليه ، قال : فقلت له : إنّ هذا ملك ، فإيَّاك أَنْ تكذب عنده ، فقال : إنْ لم يفده فِعْلِي ؛ فليقطع يدي . قال : فأحضرته له ، فكلمه في ذلك ، واشترط له قطع يده إن لم ينفعه فعْله ، وشَرَط أَنْ يسمع له فيما يريد ، ولا يستحي منه . فقال له : وما تريد ؟ فقال : أُكتب على ذكرك وأُنثييك . فأجابه إلى ذلك ، فافتَضَّها ليلة الثلاثاء ثاني عشري شعبان المذكور .

زواج ابن السلطان

وفي هذا الحد ، تزوّج سيدي أحمد ، ولد المقام الشريف بنت ذي الغادر[1] التركمانِيَّة ، التي كانت زوج الظاهر جَقْمَق ، ومات عنها بِكْرًا فيما يُقال[2] .

---

(١) في « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٦٤) ، و « الضوء اللامع » (١٣٠) (دُلْغادِر) .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٤٩) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥/٤٦٤ ، ٥٤٢) ، و « التبر المسبوك » (٢٩٣ - ٢٩٤) ، و « الضوء اللامع » (١٢/١٣٠ رقم ٧٩٩) ، أن نفيسة بنت ذلغادر ماتت بالطاعون يوم الثلاثاء ١١ صفر سنة ٨٥٣ هـ وقيل سنة ٨٥٢ هـ ، وكانت قد تزوجها الأتابك جانِبَك الصوفي ، عندما قَدِم على أبيها ببلاده ، ووافقه أبوها على مخالفة الأشرف بَرْسْباي ، واستولدها بنتا ، ثم فارقها ، وطلبها السلطان الظاهر جقمق ، فقدم بها أبوها عليه بعد سنة ٨٤٣ هـ ، ومعها بنتها من جانبك ، فتزوجها السلطان ، واستمرت عنده ، حتى ماتت وهي في عصمته بالطاعون كما تقدم .

بل إن البقاعي نفسه أشار في صفحة (٣٥٢) إلى أن المقام الشهابي أحمد ولد المقام الشريف عقد على بنت الأمير دولات باي المؤيدي وذلك يوم الجمعة ٢٤ ربيع الآخر سنة ٨٥٧ هـ . راجع : « حوادث الدهور » (١٨٢) .

رجوع قراجا

وفي هذا الحد ، رجع الأمير قَرَاجَا كاشف البهنسا إلى القاهرة ؛ خوفا من العَرَب ، لكثرتهم ، وقِلَّة مَنْ مَعَه ، فعذره السلطان .

أول السنة القبطية

وفي يوم الأربعاء ثالث عشري شعبان كان مستهل توت أوّل شهور السَّنَة القِبْطِيَّة ، ونودي فيه أنّ البحر زاد خمس أُصابع ، فصار على ثماني أُصابع من تسع عشرة ذراعًا .

شكوى ابن الرسام بنت العلم

وفي هذا اليوم ، رجع القاضي علم الدِّين صالح البُلْقِينِي ، من المناوات[1] ، وكان سافر إليها يوم السبت تاسع عشر الشهر ، ليؤجّر أرضها لفلّاحيها ، فشكى ابن الرَّسام[2] الذي كان ناظر جيش حلب إلى السلطان ، على مطلقته بنت[3] قاضي القضاة علم الدين ، أنَّها تخرج من بيتها وهي في عدّته كل ليلة إلى بركة[4] الرطلي ، فتنام بها ، وتأتي صباحًا ، وقُبض عليها في الطريق ، وسأل السلطانَ ، أَنْ يأمرها بلزوم بيتها إلى انقضاء عدتها ، وأَنْ يأخذ ولده منها ، ففعل ، أرسل إليها طواشيًا ، فأخذ ابنه منها ، وأمرها بملازمة البيت .

---

(١) المناوات : يبدو أنها بلد تقع في الجيزة . « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٣/١١٢ ، ١١٤) .

(٢) هو : عبد القادر بن الشهاب أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي الزين الحموي الحلبي ، يعرف بابن الرسام ، ممن ولي كتابة السر بحلب ، ونظر جيشها وجواليها ، مات بحماه سنة بضع وستين وثمانمائة . « الضوء اللامع » (٤/٢٦٢ رقم ٦٨٤) .

(٣) وهي : ألف ابنة القاضي علم الدين صالح بن عمر بن رسلان البُلْقيني ، تزوجها عبد القادر ابن الأحمدي ، ثم عبد القادر بن الرسام الحموي ، واستولدها تقي الدين عبد الكافي ، ثم تزوجها أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف ، واستولدها ابنه ثم فارقها ، وتزوجت ابن عمها البدر أبي السعادات ، بعد موت زوجته أختها .

ترجم لها (السخاوي) في « الضوء اللامع » (١٢/٧ رقم ٣٩) إلا أنه لم يذكر تاريخ وفاتها .

(٤) بركة الرطلي : تقع في الجهة البحرية من مدينة مصر ، غربي جامع الظاهر ، وكانت من جملة أرض الطبالة ، وعرفت ببركة الطوّابين ؛ لأنه كان يعمل فيها الطوب ، كما عرفت ببركة الحاجب ؛ لأنها كانت بيد (بكتمر الحاجب) ، وكان في شرقي البركة زاوية فيها نخل وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد ، التي تزن بها الباعة ، فسميت ببركة الرطلي ، وقد كانت كبيرة ، إذ يصل طولها نحو ثلاثمائة وخمسين مترًا ، وعرضها مائة متر تقريبًا ، أي ما يقارب من تسعة فدادين مصرية . « خطط المقريزي » (٢/١٦٢) ، و « الخطط التوفيقية » (٣/٧٢ - ٧٣) .

وفي يوم السبت سادس عشريه ، وصل الأمراء الذين كانوا توجّهوا لعرب البُحَيْرة[١] ، ووصل ناس من حجّاج [٦٨] الغرب[٢] ، فأخبروا عن العَرَبِ ، أنَّهم قالوا : لم يكن لنا غَرَض سوى الامتيار[٣] من الطّعام ، فأتانا قُشْتُم يحاربنا ، فأخبرناه بقصدنا ، فلم يرجع فتمادينا قُدَّامه ، ونحن نناشده بالله ثلاث مَرات ، فلم يرجِع فقاتلنا فظفرنا الله به .

وفي هذا الحد ، وصل كتاب من الغرب فيه أنَّ أبا عبد الله التركي وصل إلى تونس في الحديد ، في شهر ربيع الآخر ، وكان وصل إلى طرابُلس بعد عشرين يومًا من سفره من إسكندرية ، وإنما تأخّر لقطع الطُّرق من أحلاف العرب ، فلما وصل كان السلطان غائبًا ، فأودع السجنَ إلى أن حَضَر ، فعُقِد له مجلس بقاضي الجماعة ، أبو العباس أحمد القَلْشاني[٤] ، وعلماء البلد ، وادُّعي عليه ، بأنَّه نفى الشريف الهندي[٥] ، نقيب الأشراف عن نسبه ، ورام إفساد زوجته ، ونسب رضوان خازن الجنان عليه السّلام إلى ما لا يليق به بمقتضى ورقة وُجدت بخطّه ، فأجاب بالإنكار ، فأُجيب بأنَّه

---

(١) في « حوادث الدهور » (١٩٢) : « وفي الخميس سابع عشريه ، رسم السلطان بمجيء الأمراء الذين بالبحيرة بمن معهم من العساكر السلطانية ، فامتثلوا ذلك ، وحضروا في يوم الأحد سابع عشريه ، فخلع السلطان على أمراء الألوف كل واحد فوقانيًا بطرززركش .

(٢) يقصد بذلك حجاج البلاد الواقعة غرب مصر .

(٣) الامتيار : جاء في « لسان العرب » (٣٩/٧) : « المِيَرةُ الطعامُ يَمْتارُه الإنسان ، والمِيَرةُ جَلَب الطعام للبيع ، وقيل : المِيَرة الطعام ونحوه مما يجلب للبيع ، لا يؤخذ منها زكاة ؛ لأنها عَوامِل ، ويقال : مارَهم يَميرهم ، إذا أعطاهم الميرة » .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس القَلْشاني - نسبة لقرية من نواحي تونس - المغربي المالكي ، ولي قضاء الجماعة بتونس ، والإمامة بجامع الزيتونة والفتيا ، حتى مات سنة ٨٦٣ هـ ، وقد جاوز الستين من عمره .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (١٣٧/٢ رقم ٣٩٠) .

(٥) في « الضوء اللامع » (١٣٨/٣ رقم ٥٤٧) جاء أن نقابة الأشراف في هذه الفترة كانت بيد (حسين بن أبي بكر بن حسن البدر الحسيني القاهري) أحد فضلاء الحنفية ، ويقال له : ابن الفراء ، ويلقب بالشاطر ، استقر في نقابة الأشراف في جمادى الآخرة سنة ٨٤٤ هـ ، إلى أن مات في شوال سنة ٨٨٥ هـ .

ثبت عند قاضي الجماعة محمد بن عقاب أَنَّ هذا خطّهُ ، فأجاب بأنَّه ادُّعي عليه بذلك في مصر عند قاضٍ حنفي ، وأَنَّه حَكَم بحقن دمه وإلغاءِ العمل على الخط ، فطلب منه إيصال ذلك لقاضي الجماعة ، فشهد محمد بن أبي زيد بذلك ، فأودِع السجن إلى أن يُرْسَل إلى مصر ، ويحضر آخر يشهد على الحنفي بذلك ، ثم شهد له آخر فأُطلق .

وفي هذا الحد ، طلب مِنّي بعضُ الأصحاب ، أن أكتب إلى الشيخ الإمام العلّامة ، أحمد الكَوْراني الشافعي ، ثم الحنفي نزيل مصر ، ثم الروم ، شيخ الملك الظاهر جَقْمَق ، ملك مصر ، ونديمه ، ثم شيخ السلطان محمد بن عثمان ، ملك بلاد الرُّوم ، ونديمه ، وقاضي عسكره ، وكان يشهر في مصر بشهاب الدِّين ، ثم شهر في بلاد الروم بِشَمْس الدين ؛ لِأَنَّ لقب هذا الاسم في كل من القطرين ذلك في حاجة لذلك الصّديق ، فكتبت بعد البَسْمَلَةِ : « من فلان إلى فلان دامت علاه ، وكُبِتَتْ أعداه ، سلام عليك ورحمة الله وبركاته :

سلامٌ كَنَشرِ الرَّوْضِ هَبّت به الصَّبا ... فَعَبَّق في الآفاق رِيُّ أزاهِرِهْ
على عالِمِ الأَقْطَارِ شَرْقًا ومغرِبا ... ومن تخضع النظّارُ عند أوامِرِهْ
فلا أحدٌ إلا ويثني عليكـمُ ... وأقوالُهُ فيكم بِوَفْقِ ضمائِرِهْ

أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأُصَلّي ، وأُسلِّمُ على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد : فإنّ البُعد ما غيَّر الهوى أيا من تَغَشَّ حُبُّه حَبَّة القلب بل الشوق إلى منظر سيدي السعيد ، يعظم في كل يوم ويزيد ، وبث أوصافه الحسان لا يزال رَطِبًا به اللسان ، وبُعْد تلك الأوقات السّالِفَة قد ترك الأحشاء يا سيدي ، تالِفة . والتّفكّر في طِيب تلك الليالي والأَيام الخوالي إلا عن منادمة أَصفى من الزّلال ، وأَرَقّ من رقيق السِّلْسال ، قد أَحال الحال ، وأَثار البلبال ، وأَذهل البال ، وانحلّ الجسد البال ، فيالله ما أحلى تلك الدّهور التي مَرَّت ، وسارت مسارعة ، ولكن بعد ما سرّتْ .

لقد أفنيتُ بَعْدَك دَمْعَ عيني ... وقد سَطّرت كتبك بـالسَّوَادِ
وقـمتُ مناديًا في كل نـادٍ ... باسمكـمُ وإن بَعُدت بـلادي

والله ما نسَّمت ريحٌ ولا ركدتْ   إلا وذكرك في سِرِّي وإعلاني
ولابدت ساعة في الدَّهر أو سلفت   إلا وشخصك ثاوٍ بين أجفاني
أفكِّرُ في بُعْدي فتجري مدامعي   وتسعر نيرانٌ حَوَتها الأَضالِـعُ
[٦٩] فلولا دموعي أحرقتني زفرتي   ولولا زَفِيْري أغرقتنـي المدامـع

هذا ، وقد كان العبد أُرسل إلى سيدي كتابًا ملأه خطابًا لذيذًا صوابًا ، فما أَعاد سيدي له جوابًا ، وأخبر العبد فيه بكوائن المفسدين ، السفْطي ، والكاتب ، وابن عبيد[1] الله ، وغيرهم .

وقد تجدد أن مات (فإنا لله وإنا إليه راجعون) شيخنا شيخ الإسلام ، أبو الفضل بن حَجَر في أواخر ذي الحجّة سنة اثنين وخمسين[2] ، ولم ير النّاس مثل جنازته ، لا للسّراج البُلْقيني ، ولا غيره ، كما أخبرنا من حضر ذلك ، وفي صفر سنة ثلاث[3] ، الشيخ علاء[4] الدين الكِرْماني شيخ خانقاه سعيد السعداء ، وأخذ عنه الشَّيخ شمس الدين بن حَسَّان ، وتَمُرْباي[5] رأس نَوْبة النُّوب ، وأُخذ عنه أسِنْبُغا الطّياري ، وقاضي

---

(١) هو : محمد بن عبيد الله بن عوض بن محمد البدر بن الجلال بن التاج الأُردبيلي الشرواني القاهري الحنفي ، ويعرف بابن عبيد الله ، ولد في منتصف صفر سنة ٧٩٤ هـ بالقرب من جامع الأزهر ، درَّس بأم السلطان ، والأبوبكرية ، والأيتمشية ، والمحمودية ، وبجامع الأزهر ، وتولّى مشيخة التصوف بالرسلانية ، وناب في القضاء عن التفهني ، وامتحن في أيام الظاهر جقمق بدعوى رتَّبها الشهاب المدني وأدخله حبس أولي الجرائم ، مات يوم الجمعة ٢٤ شعبان سنة ٨٧٥ هـ . « الضوء اللامع » (١٠/١٣٨ رقم ٥٦٠) .

(٢) يقصد ، سنة ٨٥٢ هـ .

(٣) يقصد ، سنة ٨٥٣ هـ .

(٤) هو : علاء الدين علي الكِرْماني الشافعي ، شيخ خانقاه ، سعيد السعداء ، وكانت وفاته يوم الخميس ثاني صفر بالطاعون .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٤٢) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥/٥٣٥) ، و « التبر المسبوك » (٢٨٣) .

(٥) هو : تَمُرْبَاي بن عبد الله السيفي المشطوب ، الأمير سيف الدين رأس نوبة النوب ، وقيل : تَمُرْباي بن عبد الله ، التَمُرْبُغاوِي ، الدوادار الثاني للأشرف بَرْسْباي ، ثم رأس نوبة النُّوب في الدولة الظاهرية جقمق ، مات بالطاعون يوم الأربعاء ٢٩ صفر سنة ٨٥٣ هـ ، وهو في عشر الستين من عمره . =

المالكية البدر[1] بن التّنسي ، وولي عنه الولي السنباطي ، وولي الدين محمد[2] بن قاسم نديم الأشرف ، ثم الظاهر ، وتِمْرَاز[3] النّيْروزي أمير

= له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٩١/٤ رقم ٧٨٠) ، و « الدليل الشافي » (٢٢٢/١ رقم ٧٧٨) ، و « حوادث الدهور » (٤٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٤٣/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٢٧٩) ، و « الضوء اللامع » (٣٩/٣ رقم ١٦٢) .

(١) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله قاضي القضاة بدر الدين بن قاضي القضاة ناصر الدين ، المعروف بالتَّنّسي الإسكندرية ، ثم المصري المالكي قاضي قضاة مصر ، ولد بعد سنة ٧٨٠ هـ تقريبًا بالإسكندرية ، استقل بوظيفة القضاء بعد موت قاضي القضاة شمس الدين البُساطِيّ سنة ٨٤٢ هـ ، فحمدت سيرته ، مات بالطاعون آخر يوم الأحد ١٢ صفر ، وقيل يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ٨٥٣ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٥٩٨/٢ رقم ٢٠٥٣) ، و « حوادث الدهور » (٤٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٣٧/١٥ - ٥٤٠) ، و « التبر المسبوك » (٢٨٤) ، و « الضوء اللامع » (٩٠/٧ رقم ١٨٤) ، و « الذيل على رفع الإصر » (٢٣٩ - ٢٤٥) ، و « نظم العقيان » (١٣٧ رقم ١٣٢) .

(٢) هو : محمد بن قاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر ، القاضي ، ولي الدين أبو اليمن بن التقي بن الجمال الشيشيني الأصل ، المَحَلِّي الشافعي ، المعروف بابن قاسم ، نديم الأشرف بَرْسْباي ، ثم الظاهري جقمق ، وناظر الحرمين الشريفين ، مات بالطاعون يوم الجمعة ١٧ صفر سنة ٨٥٣ هـ .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٦٧٤/٢ رقم ٢٣١٥) ، و « حوادث الدهور » (٤٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٤١/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٢٨٩ - ٢٩٠) ، و « الضوء اللامع » (٢٨١/٨ رقم ٧٧٧) .

(٣) هو : تِمْراز بن عبد الله القَرْمَشِيّ الظاهري بَرْقُوق ، أمير سلاح الملك الظاهر جقمق ، وقد تقلب في عدة وظائف منها : رأس نوبة النوب ، وأمير آخور ، مات بالطاعون في يوم الجمعة ١٠ صفر سنة ٨٥٣ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (١٤٨/٤ رقم ٧٩٢) ، و « الدليل الشافي » (٢٢٥/١ رقم ٧٩٠) ، و « حوادث الدهور » (٤٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٣٦/١٥ - ٥٣٧) ، و « التبر المسبوك » (٢٧٩) ، و « الضوء اللامع » (٣٨/٣ رقم ١٥٣) .

ويبدو أن البِقاعي وَهِم عندما لقبه بالنَّيروزي ، فكل المصادر السابقة لم تشر إلى هذا اللقب ، وربما خلط البقاعي بين تمراز بن عبد الله القَرْمَشي ، وتمراز بن عبد الله النيروزي المتوفى سنة ٨٤٨ هـ . عن النيروزي راجع : « المنهل الصافي » (١٥٠/٣ رقم ٧٩٣) ، و « الدليل الشافي » (٢٢٦/١ رقم ٧٩١) ، و « الضوء اللامع » (٣٨/٣ رقم ١٥٧) .

سلاح ، وأخذ عنه شَرِبَاش[1] خاشوق أمير مجلس ، وأخذ عنه تَنَم المحتسب وقَرَاقَجَا[2] الحسني أمير آخور ، وولي عنه قانِبَاي الشَّرْكَسي ، وأخذ عنه الدويدارية الكبرى دُولات باي ، الدويدار الثاني ، وأخذ عنه الدّويدارية الثانية تَمُرْبُغا مملوك الظَّاهِرْ ، وفي ربيع الأوّل منها ، أحمد[3] بن مزهر ، وعُزل[4] العلم البُلْقيني عن قضاء الشافِعِيَّةِ ، وأمر بنفيه إلى

---

(١) هو : شَرَبَاش أو (جَرِبَاش) بن عبد الله بن عبد الكريم الكريمي الظاهري سيف الدّين ، المعروف بقاشق ، أمير سلاح الظاهر جقمق وحموه ، تولى عدة مناصب ؛ إذ كان خاصكيًا ، ثم سلحدارًا ، ثم أمير عشرة ، ورأس نوبة وأمير مجلس ، ونائبًا لطرابلس ، مات بطالًا بداره بسويقة الصاحب داخل القاهرة ليلة السبت ١٣ محرم سنة ٨٦١ هـ .

له ترجمة في : « المنهل الصافي » (٢٥٦/٤ رقم ٨٣٨) ، و « الدليل الشافي » (٢٤٣/١ رقم ٨٣٦) ، و « النجوم الزاهرة » (١٨٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٦٦/٣ رقم ٢٧٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٤٢) .

(٢) هو : قراقجا الحسني الظاهري برقوق . ويقال له أيضًا (قراجا) و (قَرَاخُجا) ، كان من جملة الطبلخانات ، وثاني رؤوس النُّوب ، ورأس نَوْبة النُّوب ، وأمير آخور ، مات يوم السبت ١٨ صفر سنة ٨٥٣ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٤٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٥٤١/١٥) ، و « التبر المسبوك » (٢٨٣) ، و « الضوء اللامع » (٢١٦/٦) .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الخالق بن عثمان ، الشهاب بن البدر الأنصاري الدمشقي الأصل ، القاهري المولد والدار الشافعي ، ويعرف بابن مزهر ، ولد في سنة ٨٢٠ هـ أو التي قبلها ، فحفظ القرآن ، وحج وجاور ، ولم يوافق في الدخول فيما عرض عليه من الوظائف اللائقة ، مات بالطاعون يوم الاثنين ١٢ ، وقيل يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الأول سنة ٨٥٣ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٤٥) ، و « التبر المسبوك » (٢٧٧) ، و « الضوء اللامع » (١٧١/٢ رقم ٤٨٦) .

(٤) جاء في « حوادث الدهور » (٤٩) : « في يوم السبت ١٠ رجب أمر السلطان بنفي القاضي علم الدين البُلْقِيني إلى القدس ، فتكلم فيه بعض أعيان الدولة ، فرسم بإقامته ببيته بطَّالًا ، ثم بعد ذلك أمر بالتّرسيم عليه ونفيه إلى طرسوس ، فشفع فيه ، فرُسم بتوجهه إلى القدس » .

كما جاء في « النجوم الزاهرة » (٣٩٧/١٥) : « في يوم الاثنين ١٢ شهر رجب خلع السلطان على الشيخ يحيى المناوي باستقراره قاضي قضاة الشافعية ، بعد عزل قاضي القضاة علم الدين البلقيني » .

سيس[1] في شهر رجب منها ، وولي عنه الشَّرَف يحيى المناوي ، في شهر[2] رمضان منها ، مات شمس الدين الحموي ، موقّع كاتب السّرّ ، ناظِرًا بالقدس والخليل ، وفي ذي القعدة سيدي يحيى[3] بن العطار .

وفي جمادى[4] الأولى من سنة أربع وخمسين ، سجن البدر بن عبيد الله في المقْشَرَة ؛ لحكم نسب فيه إلى الجور ، فاستَمَرّ نحو شهر ، وخرج ، وقد هَرِم ، فهو الآن يمشي على عصًا . وفي هذه السنة ، حصل القَحْطُ في بلاد مصر ؛ لاختلال البحر عن عادته ، بل لم يبلغ ستة عشر ذِراعًا ، وتبعها جميع المملكة لِقِلَّةِ المطر بها ، فوصل إرْدَبُّ القمح إلى ستةِ دنانِير ، وبقية الحبوب إلى نحو ذلك ، والرِّطْل مِن اللحم إلى ثلاثين درهمًا وحِمْل التِّبنِ إلى خمسمائة درهم ، وتقاتل النّاس في وقت على الخبز بالسّلاح ،

---

(١) سيس : ويُقال لها : سِيسيّة ، بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زَرْبة . « معجم البلدان » (٢٩٧/٣ – ٢٩٨) .

(٢) جاء في « حوادث الدهور » (٥٣) : « وفي يوم الثلاثاء سابع عشره ورد الخبر بموت شمس الدين الحموي ناظر القدس » .

(٣) هو : يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر ، الشرف التنوخي الحموي الأصل الكركي المولد ، الشهير بابن العطار ، ولد في ١٦ رمضان سنة ٧٨٩ هـ ، وكان أحد شعراء العصر ، ورؤساء الزمان ، انضم لبني البارزي لصهارةٍ كانت بينهم ، فعرف بين الناس بسفارتهم ، مات في آخر يوم الخميس ١٦ ذي الحجة سنة ٨٥٣ هـ عن أزيد من ٦٤ سنة .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٧٧٤/٢ رقم ٢٦٢٠) ، و « حوادث الدهور » (٥٥) وجاء فيه أنه مات في ١٦ ذي القعدة سنة ٨٥٣ هـ ، وكذلك في « النجوم الزاهرة » (٥٤٤/١٥ – ٥٤٦) .

وله ترجمة أيضًا في : « عنوان الزمان » (مخطوط) (٧٤١ – ٧٤٤) وقد جاء فيه أنه وُلد في ٦ رمضان سنة ٧٨٩ هـ ، وكذلك في « التبر المسبوك » (٢٩٤ – ٢٩٨) ، و « الضوء اللامع » (٢١٧/١٠ رقم ٩٤٤) ، و « نظم العقيان » (١٧٦ رقم ١٩٤) ، و « شذرات الذهب » (٢٧٨/٧) .

(٤) في « حوادث الدهور » (٧٤) : « في يوم السبت ثالثه » .

وصاروا إلى حالٍ ظُنّ معها هلاكُ أكثرهم[1] ، ومات الولي السَّفْطي في ذي الحجة منها ، بعد أنْ سلبه السلطانُ أمْوَالَه ، واستمر في كثير من هذه السَّنةِ ، والتي قبلها مختفيا ، والطَّلَبُ عليه حثيث .

وتوفي في أوائل محرَّم سنة خمسٍ وخمسين أمير المؤمنين المستكفي بأمر الله أبو الرَّبيع سليمان ، وبويع أخوه أبو البقاء حمزة ، ولُقِّب القائم بأمر الله ، ومات في شهر ربيع الأول منها الشيخ شمس الدين بن حَسَّان ، والشيخ أحمد الزواوي ، وشمس الدين الحلبي بن أخت السَّخاوي ، والشمس الكاتب مغضوبًا عليه ، مَرْميًّا بالوقيعة في إمامنا الشافعي ، وحجة الإسلام الغزالي[2] ، وغيرهما من الأئمة ، وبلغني أن المصَلِّين عليه لم يبلغوا عشرين نفسًا ، والمشيِّعين له إلى قبره ، لم يبلغوا عشرا ، ثم البدر العيني في ذي الحجة منها .

والعلاء القَرْقَشندي في مستهل سنة ستٍّ وخمسين ، ومات بعده بأيَّام أبو البقاء بن العلم البُلْقِيني ، ومات القاضي كاتب السِّرّ الكمال بن البارزي

---

(١) في « النجوم الزاهرة » (٤٠٥/١٥) : « واستهلت سنة ٨٥٤ هـ ، الموافقة لحادي عشرين مسرى ، والناس في جهد وبلاء ؛ مِن غلو الأسعار ، وسعر القمح ثمانمائة درهم الإردب . راجع أيضاً « حوادث الدهور » (٦٠)

(٢) هو : زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، ولد سنة ٤٥٠ هـ ، كان إمام عصره ، تفقه على أبي المعالي الجُوَيْني حتى برع في عدة علوم ، ودرَّس بالنِّظامية بمدينة بغداد ، سنة ٤٨٤ هـ ، ثم تركها ولبس الخام الغليظ ولازم الصوم ، قدم إلى القدس ، وأخذ في تصنيف كتابه « الإحياء » وتمَّمه بدمشق في ٦ محرم سنة ٥٠٣ هـ ، وله من التصانيف الأخرى « البسيط » ، و « الوسيط » ، و « الوجيز » ، و « الخلاصة » في الفقه ، و « المنقذ من الضلال » مات يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ بالطابران ، وقيل : بطوس .

له ترجمة في : « المنتظم » (١٦٨/٩ – ١٧٠) ، و « اللباب » (٣٧٩/٢) ، و « الكامل في التاريخ » (٤٩١/١٠) ، و « وفيات الأعيان » (٢١٦/٤ – ٢١٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (٣٢٢/١٩ – ٣٤٦) ، و « الوافي بالوفيات » (٢٧٤/١ – ٢٧٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٠٣/٥) .

في خامس عشري صفرها ، فمات بموته الكمال ، وتقطّعت من الرّاجين حبال الآمال .

وتغيَّرت في مملكة مصر الأحوال ، وأخذ عنه المحب بن الأشقر كتابة السّرّ ، فَشَتَّان ما بين الثريا والثرى ، والجواهر والحَصَى ، وجُمِعَ للجمال يوسف بن كاتب جَكَم بين نظر الجيش والخاص .

ومات في شهر ربيع الأول منها ، الشّهاب بن يعقوب ، نقيب ابن حَجَر ، والبدر بن المَحْرَقي ، وفي شهر ربيع الآخر السَّعد بن عويد السَّرّاج القبطي ، وفي ذي الحجة الأمين عبد الرَّحمن بن الدَّيْرِي ناظرًا بالقدس والخليل .

وفي هذا العام زاد ظلم الظاهر جَقْمَق ، واشْتَدّ حتى تجاوز الحدّ ، وامتدّت عينه إلى أَخذ الأموال بالباطل ، مع تبذيرها في غير مواضعها ، وكان من أُعظم قبائحه فيها الأمر بسجن قاضي المالكية[1] في المقْشَرة لسجنه ساعة من نهار يهودِيًّا شركسيًّا ؛ أَبى الانقياد للشرع المحمدي ، وبلغ به الهرم إلى أَنْ صار كالخَشَبَة الجافّة ، وكان كلما ظهر كِبَرُه زاد تَجَبُّره إلى أن حُمَّ في ذي الحجَّة هذا ، وأناخت به أمراض مختلفة ، وعِلَلٌ مُتْلِفَةٌ فَجَفَّت يدُه اليسرى ، وظهر على يده اليمنى الضَّعْفُ ، ولم ينقطع لشيء مِنْ ذلك إلا عن الخدْمَةِ في القصر ، وتمادى به آخِرًا إلى أن أُغْمِي عليه في هذا الشهر ، فشاع موتُه ، ثم أَفاقَ ، وهو في غاية ما يكون مِنْ إظهار القُوَّةِ والجبروت والْعَسْف ليخفي مرضه ويتم في التّجبر غَرضه ، بحيث أمر في هذا الشهر بضرب أسرى طلبوا منه مالًا يعينهم به على فكاكهم ، وضرب بيده القاضي جلال الدين بن الأمانة لحكمه على امرأة ، أنها لا تُعارض غريمها إلا بالشرع ، وركب إلى زيارة [٧٠] ابنته خارج القلعة

---

(١) وهو : محمد بن محمد بن عبد اللطيف ، ولي الدين ، أبو البقاء الأموي ، المحلي ، السنباطي ، القاهري ، المالكي .

في سويقة العزّي ؛ ليرى النَّاسُ شخصه ، فيكذبوا ما شاع مِنْ مرضه .

وتجلــدي للشامــتين أريهم | أني لريب الدَّهر لا أتضعْضَع
وإذا المنيّـةُ أنشبت أظفارهــا | ألفيت كل تميمـة لا تنفـع[1]

وقال بعض مشائخنا في ذلك ، وهو علّامة زمانه الشيخ أبو الفضل المشدّالي المغربي البجائي رحمه الله .

أيا جَقْمَق كم لي أراك مكابِرًا | وقد عَضَّك الموتُ الهجوم بنَابِهِ
فإن تقتدر يومًا على زورة ابنة | فسوف تزور القبر رهن ترابِهِ
وسوف ترى في اللحد حالك عندما | يَصُب عليك اللهُ سوطَ عَذابِهِ
أفِق أيها السَكْران واصْح بتوبة | لتدرك فيها الفوز قبل ذهابِهِ

ولم يزل النّاس في عَسْفه وجوره إلى أن دخلت سنة سبع فكانت كاسمها أناخت على الفراعنة بِبَلائها ، وسَقْمها ، وناصبتهم بسيفها وسهمها ، ومحت أثر الجبابرة بعينها ورَسْمها ، وخفضت الطّغام اللئام ، ورفعت كلَّ أسدٍ ضرغام ، فأخذ العبد في مستهلها تدريس القراءات بالمدرسة المؤيَّديَّة ، وعمل في سابع محرَّمها الإجلاس لذلك بكلام ابتكره خضعت له الرِّقاب ، وحارت لدقّته أولوا الألباب ، وذلك أنه مزج المنقول بالمعقول ، فلم تبلغ ذلك من كثير منهم العقول ، وذكر تعريف العلم ، ثم موضوعه ، ثم فائِدته ، ثم قسْمته إلى وسائل ومقاصد ، ثم قسْمة كل منهما ، ثم وجه الضبط ، ومحط الرَّبْط على طريقة تخرج منها تعاريف جميع أبواب العلم ، وسر وضعها في مواضعها ، فكان كلامًا جامِعًا لجميع أشتات الفن ، على وجه كلِّي بديع ، بعبارة رشيقة ، بعد خطبة أنيقة ، فدهش لذلك الحاضرون ، وكانوا زيادة على مائتي نفس .

وفي ذلك اليوم شاع موت السلطان ، وتضعضعت منه جميع الأركان ، وفي أواخر الشهر خلع نفسه من المُلْك ، ودنى منه الهُلْك ، وَوَلَّى ابنه

---

(١) هذين البيتين لأبي ذؤيب الهذلي . راجع « شرح أشعار الهذليين » (١/١٠) .

عثمان ، ولَقَّبه المنصور ، ثم مات في رابع صفر من السَّنةِ ، فكان أمر الدَّوْلة إلى شباب من مماليكه ، لا عِلْم لهم بالتَّجارب ، ولا خِبْرة بالأمور ، ولا خوض في الحروب ، فاختلَّت أحكامهم ، وانحلَ نظامهم ، وتَشَوَّش نقْضهم ، وإبرامهم ، فقبضوا على دُولات باي ، واثنين من رؤوس إخوته ، وسجنوهم بإسكندرية ، وأخذ عنه الدويدارية الكبرى تَمُرْبُغا ، وأخذ الصغرى أسِنْبَاي ، الذي قَدِم عليكم رسولًا ، فخاف أكابر الجند على نفوسهم ، ثم شاع أنهم صنعوا أربعمائة قيد ، فاشتدّ حِذْرهم .

وفي أواخر صفر هذا وُلّي العلم صالح البُلْقِيني قضاء الشافعية ، عن الشرف يحيى المناوي ، فأصبحت البلد في صبح يوم الاثنين مستهلْ شهر ربيع الأول شعلة نار بأسِنَّة الرِّماح ، وبيض الصِّفاح ، ركب مَنْ غدا ظاهرية جَقْمَق من الجند إلى بيت الأمير الكبير إِيْنال العلائيُ ، الشّهير بالأجرود ، فأحاطوا به ، وألزموه الرّكوب ، وإلا قتلوه ، فأتوا شيخًا قد حَنكّته التجارب ، وأحكمته صروف الليالي ، الصوادق والكواذب ، وأناخت [٧١] عليه بكلاكلها وأعجازها جلائل المصائب ، فطلب أمير المؤمنين في جميع أقاربه ، واستأذنه في القتال ، واستحلف الجند على حرب المنصور ، ومن معه لا يفرّون عنه دون أن يموتوا من عند آخرهم ، وأكّدَ عليهم الأَيْمان ، وكَرّرها ، وتوقف كثيرًا إلى أن تحقَّقَ صدقُهم ، وأنهم مدافعون عن أنفسهم ، فركب معهم ، وشرع يخوفهم بمثل وقْعَة قَرْقَماش ، وأتي بهم إلى البيت المعروف ببيت الأمير الكبير ، المجاور لمدرسة السلطان حسن ، المواجه لباب السلسلة ، فنصب الحرب ، ورفع أعلام الطّعن والضرب ، وساس الأمر أحسن سياسة ، حفظ البلد بوالٍ أقامه ، وأحسن إلى الناس ، وضيَّق على أهل القلعة ، وعمل ما يوجب خفضهم ، ورفعه ، وأحكم الأمور ، وبذل الرغائب لكل جَلدٍ صبور ، وهو لعمري في أمر الحروب ، وتدرع الكروب ، كما قلت حين كنت معه برودس ، ورأيت منه في الجهاد مازاد على المراد مما يُبيد الجموع ، ويفني الجيوش ، لو كان معه من يأتَمِرُ بأمْره .

يُفَرِّق إِيْنالُ الجموع بحزمه ... وعزم له فوق النجوم صُعُودُ
حليم بصير بالأمور مجرّب ... صبور على رَيْب الزَّمان جليدُ
لقد سار في الآفاق سؤددُ مجده ... وطارت له في الخافقين بنودُ
له عزمات ترعب البحر عندما ... تصول ألم تنظر إليه يميدُ
تُقَصِّر عادٌ عن علاها وتنثني ... لها خضَّعا من بعد ذاك ثمودُ
وحزم تُوَقِّيه العواقبَ كيدها ... وتدفع عن أنصاره وتذودُ
تَحَيَّر من إحكامه كلُّ معجب ... وتَبْهَر يونانا له وهُنُوْدُ
هو المتّقي بأسَ الإلهِ وبأسُهُ ... لكَمْ ذاب منه جُلْمُدٌ وحَديدُ
يَجودُ ليحميْ بيضةَ الدين إنْ رَأى ... وبالسيف للباغي تُقَام حُدودُ
فلا زال هذا الدينُ مغتلبًا به ... يُجَدّد أركانَ الهُدى وَيَشِيدُ
وَيَصْقُل سيفَ الغزْو في كل حَجَّة ... فيُبْدِىءُ نهج المصطفى وَيُعِيدُ

ولم يزل عَزّ نصرُه وتم على سنن التوفيق أمرُه يحل أمور أهل القلعة شيئًا فشيئًا إلى أَنْ نزل إليه الشهاب الأخميمي الإمام ، وسَنْجبُغَا ، ونُكار ، يسألون عن مراده ، فقال : نزول تَمُرْبُغا وأسِنْباي ولاشين ، فسئل الحلف على تأمينهم ، فلم يجب ، وأشار عليه غالبُ من معه أن يحلف ، ثم يوكل في القبض عليهم فأَبَى ، فعادت الحربُ إلى أشد مما كانت عليه ، ومات في هذا الحرب حتف أنفه أسَنْبُغا الطَّياري ، رأس نوبة النّوب ، واستمر القتال بين الضراغمة الأبطال إلى ظُهر يوم الأحد سابع الشّهْر ، فَحَمَّ الأمرُ ، وجاء النّصْر ، فَسَلَّط الله على أهل القلعة هواءً غربيًا عاصِفًا ، وتمكن جماعة الأمير الكبير من سبيل المؤمني ، فأحرق ؛ ومَشَى الدُّخان والغبار عليهم فلحقهم الثبور وأُهْلِكوا بالدّبور ، كما هُزم الأحزاب بالصّبا ، وتَفَرَّقوا أيدى سبأ ، وأدركهم الحَيْن ، وصاح فيهم غراب البين ، وقبض على رؤوسهم ، واحتاطوا على أسلحتهم ولبوسهم ؛ لشقاوتهم وبؤسهم ، من بطرهم وكبرهم ، ومقابلتهم للمنعم بقلة شكرهم .

وفي صبح يوم الاثنين ثامن الشهر ولي السلطنة إيْنَال العلائي ولُقّب بالأشرف ، وكُنّي بأبي النصر ، فكان من سعده ، موافقة يوم ركوبه ،

ويوم سلطنته ، ليوم مولد المصطفى عليه الصلاة [٧٢] والسلام ، وشَهْرِه لِشَهْرِه وفي اقتباله واستقر أمرُ الناس ، وذهب البأس ، وأُبدلوا من ذلك الطائش الحادّ الخبيث ، رجلًا عاقِلًا ، ثابتًا ، حليمًا ، ريِّضًا ، وقورًا ، ليِّنًا ، شجاعًا ، صبورًا . وصبّ الله في قلوب العبادِ الأمان والغنى ، وأخرجت الأرضُ بركاتها ؛ فرخصت جميع الأشياء ، وحسنت ، ورجعت إلى خَيْرٍ مِمّا كانت عليه ، فعظم سرور الناس به ، وأحبّوه حبًّا شديدًا ، ولعنوا من كان قَبْلَه لعنًا كثيرًا ، وأُطلق دُولات باي ، ومن معه ، وسجن من أُمْسك من رؤوس الظاهرِيّة في إسكندرية ، ولم يكن معهم أمير من سواهم إلا تَنَم المؤيدي ، أمير سلاح ، فوافقوا دُولات باي قريبًا منها آتِيًا مُطْلَقًا ، وهم ذاهبون مُقَيَّدون ، فسبحان من يُعِزُّ ويُذِل ، ويضع ويرفع ، ثم شُيِّع في أثرهم المنصور فَحُبِس عندهم .

وفي أواخر شهر ربيع الآخر ، وُلِّي الشريف عبد الوهّاب الشامي قضاء الشافعية بحلب ، عن الشِّهاب بن الزّهري ، وفي جمادى الأولى مات قاضي الحنابلة البدر البغدادي ، وأخذ عنه العز الكناني ، ومات بمكة المشَرَّفة الشيخ أبو القاسم النُّوَيْرِي .

وكان مما جاء به عام السّباع[1] مما شنف الأسماع ، وملأ بالسرور البقاع ، ما منح الله به مولانا السلطان محمد بن عثمان ، دام ظِلّهُ ، وعلا مقامُه ومحلُّه ، مِنْ فَتْح القسطنطينية . فقلت في ذلك مُشيرًا إلى أنّ سيدي قرين السّعْد ، ميمون الكعب ، مبارك الأمر ، رشيد الرأي .

محمدُ أعلى آل عثمان رتبة	لقد قارنتهُ للالِهَ سُعُودُ
له فتح اصطنبول كان كرامة	وفخرًا على طول الزّمان يَزيدُ
أُتوه كأنّ الليل أكناف جيشهم	دروعهُمْ مثل البصائِرِ سودُ
وثبت ذاك الجيش رجلًا تجلُّدًا	فطارت بريش النبل منه خلودُ
أطار إليهم عسكرُ الموْت أسْهمًا	فأمسى بهم للعاديات يجُودُ

---

(١) أي عام ٨٥٧ هـ .

وعادوا كلمح الطّرف جِلْدًا ممزّقًا وما منهمُ إلا لديه حصيدُ
ولم تُغْنِ شيئًا كثرة الجمع عَنْهمُ وزاد نواحٌ منهم وعَديدُ
ولما تولّوا مدبرين وللظبا انبساط إلى تلك الظهورِ مَدِيدُ
أقام عليهم قائمُ السَّيف حاكمًا فكل قضاءٍ جار فيه سَدِيدُ
فصيَّرهم قسمين ، وَهْو بوسطهم يقول همُ قتلى لكم وعبِيْدُ
فدونكمُ أبناءَهم ونساءهمْ وأموالُهم ما دون ذاك عِنِيْدُ
وعنّف سَيفًا قط لم يألُ فاغتدى وحُمرَةُ خدَّيه لديه تزِيدُ
فحكّمه فيهم وكان مطاوعًا فقُدّت رؤوسٌ منهمُ وقُدودُ
رأى البِيْضَ من فوق الرؤوس فظنها لآلِئَ تهديها لمجدك غِيْدُ
فصيّرها منثورةً في جيوشه تُنَظَّم منها في الحبال عُقودُ
وكانوا على خيل يَرُوع ضجيجُهم فأضحَوا وهم فوق التُّراب همودُ
وكانوا وقوفًا للضِراب فأصبحوا وهم في الرُّبا لا للصلاة سُجُودُ
وَقُتِّل أبطالٌ جِلادٌ وَفُرِّقت جُمُوعٌ وكم حُزَّت هنالك جِيْدُ
[٧٣] وقُدّت قلوبٌ بالمظا لم أُظلَمت وطارت بماضي الشفرتين زنُودُ
وحُلّق مِنْ فوق الرِّقاب سلاسلٌ ودارت على سوق الرجال قيودُ
وكنتم لهم تحت العجاج كأنكم ليوثُ عرينٍ في الغمام تَرُودُ
يُحامون للشيطان وهو عدوُّهم وتحْمي حمَى الرحمن وهو وَدودُ
وغُودِر منكم فِتيةٌ أحمديّة تداعوا إلى دار السلام فنودوا
فشتان ما بين الفَريقين حيُّهم جَحُود وأما مَيْتُكمْ فشَهِيْدُ
وأحياؤكم خير العباد رميتهم له في لظى بعد الممات خُلُودُ

ولم يزل الأمير دُولات باي من حين أُطْلق من السجن متمرِّضًا حتى مات في مستهل جمادى الآخرة ، بعد أن زوّج السلطانُ ابنته لابنه المقر الشريف أحمد ، وأدار السلطان المِحْمل على عادَتِهِ في شهر رجب ، فزاد سرور الناس بذلك ، وأكثروا له الدُّعاء ، وظهر له فيه من السياسة ، وبُعد الغَوْر ، وحساب العواقب ، ما لم يتمكن معه مفسدٌ من أذى ، لا مِن الجند ، ولا من الزُّعْر ، ولا مِنْ غيرهم ، على أنّ دواعي الناس توفّرت

على حضوره من جميع البلاد ، لاشتياقهم إليه ؛ لبعد عهدهم به ، فحضره من الخلائق ما لم يحضره مثلهم قط على ما قال المشائخ .

وفي هذا الشهر نُقل من عَدَا المنصور وقانِبَاي الشّرَكِسي ، من المسجونين بإسكندرية من ظاهرية جَقْمَق ، إلى بلاد الشام ، فَفُرِّقوا في قلاعها ، وأوفي البحرُ في سلخ شهر رجب الموافق لثالث عشر مسرى ، وقد كان الحميد بن أبي حنيفة ولي قضاء الحنفية بدمشق ، وآذى الحسام[1] بن بُرَيْطع الغزي ، ثم عُزل ، فلما ولي الأشرف إيْنال شكاه ابن بريطع إليه ، فنصره عليه ، ورسم برده معه إلى دمشق مُرَسَّمًا عليه ، على مال ادّعى أنّه أخذه من بعض جهاته ، فلم يصل معه إلى دمشق ، بل احتال إلى أن طلع إلى القُدُس .

وقد وقف العبدُ على ما صنعه سيدي مِن المدح العظيم المرصّع بِدُرٍّ قوله النظيم ، وقصيدة العروض التي علت عن المُعَارِض ، وفاقت بحورها البحر الخِضَمّ الفائِض .

هذا المهم مِمَّا يُسرّ به سيدي من أَموال الدِّيار المصرية ، وقد تغيّر كثيرٌ مِن الأحوال بتغيُّر رجال لا يعرفهم سَيِّدي ، وقد كان العبد سافر إلى جهاد رودس[2] مع هذا السلطان عَزّ نَصْرُه ، وحصلت له عنده حظوة ، فهو

---

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن الخضر بن محمد بن العماد ، حسام الدين المصري الأصل ، الغزي الدمشقي الحنفي ، ويعرف بابن بريطع ، ولد في ٢٨ ذي الحجة سنة ٨١١ هـ بغزة ، وولي قضاء صفد ، ثم أضيف إليه نظر جيشها ثم قضاء طرابلس ، ثم دمشق مرارًا ، مات بدمشق في يوم الاثنين ٢ رمضان سنة ٨٧٤ هـ .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٢٨٩/٧ رقم ٧٤٤) .

(٢) أشار البِقاعي في سيرته التي كتبها بنفسه في كتابه « عنوان الزمان » (مخطوط) (١٤٥) أنه ذهب إلى الجهاد مرتين في البحر ، وبالرجوع إلى « النجوم الزاهرة » (٣٥١/١٥ – ٣٥٢ ، ٣٦٠ – ٣٦٣) نجد السلطان إينال العلائي قاد قبل توليه السلطة حملتين إلى جزيرة رودس ؛ الأولى كانت سنة ٨٤٦ هـ ، وذلك بمشاركة قائد آخر هو تمُرْباي رأس نوبة النوب ، والثانية كانت سنة ٨٤٨ هـ ، وكان في هذه الغزوة مقدَّمًا على الجميع .

الآن لديه مُقَرَّب وإليه مُحَبَّبْ ، وقد كان خرج[1] عن العبد قراءة البخاري في الكائنة التي حكاها فلان لسيدي ، فلم يتبعها العبدُ نفسه ، ووليها الجلال بن الأمانة ، بواسطة السَّفْطي ، ثم الولي الأسيوطي ، بواسطة ناظر الخاص ، فألزم السلطانُ العبد بقراءته في هذا العام ، وقد كان العبد عَزَم على أنْ لا يفعل ذلك أبَدًا ؛ لأمور لا يخفى على أولي الفهم ، والرأي من أهل الدِّيانة والمروءة ، فألَحّ عليه السلطان ، فسكت ، ولا يدري ماذا يكون ، ثم دفع الله ذلك عن العبد ، وقَرَأ الولي الأسيوطي على عادته ولله الحمد .

هذا وقد كان رافق العبد في الجهاد رفيق وهو كاتب مطيق ، يُقال له : فلان ، ثم تَوَجّه إلى بلاد الروم ، فاستمر منقطعًا بها لخفة ذات يده ، فالمسؤول من فضل سيدي أن يوصِله إلى مولانا السلطان محمد ، نجل الأكرمين الفحول المجاهدين ، ويسأله في زاد يُبْلغه إلى هذه البلاد ، والله تعالى المسؤول ، أن يبلغ سيدي غاية القبول ، ونهاية المأمول .

فتح قناطر بني منجا

وفي يوم الأحد سابع عشري شعبان ، وهو خامس توت ، فُتح سد قناطر بني منجا ، فنقص البحر ثلاثة عشر إصبعًا ، ولم ينقص بفتح ما قبله .

وفي هذا الحد ، وصلت من القُدُس قضية غريبة ، وهي أنَّ بعض أهل الخير استخلص بعض أيتام أهل الذِّمَّة إلى قاضي الحنابلة بالقُدُس ، فحكم بإسلامه ، فخاف اليهود والنصارى على أيتامهم ، وقاموا في ذلك ، وبذلوا المال ، فحكم القاضي بدر الدين حسن بن القاضي علاء الدِّين بن السّائح الرَّمْلي الشافعي ، قاضي القُدُس ببقائهم على الكفر إلى البلوغ ، وتعصب بعض أهْلِ الدُّنيا في ذلك ، واختلفت أغراض الأكابر ، فرفعوا إلى مصر ، فأفْتَى علماءُ القاهرة ، بأن هذا الحكم كفرٌ مُضاعف ؛ إذْ الرِّضى [٧٤] بالكفر كفرٌ ، فكيف بالأذن فيه ، أم كيف بإيجابه ، والإلزام به ، الذي

---

(١) راجع « الضوء اللامع » (١٠٢/١) .

هو معنى الحكم ، وفرقٌ بين الكفّ عن الشيء ، والإذن فيه ، كما قال الإمام تَقِيُّ الدين[1] السُّبكي ، في ترميم الكنائس مما تهدّم نقشه ، أَنَّ مراد الرَّافعي[2] وغيره بالجواز ، عدم المنع . قال : فإن الجواز حكمٌ شرعيٌّ ، ولم يرد الشرع بإباحة بقاء الكنائس ، وادَّعى أنَّ الأمَّة مجمعة على أنّا لا نأذن في ذلك . قال : وفرْقٌ بين الإذن ، وعدم الاعتراض ، وبالغ بعضهم في ذلك ، وجَوَّز بعضهم للقاضي أن يريد بهذا الحكم عدم التعرّض إليهم لا إلزامهم بالكفر ، وأفتى قاضي الشّافعية العَلَم البُلْقِيني بصحة الحكم ؛ إن وُجِدَ ما يُسَوِّغه ، ثم لِيْمَ في ذلك ، فأفتى بعدم صحته ؛ لعدم صحة دعوى الحسْبَة به ، فلا يُمْكن ترتّبه على دَعْوى صحيحة ، ثم رفعَت إليه القضيّة لينقض هذا الحكم ، فلما اجتمع اليهودُ بِذَوِيه ، استمالوهم ، ففهم منه رسْولي الميلَ إلى تصحيح الحكْم ، فاجتمعتُ به ، فسألته عنه ، فقال : ينظر في الدَّعوى التي تَرَتَّب الحكم عليها . فقلت : نفرض أنها صحيحة ، ولا تفيد صحتها صحّة الحكم ، أليس الحكْم إلزامًا ؟ فقال : بلى . فقلت : أليس بقاء الشيء ذلك النَّسِيء وزيادة ؟ فقال : بلى . فقلت : فالمعنى حينئذ أنَّه ألزمهم بالكفر المستمر ، أكذاك هو ؟ قال : نعم . فقلت : أيقول بهذا مسلم . قال : لا . قلت : فانقضْه ، قال : يوصل بي وأنا أنقضه . ثم أوصل بعض أكابر الجند الأمر بالسلطان ، فعزله عن القضاء ، وولّى البرهان إبراهيم بن الجمال عبد الله بن جماعة فَسُرّ أهلُ الخير بعزله ، وسِيؤوا بولاية ابن جماعة لاشتراكهما في الجهل ، وزيادته عليه في الشرّ ، فلا قوّة إلا بالله .

---

(١) هو : أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام . راجع « هامش ٢ » من (ص ١٣١) .

(٢) لعله : إمام الدين عبدالكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل الرافعي – نسبة إلى رافعان مِن بلاد قزوين – القزويني الشافعي ولد سنة ٥٥٥ هـ ، وانتهت إليه معرفة المذهب ودقائقه ، صنف شرح « الوجيز » في اثني عشر مجلدًا ، ولم يشرح الوجيز بمثله ، وشرح « مسند الشافعي » في مجلدين ، وغيرها من التصانيف الأخرى مات في قزوين في ذي القعدة سنة ٦٢٣ هـ .

له ترجمة في : « سير أعلام النبلاء » (٢٥٢/٢٢ رقم ١٣٩) ، و « فوات الوفيات » (٣٧٦/٢ رقم ٢٩٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٦٦/٦) ، و « شذرات الذهب » (١٠٨/٥ – ١٠٩) .

شهر رمضان سنة ٨٥٧ هـ

وفي يوم[١] الأربعاء مستهل شهر رمضان سنة ٨٥٧ هـ ، ركب جماعة مِن الجند ، نحو الخمس مائة ، من طوائف عدة ، لكن غالبهم سَيْفِيّه[٢] ، وكان منهم قليلٌ من أشرفية بَرسْبَاي[٣] ، ووقفوا في الرُّمَيْلَةِ ، فلما نزل الدويدار الكبير يُونُس ، ردُّوه إلى السلطان ؛ يُعْلِمه أنهم يطلبون منه أنْ يُعْطي كل واحدٍ منهم عشرين دينارًا ادّعوا أنه كان تَقَدّم وَعْدُه لهم بها قبل السلطنة ، فَرَدَّه السلطان إليهم ، بأنّه لم يَخْف عليه ما فعلوه معه من النَّصر ، وما يستحقون على ذلك ، غير أنهم يعلمون أنه دخل على الخزائن فارغة ، وأنه إذا حصل له مالٌ أرضاهم . فَرَدُّوا الجوابَ ، بأنّهم لا يرضون إلا بالتَّنجِيز ، وقال بعضهم : إنهم لا يرضيهم إلا مائة وعشرون . فقال : قد عُرِف أن القصد ليس المال ، وأنَّ دندنهم[٤] على شخصٍ يقيمونه ، فلست أُعطي شيئًا ، والذي يعمل أخيرًا يعمل الآن ، فليعيِّنوا الرأس الذي أقامهم ليُنْفِق عليهم ما يريدون ، فإذا تعيّن ندبتُ الناس إليَّ ، فمن كنتُ أنا رأس ماله لا المال انضمّ إليَّ ، ومن كان مداره على المال ، وكما يبيعني به يبيع غيري ، فَيُضمّ على ذلك الرأس ، ثم يحكم الله بيننا وبينهم ، فإن نُصرت فما هي بأوَّل نعمة لله عَلَيّ ، وإن كانت الأخرى فما أنا بأوّل ملك قُتِل ، فَتَفَرَّقوا على ذلك ، وكان[٥] الوزير أمين الدين بن الهَيْصَم ، قد هرب في هذا اليوم ، وقام بما يتعلق به مِن اللحم في أمر الجند ناظر الخاص[٦] .

---

(١) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٩٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٣) ، الذي جاء فيه ذكر هذا الخبر في أحداث شهر شعبان .

(٢) نسبة إلى السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبي النصر إينال العلائي (٨٥٧ – ٨٦٥ هـ) .

(٣) أي السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برْسباي (٨٢٥ – ٨٤١ هـ) .

(٤) دندنهم : جاء في « لسان العرب » (١٧/١٧) : « الدَّنْدنة الكلام الذي لا يفهم ، أو الكلام الخفي » .

(٥) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٩٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٤) .

(٦) وهو : جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَم .

ثم قال السلطان يوم الخميس : مَنْ كان مُطيعًا لي فَلْيَلْزم القلعة ؛ لِيَتَمَيَّز الناسُ ، فطلع الجندُ إلى القلعة إلا أولئك النَّفر ، فَصُرِف لمن طلع جامكِيّة رمضان وعليقهم ، وأُجري عليهم اللّحم ، وقُطِع ذلك عمَّن تخلفوا .

وفي هذا اليوم ، مات بَيْغُوت نائب صَفَد كما يأتي .

ولاية كاتب المماليك

وفي يوم السَّبت رابعه ولي فرج[1] كاتب المماليك الوزر ، ولبس كامِلِيَّة[2] لذلك ، ونزل معه ناظر الخاص[3] ، والدويدار[4] الكبير ، وَجَمْعٌ كثير[5] .

وفي يوم الاثنين سادسه لَبسَ عادته ، خِلعة[6] الوزر ، بحضرة جميع الأمراء والجند في القصر ، ونزل معه المباشرون وبعض الأمراء[7] ، وأخذ عنه كتابة المماليك التاج بن المقسي[8] .

وفي يوم الأَربعاء ، ثامن الشهر ، وقف بعضُ الجند في الرُّمَيْلَة ، فلما نزل الأمير يُونُس الدويدار الكبير ، سألوه أن يرجع إلى السلطان ؛ يَسْتَحِثّه في النَّفَقَة عليهم ، فأبى ؛ فرجموه ، فما كاد يفلت ، ومضى إلى بيته .

---

(١) راجع « هامش ٥ » من (ص ٢٤٧) .

(٢) كامِليَّة : ثياب ضيّقة الكم ، مُفَرَّجة الذيل من خلف ، تلبس فوق قباء ضيق الكم . « صبح الأعشى » (٢٧٦/٣) .

(٣) راجع « هامش ٦ » من (ص ٤١٥) .

(٤) وهو : يونس السيفي آقْبَاي نائب الشام . « النجوم الزاهرة » (٧٣/١٦) .

(٥) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (٦٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٦٩/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٤) .

(٦) في « حوادث الدهور » (١٦٢) : « وهي الطرحة ، والقبع الزركش ، والقلادة ، والأخفاف على عادة الوزراء » .

(٧) في « حوادث الدهور » (١٦٢) : « وكان يوم السبت المذكور لبس كامليَّة بمقلب سمّور لا غير » .

(٨) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٦٢ – ١٦٣) وجاء فيه : « وفي يوم الاثنين المذكور ، استقر شخصٌ مِن الأقباط يُسمى زين الدين عبد الرحمن ، من جملة كتّاب المماليك في كتابة المماليك عوضًا عن فرج المذكور » . وفي « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٤) : « وقرر عوضه في كتابة المماليك ابن عمه عبد الرحمن » .

وفي يوم الخميس تاسعه ، وصل الزين عمر[1] بن السَّفّاح ، كاتب سِرِّ حلب ، وبدر الدين بن القُفّ ، ناظر جيش صَفَد ، والشيخ أحمد العدّاس[2] ، عين فقراء دمشق ، وحميد الدين ابن قاضي بغداد ، [وطلعوا] يوم السبت حادي عشره ، فأُلْبِس [كل منهم] كامِلِيَّة .

وفي هذا الحد[3] ، جاء الخبر أَنَّ يَبْغوت المؤيّدِي ، نائب صفد توفي في يوم الخميس ثاني شهر رمضان هذا ، فَعُيِّن لِنيابتها إِيَاس[4] الطويل ، الذي كان بطرابُلُس أمير كبير .

وفي هذا الشهر عُزل الشريف مَعَزي عن إمرة يَنْبُع ، وولي ذلك الشريف سُنْقُر أخو هَلْمان ، وجُهّزت له الخِلْعَة بذلك في نصف الشهر .

وفي نصف شهر رمضان وصل البدر حسن بن علاء الدين بن ا لسائح ، الذي كان قاضي الشافعية بالقُدُس الشريف ، وعُزِل لذلك الحكم الباطِل ، ومعه كتاب من بَلَدِيِّه ناظر القدس ، وهو [٧٥] عبد العزيز بن معلاق ، فبذل من المال لبعض الأكابر ، فأُصْلِحت قضيَّته ، وَرُدّ إل القضاء .

فتح الأسداد

وفي منتصف شهر رمضان سنة ٥٧ الموافق لثاني عشري توت ، من شهور القِبط ، فُتِح سَدُّ شيبين ، وجميع الأسداد ؛ فنقص البحر ثلاثة عشر إصبعًا ، ثم زاد إلى أن أَوْفَاها يوم السبت ثامِن عشره ، ونودي عليه يوم الأحد بزيادة إصبعين ، فبلغ بها عشرين إصبعًا ، من تسعة عشر ذِراعًا .

قصة ابن حرمي

وفي ليلة الاثنين العشرين من شهر رمضان المذكور ، داسَ ياقوتُ عَبْدُ

---

(١) راجع « هامش ٣ » من (ص ٢٠٤) .

(٢) جاء في « الضوء اللامع » (٢١٥/١١) : « نسبة للحرفة » ، ولم يترجم له صاحب الضوء ، وإنما ذكر اسمه الأول فقط (أحمد) .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (٦٩/١٦) : « في يوم الأربعاء ٨ رمضان » .

(٤) هو : إياس الطويل المحمدي الناصري ، نائب طرابلس ، مات سنة ٨٧٧ هـ .

له ترجمة في « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (١٤٦/٢) ، وراجع أخباره في « إنباء الهصر » (٤٣٧) .

أبي الفتح بن حَرَمي بِبَغْلَةِ سَيِّدِه ، شيخًا من أهل رحبة العيد ، يُقال له : ناصر الدين الخُضَري فَحُمل إلى بيته ، فأصْبَح ميّتًا فسئل أبو الفتح وكان ذا مال ، أن يُحْسن إلى وَلَدِه ، وكان فقيرًا جِدًّا فأبى ، فَرُفِع الأمْرُ إلى خَيرِبَك والي القاهرة ، فوضع أبا الفتح في زِنْجير ، عند نزوله من الخِدْمَةِ ، وشَدَّدَ عليه ، فتوصل نساؤه إلى نساء بني خصبك ، فوصل الأمرُ إلى المقر الشِّهابي أحمد ولد السلطان فطلبهم إلى عنده ، وفَكّ الزنجير من عنقه في أثناء الطريق ، ثم أشهد على ولده ، بعد أَنْ أُرْضِي بأنه قد عفا عنه ، فلا حَقَّ له عنده ، فعظمت نكاية الوالي من ذلك ، ودار على بعض الأمراء ، فشكى إليهم ذلك ، فاستعظموا دخول النساء في مثل هذا الأمر ، وشَدُّوا عضد الوالي ، فطلع إلى السلطان ، وتظلَّم إليه مِن ذلك ، وأنَّه نقصت هيبته ، ووهنت كلمته ؛ فغضب لغضبه ، وأمره أن يقبض على أبي الفتح ، ويُضيِّق عليه ، ويطلع به ويخصمه في الغد ، فَتَطَلَّبه ، فلم يظفر به ، فنقض النساء ذلك ليلًا ، فلما أصبح يوم الثلاثاء حادي عشري الشهر ، تَغَيَّظ على الوالي ، وَزَجره ، وهَدَّده، فعظمت نكايتُه ونكاية غيره مِن الأمراء ، ولم يسعهم إلا السُّكوت ، ثم شرع أبو الفتح يَتَنَفَّخُ ويتعاظم ، ويبدي قصته ويعيد ، ويكذب فيها ويزيد ، ويفتخر بما صنعه النِّساء ، ويحتقر الوالي ، ويَشيِّع أنه سَيُعزلُ عن قريب فازداد حنق الوالي عليه .

محاسبة الشرف الأنصاري

وفي يوم الثلاثاء هذا توصل الشيخ أمين الدين يحيى بن الأقصرائي إلى إثخان جراحات الشرف الأنصاري عند السلطان ؛ من جهة الجوالي ، فَرَسم السلطان بمحاسبته بحضرة قضاة القضاة ، والعلماء ، وأولاد الجيعان فبيتوا على ذلك ، ثم طلع بكرة الأربعاء ثاني عشريه من عدا المالكي من القضاة ، والأمين ، والمحب ابنا الأقصرائي ، وأولاد الجيعان ، فيمن انضم إليهم من الفقهاء ، والمباشرين ، وطلبوا منه الحساب ، فأخرج لهم ورقةً بالمتَحَصَّل والمصروف ، فقيل له : هذه دعوى مجرَّدة لابد لها من دليل . فقال له الشيخ أمين الدِّين : جهات الجوالي ثلاث : قِبْلي ، وبحري[1] ، والباب ؛ وهم من

(١) جاء في « التعريف » (٢١٩ ، ٢٢٢) : « لمصر وجهان قِبلّي وبحريٌّ ، والوجه القبلي هو أجلّهما =

في القاهرة من الذِّمّة[1] ، فلابُدّ أن تخبرنا بمتحصّل كل جهة من هذه ، ويخبرنا المتعاطي بجمع أموالها ، ويُشْهَد عليه بذلك ، ثم نكتب مراسيم السلطان إلى البلاد بالكشف عن ذلك ، فإنْ وُجِد فيه زلَلٌ أُخِذَ به ، ثم بعد ذلك ننظر في المصارف ، هل تستغرق أَوْلا ، وهل صحيحة أَوْلا .
وسُئل عن ذِمّة الوجه القِبْلي ، فقال : هم ألفان . فقيل : ألا يمكن عادة كونهم كذلك في كل عام ، لأنهم لابُدَّ من موت بعضهم ، وبلوغ بعضهم ، فلم يحْرِ لذلك جوابا ، وطال المجلس ، ووقع فيه كلام كثير منه : أن له في كل سنة تسعمائة دينار لخاصَّةِ نَفْسه ، فأُجيب بأن ذلك لا يُقَرُّ له ؛ فإنه من جملة ما يُضْعف الجهة ، وأنَّه لا يستحقّ إلا عَمَالته ، وانفصلوا على ذلك .

وفي يوم الأَحد سادس عشري الشهر ، عثر السلطان على مملوكين نقبا زَرَدْخَانته في القلعة ، وأخذا منها سلاحًا كثيرًا ؛ فضربهما إلى أَن كادا يتلفان ، ثم أمر بسجنهما ، ثم نفاهما ، وقيل أهلكهما .

وفي يوم الثلاثاء ثامِن عشري الشهر ، الموافق لخامس بانة ، نودي بوداع زيادة البحر ، وأنّ آخر ما [٧٦] استقرت عليه زيادته اثنان وعشرون إصبعًا من تسعة عشر ذِراعًا ، فالله تعالى المسؤول أنْ يُعطينا بركته .

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشري شهر رمضان المذكور ، قُتِل رجل في

= قدرًا ، وأطولهما مدًى ، وأكثرهما جدًى ، والوجه البحري هو كل ما سفل عن الجيزة إلى حيث مصبّ النيل في البحر الشامي بدمياط ورشيد ، وهو أعرض من الوجه القبلي ، وبه الإسكندرية ، وهي مدينة مصر العظمى .

كما جاء في « صبح الأعشى » (٣٩٢/٣ ، ٣٩٨) : « الوجه القبلي ، وهو المعبر عنه بالصعيد ، والوجه البحري ، وهو كل ما سَفَل عن القاهرة إلى البحر الرومي ، حيث مصب النيل ، وإنما سمي بَحْرِيًّا ؛ لِأنَّ منتهاه البحر الرومي .

(١) عن الجوالي ، وجهاتها ، وتنظيم استخراجها ، ومقدارها ، راجع « صبح الأعشى » (٤٥٨/٣) .

جامع الأزهر ، قيل : إنَّه سرق عباءةً[1] لبعض المجاورين ، مِن أَهل الرِّيف[2] ، فعُثِر عليه ، فربطوه في عمود من عمد الجامع ، وضربوه ، واحِدًا بعد واحد ، إلى أَنْ أوهنوه ، ثم خلَّصه منهم يوسف[3] بن الشيخ علي المحتسب ، وأُخرج مِن الجامع ، ثم تبعه بعضهم ، فضربوه خارج الجامع واحدًا بعد واحد إلى أَنْ مات ، فأصبح الجامع مِنْ مجاوري أَهل الرِّيف بلقعًا ، فتوجه إلى الجامع حاجب الحجَّاب[4] ، وهو ناظر الجامع ، ثم الوالي[5] ، فكتبوا محضرًا بما علموا من أَمره ، ولم يجدوا من مجاوري الرِّيافة أحدًا ، وشهد على قَتَلَتِه شهود ، وعُرفوا بأسمائهم ، وأنسابهم ، فإذا هم من غير متفقِّهة الجامع ، فأُذِن في رَدِّ المتفقِّهة ، فَرُدُّوا على تَخَوُّفٍ ، فنودي لهم بالأمان والاطمئنان[6] .

ولاية ابن الأهناسي

وفي ليلة الاثنين ثامن عشر شوال من السنة ، اختفى الزَّين يحيى الإستَدَّار ، فَوَلَّى السلطانُ النُّوْرَ عَلي[7] بن الأَهْناسي إسْتَدَّار ولده ،

---

(1) في « حوادث الدهور » (١٩٣) : « ذكروا أنه أخذ قبقابًا » .

(2) الريف : جاء في « لسان العرب » (٢٨/١١) : « الريف ، ما قارب الماء مِن أرض العرب وغيرها ، والريف حيث يكون الخَضَر والمياه ، والريف أرض فيها زرع وخِصْب » .

وأهل الريف هؤلاء كانوا مجاورين في جامع الأزهر في رواق يعرق برواق الرِّيافة . راجع « حوادث الدهور » (١٩٣) .

(3) هو : يوسف بن علي بن نصر الله الخراساني الأصل ، الخانكي ، الحنفي ، وُلد بالخانقاه سنة بضعٍ وثلاثين وثمانمائة ، ونشأ في عز أبيه ، فحفظ القرآن الكريم ، واشتغل قليلًا في فقه الحنفية ، وتعانى الفروسية ، يقول السخاوي : « مات بُعيد التسعين بالخانقاه » « الضوء اللامع » (٣٢٦/١٠ رقم ١٢٢٧) .

(4) كان في هذه الفترة ، جانِبَك القرماني الظاهري . « النجوم الزاهرة » (٧٣/١٦) .

(5) كان في هذه الفترة ، علي بن إسكندر . « النجوم الزاهرة » (٧٦/١٦) .

(6) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٩٣) .

(7) هو : علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسين ، العلاء ، ابن الشمس ، الأَهْناسي ، ثم القاهري ، عمل في خدمة الشهاب بن الأشرف إينال في أيام سلطنة أبيه ، فعمل استَدَّاره ، ثم رقاه للإستَدَّارية الكبرى في شوال سنة ٨٥٧ هـ ، وصُرف عنها بعد أشهر ، ثم تولى الوزارة فصرف عنها ، ثم أعيد إليها ، وتكررت مصادراته إلى أن مات بمكة بطَّالًا في ثاني عشري ذي القعدة سنة ٨٦٨ هـ . =

الإِسْتَدَّارة الكبرى ، ودفع إليه عشرة آلاف دينار ؛ يستعين بها في النَّفَقةِ عن شهر رمضان[1] .

وفي هذا اليوم ، خرج مِحْمل الرَّكب الحجازي إلى بِرْكة الحجاج ، وفي يوم الخميس حادي عشريه سار الرَّكْبُ الأوّل من بركة الحجاج ، وأميرهم عبد العزيز بن محمد الصُّغَيِّر ، وفي يوم الجمعة ثاني عشريّه سار المِحْمَل وأميرهم جانِبَك الظُّرِّيف (مُصَغَّرًا مثقلًا) ، وهو الخَزَنْدَار الثاني أحد الأشرفية[2] .

وفي بكرة[3] هذا اليوم ، وصل رسل ابن عثمان ، سلطان الرُّوم إلى الخانكة ، وكان قد أُمِرَ بتلقِّيْهم الشيخُ علي المحتسب ، تِمْرَاز الدويدار الثاني ، وإكرامهم بما يليق بهم غداءً وعشاءً ، ثم دخلوا ، وقد أُمر النّاس بتزيين البلد لأجلهم ، فَزَيَّن النّاس دكاكينهم بأنواع الزِّيْنَة ، من الملابس ، والقناديل ، والصنائع الغريبة ، والتصويرات العجيبة ، واجتمع الناس في القَصَبة ، ثم أُمِرَ بإنزالهم في بيت الزّين الإستَدَّار ، فلما كان يوم الاثنين خامس عشري الشهر ، طلعوا إلى السلطان ، وقد زاد النّاس في الزِّينة ، واجتمع حولهم في الرُّمَيْلَةِ ونواحيها مِنَ النّاس ما يزيد عن الحَصْر ، واصطفَّ لهمُ الجندُ ، من باب القلعة إلى عند باب البحر[4] من الحوش ،

= له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٨٠٤ – ٨٠٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٣٤/١٦) ، و « الضوء اللامع » (٢٩٦/٥ رقم ٩٩٥) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٤٥ – ١٤٦) .

(١) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٩٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٧٠/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٥) .

(٢) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٩٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٤ – ١٥) .

(٣) في « النجوم الزاهرة » (٧٠/١٦) : « في يوم السبت ٢٣ شوال ورد إلى الديار المصرية قاصد خَوَنْدكار محمد بك بن مراد بك بن عثمان ؛ لتهنئة السلطان بالملك ، وإخباره بفتح مدينة اسطنبول » .

(٤) باب البحر : أحد أبواب القاهرة ، ويسمى بباب قصر بشتاك ؛ لأنه يسلك منه إلى قصر بشتاك تجاه المدرسة الكاملية . راجع : « خطط المقريزي » (٧٠/٢) ، و « صبح الأعشى » (٣٤٦/٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠) .

والرِّماح في أَيْديهم ، فَسَلَّموا على السلطان ، وَقَدَّموا ما معهم من الهدايا ؛ وهي من الفِراء والثِّياب ، وغيرها مِنْ كل صنف تسعة أشياء وكان معهم راهبان شابَّان ، قيل : إنهما لم يَخرجا مِن الكنيسة [العظمى][1] بالقسطنطينية قط ، وقيل : أن أَحدهما عالمٌ بالهيئة[2] ، وما يتعَلَّق بالنجوم ، وأنه قال لسلطانهم : البلد مأخوذ لا محالة ، فَسَلِّمْها بدون قتال . فلم يفعل ، فقبل السلطان ما معهم ، مِن الهدايا ، وأَمر لهم بما يليق بهم ، وَوَضع الرَّاهِبَيْن عند الزِّمام فيروز .

وقدم رسولٌ من أَهل قبرص ، يسأل أن يرسل إلى ابن عثمان بأن لا يعرض لهم ، ولم تزل الزِّيبْة يتزايد أمرها ، ويعظم ضرها ؛ بسبب اجتماع أَهل الفسق ، والبطالة ، والخلاعة ، والجهالة إلى أَن كان يوم السبت مستهل ذي القعدة ، فأُخبر السلطان بما تزايد من شَرِّها ، فأمر بإبطالها ، فاستراح منها العباد ، بزوال تلك الأنكاد .

وفي يوم الأَحد ثانِي ذي القعدة من السنة ، عُزِل المحبُّ بن الأَشْقر ، عن كتابة السِّرِّ ، وأرسل إليه السلطان : أَن الزم بيتك ، فداخل النّاس السُّرور ، لما زال بسببه من سفاسف الأمور ؛ وذلك أنه كان قد أوقف حال الناس ، بأنّ كلّ قِصَّة ليس معها رشوة يَسْعى في تعويقها بكل ما تصل قدرته إليه ، حتى بالكلام المهمل ، رفع إليه شخصٌ قِصّةً يطلب فيها مرسومًا بأن يُطلب المستولي على مكان كذا ، ويُحاسَب على ما اسْتَأْذَى منه على الوجه الشرعي ، فكتب ما نصه : « يكتب بالجهل على ما بيده » . فقيل له : هذا لا يكتب إلا إذا طُلب استقرار في وظيفة ، أو

---

(١) في الأصل : العظى .

(٢) الهيئة : أو علم الهيئة ، وهو علمٌ يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية ، وأشكالها ، وأوضاعها ، ومقاديرها ، وأبعادها ، أو هو معرفة تركيب الأفلاك ، وهيئتها ، وهيئة الأرض . راجع : « مفاتيح العلوم » (١٦٧) ، و « مفتاح السعادة » (٣٧٢/١) .

استمرار ، فلَجّ في باطِله ، إلى أَنْ قال : إِنّي طالع إلى السلطان ؛ استعفي من كتابة السّرّ ، وحلف أَنه لا يكتب بعد ذلك على قِصَّة ، ثم كذب ؛ وتارة يكتب على هامش القِصّة كلامًا يُكَوِّن قِصةً أُخرى مستقِلّة ، لا تَعَلّق له بالقِصَّة المرفوعة إليه ، بتقييد لشيء منها بوجه شرعي ، أو حمل على مستند ، أو غير ذلك ، وربما كتب جميع ما في القِصَّة حَرْفًا بحرف بخَطِّه ، وربما رد ما لا وَجه لِرَدِّه في شرع ، ولا عُرف من غير كتابة أَصلًا ، والحاصِلُ أنه قل أَنْ كتب على قِصَّة إلا بِشَرٍّ ، وإذا كتب ، كتب خلاف المراد ، وربما عاكس فأَصاب المراد ، وهو لا يريد ، من أَغرب ما وَقَع من ذلك ، أنّ شخصًا من أصحابي الشاميين كان له عند شخص حقٌّ ، فكان يريد أن يُكتب له مرسومٌ بطلبه إلى الحاجب بدمشق ، وإخلاص الحقّ منه ، فغلب على ظنّه أنّ ابن الأشقر لا يُجيبه إلى ذلك ، فسأل طلبه إلى قاضي الشافعية بها فوقَّع عليها ، يطلبُ إلى حاجب الحجاب ، وما أظن مثل ذلك وقع قط ، وله في ذلك عجائب ، فأطبق النّاس على ذَمِّهِ ، وقلة دِيْنه ، أوْ عقله ، أو علمه ، وشاع له من مثل ذلك وزاع ما أَصَمَّ الأَسماع .

وفي هذا اليوم مات شمسِ الدين محمد بن الشيخ جمال الدين البدراني ، بعد مَرَضٍ طويل ، عن نحو أَربعين سنة ، وكان فاضِلًا في الفِقْه ، والنحو ، وغيرهما ، وَوَلي القضاء عن يحيى المناوِي رَحِمه الله .

وفي يوم الاثنين ثالث ذي القعدة المذكور ، وُلِّي كتابة السّرّ القاضي محب الدّين بن الشِّحْنَة الحنفي ، قاضي حلب ، وأُلْبِس ما جَرَت به العادة ، ونزل معه جميع المباشرين والقضاة ، وكان له محفل عظيم ، وَسَاء ذلك ناظر الخاص ، وبعض الأكابر[1] .

موت درويش

[٧٧] وفي هذا اليوم ، أعني يوم الإِثنين ثالث ذي القعدة ، مات الشيخ درويش[2] في مدينة الخانكة ؛ بعِلَّة رَمْي الدَّم ، عن نحو سبعين

---

(١) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (٧١/١٦) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٤٤/٢) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦) .
(٢) هو : درويش ، وقيل : محمد ، وقيل : غَيْبي ، الرومي ، الأقصرائي – نسبة لآقْصَراي مدينة =

سنة ، وكان شيخًا مُعْتَقَدًا عند من لا يعلم مثل غالب مشايخ الزَّمان ، الذين ينابذون الشريعة ، ويتكلمون ، أو يُتَكَلم على ألسنتهم ببعض المغيَّبات فَيُفْتَنُ الناسُ بهم ؛ من لم ترسخ قدمه في الشريعة ، ولا عَرَف منهاج الرسل ، ومُضِلَّات الأَهْواء ، وكان يحج كل سنة ماشِيًا وله قدرة عجيبة على المشي في الجبال ، والصبر على الجوع والعطش ، مع اللون الحَسَن الوضيء ، والشَّيبة البيضاء النَّقِيَّة والسَّطْوة على بعض الظَّلَمة بكلمات الحق ، إلا أنه لما ضخم أمره ، واشتد اعتقاد الناس له ، صار يتصرف في الأموال بغير رضى أهلها ، وَيَخْتَلي بالنساء الحسان ، والمردان الملاح ، ويغمز من أراده منهم رجله ، وما أراد من جسده ، من غير حائل ، وأخبرني الشيخ أبو الفضل المغربي ، محقق الزمان ، أنه شاهده يركب في طريق الحج من خيول القاضي ، كاتب السّر ابن البارزي الفَرَسَ ، ثم يمشي بها على عادته في الجبال ، ويسبق بها الرَّكب ، ويكلِّفها فوق طاقتها إلى أن تموت ، فيركب أخرى كذلك ، إلى أن لم يبق معه إلا فرسٌ واحدة ، فنهى غلمانَه عن تمكينه منها ، فغضب مِن منعهم له ، وهجر القاضي ، إلى غير ذلك من نحو هذه الأمور .

وفي يوم الثلاثاء رابع الشهر ، عُزل خَيربَك الوالي ، وأخذَ عنَه عَلِيٌّ ابن امرأة الفَيْسي ، بمال دفعه[1] ، وبلغني [أن][2] الجند كرهوا ذلك ، وأنَّ السلطان طلب خِلْعَتَه في القصر فأُجيب بالسَّمع والطَّاعة ، ثم نُوسي إلى أن طلبها ثانِيًا وثالِثًا ، ثم غضب ، وقال : أنا كنت في حال الإمرة ،

= ببلاد الروم - الخانكي ، كان صالحًا معتقدًا ، أفنى عمره في السياحة والحج كل سنة ماشيًا ، فصيحًا باللغة التركية ، ويفهم القليل من العربية .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٣٥٨) ، و « النجوم الزاهرة » (١٦/١٦٨) ، و « الضوء اللامع » (٣/٢١٧ رقم ٨١٦) ، و « بدائع الزهور » (طبعة بولاق) (٢/٤٤) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦) .

(١) جاء في « حوادث الدهور » (١٩٦) أن مقداره أربعة آلاف دينار .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة اقتضاها السياق .

لا أرضى أن تُرَدّ لي كلمة ، فما فائدة الملك ! مالي آمر بالأَمْر ، فَيُؤَخَّر .
فقال الدويدار الكبير يُونُس البواب : من يعمل ذلك يا مولانا السلطان ؟
فقال : أنت . ثم تهدَّدَه إن عاد إلى شيء من ذلك ، فتكلّم الدويدار[١]
الثاني ، فأشركه في شيء من التهديد ، وقيل : إنا نخشى أَنَّ عليًّا لا يسد .
فقال : أنا إذا أقمتُ أحدًا في شيء ، فمهما قَدِر عليه ، كان حظي ، إن
كان حسنا أو غيره ، فأُتِيَ بالخِلْعَةِ فأُلبسها ، ونزل .

فضرب[٢] ليلة الأربعاء خامسه بالمقارع شخصًا من النّاس ؛ لكونه لم
يُعلِّق على دكانه قِنْديلًا ، فطلع إلى السلطان ، فَشَكَا حَالَه إليه ، فما رأى
أنه يكسر الوالي لقرب عهده ، فيشمت به من خالَفَه فيه ، ولا استحسن
فعله ، فلم يسعه إلا أَن رد الرّجلَ ردًّا جميلًا ، وأمَّنه من مثل ذلك في
المستقبل .

وفي يوم الخميس سادسه ، أُلْبس الشيخ علي المحتسب خِلْعَة استمرار ؛
لأنه كان سعى عليه شخصٌ بمال فالتزم هو ذلك المال[٣] .

جواب كتاب ابن عثمان

وفي يوم الاثنين عاشر الشهر ، خلع السلطان على رسول ابن عثمان ،
خِلْعَةَ السَّفر وأجازه بأَلْفَي دينار ، وأعطاه ما يليق بابن عثمان مِن الهدايا ،
وكتَبَ معه جواب كتاب ابن عثمان .

أَمَّا كتاب ابن عثمان فهو بعد البسملة : « ضاعف الله اقتدار المقام
الشريف (إلى آخر الألقاب المتعارفة) السلطاني الملكي الأشرفي ، عون
الأمة ، غوث الملّة ، خادِمَ الحرمين الشَّريفين ، عز الإسلام والمسلمين ،
المختص من الله بالنصر ، والتمكين ، عَزَّ نصره واقْتِداره ، وقُرِن بالنُّجْحِ

---

(١) كان في ذلك الوقت تِمْرَاز الإينالي الأشرفي . « النجوم الزاهرة » (٧٥/١٦) .
(٢) أي ، علي بن امرأة الفيسي .
(٣) جاء في « حوادث الدهور » (١٩٦) ، أنّ شخصًا من الأوباش سعى في الحسبة بثلاثة آلاف دينار ، ومال السلطان لتوليته ، فتكلَّم معه بعض أرباب الدولة باستمرار المذكور على بذل ألفين .

إيْرَادُه وإصْدَارُه ، ولا زال نَيْل عطاياه في مصر مزاياه على جَنَان وارديه ذارِفًا بِلا مِقْياس ، ونَيْل سجاياه في قصرِ سَخاياه إلى جَنان صادريه ، دالفا بلا حد وقياس ، ولا برح يَمْنَحه الله تعالى بسعادة تكنف بالخلود نواحيه ، وتُشبْرِق[1] أهلَّة الدوام على أكنافه وضواحيه ، وقدرةٍ تنشر الأيَّامَ له بالطَّاعَةِ وتطويها ، وتستدرج لك ملك سليمان ، وقد فعل في مطاويها ، ولمّا وصل إلى سَمْعنا ما سرَّنا في هذا العصر والأوان ، أَنْ زَيّن بالمقام الشريف سرير سلطنة القاهرة المِلكُ الدَّيّان ، وحمى به البيت الحرام ، والروضة ، والمقام ، ومحى به أركان أعداء الدِّين ، وبُنْيان أُولياء الشّياطين ، وخَصَّه الله تبارك وتعالى بتدبير الأُمور ، وردّ المحذور ، وبَسْط العدل شَرْقا وغَرْبا ، ونَشْرِ اللطف بُعْدًا أو قُرْبا ، وتجديد مدارس المروءة ، بعد اندراسها ، وإقامة أَعلام العِلْم ، حين انتكاسها ، فاجتمعت القلوب على ولائه ، وابتهلت الألسن بصالح دعائه ، ونطقت بأنَّ القَوْس أُعطيت باريها ، والنَّبْلَ دُفِعت إلى رامِيها ، فصار حَامِلًا للورود مِنّا على المقام الشريف ، هذا المسطور للأسْنَى ، المملؤ بالاعتقاد في حسن صنيعه ، والاعتماد في جل الأمر على جميل جميعه ، والوثوق من كرَمه بمُراد ينعش النّاس سَيْبُ[2] ربيْعه ، وإحسان أحسنَ في تنويل تنويْعه الجاري على المعهود ، من الإخلاص ، والموافاة ، والمألوف ، من الاختصاص والمصافاة ، الحالي بما طاب نسيمه مِن السلام ، وَمَا عَذُب تسنيمه[3] من الكلام الحاوي بما لا يُمل في رقائق السحر مساقط أندائِه من التحايا ، وما لا يُمَدُّ في غير رونق الضحى مبسوط ردائِهِ من الثنايا ، المشتمل على ما وضح عندنا وصح لدينا ، أن الدُّنيا تَمُرُّ

---

(١) تشبرق : جاء في « محيط المحيط » (٤٤٩) : « الشبارق القِطَع ، أو يقال ثوبٌ شَبارِق وشُبارِق أي مقطع كله » .

(٢) سَيْب : جاء في « محيط المحيط » (٤٤٤) : « السيب مصدر والعطاء ، والمال » .

(٣) تسنيمه : جاء في « محيط المحيط » (٤٣٤) : « التسنيم ماء في الجنة يجري فوق الغرف والقصور ، أو عين بعينها تتسنم عليهم من فوق ، قيل لها ذلك لارتفاع مكانها ، أو رفعة شرابها ، وقيل : هو أرفع شراب أهل الجنة » .

وتَحْلُو ، ثم تَمُرُّ وتخلو ، تقصم الأصلاب ، وتقسم الأسلاب ، غمومها ومصائبها ، تسرّ بحلو عِذَاتها ، وتسوءُ بِمُرّعاداتها ومعاداتها ،

دنيا غوائلها في ضمن زخرفها   كالسم في ضمن أصلاب الذراريح[1]
وأهلها في ذُراها والذي جمعوا   من الحطام هباءً في ذرى ريح[2]

فاجتهدنا كل الاجتهاد ، وأنعمنا النّظَر ببصيرة الفؤاد في قوله عَزّ وعلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[3] ، وتأملنا قوله جَلّ وعلا : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾[4] ، ورأينا أنَّ السعيد من بذل المجهود في مراضاة المعبود ، بالتحلّي بالفضائل [٧٨] والتَّخلي عن الرّذائل ، وأنَّ أفضل القُرُبات إلى الملك المنَّان ، التَّقَرُّب بالجهاد في سبيل الرَّحمن استنباطًا من قول أَفضل البشر ، وأكمل أهل المَدَر[5] والوَبَر[6] ، كما ورد في صحيح البخاري أَنه صلى الله علم قال : « لوددت أَنْ أُقتل في سبيل الله ثم أُحْيا ، ثم أُقتل ، ثم أُحْيا ثم أُقْتَل ، ثم أُحْيا »[7] فاستخرنا الله تعالى ، واخترنا للجهاد ما هو جرثومة الكفر ، وأرومته ، بل منبع الفساد ، وقرونته وهي البلدة المشهورة والبُقعة التي في التواريخ مزبورة ، بل صَرّحت صحاح الأحاديث بتحصّنها غاية التحصن ، وأشار سيد الكونين صلى الله علم ، أنّ أَوَّل جيش يغزوها مغفورٌ لهم ، وهي القسطنطينية العظمى التي أحاط بجانبيها البحر والبر ، وهي العذراء التي عجز عن فتق رتقها الفاجرُ والبَرُّ ، عذراء لم تشمّ رائحة الضرائر ، شمَّاء

---

(١) الذراريح : جاء في « محيط المحيط » (٣٠٦) : « هي دويْبة حمراء منقَّطة بسواد تطير ، وهي مِن السموم » .
(٢) ذُرى : اسم لما ذرته الريح ، « محيط المحيط » (٣٠٨) .
(٣) العنكبوت / ٦٩ .
(٤) آل عمران / ١٦٩ .
(٥) المَدَر : أي أهل القرى والأمصار . « لسان العرب » (٩/٧) .
(٦) الوَبَر : أي أهل البوادي . « لسان العرب » (١٣٣/٧) .
(٧) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب تَمنّي الشهادة ، ٢٠٣/٣ .

لم تعهد صدمة الدّوائر ، فسرنا على بركة الله بالنَّصْر والنُّجْح مكفوفين ، وبالظَّفر والفتح المبين موسومين ، ونزلنا حواليها صبيحة عيد المؤمنين آخر جمعةْ مِن ربيعِ الأول ، الشهر المبارك ، شهر مولد رسول الله صلى الله علم ، وقد اجتمع فيها أنواع الكفَرة وأصناف الْفَجَرة ، فَرَّق الله شملهم ، وأفسد في الدَّارين شملهم ، من كلّ فَجٍّ عميق ، ومن كل رَحىً سحيق ، حامين لكنائسهم التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصى ، وصوامعهم[1] التي لا تحد ولا تُسْتَقْصى خصوصًا كنيستهم العظمى التي هي مُعَنّد[2] جِبَاهِ عظمائهم ، ومقَبّل شفاه كبرائهم ، فتشاوروا في أمر الانتقام ، وتفاكروا مدّة من عدَّة أَيَّام ؛ فأدّى فكرُهم الفاسد ، ورأيهم الكاشد[3] غبَّ مشاورات غزيرة ، وإِثْر مفاكرات كثيرة إلى أَنْ يصيروا صنفين ؛ صنف يَسُدُّ جانب البحر ، وصنف يَسُدَّ جانب البر ، وأقمنا حواليها منذ أسابيع وشهر ، وحاصرناها بعزة وشوكة وقهر ، ثم هجمنا على فتحها مستعينين بالله الملك الجبّار ، يوم الثلاثاء عشرين جمادى الأولى ، وقت الإسْفَار ، برجال فُرَّاس ، مِنْ حُمَاة المملكة رَوَّاضين للعِدى ، يتطايرون إلى اقتطاف الرؤوس ، تطاير النَّدامى إلى اختطاف الكؤوس ، ورُجّالٍ حُرَّاسٌ من كمُاة المعركة خَوَّاضين في الرَّدى ، يتبادرون إلى انتهاب الأرواح تبادر النَّشاوى إلى اسْتِلاب الأَقداح فأقمنا الحرب على ساقها، وبلَّغنا كلَّ نفس إلى مَقَرِّها ومساقها ، واشْتَعل الضِّرام ، وتطاير السِّهام ، وتضايق المجال ، وتسابق الآجال ، والتفَّت السَّاقُ بالسَّاق ، وتلاعبت السيوف بالأعناق ، ففتح الله الملكُ القويُّ القدير ، قبل طلوع الذُّكَاء[4] المنير ، وعلت رايات الإسلام خافقه على

---

(١) صوامعهم : في « محيط المحيط » (٥٢٥) : « الصَّومعة بيت لعبّاد النصارى ، سمّي به لدقَّة رأسه ، ثم عمّم لكل بيت لهم ، سواء كان دقيق الرأس أم لا ، والمشهور أن صومعة الراهب هي الجبل الذي يتخذ له عليه كوخًا ؛ قصد انفراده عن الناس » .

(٢) معنّد : يفهم مما جاء في « لسان العرب » (٣٠٣/٤) بأنها تعني مقصد جباههم .

(٣) الكاشد : تأتي بمعنى الضيّق ، تقول : ناقة كَشُود أي ضيّقة الإحْلِيل . « لسان العرب » (٣٨٤/٤) .

(٤) الذُّكاء : أي الصبح . « لسان العرب » (٣١٤/١٨) .

أسوارها ، وتمكنت سيوف الموحِّدِين في أعناق كفَّارها وفجّارها .

وما مات شخص من عساكر أرضنا وما كان مجروحًا بأدنى الجراحة

وقد امتلأت الأسواقَ برؤوس الكفّار ، وما بقي أَحَدٌ منهم سالِمًا من الكبار والصِّغار ، أكثرهم بسيف القهر والغضب مقتولون ، وبقاياهم في السلاسل يُسْحبون .

وتجري دماءُ الكافرين على الثرى بأجزاءِ أموات رؤوسًا وأبدانًا

وأخذ منهم سفن وفُلْك ، وسُلِّط عليهم سقمٌ وهُلْك ؛ فصارت نسوانهم أَيامى ، وصبيانهم يتامى ، وديارهم خالية بلاقِع ، ليس لهم مِنّا واقٍ ، ولا دافع .

أيّ امْرِئٍ أسس بنيانه على التقى دامت مبانِيْه

ومن تعدّ طوره[1] لم يكن إلّا إلى الحتف تناهيْه

ومن خالف كتاب الله ، وسنة نبيه ، واستحلّ ما حَرَّمَهُ ، وَحَرَّمَ صفيَّهُ ، وسعى في الفتنة والفساد ، بين أَهل الإسلام ، من العِباد ؛ فهو أحرى بأنْ يُبُوءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله ، ومأْواه جهنّم وبئس المصير .

ولما كان هذا الفتح المبين ، الذي فتحه الله على أَيْدِي المسلمين مِن آلاءِ الله العِظام التي خُصِّصْنا بها مِنْ دون آبائنا الكرام ، مع أنهم جاهدوا في سبيل الله مدى الدهور والأَعوام ، وسُطِّرت آثارُهمْ في صفحات الأَيَّام .

حماةُ سُبْل الهدى من كل مبتدع غزاة أهل الهوى والشرك والريب

وكان جل بضاعتهم موقوفًا وكل عنايتهم مصروفًا إلى عبور مسالِك الرَّشاد ، وعثور مذاهب السَّدَاد ، وترتيب أصول الخيرات ، وتشييد مباني الحسنات ، وتسديد معاني المهمّات ، وإعلاء كلمة الله ، وإغلاء لواءِ أعداء الله .

كم معبِد [شيَّدوا][2] للدين أعمُدَه فلم يزل ذكرهم في الدّرس والخُطَب

---

(١) طوره : جاء في « محيط المحيط » (٥٥٩) : « طوره ، أيّ قَدَره الذي يليق به » .

(٢) في الأَصل (شيددوا) .

ما مَرّ على واحدٍ منهم سَنة إلا وَله غَزْو مشهور ، وما كَرَّ على راقِدٍ منهم سِنَةٌ[1] إلا ومعه دَهْوٌ[2] مذكور في بلاد المشركين والكفّار أذَلّهم اللهُ العزيز الجَبَّار .

وكان ذلك الفتح المبين المسْتتبع للفتوح فتحًا يُسَرُّ به المؤمنون ، ونصرًا يفرح به الموقنون .

هناءٌ طبّق الدُّنيــا سرورا وفَتْحٌ قد شفىٍ مِنّا صدورا

سِيّما المقام الشّريف الأعلى لازال ظله ظليلًا ، وعدوّه غليلًا ، فإنّه قد امتاز من سائر السلاطين بالجهد والجهاد . [٧٩] والمحارَبة مع أهل الفساد ، أردنا أنْ نَسُرّ بإشعاره قَلبَهُ البريق ، وأن نشرح بإظهاره صدره الشريق لِنَسْتَمْطِرَ مِنْ سحائب ألطافه دَعْوةً ونستحلب من رغائب أعطافِهِ همّة مسْتطابة ، وقد بعثنا لهذا الأمر سَهْما مُفَوَّقًا من كنانتنا ، وشَهْمًا مُوَفّقًا من بطانتنا ، وهو الجناب العالي الأمير المحترم افتخار الأماثل والأَماجِد ، ذو الفضائل والمحامد ، زين الخواص والمقرَّبين ، جمالُ الملّة والدين ، ابن القابوني أدام الله تعالى تمكينه ، فهو صاحب الخصال الحميدة ، والفعال الرّشيدة ، والشمائل البهيَّة ، والفضائل السَّنِيَّة ، وعليه في الأحوال اعتمادٌ صريحٌ لا يهتدي الاختلال إليه ، وتعويل صحيح لا يعتدي الاعتلال عليه ، فالمأمول من الحضرة العليَّة والسّدَّة السَّنِيَّة أنه إذا استسعد القاصدُ المومى إليه بتلك الخِدْمة ، وأناخ راحلته في تلك الحضرة ، وأقبل على تبليغ ما تحمَّله من الرِّسالات ، وتأدية ما تَقَبّلَهُ من الأمانات تشريفه بالاستماع إلى ما يحكيه ، والاطّلاع على ما يؤدّيه ، فإنا حاملون تلك المِنّة ، ناشِرون تلك المكرمة ، وللرأي العالي في ذلك مزيد ما يرجى ، والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله وآله أجمعين ، وقد جهّزنا على يده رغبةً في التّحابب والاتِّحاد ما يأتي ذِكره على سبيل التّعداد ، وهو هذا : الغلمان

---

(١) سِنَة : فتور يتقدم النوم . « محيط المحيط » (٩٧٠) .

(٢) دَهْو : جاء في « محيط المحيط » (٢٩٧) : « يوم دَهْو مِن أيام حروب العرب » .

ثلاثون نَفَرًا من تلك الغلمان المعدودين ، قِسّيسان من قِسّيسي القسطنطينية ، الفراء : وَشَق[1] تسعة أبدان ، سَمُّور[2] تسعة أبدان ، سِنْجاب[3] تسعة أبدان ، قاقوم[4] تسعة أبدان ، الأقمشة : كمخا[5] أحمر خاص تسعة أثواب ، حرير مخمل ساذَج[6] تسعة أثواب ، كمخا مذهب تسعة أثواب .

فالمأمول والمسؤول من الموقف الأعلى ، أن يلحظه بعين القبول ، وهو أعظم مأمول وأكرم مسؤول .

وكُتب في غرَّة شعبان لِسَنة سبع وخمسين وثمانمائة ، ومقابل قوله : « فالمأمول علامته بقلم ثُلث مرمل بالذهب تحية المشتاق محمد عَلَى الصورة التي تراها » .

فكتب جوابه عن سلطان مصر الأشرف إينال العلائي ، بعد البسملة ، والعلامة ، وهي أخوه أعز الدين تعالى أنصار المقر الكريم ، (إلى آخر ألقابهم) ، وهَنَّأه بهذا الفتح ، الذي جاء الإطناب في بلاغته وجيزًا ، وابتهج به كلُّ مُوَحّد ، وأعلن بسورة الفتح ، وتلا ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا

---

(١) وَشَق : جاء في « الموسوعة العربية الميسرة » (١٩٥٣) أنه حيوان ثديي لاحم من فصيلة القط ، قصير الذيل ، فراؤه سميك وثير أسود به علامات بيج أو رمادية .

(٢) راجع « هامش ٤ » من (ص ١١١) .

(٣) سنجاب : حيوان قارض صغير ، في حجم اليربوع ، وأكبر من الفأر ، يستوطن الأمريكيتين وأوربا وآسيا وإفريقيا ، شعره كث سميك في غاية النعومة ، تُتَّخذ من جلده الفراء ، والعامَّة تسميه القَرْقَذون والقرقذان ، ويضرب به المثل في خفَّة الصعود وسرعته . « محيط المحيط » (٤٣٢) ، و « الموسوعة العربية الميسرة » (١٠٢١) .

(٤) قاقوم : جاء في « محيط المحيط » (٧٥١) ، أنه حيوان ببلاد الترك على شكل الفارة ، إلا أنه أطول ، ويأكل الفارة ، كما جاء في « الموسوعة العربية الميسرة » (١٣٦٢) أنه من أنواع بنات عرس وفرائها ، يستوطن أمريكا الشمالية ، وشمال أوربا وآسيا ، تصنع من جلوده المعاطف والأدثرة وكلفة الملابس .

(٥) كمخا : الكمخا ، نسيج رفيع مِن الحرير . « محيط المحيط » (٧٩١) .

(٦) ساذَج : معرَّب سادَه بالفارسية ، وهو ما لانقش فيه . « محيط المحيط » (٤٠٤) .

عَزِيزًا ﴾[1] ، ولا زالت وجوه النّصْرِ تترآى في مرآة صِفاحه ، وثمرات الظفر تجتنى من أغصان رِماحه ، وفروض الجهاد بسيوفه المسنونة في كل وقت تُقام ، وبلاده الإسلامية محروسة بالجناب المحمّدِي عليه السّلام ، وهمزات عوامِله[2] بصدور الكفّار موصولة ، وألْسُنِ سيوفه بثغور بلادهم من رَشْقِ أرْياق دمائهم مبلولة ، ولا برحت عزماته تُخْلي من أعداء الإسلام المعاقل وتُحل منهم المعاقِد ، وتجلو عليهم مواقِف الحرب مستعرة المواقِد ، فهو بحمد الله ما سلك خلف الكفّار بَرًّا إلا قالوا لقينا من سفرنا هذا نصبا ، ولا خاض عُبَابَ بحرٍ إلا اتَّخَذَ سبيله في البحر عجبا .

أصدرنا هذه المفاوضَة إلى المقر الكريم ؛ معرِبةً عما نحن منطوون عليه من السرور بهذا الفتح ، الذي وضح على جبين الصّباح بشْرُه ، ورجح على ميزان الكواكب قَدْره وَتَبَدّى لكريم عِلْمه ورود كتابه الكريم ، وخطابه الذي أزرى بالدرّ النظيم ، على يد المجلس السَّامي (إلى آخر ألقابهم) الجمالي يوسف القابوني الناصري ، أحَسَن الله وِفادَته ، ويَسَّر إلى مقرِّكم الكريم إعادته ، فأكرمناه حين قابلناه ، ورفعنا محله لما تناولناه ، واستنشقنا المسك من خِتامه لما فضضناه فشممنا مخامل النصر من سطوره ونَزَّهنا النواظِر في رياض منظومه ومنثوره ، وانتهينا إلى ما أشار إليه من مسيره على القسطنطينية العظمى بعساكره الإسلامِيّة وجنوده المحمّدية ، وأنهم أحدقوا بها ، فكانوا لها أصفادا ، وزلْزَلوا أرضها بجياد خَيْلٍ وقفت صابرة ، فكانت كالجبال أوتادا ، وأنه أرسل إليها جواري في البحر كالأعلام ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالأيام ، ورماها بفرسان من البرِّ ، وأقدم على منازلتها بمن أطاع الله وَبَر ، وخطبها بكرًا فتمنعت وأطالت في التَّجَنِّي [٨٠] وترفعت ، فلما تحققت عظم أمرها في النفوس ، ورأت كثرة ما ألقى إليها من نثار الرؤوس جنحت إلى الإحصان بعد النشوز ، وعلمت

---

(١) الفتح / ٣ .

(٢) عوامله : رماحه ، وجاء في « القاموس المحيط » (٢٢/٤) ، أن عامِل الرمح ، وعاملته صدره .

أنَّ الامتناع من قبول الإحسان لا يجوز ، فأمْكَنت زمامها من يد خاطبها وأمتعته على رغم أنف مراقبها ، وأنشد لسان الحال :

وخطبتها بكـرًا وما أمهـرتها إلا قنا وقواضبا وفـوارسا
من كانت السّمر العوالي مهرَهُ جُليت له بِيْض الحصون عَرَائِسا
الله أكبر ما جنيت ثمارهـا إلا وكان أبوك قبلك غارسا

هذا كله بعزائم لم يشبها في الحروب نكول ولا تقصير ، فكان بحمد الله جمعه جمع سلامة ، وجمع الأعداء جمع تكسير ، فأخذهم أخذ القرى ، وهي ظالِمة ، وأعلمهم أنّ السيوف الإسلامية ، لم تترك لهم بقوة الله يَدًا في الحرب مبسوطة ، ولا رِجلًا في المواقِف قائِمة ، فزلزل أقدامهم ، وأزال إقدامهم ، ونكس أعلامهم ، وقابل العدُوَّ بصدره ، وقاتل حتى أُفنى حديد بيضه وسُمره ، وهبَّتْ نسمات النّصر على جيوشه ، فقيل : يا خيل الله اركبي ، ويا يد النصر اكتبي ، وقام الحرْبُ على ساق ، وأضحى كل من الأعداء إلى حتْفِه يُساق ، فعند ذلك أثبت سيفُه الناصِريُّ الحقَّ ؛ لأنه القاضي في ذلك المجال ، ونفذت سهامه ؛ لأجل تصميمه فلم تمهل ، حتى أخذت دَيْن الآجال ، وهو حال :

الله أكبر هذا النّصرُ والظَّفَرُ هذا هو الفَتْح لا ما تزعُم البَشَرُ

فَطَهَّرَ الله منهم تلك الدِّيار ، وسلَّموا عندما أيقنوا بالدَّمار ، وصارت بحمد الله نجوم الضلال آفِلَة ، ومواطِن الكفر بالإسلام آهلة ، وعن الآذان يُعْرَب حيث كان الناقوس يُضْرَب ، والله عز وجل يوحَّدُ حيث كان يُجْحَد ، والكنائس من أقِسّائها خالية ، وأصوات حماتكم الإسلامِيّة بالتكبير ، والتّوحيد بها عاليه .

فقد فهمنا ذلك ، وحمدنا الله تعالى ، وقابلنا هذه البِشارة بتكرار الشكر لله ، الذي جعل جيوش الإسلام ، حيث سلَكَتْ ملكت ، وأين جنحت من بلاد الكفر أسَرَت وفتحت ، ولله مزيد الحمد الذي أيّدكم بنصره ، وجعل مهابةً جيوشكم في قلوب الكفرة ، تقوم مقام منازلة العدوّ وحَصْره ، وظفركم على حزب المشركين ، الذي ذُعِرَ من هيبتكم دانيهم وقاصيهم ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وسدَّدَ

سهْم رأيكم ، الذي دل على إهلاك العِدَي سُرْعَة نفاذه ، ووعدكم مغانم كثيرة فعجلٍ لكم هذه ، وحَكَّمَكم في ديار العِدي ؛ لتنشروا بها المهابة ، وتطؤوها وأورثكم أرضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا لم تطؤوها ، ولقد أيَّدتم هذا الدين الذي وضح به طريق النَّجاة ، واستنار وفزتم بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : « ما اغبرَّت قَدَما عَبْدٍ في سبيل الله فتمسه النار »[1] .
فللَّه الحمد على ما أُنْعَم به عليكم من الغزوات التي سُطِّرَت أجورها في صحائفكم ، وصحائف أسلافكم الكرام ، وصار خبرها غرَّة في جبهة الدّهْر ، وحَسَنة في صحيفة الأيَّام ، ولَقَدْ أنشد شاعرُ حضرتنا الشريفة :

كذا فلتكن في الله جَلَّ العزائم	وإلا فلا تجفو الجفونَ الصَّوَارمُ
كتايبك البحرُ الخضمُّ جيادها	إذا ما تهادت موجه المتلاطِمُ
تحيط بمنصور اللـواءِ مظفَّـرٍ	له النصر والتأييدُ عبدٌ وخادِمُ
[٨١] فيا ناصر الإسلام يا من بغزوه	على الكفر أيَّامُ الزمان مواسم
تَهَنّ بفتح سار في الأرض ذكرُه	سرى الغيث يحدوه الصَّبا والنعائِمُ

فعند ذلك أمرْنا بإعلان البشائر ، وإظهار الزِّينة والسّرور بممالكنا الشريفة ؛ لما مَنَّ الله به من هذه النصرة ، وأمددناكم بصالح الدعاء ، مع تضاعف المسَرّة ، وأضحى المسلمون مستبشرين بهذه النّعم التي تسربل كل أحد منها بأبهى لباس ، وتلي كل منهم ذلك من فضل الله علينا وعلى النّاس .

وأمّا مَا أشار إليه المقرُّ الكريم ، من سروره وابتهاجه بجلوسنا على تخت ملكنا الشريف ، وإذعان جميع الرَّعايا لأمرنا المنيف ، وأنه أخذ بالحظ الوافر من هذه البشرى التي خصت الإسلام ، وعمت أمّة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأنه أمدَّنا بدعائه ، أن الله يَشدّ أزر سلطاننا ، ويشيِّده ، ويجعل ألوية مُلْكِنا الشريفة مسبلة على مقامنا ويُخَلِّدَه ، وما أشار إليه من أنه عاقته هذه الغَزْوة الشريفة عن المكاتبة والابتداء بهذه المخاطبة ليحقق بخواطرنا الشريفة تأكيد أسباب الوداد ، وصحيح الاتحاد ، فقد فهمنا

---

(١) نص الحديث في صحيح البخاري ، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله (٢٠٧/٣) .

ذلك ، ونحن نتحقق ، أنّ المحبَّة لنا من هذا البيت الكريم مستديمة ، والمودَّة بيننا وبينه كأسلافِه الكرام مستقيمة ، وقد تواردت الخواطر منّا ومنكم على محْكَمِ عقود الاتحاد ، وجميل الاعتقاد ، وآكد المحبّة ، وغزير المودَّة .

وأمّا الهديَّة التي أتحف بإرسالها ، فقد وَصَلَت ، وبالإقبال والقبول قُوبِلت ، وشكرنا صِدْق محبّةِ مهديها ، وأثنينا على جميل موالاته التي لم تزل في ملء مملكتنا نبديها ، وقد أَعَدْنا المجلس السامي الجمالي قاصِدكم المشار إليه ، بَعْد أن عومِل بمزيد الإكرام ، ووافر الإحسان ، وغزير الاحترام ، وأرسلنا معه أحدَ أمرائنا ، وأعَزّ أخِصائنا ، المجلس السامي (إلى آخر أوصافه) يَرْشِباي الأشرفي ، أدام الله تعالى سعادته ، وكتب سلامته ، بما على يده من كتابنا الشّريف ، والهدية التي تؤكّد أسبابَ الوداد ، وجميل المصافاة والاتحاد ،وحمَّلْناهما من السلام لمقركم الكريم ، وما يبتسم ثغر الزّهْرِ عند أدائِهِ ، ويُسْفر وَجْهُ البِشْرِ عند إبدائه ، وسيحيط علمكم الكريم بما تحمَّلاه من ذلك ، فيتحف بتجهيز رسله وأخباره السَّارّة من هنالك ، والله تعالى يمُد بأعوانه وأنصاره ، ويخلد نِعَمه عليه بدوام ليله ونهاره إن شاء الله تعالى .

هذا ملخصُ الجواب ، وأحسن ما فيه من الخطاب ، ولم يذكر فيه ما قابل به هديّته ، بل ذُكِرت في قائمة ، وهي شيء كثير ، وفيها أشياء ظريفة منها : دبّوس كله فولاذ في رأسه هيئة رؤوس مسامير حادّة جِدًّا مثنيَّة ، مَنْ ضرب بها أزارته شَعُوب وإن كان عليه بَيْضَةٌ[1] ، أو دِرْع[2] .

ثم أَخَذَ الرَّسولُ المذكور في أُهْبَة السَّفرِ ، وعُيِّنَ معه مِن جهة السلطان

---

(١) بَيْضة : هي الحديد ، أو الخوذة ، من آلات الحرب تستعمل لوقاية الرأس . « المخصص » (٧٣/٦ - ٧٤) ، و « لسان العرب » (٣٩٦/٨) ، و « محيط المحيط » (٦٣) .

(٢) درع : جاء في « المخصص » (٦٩/٦) : « الدرع لَبُوس الحديد ، تذكّر وتؤنَّث ، والجمع أَدْرع وأدْراع ودروع » ، وجاء في « محيط المحيط »(٢٧٦) : « ثوب ينسج من زرد الحديد ، يُلبَس في الحرب وقاية من سلاح العدو .

الأمير يَرْشِباي ، واستمرا إلى أنْ سافرا في ثاني عشري ذي القعدة[1] ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وكان الّذي لفّق إنشاء هذا الجواب من كتب الإنشاء القديمة ، معين الدين عبد اللطيف بن الشرف أبي بكر بن الأشقر الحلبي ، نائب كاتب السّرّ ، فكان كلما وصل كاتب السّرّ القاضي محب الدين بن الشحنة ، عند قراءته على السلطان إلى نكتة أشار ناظر الخاص يوسف إلى تحسينها ، فَيُظهر المعينُ ، من القول والفعل ما يؤذن بأنه هو المنشئ له ؛ فاشتدت نكاية القاضي كاتب السّرّ مِنْ ذلك ؛ خوفًا من أنْ يَظن السلطان أنه لا يُحسن إنشاء مثل ذلك ، مع كَوْنِه من أفْصح النّاس ، وأشعرهم ، وآدبهم ، وأكتبهم ، وهذا الذي أراد ناظر الخاص .

ثم حَسَّن ناظر الخاص للسلطان أن يخلع على المعين ، كما يخلع على كاتب السّرّ ، ففعل ، فكان ذلك أعظم نكاية .

[٨٢] وفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة لبس القاضي كاتب السّرّ المحب بن الشحنة خِلْعةً بما جرت به عادة كاتب السّرّ به ، من أنظار المدارس المؤيدية ، والأشرفية بالقاهرة ، والتربة ، والخانكة ، والظاهرية بالقاهرة ، والتربة ، والجمالية وغير ذلك[2] .

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره لِبس القاضي تقي الدين أبي بكر بن عز الدين خِلْعة قضاء الشّافِعيّة بطرابُلُس ، عن البرهان السُّوْبِيني .

ونزل المقر الشّهّابي أحمد ولد المقام الشريف إلى الرِّماية[3] ، فرجع آخر

---

(١) في « حوادث الدهور » (١٩٧) : « في يوم الخميس عشريه سافر يرشباي الإينالي المؤيدي ، وسافر قاصد متملك الروم بعده يوم السبت ثاني عشريه » .

(٢) راجع « حوادث الدهور » (١٩٦ = ١٩٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٥ = ١٦) .

(٣) ورد الخبر في : « حوادث الدهور » (١٩٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦) .

يوم الخميس ثالث عشره من بين القصرين ، في موكب عظيم ، وقد صاد بضعة عشر طائرًا ، منها خمس كراكي[1] ، فَسُرَّ به النّاس ، وزغرط له النساء ، وهو حقيق بذلك ، فإنّ له من الشكل الحَسَنَ ، والقوام التّام ، والمعنى والحلاوة في القلوب ، ما يُدْهِش العقول ، ويأخذ بالألباب .

قصة العداس الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر

وفي بكرة يوم الخميس هذا طلع الشيخ المعتَقَد ، أحمد العداس الدمشقي ، أحد الأمّارين بالمعروف بالشام على يد ناظر الخاص الجمال يوسف ، فأكرمه السلطان ، وأحلّه ، ورفع رتبته ومحلّه ، وقال له : الأمر بالمعروف ركن الدين ، الذي لم يقم إلا به ، فلا تتهاون فيه ، مَهْمَا صَعُب عليك أعلمني به ؛ لِأبعث لك مراسيم بما يشدّ عَضُدَك ، ويقوّي أمرك . هذا معنى ما قال بكثير من ألفاظه ، فكتبت للشّاميين أُعْلِمُهَم بذلك ؛ لما لهم إليه من التشوق ، ووجهت الخطاب إلى قاضي الشافعية ، الجمال الباعوني ، فَحَكَيْتُ لهم مجلسه مع السلطان ، وقلت : « فنظر بعينه ، وسمع ما تكلّم به من فمه بإذنه موافِقًا كما كنت أُخبره عنه ، مما يكذب ما أشاعه الفسقة ، مِن أنه قال : دعوا الناس يفعلون ما أرادوا ، وأمر بأن يكتب له ما أراد من المراسيم فكان مما كتب له مرسومٌ بما سُئِل في تلك القصّة السالِفة ، من الأمر بالمعروف ، وكان ذلك بحضرة أعيان العسكر ، في إيوان الدّهِيْشَة ، وأطال معه الكلام ، وأمره بالجلوس ، بعد أن قام لينصرف ، وما أبقى من الأفعال والأقوال الدّامغةِ لمَنْ أشاع تلك الأكذوبة عنه مَمْكَنًا ، وبالله أُقسم ما أشاعها إلا الذي نادى برفيع صوته ، يوم أُحد ألا إنّ محمدًا قد قُتل ، والمرجو من المليك الدَّيَّان ، العزيز الجبَّار ، أن يجعل أمرَه إلى بوار ، وإجلابه بِخَيْلِهِ وَرَجلِهِ إلى إدْبار ، فالله الله في الاعتناء بأمر هذا المرسوم ، وجمع جميع الحكّام لسماعه بقراءة أفصح الناس ، وأعلاهم

---

(١) كراكي : « مفردها (كُرْكيّ) ، وهو طائر يقرب من الوز ، أبتر الذنب ، رمادي اللون ، في خدّه لمعات سود ، قليل اللحم ، صلب العظم ، يأوي الماء أحيانًا » . « محيط المحيط » (٧٧٧) .

صوتًا ، وأخشعهم قَلْبًا ، وإنْ لم يوجد صَبِّيت خاشِع وُعِظَ وَذُكِّر إلى أن يخشع ، فيقرأ ، ثم تُشاع المناداة ، بما تَضَمَّنه في جميع نواحي البلد ، وما تباعَدَ مِن أطرافها ، وليصدق سيدي قولَ المرسوم بفعل مهول في جَمْع كبير لئلا يكون كطبل تحت كساء ، وَبَرْق دونه غِشاء ، وذلك بأن يجمع سيدي جميع الحكام ، ويدوروا في كثير مِن أقطار البلد ، وأمامهم المنادون ، ومعهم أُناس من الطلبة رِكابًا يتلون بعض الأحاديث ، فتكون فعلة خارقة للعادَة ، فتكون أوقع في النفوس ، وأثبت في الصدور ، وأَهْيَبَ في القلوب ، على أنه قد فُعِل مثلها في القاهرة ؛ عندما توقف النيل ، فسيّدي يُشمِّر عن ساعده ، ويُصْلِت عَضْب همته ، ويُشْرِع سِنان عَزْمه ، ليكون لهذا المرسوم في أوّل هذه الدَّوْلة ، من الفخامة ، كَوَقْعَةِ بَدْرٍ[1] في غرَّةِ الإسلام ، فَجَدِّد – رعاك الله – أَعْلام دينه ، فوالله إنَّ الله مُعْلٍ أمورك ، فأنت ملاذ هذه العصابة ، وعصام هذه الكتيبة ، والله لا يفل جَمْع أنت فيه ، ولا يُفَضّ جُندٌ أنت حامِيْه ، وَلَيَنْصُرنّ الله من ينصره ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز ، وإنَّ جندنا لهم الغالبون ، ألا إن حِزْبَ الله هم المفلحون ، ولله عاقبة الأمور . وسيِّدي بعد أن يندب في هذا الأمر كل من يقدر عليه لأنّ المرءَ كبير بأخيه كبير بمواليه ؛ يُبرز نفسه ، ولا يقاتل بسواه ، ولْيَكُن كأمير القَوْم ، إذا صاحت الأبطال نزال نزال ، فإن غير سيِّدي لا يقوم هذا المقام ، ولا يدنو من هذا المجال ، فليست النائحة المستأجرة كالثّكلى ، ولا الْمُتَكَحِّلَة العينين كالكحلاء ، على أنه غير خافٍ عن العبد ، أنّ المبالغة في ذلك غير محمودة ، والإكثار منه ليس بلائق ، فإنَّ الزّمان غير قابل ، والوقت غير مساعد ، وما أكثر النّاس ، ولو حرصت بمؤمنين ، وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، وإن وَجَدْنا أكثرهم لفاسقين، فهذه مَرّة على المفسدين مُرّة ، وواقعة للفاسقين قامعة ، والمواصلة بمثل هذا المرسوم إن شاء الله مُتيسِّرة ، ووجوه المسؤولين فيما هو مِنْ طرازه لا تزال

---

(١) وقعت غزوة بدر الكبرى ، يوم الجمعة ، صبيحة السابع عشر من رمضان ، من السنة الثانية للهجرة . « عيون الأثر » (٢٤١/١) ، و « البداية والنهاية » (٢٣٦/٣) .

ضاحكة مسْتَبْشرة ، فلقد فَرَّج الله ، وله أتمّ الحمد بزوال من كان يمنع أمثال هذه المثوبة ، ويسدّ باب أشكال هذه القربة ، وأنْعَمَ بإثبات من يملأ العيونَ منظرُه ، والقلوب خَبرُه ومخْبَرُه ، القاضي محب الدين بن الشحنة حماه الله من كل آفة ومحنة ، فعندما عرض العبد ذلك عليه ، وَأوْمأ بلحظه إليه ، أَجابَ السؤال ، وحقّقَ الظنون والآمال ، وصَرّح بأن التوقف فيه ضلال ، على أنه من أكبر محبي مولانا ، فيجب أنّ تُعَطَّر المجالِسُ بطيب تِذكاره ، وتُملأ أقطار المملكة بجميل أخباره ؛ ليكون ذلك داعِيًا له إلى الخير ، وقائِدًا إلى الحقّ ، وسائِقًا إلى المعروف ، وَحَاثًّا على الإحْسَانِ ، وحادِيًا إلى المعالي ، ومُحَرِّضًا على البر ، وَمُرَغِّبًا في الجميل ، ومُحْيِيًا في الدين ، وإن قاسى فيه الأهوال ، وعانى الشدائد ، فلم يزل جندُ الله كذلك في كل زمان ، والعاقِبة للمتقين ، وكذا المقرُّ الأشرف ناظر الخاص ، ولقد كانت له في هذا الأمر اليد البيضاء ، والهمّةُ العليا ، وهو مِمّن يحب إشاعة ذكره بالخير ، ودعاء النّاس له بما أسداه من النَّفْع ، وأبداه من الجميل ، والمسؤول من فضل مولانا ، أنْ يُشيع أَنَّ السلطان هو القائم في هذا الأمر بنفسه ، من غير تحريك محرِّك ، لأن هذا الوجه أَحَدّ لشوكة أهل الدِّين ، وأرْدع للمفسدين ، وأزْجر للمعاندين ، والله تعالى المسؤول أن يمدّه بتوفيقه ، ويسعده بمعونته » .

نظر ابن أصيل للجوالي

[٨٣] وفي يوم السبت منتصف الشهر لبِس ناصر الدين بن أصيل ، موقِّع ابن السلطان (وكان موقّع أبيه قبل) خِلعَة ، بنظر الجوالي ، عن شَرَفِ الدين الأنصاري، لِمَا أُصرّ عليه من قِلَّة الخَيْر ، وسوءِ التدبير ، بمنع المستحقين وكثرة الأخذ من أهل الذِّمَّة ، مع عَدَمِ الخِدْمَةِ للسلطان ، وكثرة الأَيْمان المتحققه الحنث بالله ، وبالطلاق ، فلم يدع عنه أحدًا راضيًا ، بل أغضب اللهَ بظلم المسلمين ، وأهل الذِّمَّة ، والناس ، بالمنع ، فأدام الله علته ، وأطال خزيه ، ولا أخرجه من دائرة السّوء .

وفي يوم الأحد سادس عشره ، لبِس الشرف الأنصاري خِلعةَ استمرارٍ على ما بقي معه ، من الوظائف بواسطة الدويدار الكبير ، يونُس صهر السلطان .

إعادة نظر خانقاه سرياقوس لابن الأشقر

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره ، لُبّس المحب بن الأشقر خِلعةً ، بنظر خانقاه سِرْياقوس ، عن تِمْراز ، ويُقال أنه بذل ألفي دينار[1] .

ونزل بَرْدُبُك صهر السلطان ، وناظر الخاص الجمال يوسف ، والشّرف الأنصارى وكيل بيت المال إلى جامع الحاكم ، فحفروا مكانًا منه ، قال لهم شخص بابارنجي[2] ، أنّ به خَبِيَّة لراشدة ، جارية الحاكم في مكان سمَّاه في الجدار القِبلي من الزيادة في صندوق كميتها مائة ألف دينار وثلاثة جواهر ، وأنّ لها خبيّة أخرى بالجامع المعروف بها[3] ، وأخرى بمكان آخر سَمَّاه ؛ فحفروا المكان الذي ذكره ، وهو معهم ، فلم يجدوا شيئًا ، فعلموا كَذِب ما اعتمد عليه[4] .

سفر قاصد ابن عثمان

وفي يوم السبت ثاني عشري ذي القعدة المذكور سافر الجمال يوسف القابوني رسول السلطان محمد بن مراد بك بن عثمان ، راجعًا إلى بلاد الروم ، ومعه من جهة السلطان الأمير يَرْشِباي الأشرفي ، بجواب السلطان عن كتاب بن عثمان ، وما قابل به هدية ابن عثمان .

ولم يزل أمر الشيخ علي المحتسب من حين وَلِي السلطان الأشرف متزلزلًا ، وحاله متضعضعا[5] ؛ لأنه كان مِمَّن يُسِيء عِشْرة السلطان ، إذْ كان دويدارًا ، فكان يدخل في الأشغال المتعلّقة بوظيفة الدويدار ؛ لما يرى من لِيْنِهِ وتغفله ، وهو يحقد عليه ذلك ، وهو لا يشعر . وهذه كانت عادة

---

(١) راجع الخبر في « حوادث الدهور » (١٩٧) .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٩٧) : « شخص من عبيد البابيَّة برحبة الأيدمري » .

(٣) جامع راشدة : ابتدأ في بنائه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٢ هـ ، وقيل سنة ٣٩٣ هـ ، فيما بين دير الطين والفسطاط في خطّة راشدة ، وراشدة قبيلة من العرب وهي راشدة بن أدوب بن جديلة من لخم . وتم بناؤه سنة ٣٩٥ هـ . راجع : « اتعاظ الحنفا » (٤٤/٢) ، و « خطط المقريزي » (٢٨٢/٢ – ٢٨٣) ، و « الخطط التوفيقية » (١١٤/٤) .

(٤) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٩٧) ، و « بدائع الزهور » (صحفات لم تنشر » (١٦) .

(٥) في الأصل : متضعضًا ، والتصحيح من مفهوم السياق .

أصحاب الظاهر ، يتكلمون فيما لا يعنيهم ، ويدخل الإنسان منهم في وظيفة غيره ، فلما كانت هذه الأيام رأى أَنَّ تِمْرَاز الدويدار مِمَّن راج أمره ؛ لِما ظهر من شهامته ، وجرْأته على السلطان ، فتعلق بأذياله ، وصار يخدمه اعتبارًا بالحالة الرَّاهِنة ، فكان ذلك مما زاد حنق السلطان عليه ؛ لأن تِمْراز في محل الخطر ، بما يجترئ عليه من الأفعال ، ولا يمشِّيها السلطان له إلا على مضض ، إلى حين التمكن ، وضخامة الدَّولة ، فكيف بمن يحتمي به ، فكان كلما تحدث بعزله ، ظن أن ذلك لشيء يراد منه ؛ فيبذل ما يظن أنه المراد ، وأنه سبب قُرْبه ، فيُقِرُّه السلطان ، ويشترط عليه الإحسان إلى الرَّعِيّة ، والكفّ عنهم ، وهو لا يَرْجع ، بل كلما بذل شيئًا فرضه على السُّوقَةِ إلى أن كان آخر ذلك ، أنه تَحَدَّث بعزله في هذا الشهر ، فبذل مالًا ، يُقال : إنه ألفا دِينار ، ثم جرى في أَخْذِها مِن الناس على عادَتِهِ ، فيقال : إنه أخذ من كل حمام دينارًا ، وكان المِهْتار[1] علي بن الحاج محمد البَابَا[2] ، مِهْتار الطِّشْطَخانة[3] مِمّن رُبّي عند السلطان صغيرًا ، وله ولِأبيه في خدمته مدّة طويلة ، فكان مُقَرَّبًا عنده ، وكان أمر الحمَّامَات ،

---

(١) المِهْتار : « لقبٌ واقع على كبير كل طائفة مِن غلمان البيوت ، كمِهْتار الشّراب خاناه ، ومِهْتار الطّشْت خاناه ، ومِهْتار الركاب خاناه ، ومِهْ بكسر الميم معناها بالفارسية الكبير ، وتار بمعنى أفعل التفضيل فيكون معنى المهتار الأكبر . « صبح الأعشى »« (٥/٤٧٠) . وراجع أيضًا : « النجوم الزاهرة » (٩/٤٧ حاشية ٣) ، و « العصر المماليكي » (٤٥٦) .

(٢) البَابَا : جاء في « صبح الأعشى » (٥/٤٧٠) : « هو لقبٌ عامّ لجميع رجال الطَّشْت خاناه ممن يتعاطى الغَسْل ، والصقل ، وغير ذلك ، وهو لفظ رومي ، ومعناه أبو الآباء ، وكأنه لُقّب بذلك ؛ لِأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدومه ، من تنظيف قُمَاشه ، وتحسين هيئته أشبه الأب الشفيق ، فشبه بذلك .

(٣) الطِّشْطخانه : ويقال الطِّشْتَ خَانَاه ، ومعناه بيت الطِّشْت ، سميت بذلك ؛ لِأن فيها الطِّشْت الذي تغسل فيه الأيدي ، والطِّشْت الذي يغسل فيه القماش ، وفيها يكون ما يلبسه السلطان من : الكلوته ، والأقبية ، وسائر الثياب ، والسيف ، والخف ، وغير ذلك ، وأيضًا ما يجلس عليه السلطان مِن المقاعد والمخادّ والسجَّادات التي يصلي عليها ، لها مهتار ، وعدّة طشتدارية ورختوانِيّة . « صبح الأعشى » (٤/١٠ – ١١) ، و « زبدة كشف الممالك » (١٢٤) .

والفُوَط[1] إليه ، كما جرت به العادة ، فكان قد منع المحتسب من التكلّم عليهم ، فكأنّه نبّه السلطانَ على ما فعل ، وأنَّ في ذلك شناعة على السلطان ، فغضب السلطانُ من ذلك ، فأمر يوم الخميس سابع عشري الشهر بالقبض على الشيخ علي ، ورسّم عليه عِند الخَزَنْدار[2] إلى أنْ كان يوم السبت تاسع عشري ذي القعدة المذكور ، فعينت وظيفة الحسبة لعلاء الدين علي بن شهاب الدين ، كاشِف المحلَّة[3] ، وأُلبس خِلعة بذلك ، ثم أُطلق الشيخ علي المحتسب في آخر هذا اليوم ، بشفاعة جمع من الأمراء ، وكان قد طُلب منه عشرون ألف دينار[4] ، وأظهر تِمْرَاز الغضبَ من عزله ، مِن نظر خانقاه سِرْياقوس ، وعدم رعاية المحتسب لِأجله ، وما درى أنّ ذلك إنما فُعل قصد الإِهانة ، وإظهارًا لِقُوَّةِ السلطان ، وأنه غير محتاج إلى أحد بعينه في إقامة الدَّوْلة ، وأنه صار بحيث إذا أراد إهلاك أعظم النّاس قَدِر ، وقال تِمْرَاز للسلطان متعتّبًا : ليت أنك أمرتني بأن أُعطي ابن الأشقر النظر ، ليكون ذلك من قِبَلي ؛ فيخِفّ الكَسْرُ . فقال السلطان : إذا كنت لا أفعل شيئًا إلا بمشورتك فَمَا فائدة كوني سلطان ، أَجْلِس وأنت تقف في خدمتي على رجليك ! فانكَسَر .

عزل الشيخ علي المحتسب

ثم زاد ذلك إيضاحًا أن السلطان أَلْبَس تِمْرَاز خِلعَةً الأربعاء سادس عشري الشهر ، خِلْعةً معلّمةً بأن السلطان رَضي عليه ، فَجَبَره بعد أَن كان أَهانه ، فتمنَّع من لِبْسِها ، ثم لم يَسَعْهُ إلا لِبْسَها ، فنزل وهو في غاية الحنق ، ويقال : إنه نزل من باب القرافة ، ونزعها عنه خارج القلعة .

---

(١) الفُوَط : جاء في « محيط المحيط » (٧٠٦) ، أنها عند العامة قطعة من نسيج كالمنديل تُنشّف بها الأيدي بعد غسلها .

(٢) في « حوادث الدهور » (١٩٨) : « وهو فيروز النّوروزي » .

(٣) المَحَلَّة : جاء في « الخطط التوفيقية » (١٥/١٨) أنها في مشترك البلدان وهو اسم لنحو مائة قرية ببلاد مصر ، أشهرها ، وأكبرها مساحة ، وأكثرها سكانًا (المحلة الكبرى) ، ويقال لها في مشترك البلدان محلة الدَّقلَا وهي قصبة كورة الغربية ، وأكبر مدنها ، ولا يزيد عليها في الكبر مِن مدن الوجه البحري إلّا الإسكندرية ، وموقعها على ترعة الملاح فرع من فروع بحر شيبين .

(٤) راجع الخبر في : « حوادث الدهور » (١٩٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٦ - ١٧) .

رجوع نائب إسكندرية

وفي هذه الحدود[1] ، بلغ الخبرُ بأَنَّ الأمير يونس العلائيّ ، نائب إسكندرية مريض مرضًا مَخُوفًا ، فَرُسم بإحضاره ، وعُيِّن لنيابتها جانِبَك[2] النَّيروزي ، المعروف بنائب بَعْلَبَك ، ثم سافر إلى تسلمها على إثر ذلك .

ذي الحجة سنة ٨٥٧ هـ

الشهاب السكندري

وفي يوم الجمعة آخر أيام التشريق[3] ، مات الشيخ الصالح المعمّر ، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر [بن يوسف[4] بن أيوب] الإسكندراني القَلقِيلي (بقافين مُكبَّر – نسبة إلى قرية من نواحي نابُلُس)[5] المقري ، وقد جاوز المائة[6] . أخبرني عنه الشيخ بهاء الدين محمد بن أبي بكر المهدي : أنه أخبره في رمضان سنة ست وخمسين ، أنه أكمل المائة ، وكان شيخًا صالِحًا عالِمًا بالقراءات ، عالي السَّند بها ، غالب إقامته بجامع الأزهر ، رحمه الله[7] .

كسر قيد تمربغا

وفي هذا الحدِّ ، برز المرسوم الشّرِيف ، بكسْرِ قَيْد تَمْرُبُغا وتبقيته في البرج الذي هو به في قلعة الصُّبَيْبة من غير قيد .

---

(١) هو : في « النجوم الزاهرة » (٧٢/١٦) : « في يوم الاثنين ثاني ذي الحجة » .

(٢) هو : جانِبَك بن عبد الله النَّوْرُوزِي سيف الدين ، أحد أمراء الطبلخانات ، ورأس نوبة في الدولة الظاهرية جقمق ، المعروف بنائب بَعْلَبَك ، كان مِن مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظي المتغلب على دمشق ، قضى من عمره سنين مقدمًا على المماليك السلطانية في مكة والمدينة ، ثم ولي نيابة الإسكندرية للأشرف إينال إلى أن توفي بها في يوم السبت مستهل صفر سنة ٨٦٥ هـ ، وقد ناهز الثمانين من عمره ، كان من خيار أبناء جنسه ، شجاعة وكرمًا ودينًا » .

له ترجمة في : « الدليل الشافي » (٢٤٠/١) ، و « حوادث الدهور » (٥٥٧ – ٥٥٨) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٠/١٦ – ٣١١) ، و « الضوء اللامع » (٦١/٣ رقم ٢٤٧) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (٧٩) .

(٣) أيام التشريق : ثلاثة أيّام بعد يوم النحر ؛ سميت بذلك لأنه كان يُشَرَّق فيها لحوم الأضاحي للشمس « لسان العرب » (٤٢/١٢) .

(٤) ما بين الحاصرتين ، بياض في الأصل ، والتصحيح من « الضوء اللامع » (٢٦٣/١١) .

(٥) جاء في « الضوء اللامع » (٢٦٣/١١) : « نسبة لقرية قلقيليا بين نابلس والرملة » .

(٦) جاء في « الضوء اللامع » (٢٦٣/١١) أنه ولد في ١٠ رمضان سنة ٧٥٧ هـ .

(٧) له ترجمة في « الضوء اللامع » (٢٦٣/١) .

تشغيب المماليك

وفي يوم الاثنين سادس عشر ذي الحجة سنة سبع هذه، طلع إلى القلعة مباشرو الدِّيوان المُفْرَد؛ للنفقة على المماليك، فَطَلَبَ مَنْ جامكيّتِه منهم دون الألفين، أنْ يُزاد في عطائه، وطلبوا الإسْتَدَّار[1] فهرب. [٨٤] وحصل بذلك قلقلة كبيرة، فانحرف السلطان لذلك، ثم رأى أن الرِّياضة أحسن وأوصل إلى الغرض، فطلبهم، وقال لهم: هذا الذي تريدون، خارج عن العادة، (وبين لهم ما يعرفون به ذلك) وإذا أعطيتكم ما تريدون، لا يَرْضى الذين هم أكبر منكم حينئذٍ بما هو لهم. فَرَضِي عقلاؤهم بذلك، ورجعوا على سفهائهم، ليسكِّنوهم، فلم يرض السفهاء، وكثر اللغط، فقال السلطان: ألقوا المالَ بينهم. فألقوه. فقال: من كان منكم يجترىء على أخذ المال فليفعل، حتى أرى ما أفعل به، فتفرّقوا.

وصول نائب إسكندرية

وفي هذا اليوم وصل الأمير يونُس العلائي، نائب إسكندرية.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره، وقف الأجلاب أيضًا، وتكلَّموا في زيادة عطائهم، فبلغ السلطان، فأرسل إليهم رأس نوبة الخدَّام؛ يقول لهم: إنْ كنتم في طاعتي، فكُفُّوا عما أنتم فيه، واطلعوا إلى طِبَاقِكم، وإلا فانزلوا إلى الرُّمَيْلَة، واركبوا خيولكم، وقِفوا للحرب، فطلعوا إلى طِبَاقهم.

وفي أوائل هذا الشَّهْرِ، توصل كاتِبُ السرّ[2] بالحريم وغيرهم من أخصاءِ السلطان، إلى أن يتأخر مع المباشرين، الذين يدخلون إلى القاعة، كناظر الخاص[3]، والوزير[4]، فشَقّ ذلك على الدّويدار[5] الكبير، إذْ

---

(١) وهو: علي البُرددار بن الأَهْنَاسِي. « النجوم الزاهرة » (١٦/٧٧).

(٢) وهو: محب الدين بن الشحنة الحنفي. « النجوم الزاهرة » (١٦/٧٧).

(٣) وهو: جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَم، وقد كان ناظر الجيش والخاص معًا. « النجوم الزاهرة » (١٦/٧٧).

(٤) وهو: سعد الدين فرج بن النحال. « النجوم الزاهرة » (١٦/٧٧).

(٥) وهو: يونس السيفي آقْبَاي نائب الشام. « النجوم الزاهرة » (١٦/٧٣).

كانت العادة ، أنَّ كاتِب السِّرّ ، والدويدار الكبير قَرِيْنان ، لا يتخلَّف أحدُهما بعد الآخر ، وكذا شَقّ على بقية المباشرين ، وفهموا أنها مقدِّمة لأمر عظيم .

عزل الصدر عن قضاء [حلب]

وفي هذا الحد ، عزل القاضي صدر الدّين بن البارزي ، عن قضاء الشّافِعيّة بحلب ، ووليَه الزَّيْن عمر[1] بن الخَرَزي .

ظهور الزين الإستدار

وفي يوم الثلاثاء رابع عشري ذي الحجَّة المذكور ، ظهر الزين يحيى الإِسْتَدَّار ، بواسطة شفاعة بُرْدُبَك الدويدار صِهْرِ السلطان[2] .

وفي هذا اليوم لبِس يوسف[3] بن رسلان إِسْتَدَّار صُحْبَة السلطان خِلعةً بالمشاركة في شهادة الذّخيرة لابن الجيعان ، وتاج الدين الخطير[4] ، نظر الدَّوْلة ، عن السعد إبراهيم الوزير .

وفي يوم الأربعاء ، طلع الزين يحيى الإسْتَدَّار إلى السلطان ، فاعتذر له فقبل منه وعَـفَا ، وأمرْ بملازمة بيته وأن لا يجتمع بالناس لئلا يَخْتَلّ على الإِسْتَدَّار[5] شيء من أمره ، بسبب ذلك[6] .

---

(١) راجع « هامش ٤ » من (ص ١٤٦) .

(٢) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (٧٢/١٦) .

(٣) هو : يوسف بن رسلان بن محمد بن دَغَش البهنسي الأُصل القاهري ، تكلم في العمائر السلطانية ، وكان ناظرًا للذخيرة والشربخاناه والمطبخ السلطاني ، مات في جمادي الأولى سنة ٨٦٧ هـ ، وقد زاحم الستين .

له ترجمة في : « الضوء اللامع » (٣١٣/١٠ رقم ١١٩٠) .

(٤) هو : عبد الوهاب بن نصر الله بن توما الوزير تاج الدين بن الشمس بن الزين القبطي الأسلمي ، ويعرف بالشيخ الخطير ، ولد بالقاهرة على دين النصرانية ونشأ بها ، استقر في الوزارة سنة ٨٣٨ هـ ، وقيل ٨٤٨ هـ ، فباشر أقبح مباشرة وساءت سيرته ، صادره الظاهر جقمق وأخذ منه جملة ثم أطلقه ، مات في ٥ ذي القعدة سنة ٨٦٥ هـ .

له ترجمة في : « حوادث الدهور » (٥٦٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٣١٣/١٦) ، و « الضوء اللامع » (١١٤/٥ رقم ٤٠٨) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٠٤) .

(٥) وهو : العلاء علي بن محمد الأهناسي . « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٥) .

(٦) راجع الخبر في : « النجوم الزاهرة » (٧٢/١٦) ، و « بدائع الزهور » (صفحات لم تنشر) (١٧) .

وفي يوم الخميس أُلبس الأميرُ نور الدين بن الأَهْنَاسي الإِسْتَدَّار خِلْعةً ؛ تقوية له ، ونزل معه ناسٌ كثيرٌ إلى بيته .

مرض السلطان

وفي يوم[1] السبت مرض السلطان بالحمّى ، فارتاع الناس لذلك ، وعلا سعر القمح ، وبعض الأشْياء ، ثم أصبح يوم الأحد صالحًا فاطمأن النّاس .

يليه القسم الثاني

---

(١) في : « حوادث الدهور » (١٩٩) : « وفي يوم الجمعة سابع عشريه صلى السلطان الجمعة ، ودخل إلى الحريم ، فحصل له توعك انقطع فيه إلى باكر يوم الأحد ، ثم خرج إلى الدهيشة فدقت البشائر لذلك » .

المصادر والمراجع :

ابـن الأثير : عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني . (ت ٦٣٠ هـ) .
الكامل في التاريخ .
بيروت : دار صادر ، ودار بيروت ، ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

الأزدي : الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله (ت ٤٨٨ هـ) .
جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م .

الإسكندراني : محمد بن قاسم بن محمد النويري (ت ٧٧٥ هـ) .
كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية .
الهند ، الدكن : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد .
تاريخ دولة آل سلجوق .
(اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني) .
ط ٢، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٨ م .

البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزبه الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) .
– صحيحه .
تركيا ، إستانبول : المكتبة الإسلامية ، ١٩٧٩ م .
– ونسخة فتح الباري .
مصر : المطبعة السلفية ومكتبتها .
– كتاب التاريخ الكبير .
الهند : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) .

البستـــاني : المعلم بطرس .
محيط المحيط .
بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٧ م .

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ) .
كتاب الصلة .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م .

السـبصروى : علاء الدين علي بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت ٩٠٥ هـ) .
تاريخ البصروي .
(صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك / ٨٧١ - ٩٠٤ هـ) تحقيق ودراسة أكرم حسن الحلبي .
ط ١ ، دمشق : دار المأمون للتراث ، ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) .

ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩ هـ) .
تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .
(رحلة ابن بطوطة) .
بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

البغـــدادي : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ) .
تاريخ بغداد أو مدينة السلام .
بيروت : دار الكتاب العربي، ب . ت .

البغـــدادي : عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩ هـ) .
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم .
ط ١ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

البقاعـــي : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥ هـ) .
عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران .
مخطوط ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . .

البكـــري : الوزير الفقيه أبو عُبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ) .

معجم ما استعجم مِن أسماء البلاد والمواضِع .
تحقيق : مصطفى السقا .
ط ٣ ، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .
البـــلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ على الأرجح) .
كتاب فتوح البلدان .
تحقيق : صلاح الدين المنجد .
القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ب . ت .
ابن البيطار : ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي .
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية .
بغداد : مكتبة المثنى ، طبعة معادة بالأوفست .
ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ) .
– المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي .
القاهرة : الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٩٨٦ م .
– الدليل الشافي على المنهل الصافي .
تحقيق : فهيم محمد شلتوت .
القاهرة : مطبعة الخانجي ، ب . ت .
– حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (منتخبات منه) .
جررها ، وليام ببّر .
أمريكا، كاليفورنيا ، ١٩٣٠ م .
– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
الجرجـــاني : علي بن محمد الشريف .
كتاب التعريفات .
بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٥ م .
ابن الجزري : محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ) .
– النشر في القراءات العشر تحقيق : د/ محمد سالم محيسن .
القاهرة : مكتبة القاهرة .
– طيبة النشر في القراءات العشر . ضمن مجموعة إتحاف البررة بالمتون العشرة .

جمع وترتيب : على محمد الضباع .
القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٤ هـ .

الجهشياري : محمد بن عبدوس (ت ٣٣١) .
كتاب الوزراء والكتاب .
حققه : مصطفى السقا وآخرون .
ط ٢ ، القاهرة : شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٤٠١ هـ (١٩٨٠ م) .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧) .
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم .
ط ١ ، حيدر آباد : مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٧ هـ .

ابن الجيعان : شرف الدين يحيى بن المقر .
كتاب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية .
القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٤ م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله القُسطنطيني الرومي الحنفي ملا كاتب الجَلَبّى (ت ١٠٦٧هـ) .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .
دار الفكر ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

الحجي : عبد الرحمن علي (الدكتور) .
التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ) .
ط ١ ، بيروت : دار القلم ، ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) .

حرب : محمد (الدكتور) .
العثمانيون في التاريخ والحضارة .
ط ١ ، دمشق : دار القلم ، ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩ م) .

حسن : علي إبراهيم (الدكتور) .
تاريخ المماليك البحرية .
ط ٣ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧ م .

حسون : علي (الدكتور) .
تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية .

ط ٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) .

الحمـــوي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) .
– معجم البلدان .
بيروت : دار صادر ، ودار بيروت ، ب . ت .
– معجم الأدباء .
بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ب . ت .

الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧ تقريبًا) .
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار .
تحقيق : د / إحسان عبَّاس .
بيروت : دار القلم ، ١٩٧٥ م .

ابن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال .. الشيباني المروزي البغدادي (ت ٢٤١ هـ) .
مسنده .
لبنان : المكتب الإسلامي ، ودار صادر .

ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النّصيبي .
كتاب صورة الأرض .
بيروت : دار مكتبة الحياة ، ب . ت .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) .
مقدمته .
تحقيق : د / علي عبد الواحد وافي .
ط ٣ ، القاهرة : دار النهضة المصرية ، ب . ت .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .
تحقيق : د / إحسان عباس .
بيروت : دار الثقافة ، ب . ت .

ابن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠ هـ على الأرجح) .
تاريخه .
تحقيق : د / أكرم ضياء العُمري .
ط ٢ ، بيروت : دار القلم ، ومؤسسة صادر ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

ابن دقماق : إبراهيم بن آيدمر العلائي (ت ٨٠٩) .
الانتصار لواسطة عقد الأمصار .
(في تاريخ مصر وجغرافيتها) .
بيروت : المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ب . ت .

دوزي : رينهارت .
تكملة المعاجم العربية .
ترجمة : د / محمد سليم النعمي .
العراق : دار الرشيد ، ١٩٨٢ م .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .
- سير أعلام النبلاء .
ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
- كتاب تذكرة الحفاظ .
بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ب . ت .
- كتاب دول الإسلام .
تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى إبراهيم .
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م .
- العبر في خبر من غبر .
تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول .
ط ١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر .
مختار الصحاح .
لبنان : مكتبة لبنان ، ١٩٨٦ م .

الـــــرصافي : معروف .
الآلة والأداة ، وما يتبعها من الملابس والمرافق والهنات .
تحقيق : عبد الحميد الرشودي .
بغداد: دار الرشيد ، ١٩٨٠ م .
الـــــزبيري : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦ هـ) .
كتاب نسب قريش .
نشر وتصحيح : إ . كيفي بروفنسال .
ط ٢ ، مصر : دار المعارف ، ب . ت .
الـــــزركلي : خير الدين .
الأعلام .
ط ٣ ، ب . م : ب . ت .
زكـــــــي : عبد الرحمن (الدكتور) .
القاهرة ، تاريخها وآثارها (٩٦٩ - ١٨٢٥ م) .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٦هـ (١٩٦٦ م) .
السبكـــــي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١ هـ).
طبقات الشافعية الكبرى .
تحقيق : د / عبد الفتاح الحلو ، ومحمود محمد الطناحي .
ط ٧ ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .
السخـاوي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان (٩٠٢ هـ) .
- الضوء اللامع لِأهل القرن التاسع .
بيروت : دار مكتبة الحياة ، ب . ت .
- كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك .
القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ب . ت .
- الذيل على رفع الإصر (بغية العلماء والرواة) .
تحقيق : د / جودة هلال ، ومحمد محمود صبيح .
مصر : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ب . ت .
سعـــــــد : محمود توفيق .
علم التناسب القرآني عند البقاعي .

بحث منشور في مجلة الفيصل ، العدد ٨٠ ، صفر ١٤٠٤ هـ .

السمعـــاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ) .
الأنساب .
طـ ١ ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٦ هـ .

ابن سيـده : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (٤٥٨ هـ) .
المخصَّص .
بيروت : دار الفكر ، ب . ت .

ابن سيّد الناس : أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى الشافعي (٧٣٤ هـ) .
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير .
طـ ٢ ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤ م .

السيوطـــي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .
– حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة .
تحقيق : أبو الفضل إبراهيم .
طـ ١ ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) .
– نظم العقيان في أعيان الأعيان .
حرَّره : د / فيليب حتّي .
نيويورك : المطبعة السورية ، ١٩٧٧ م .

أبو شامـة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥) .
تراجم رجال القرنين السادس والسابع .
(الذيل على الروضتين) .
تصحيح : محمد زاهد بن الحسن الكوثري .
طـ ٢ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤ م .
– كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز .
تحقيق : طيار آلتي قولاج .
بيروت : دار صادر ، ١٣٩٥ هـ .

ابن شاهين : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (٨٧٣ هـ) .
كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

صحّحه : بولس راويس .
باريس : المطبعة الجمهورية ، ١٨٩٤ م .

ابن شبّة : أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (٢٦٢ هـ) .
كتاب تاريخ المدينة .
(أخبار المدينة النبوية) .
تحقيق : فهيم محمد شلتوت .
ط ٢ ، جدة : دار الأصفهاني ، ب . ت .

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٥٤٨ هـ) .
الملل والنحل .
ط ٢ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) .

الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ) .
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع .
القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، ب . ت .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ) .
كتاب الوافي بالوفيات .
بيروت : دار صادر .

الصيرفي : علي بن داود الجوهري (ت ٧٨٩ هـ) .
إنباء الهصر بأبناء العصر .
تحقيق : د / حسن حبشي .
القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٠ م .

الضّبّي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩ هـ) .
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس .
دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م .

طاش كبري زاده : أحمد بن مصطفى .
مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم .

تحقيق : كامل كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور .
القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ب . ت .

ابن الطقطقا : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ) .
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية .
بيروت : دار صادر ، ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

عـــاشور : سعيد عبد الفتاح (الدكتور) .
العصر المماليكي في مصر والشام .
ط ١ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ م .

العبيـــدي : صلاح حسين (الدكتور) .
الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية .
بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨٠ م .

ابن عرب شاه : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٥٢ هـ) .
عجائب المقدور في نوائب تيمور .
تحقيق : أحمد فايز الحمصي .
ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ (١٩٨٦ م) .

العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) .
- إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ .
ط ٢ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) .
- تهذيب التهذيب .
ط ١ ، حيدر آباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٧ هـ .

العِصَامِـيّ : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكّي (ت ١١١١ هـ) .
سمط النجوم العَوالي في أنباء الأوائل والتوالي .
القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها ، ب . ت .

عنــان : محمد عبد الله .

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين .
ط ٣ ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

عـــيسى : أحمد (الدكتور) .
تاريخ البيمارَسْتانات في الإسلام .
ط ٢ ، بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠١ هـ - (١٩٨١ م) .

الغـــزالي : أبو حامد محمد (ت ٥٠٥ هـ) .
فضائح الباطنية .
تحقيق : عبد الرحمن بدوي .
الكويت : مؤسسة دار الكتب الثقافية ، ب . ت .

الفــــاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسَني المكّي (٨٣٢ هـ) .
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين .
القاهرة : مطبعة السّنة المحمدية ، ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) .

فــامبري : أرمنيوس .
تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر .
ترجمة : د / أحمد محمود الساداتي .
ب . م ، ب . ت .

فريـــــد : محمد بك .
تاريخ الدولة العليـة العثمانية .
تحقيق : د / إحسان حقي .
ط ٥ ، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) .

ابن فضل الله : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩ هـ) .
- التعريف بالمصطلح الشريف .
تحقيق : محمد حسين شمس الدين .
ط ١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م) .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .
(قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين) .
تحقيق : دُورُوتيا كرافولسكي .
ط ١ ، بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ، ١٤٠٦ هـ (١٩٨٥ م) .
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار .
(دولة المماليك الأولى) .
تحقيق : دُورُوتيا كرافولسكي .
ط ١ ، بيروت : المركز الإسلامي للبحوث ، ١٤٠٧ هـ (١٩٨٦ م) .

الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) .
القاموس المحيط .
بيروت : المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، ب . ت .

الفيومـــي : أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠ هـ) .
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي .
تصحيح : مصطفى السقا .
القاهرة : مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، ب . ت .

ابـن قتيبـة : أبو محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) .
المعارف .
تحقيق : ثروت عكاشة .
ط ٢ ، مصر : دار المعارف .

القزوينـــي : زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ هـ) .
آثار البلاد وأخبار العباد .
بيروت : دار صادر ، ب . ت .

القلقشنـدي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء .

نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية بالقاهرة .
– قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان .
تحقيق : إبراهيم الأبياري .
ط ١ ، القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) .

الكتبـــي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ) .
فوات الوفيات .
تحقيق : د / إحسان عباس .
بيروت : دار الثقافة ، ب . ت .

ابن كـثير : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير (٧٧٤ هـ) .
البداية والنهاية .
ط ١ ، بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٦ م .

كحـــالة : عمر رضا .
– معجم قبائل العرب القديمة والحديثة .
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) .
– معجم المؤلفين .
بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ومكتبة المثنى ، ب . ت .

كـــــرد : محمد كرد علي .
خطط الشام .
ط ٢ ، بيروت : ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .

لـــــويس : برنارد .
إستنبول وحضارة الخلافة الإسلامية .
تعريب : د / سيد رضوان علي .
ط ٢ ، جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) .

لين : ستانلي .
الدول الإسلامية .

إضافات وتصحيحات : بارتولد ، وخليل أدهم .
نقله إلى العربية : محمد صبحي فرزات ، ومحمد أحمد دهمان .
دمشق : مطبعة الملاح ، ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) .

ماجـــد : عبد المنعم (الدكتور) .
نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر .
ط ٢ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩ م .

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠ هـ).
الأحكام السلطانية والولايات الدينية .
ط ٣ ، مصر : مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

مايــــر : ل . ا .
الملابس المملوكية .
ترجمة : صالح الشيتي .
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ب . ت .

مبـــارك : علي باشا (ت ١٣١١ هـ).
الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة .
ط ١ ، القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣٠٥ هـ .

مجموعة من الأساتذة :
أطلس العالم .
بيروت : مكتبة لبنان ، ب . ت .

مسلـــم : أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) .
صحيحه .
ط ١ ، القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥ م) .

المعجم الوسيط
ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

مفتـــــاح : رمزي (الدكتور) .
إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية .
ط ١ ، القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) .

المقـــدسي : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي .
الروضتين في أخبار الدولتين .
بيروت : دار الجيل ، ب . ت .

المقريـــزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) .
- كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة .
نشر : محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين الشيال .
ط ٢ ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧ م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
(الخطط المقريزية) .
بيروت : دار صادر ، ب . ت .
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا .
جـ ١ تحقيق : د / جمال الدين الشيال .
القاهرة ، ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) .
جـ ٢ : تحقيق محمد حلمي محمد أحمد .
القاهرة ، ١٣٩٠ هـ (١٩٧١ م) .
جـ ٣ : تحقيق محمد حلمي محمد أحمد .
القاهرة ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مَكرَّم الأنصاري (ت ٧١١ هـ) .
لسان العرب .
القاهرة : نسخة مصورة عن طبعة بولاق .

ابـن منيـع : محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ على الأرجح) .
الطبقات الكبرى .

بيروت : دار صادر ، ب . ت .

الموسوعة العربية الميسرة
القاهرة : دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

الموسوي : عبد الحسين شرف الدين .
المراجعات .
بيروت : دار الأندلس ، ١٩٧٩ م .

مؤنس : حسين (الدكتور) .
أطلس تاريخ الإسلام .
ط ١ ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) .

النجار : محمد رجب (الدكتور) .
حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي .
الكويت : سلسلة عالم المعرفة ، ٤٥ ، شوال - ذي القعدة ١٤٠١ هـ .

النديم : أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق بن محمد بن إسحق الوراق (ت ٣٨٠ هـ) .
كتاب الفهرست .
تحقيق : رضا تجدد .
ب . م ب . ت .

النعيمي : عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧ هـ) .
الدارس في تاريخ المدارس .
تحقيق : جعفر الحسيني .
القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٨٨ م .

نصر : محمد سيد (الدكتور) وآخرون .
أطلس العالم .
ب . م ، ب . ت .

نـــــــوار : عبد العزيز سليمان (الدكتور) .
الشعوب الإسلامية .
بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ م .

النويـــــري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣ هـ) .
نهاية الأرب في فنون الأدب .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

هـــــــاري
وهـــــازارد
أطلس التاريخ الإسلامي .
ترجمة مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .
ط جامعة برنستون ، ١٩٥٤ م .

ابـن هشام :
السيرة النبوية .
تحقيق : مصطفى السقا وآخرون .
ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) .

هيــــوار : كليمان .
أيوان .
بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ٣ .

الواقـــدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ) .
كتاب المغازي .
تحقيق : د / مارسدن جونسن .
بيروت : عالم الكتب ، ب . ت .



الفهارس العامة



١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

٣ – فهرس القوافي

القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
بنابه	الطويل	أبو الفضل بن محمد المشدَّالي البجائي	٤	٢٦٦ ، ٤٠٧
بالعربي	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٥
والخطب	البسيط	ابن الجزري	١	٤٢٩
والريب	البسيط	ابن الجزري	١	٤٢٩
السبعَةِ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٢
رَجَحْ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٠
الذراريح	البسيط	ابن الجزري	٢	٤٢٧
وابتدا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٩
سعودُ	الطويل	البقاعي	١١	٤٠٩
صعودُ	الطويل	البقاعي	٢٥	٤١٠ ، ٤١١
بالسواد	الوافر	البقاعي	٢	٤٠٠
كذا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٨
صدورا	الوافر	ابن الجزري	١	٤٣٠
ينتظر	البسيط	ابن الجزري	١	٣٧٦
البشر	البسيط	ابن الجزري	١	٤٣٣
انظر	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٧
أزاهرُه	الطويل	البقاعي	٤	٤٠٠
وفوارسا	الكامل	البقاعي	٢	٤٣٣
وظا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٠
متبعْ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٥
أمنعا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٧
الأضالعُ	الطويل	البقاعي	٢	٤٠١
أتضعضع	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	٢	٤٠٧
اختلفْ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٠
الضعفا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨١
ضعُف	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٧
وكافِ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٩
احذِف	الرجز	ابنِ الجزري	١	٢٨١

القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
الأمل	المتقارب	ابن الجزري	١	٢٤١
سأل	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٠
وصلا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٥
مسجلا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٩
ميِّلِ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٠
وَرُمْ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٩
الكلمْ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨١
عَمَّمَا	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٧
دُما	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨١
آثمُ	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٥
الصوارم	الرجز	ابن الجزري	١	٤٣٤
فتمكّنا	الطويل	مجنون ليلى	١	٢٧٠
وأبدانا	الطويل	مجنون ليلى	١	٤٢٩
مقاربان	الرجز	ابن الجزري	١	٢٧٧
الأركان	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٢
وإعلاني	البسيط	البقاعي	٢	٤٠١
مبانيهِ	السريع	البقاعي	٢	٤٢٩
يحوي	الرجز	ابن الجزري	١	٢٨٢

٤ - فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ي)

٥ – فهرس الفرق والطوائف والأمم والقبائل

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

٦ – فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

(ا)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

٧ - فهرس المصطلحات الإدارية والعسكرية والوظائف

(١)

(ب)

(ت)

(ج)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

٨ – فهرس المصطلحات الفنية

(أ)

(ب)

(س)

(ش)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٩ - فهرس الغزوات

١٠ - فهرس أسماء الكتب

١١ - فهرس الموضوعات



رقم الإيداع ١٩٩٢/٣٦٣١ م
الترقيم الدولى I.S.B.N : 977 — 00 — 3181 — X

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة




إظهار العصر لأسرار أهل العصر
تاريخ البقاعي

